مصادر تاريخ مصر الإسلامية
فى العصر الأيوبى
٥٦٧هـ ٦٤٨هـ

(دراسة مقارنة بمصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر المماليكى مع ترجمة ونشر ١٤ وثيقة أيوبية من الأرشيفات الإيطالية ، تنشر لأول مرة) .

تأليف

الدكتور أحمد فؤاد سيد

كلية الآداب قسم التاريخ

جامعة عين شمس

١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ ش عبد الخالق ثروت . القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لم يعرف التاريخ تُراثاً إنسانياً جاء من الضخامة والشمول والعُمق والتخصُّص والدقة ، مثل التراث الإسلامى ، الذى أبدعته عقلية المسلمين ، وفاءً بشمول وكمال الشريعة الإسلامية ، وكون الإسلام دين ودولة ومجتمع ودعوة عالمية ؛ ولا ريب أنّ إستقصاء المصادر التاريخية لأى عصر من العصور ، هو الخطوة الأولى الضرورية ، لدراسة هذا العصر دراسة شمولية أمينة عميقة متخصصة ، تُجلى جميع جوانبه ؛ مما يستلزم الإستفادة من جميع المصادر المتنوعة لهذا العصر ، بدءً من مصادر الدرجة الأولى المتمثلة فى الوثائق والآثار والنقوش والمسكوكات ؛ ومروراً بالمصادر والكتابات القلمية التاريخية والجغرافيا والسياسية والحربية والإدارية والفقهية والإقتصادية والأدبية ، على كافة أشكالها وصورها ، بما فيها أيضاً دواوين الشعر ، والنثر الأدبى والمقامات ، التى تُعد كلها وثائقاً للعصر الذى كُتبتْ فيه .

ولقد تميزت مصادر العصر الأيوبى والمماليكى بالتشابه والاستمرارية ، نظراً لكون العصر المماليكى ، استمراراً للعصر الأيوبى فى كل شيء ؛ فسلاطين المماليك فى الواقع ، هم تلامذة سلاطين بنى أيوب .

والعصر الأيوبى على قِصَره ، ـ فهو لم يتجاوز ثمانين عاما ـ ؛ أُفردت للتاريخ له ، تواريخ موسّعة قائمة برأسها ، على نحو ما فعل ابن واصل الحموى ، وعز الدين الحنبلى المصرى ، وابن أيبك الدوادار ، والمُرتضى الزبيدى ، وغيرهم ؛ كما أفرد مؤرخو عصر صلاح الدين الأيوبى ، ووزراءه وقضاته ورؤساء ديوان إنشائه ، مؤلفات تاريخية قائمة برأسها ، للتأريخ لعصره لكونه مؤسس الدولة الأيوبية ، ولسيرته وفتوحاته ، مثل المؤلفات التاريخية للقاضى الفاضل ،

والعماد الأصفهانى ، والقاضى بهاء الدين بن شداد ، وغيرهم من معاصرى صلاح الدين وكبار رجال دولته . وفى نفس الوقت ، عاصر العصر الأيوبى عددٌ كبير من أشهر وأجلّ مؤرخى الإسلامى ؛ مثل : ابن عساكر ، وأبو الفرج بن الجوزى ، وابن الأثير وابو شامه الأصفهانى ، وسبط ابن الجوزى وابن العدّيم ، وغيرهم .

أما العصر المماليكى فى مصر والشام ؛ فالجدير بالملاحظة أنه أنجب عدداً كبيراً جداً من كبار مؤرخى الإسلام بصفة عامة ، ومن كبار مؤرخى مصر الإسلامية بصفة خاصة ؛ ويأتى فى طليعتهم ، المقريزى ، وابن تغرى بردى ، وابن حجر ، والسخاوى ، والسيوطى ، والعينى ، والذهبى ، وابن كثير ، وابى الفدا ، وبيبرس المنصورى ، وابن أيبك الدوادار ، وابن خلدون ، وابن إياس ، والنويرى ، والقلقشندى ، ومحيى الدين بن عبد الظاهر ، وابن دقماق ، وابن حبيب الحلبى ، وعلى بن داود بن الصيرفى ، وابن ظهيرة ، وابن الفرات المصرى ، وابن شاكر الكتبى ، وابن قاضى شهبة ، وابن طولون الدمشقى ، وابراهيم مغلطاى ، وابن زنبل الرمال ، وغيرهم ؛ ويمثل الجبرتى ، آخر سلسلة مؤرخى مصر الإسلامية العظام ، إذ أرّخ فى تاريخه لنهاية العصر المماليكى ، والعصر العثمانى ، وعصر الحملة الفرنسية ، وظهور محمد على .

وليس ثمة علم من العلوم المساعدة لعلم التاريخ ، أو المُبيّنة لمنهجه ، أو المُعرّفه لمفهومه ؛ إلا وجدنا مصنفاً أو أكثر منها ، يرجع إلى العصر الأيوبى أو المماليكى ؛ فألف فى مفهوم التاريخ ، الكافيجى ، والسخاوى ، والسيوطى ، وابن خلدون ؛ وألف فى مصطلحه ومنهجه ، ابن الصلاح ، وابن كثير ، والنووى ، وابن حجر ، والسخاوى ، والسيوطى ؛ وألف فى الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية ونصيحة الملوك والسلاطين ، وتدبير المُلك ، الشيزرى ، وابن جماعة ،

وابن تيمية ، وابن القيم الجوزية ، وغيرهم ؛ وألف فى أحكام الحسبة وآدابها ، الشيزرى ، وابن الأخوة وابن تيميه ، وابن بسّام التنيسى ، وغيرهم ؛ وأرخ لديوان الإنشاء ، ودستور وقوانين المكاتبات ورسومها ، ابن منجب الصيرافى ، وابن شيث الإسنائى ، وابن فضل الله العُمرى ، والقلقشندى ، والخالدى ، وغيرهم ؛ وأرخ للنظم الإدارية والمالية وقوانين الدواوين المالية ، وصناعة الخراج ، المخزومى ، وابن مماتى ، والنابلسى ، وابن الجيعان ، والقلقشندى ، والمقريزى ، والنويرى ، وغيرهم ؛ وأرخ للخطط والآثار المصرية ، وطبوغرافيه المدن العربية الإسلامية بمصر ، والتاريخ المدنى والعمرانى بها ، وموقعها الجغرافى ، رخصائصها الجغرافية ، ابن دقماق ، والواحدى ، وابن المتوج ، والمقريزى ، وغيرهم .

هذا فضلاً عن مؤلفات متخصصة رائدة فريدة فى نوعها ، فى علوم التجارة والاقتصاد ، ألفها أبو الفضل الدمشقى رائد علم الاقتصاد فى العالم ، فى كتابه الإشارة إلى محاسن التجارة ؛ وفى علم النقود والنميات والمسكوكات ، مثل كتاب كشف الأسرار العلمية فى دار الضرب المصرية لابن بحره الذهبى الكاملى المصرى ، وكتاب شذور العقود فى علم النقود ، أو تاريخ النقود الإسلامية للمقريزى .

وقد إحتوى كتابنا هذا ، على حصر ودراسة وتحليل مصادر الدرجة الأولى للعصر الأيوبى ، المتمثلة فى الوثائق والنقوش والآثار والمسكوكات ؛ مقارنة بمصادر الدرجة الأولى فى العصر المماليكى ؛ والطريف أن المادة العلمية الخاصة بالعصر المماليكى ، قد أربت على نظيرتها فى العصر الأيوبى ، نظراً لطول العصر المماليكى ، الذى استمر طوال ثلاثة قرون كاملة من الزمان ؛ وسيحتوى الكتاب الثانى ـ إن شاء الله ـ على الكتابات القلمية ؛ بإختلاف أنواعها ، من مصادر

تاريخية صرفة ، أو مصادر جغرافية وسياسية وإدارية وحربية وفقهية وأدبية واقتصادية ، أرخت لجميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذين العصرين .

والله اسأل أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم ؛ وأن يوفقنا دائماً لما يُحبّه ويرضاه .

ولا يفوتنى فى نهاية هذه الكلمة ، أن أتوجه بالشكر الجزيل لأُستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور عبد المنعم ماجد لما أولانى به من نصائح ؛ ولأُستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرازق ، الذى كان لنصائحه الأثر الطيب فى الفصول الخاصة بالنقوش والآثار والمسكوكات من هذا الكتاب؛ ولناشر العلم الفاضل الأستاذ فوزى محمود ، صاحب دار النهضة العربية ومديرها ، لسابق إسهاماته الكثيرة فى نشر عددٍ كبيرٍ من المؤلفات الهامة الأساسية ، الخاصة بتاريخ مصر بصفة عامة ، وبتاريخ مصر الإسلامية بصفة خاصة ، ولاهتمامه بنشر كتابنا هذا ، ضمن إصدارات دار النهضة العربية ، على هذا النحو من الدقة والعناية والإتقان .

دكتور أحمد فؤاد سيد

٢٤/١٠/١٩٩٦م

١٢ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ .

الفهـــرس

الصفحة

المقدمة

التمهيد ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٣ ـ ٤

الكتاب الأول

مصادر الدرجة الأولى

الفصل الأول : الوثائق ـــــــــــــــــــــــــــ ٥ ـ ٩٧

الفصل الثاني : النقوش ـــــــــــــــــــــــــــ ٩٨ ـ ١٧٢

الفصل الثالث : الآثار ـــــــــــــــــــــــــــ ١٧٣ ـ ٣٠٩

الفصل الرابع : المسكوكات ـــــــــــــــــــــــــــ ٣١٠ ـ ٣٥١

الملاحق : ترجمة ونشر ١٤ وثيقة أيوبية ، محفوظة بالأرشيفات الإيطالية ؛ تُنشر لأول مرّة ـــــــــــــــــــــــــــ 1 - 40

تمهيد :

العصر الأيوبي ، عصر غني بمصادرة المتنوعة ، ولضيق الحيز الزمني لهذا العصر ، وامتلائه بالأحداث الهامة ، والمتغيرات الكثيرة ، فإن مصادره تكاد تغطي جميع فتراته المختلفة تغطية تامة . وإذا كانت مصادر العصر الفاطمي ، وخاصة المذهبية منها ، قد فقد أغلبها من مصر ، بعد أن هرّبها الفاطميون الى اليمن والهند حين أحسّوا بقرب زوال الخلافة الفاطمية [1] . وإذا كانت مكتبة القصر الفاطمي التي كانت تعد من أضخم المكاتب في العالم الأسلامي في ذلك الوقت، قد أحرق أغلبها صلاح الدين بعد إعلانه سقوط الخلافة الفاطمية ، وخاصة كتب الدعوة الاسماعلية ، وفرّق بقيتها على أصحابه ، مثل وزيره القاضي الفاضل ، والمؤرخ ابو شامة الأصفهاني [2]، مما جعل باحثو العصر الفاطمي يتتبعون مصادر التاريخ الفاطمي ، والدعوة الاسماعلية ، في مخطوطات يرجع أغلبها الى أصل يمني أو هندي ، فان بقاء أغلب مصادر العصر الأيوبي إلى اليوم ، سببه على الارجح أن العصر المماليكي اللاحق له ، كان استمرارا لعصر بني ايوب في كل شيء ، بل لعله في الواقع كان امتدادا له . ولا غرو فان المماليك، هم تلامذة بني ايوب وترابيبهم . فلا شك أن خزائن سلاطين المماليك، الذين شغف أكثرهم بجمع الكتب ، قد احتفظت بجميع مصادر التاريخ الأيوبي ؛ والملاحظ أن عددا كبيرا من أمهات كتب الحوليات التاريخية التي ألفت في العصر المماليكي ، قد اتخذت من العصر الايوبي بداية لها [3].

---

(١) انظر المؤيد في الدين الشيرازي : ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاء ، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ، دار الكاتب المصري ، ١٩٤٩ م ، ص ١٨٥ ، وانظر ايضا ص ٤٩ ، ص ١١ ، وهي في مقدمة المحقق .

(٢) انظر ابو شامه : الروضتين ، ١ /٢ ، ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٦٨٦ ـ ٦٨٧ ؛ المقريزي : الخطط ٤ ، ١٩٧ .

(٣) انظر مثلا كتاب السلوك للمقريزي . وكتاب كنز الدرر لابن ايبك الدواداري . وكتاب تاريخ الكرد والترك لابن ابي الفوارس . وكتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة =

وحين آلت الخلافة إلى العثمانيين ونقلوا أغلب الكتب الخزائنية السلطانية الخاصة بسلاطين المماليك الى عاصمتهم إسطامبول ، حافظوا على هذا التراث التاريخي، لكونه خاصا بتاريخ السلطنة السنّية ، التي تعاقبت في بني أيوب ثم في مماليكهم ، ثم ورثها العثمانيون ؛ ومن إستانبول ومصر ، تفرقت مصادر العصر الأيوبي الى مكتبات أوربا الحديثة ؛ كذلك كان لتبعية كل من بلاد الشام واليمن للدولة الايوبية ، سببا لوجود بعض مصادر هذا العصر في مكتبات هذين القطرين ، خاصة المؤلفات التاريخية التي أرّخت لبلاد الشام واليمن تحت حكم الايوبيين ؛ ولا شك أن رواج حركة التأليف والتصنيف في العصرين الأيوبي والمماليكي بمصر ، خاصة العصر المماليكي الذي شهد جمع أضخم موسوعات التراث العربي[1] ، قد أدى الى المحافظة على جل المادة التاريخية الخاصة بالعصر الايوبي .

= لركن الدين بيبرس المنصوري . وكتاب درة الأسلاك في تاريخ دولة الأتراك لابن حبيب الدمشقي . والكتابان الأولان مطبوعان ، وبقية هذه الكتب لا تزال مخطوطة بدار الكتب المصرية ومصورة بمعهد المخطوطات . كذلك تجد كتب السير التي ألفها مؤرخو المماليك مثل العيني والسخاوي والسيوطي تبدأ أيضا بسرد موجز لتاريخ سلاطين بني ايوب ، والعيني بالذات ذكر في سيرته للسلطان المؤيد والسلطان ططر ، أن سلاطين الايوبيين هم أصل جلب المماليك إلى مصر .

(١) انظر عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر، في العصرين الأيوبي والمملوكي الاول ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ ، ص ٣١٥ ـ ٣٣٢ .

الباب الأول

مصادر الدرجة الأولى

الفصل الأول : الوثائق

للوثائق أهمية مضاعفة لدارسي تاريخ نظم الحكم بصفة خاصة . ولقد وصل إلينا من العصر الأيوبي ، عدد وافر من هذه الوثائق ؛ حفظ بعضه في أصوله الأثرية ، على شكل أمانات مُنحت لرهبان دير سانت كاترين ؛ أو في صورة حُجج للوقف احتفظت بها دور المحفوظات الحكومية بمصر ، أو على شكل ترجمات باللغة اللاتينية المختلطة باللهجات الإيطالية سواء الإقليمية أو العامية ، وأغلب هذه الوثائق محفوظة في أرشيفات البندقية وجنوه ، وهي إما نصوص معاهدات تجارية أو رسائل متبادلة بين سلاطين بني أيوب والقناصله الإيطاليين بصفة دولية ، كما أن بعضها كتب باللغة العربية ، وكان على هيئة التماسات تقدم بها التجار الإيطاليون بمصر لسلاطين بني أيوب . كذلك تناهى الى علم الباحثين أخيرا ، وجود مجموعة من اوراق البردى المصرية ترجع إلى العصر الفاطمي المتأخر والعصرين الايوبي والمماليكي ، محفوظة في مكتبة فينا ، رغم ماكان شائعا من طرح استعمال أوراق البردى بعد القرن الخامس الهجري .

ومن الممكن أن ندرج مع الوثائق التي وصل إلينا في أوراقها الأثرية الوثائق التي عرفت بوثائق دير صهيون ، وهي على شكل أمانات تتشابه الى حد كبير مع أمانات دير سانت كاترين ، وكانت السلطات الحكومية المصرية في العصرين الأيوبي والمماليكي ، قد حرصت على تجديدها مع تولي كل سلطان ـ شأن الحال ايضا في وثائق دير سانت كاترين ـ لرهبان دير صهيون الذي كان قائما فوق علّية صهيون بفلسطين حتى قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ ، واضطرار

رهبان هذا الدير من الفرنسسكان الى المجيء الى مصر بوثائقهم وحفظها فى كنيستهم الكائنة اليوم بحى الموسكى بمدينة القاهرة ؛ فرغم أن أقدم وثائق دير صهيون ترجع الى بداية العصر المماليكى ، الا أن هذه الإمتيازات قد مُنحتْ لرهبان الفرنسسكان فى العصر الأيوبى .

أما العدد الضخم الذى وصل إلينا من وثائق العصر الايوبى ، فقد فُقدتْ أوراقه الأثرية ، وان احتفظت بنصوصه المصادر القلمية المتنوعة ، ويأتى على رأسها كتب مجاميع الرسائل ، وكتب قوانين ودساتير ديوان الإنشاء ، وكتب الحوليات التاريخية ، وكتب أدب القاضى والشروط ، وكتب النثر الادبى . ولا شك أن نصوص هذه الوثائق ، التى نقلتها واحتفظت بها الكتب والمصادر القلمية ، تمثل العمود الفقرى لبحث الوثائقى لهذا العصر ، لكثرتها وتنوعها ، ومن ثم سنبدأ بالتعريف بها .

١ ـ نصوص وثائق من العصرين الايوبي والمماليكي فقدت اوراقها الاثرية

لا مجال للشك فى صحة هذه النصوص ، من ناحية كونها منقولة فعلا عن أوراق أثرية ، حفظت فى دواوين الإنشاء ، أو احتفظ بها بعض الافراد . وذلك لأن هذه النصوص وصلت إلينا منقولة فى كتب ومصادر قلميه لا سبيل الى الطعن فى أمانتها ، خاصة وأن بعضها يتصف بصيغه رسمية ، وان من توفر على تأليفها ، كانوا هم أنفسهم كبار الموظفين الحكوميين ، الذين تولوا رئاسة ديوان الإنشاء ، فى العصرين الأيوبى والمماليكى .

بل أن عددا كبيرا من وثائق العصر الأيوبى ، قد وصلنا محفوظا فى مؤلفات تاريخية ، ألّفها العماد الأصفهانى ، متولى ديوان الإنشاء الأيوبى ببلاد الشام ، وأغلب الوثائق التى أثبت نصوصها فى كتابية البرق الشامى والفتح القسى ، كان العماد قد تولى بنفسه صياغتها بأمر من صلاح الدين ؛ أى ان العماد كان هو

الذى تولى صياغة هذه الوثائق كما تولى حفظها وترتيبها فى الديوان . ولما كان عدد كبير منها ، رسائل متبادلة بين الدولة الأيوبية والخلافة العباسية ، سواء لطلب المشورة من الخليفة ، أو للبشارة بالفتوحات والانتصارت على الصليبيين ، كما كان عدد آخر منها متبادل بين الدولة الأيوبية وبقية ملوك الإسلام ؛ ولما كان كتاب العماد الأصفهانى قد ذاع وانتشر فى عهد لاحق مباشرة ، او ربما معاصر لعصر صلاح الدين ، وان نُسخَ هذه الوثائق المتبادلة بين الدولة الأيوبية والخلافة وبقية ملوك الإسلام ، كانت محفوظة مُخلّدة فى ديوان الخلافة ودواوين هذه الدول ، فلا مجال للشك إطلاقا فى أصالة وصحة الوثائق التى أوردها العماد الأصفهانى فى مؤلفاته التاريخية . كذلك أورد العماد فى هذين الكتابين كتابات وثائقية من إنشاء صديقه القاضى الفاضل ، وزير صلاح الدين ومتولى ديوان الإنشاء بمصر ، وبعض هذه الوثائق ذكر العماد انه وقف على أصولها [1] ، والبعض الآخر كانت رسائل ومكاتبات تبادلها هو والقاضى الفاضل بصفة شخصية [2] . ويلاحظ بعض الباحثين ان استخدام المؤرخين المسلمين للوثائق ، قد بلغ أوْجَهُ عند العماد ، فكتابه العظيم البرق الشامى هو مذكرات مؤلفة فى الغالب من وثائق ورسائل ومنشورات وأمثال ذلك [3] .

(١) انظر العماد : البرق الشامى ، مخطوط البودليانه بأكسفورد ، رقم Massh 425 جـ ٥ ورقة ٣٤أ ، ورقة ٤٤ أ ، وكثيرا مايورد العماد أكثر من وثيقة عن حادثة واحدة ، وهو يعلل هذا بقوله : « وانما كررت ذكر هذه الكتب ليعرف منها جلية الحال » انظر البرق جـ ٥ ق ١٠٤ ب ، وانظر أيضا جـ ٣ ق ١٦ ب ، وفى جـ ٣ ق ٣٠ ب يورد العماد نسخة الكتاب الفاضلى اليه نقلا عن خط القاضى الفاضل . ولقد امدنا العماد بمعلومة هامة جدا تفيد دارس الوثائق ونظام الوزارة فى العصر الايوبى ، وهى أن القاضى الفاضل قبل تراسله مع صلاح الدين بالشام ، كان يقف بنفسه على نسخ الرسائل العراقية الواردة من الخلافة العباسية ، انظر العماد : البرق ، جـ ٣ ، ق ٣٨ أ ـ ٣٨ ب .

(٢) انظر العماد : البرق ، مخطوط البودليانه ، جـ ٥ لوحة ١٣٥ أ ـ ١٤٢ أ .

(٣) روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ص ١٦٩ .

وإلى جانب المؤلفات التاريخية للعماد الأصفهاني ، احتفظت كتب تاريخية أخرى ، ألفت في العصر الأيوبي ، بعدد هام من نصوص وثائق هذا العصر ؛ فاحتفظ لنا المؤرخ ابن شاهنشاه الأيوبي ، وهو الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر ، صاحب حماة ت ٦١٧ هـ ، وابن عم صلاح الدين [١] ، ببعض الوثائق والسجلات الخاصة بأسرته ، في كتابه مضمار الحقائق [٢] ، مما يجعل لها اهمية خاصة .

كذلك اجتهد المؤرخ ابو شامة الأصفهاني ، في الوقوف بنفسه على الأصول الأثرية لوثائق العصرين النوري والصلاحي ، وذلك في تأريخه لهاتين الدولتين في كتابه الروضتين ، كما وقف أيضا على بعض الأصول الأثرية لوثائق ترجع إلى العصر الفاطمي المتأخر ، وقد نص ابو شامة في اكثر من موضع من كتابه ، على أنه وقف بنفسه على هذه الأصول الأثرية ، واورد صيغة العلامة السلطانية ـ أي التوقيع السلطاني ـ عليها [٣] ، أما باقي وثائق كتاب الروضتين

(١) انظر ترجمته عند ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ٢ : ٢٥٢ ؛ ابو الفدا : المختصر ، ٣ : ١٢٥ ؛ ابو شامه : ذيل الروضتين ، ١٢٤ ؛ المقريزي السلوك ، ١ : ٢٠٥ .

(٢) نشر هذا الكتاب بتحقيق حسن حبشي ، انظر بعده .

(٣) وقف ابو شامه بنفسه على توقيع فاطمي ، وهو موجه الى القاضي الأشرف ابو المجد البيساني ، والد القاضي الفاضل ، وكان متولي القضاء والحكم بمدينة عسقلان في العصر الفاطمي ، وعليه علامة الخليفة الفاطمي الحافظ وهي : « الحمد لله رب العالمين» (انظر الروضتين ، ١ : ١٢٨ ـ ١٢٩) ، كما أفاد ابو شامه أنه وقف على كتاب بخط نور الدين زنكي ، يشكر فيه من صلاح الدين ، وكتب ذلك الكتاب الى الشيخ شرف الدين ابن ابي عصرون وهو يطلب لوليه قضاء مصر (الروضتين ، ٢ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣) . وحين يناقش ابو شامه ادّعاءات بعض ملوك بني ايوب ، الإنتساب إلى البيت الأموي ، يستبعد هذا الزعم قائلا : « ودليل صحة ذلك انى وقفت على كتاب وقف الرّباط النجمي بدمشق ، ولم يزد فيه على نجم الدين ابو سعيد ايوب ابن شادى العادلي » (الروضتين ، ٢ : ٥٣٤ ـ ٥٣٥). كذلك وقف على منشور لنور الدين زنكي، وعليه علامته بخطه ، وهي « الحمد لله » ، التي نور الدين بمقتضاه فريضة الأبمان ، انظر الروضتين ، ٢ : ٥٥٠ ـ ٥٥١ . وأيضا رأى ابو شامة كتاب وقف وعليه علامة السلطان صلاح الدين وهي « الحمد لله وبه توفيقي » (انظر الروضتين ، ٢ : ٦٧٥).

فقد نقلها ابو شامة من مجموع رسائل القاضي الفاضل ، كما نص هو نفسه على هذا [١] ، وللأسف أن مجموع رسائل القاضي الفاضل ، التي جمعها بنفسه ، فقدت ولم تصل إلينا ، وإن وقف عليها المؤرخ ابن خلكان ، وذكر انها في عدة مجلدات [٢] . كما نقل ابو شامه عددا آخراً من الوثائق ، من كتاب البرق الشامي للعماد ، وعدد منها لا يوجد في الأجزاء التي وصلت إلينا مخطوطة من البرق ، مما يجعلنا لا نجدها إلا في كتاب « الروضتين » .

وأيضا نجد نصوص وثائقية كاملة ، او أجزاء منها ، في مصادر تاريخية أخرى من العصر الايوبي ، مثل كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي [٣] ، وكتاب الدر المطلوب للدواداري [٤] ، وكتاب مفرج الكروب لابن واصل [٥] ، وكتاب

(١) ابو شامة : نفسه ، ١ : ٨ ـ ٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات ، نشره احسان عباس بيروت ، ٣ : ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٣) انظر سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، طبع الهند ، ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م ، ٨ : ٣٩٨ ـ ٤٠٠ ، وهي رسالة عمادية الى الخلافة البشرى بفتح القدس ، ٨ : ٧٧٨ ـ ٧٧٩ ، وهو نص كتاب المعظم تورانشاه ابن الصالح نجم الدين ايوب يذكر فيه انتصاره على الصليبيين بالمنصورة سنة ٦٤٨ هـ .

(٤) انظر الدواداري : الدر المطلوب في اخبار ملوك بني ايوب ، تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٢ م ، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٩ حيث يذكر رسالة الملك لويس التاسع ملك فرنسا عند نزوله عند ثغر دمياط ، الى الملك الصالح نجم الدين ايوب ، ورد الملك الصالح عليه ، وص ٣٨٠ ـ ٣٨١ حيث يذكر نص كتاب الملك المعظم تورانشاه الى الأمير جمال الدين ابن يغمور ، يصف فيه انجازاته منذ تولى السلطة خلفا لوالده ، حتى انتصاره على الفرنج بالمنصورة.

(٥) اورد ابن واصل جزء من منشور الخليفة العاضد لشيركوه بالوزارة ، ١ : ١٦٤ من مفرج الكروب ، ونص توقيع الخليفة على هذا المنشور، مفرج الكروب ، ١ : ١٦٥ . وأتبع نفس الأمر بالنسبة لمنشور العاضد لوزارة صلاح الدين وتوقيعه على طُرّة المنشور ، مفرج الكروب ، ١ : ١٧٠ ـ ١٧١ . وهو ينفرد بايراد نص منشور من عهد نور الدين زنكي، يحتوي على سجل كامل بجميع الضرائب والرسوم والمكوس التي اطلقها نور الدين =

السلوك للمقريزي [1] ، وشفاء القلوب للحنبلي [2] ؛ وكذلك اورد ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان، نصوص بعض الوثائق الصلاحية [3] ، كما وقف بنفسه على بعض الأصول الاثرية ، لتحجيج وقف خاصة بالاسرة الملكية الأيوبية ، نقل منها نسب الأيوبيين محققا [4] ؛ اما القاضي ابن شداد مؤرخ السيرة الصلاحية فقد تفرّد بوثيقة لم ترد في مصدر آخر غيره [5] .

= زنكي بدمشق ، انظر مفرج الكروب ، ١ : ٢٧١ ـ ٢٧٩ . كما أورد رسالة صلاح الدين للخلافة العباسية يصف فيها أحوال مصر الفاطمية حين جاء إليها الأيوبيون ، مفرج ، ٢ : ٢٦ ـ ٢٩ . وذكر ايضا نص اول خطبة خطبها القاضي محي الدين ابن زكي الدين ببيت المقدس بعد فتحها ، نفسه ، ٢ : ٢١٨ ـ ٢٢٩ ...الخ .

(١) انظر المقريزي : السلوك ، ١ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ، حيث يذكر نص رسالة لويس التاسع ملك فرنسا ، الى الملك الصالح نجم الدين ايوب ، ونص اجابة السلطان على رسالته من إنشاء صاحب ديوان الإنشاء بمصر البهاء زهير ، ونلاحظ في أسلوب هذه الرسالة أن البهاء زهير قد استن لنفسه أسلوبا جديدا في الترسّل ، يختلف عن مدرستي القاضي الفاضل والعماد الاصفهاني ، اللتين التزم بهما المنشؤن قبله في العصر الأيوبي ، اذا تحققت البهاء زهير من اقحامات البديعية في هذه الرسالة .

(٢) انظر الحنبلي : شفاء القلوب ، ـ غ ، بالمتحف البريطاني برقم ٣٧١١ ، ل ٨ آ ـ ١٠ أ نص تقليد العاضد لشيركوه بالوزارة .

(٣) انظر مثلا نص رسالة فاضلية كتبها على يد خطيب عيذاب الى صلاح الدين ، يتشفع له في توليه خطابة الكرك ، ابن خلكان : وفيات ، ٣ : ١٥٩ ، الذي ذكر ايضا نص خطبة القاضي زكي الدين خطيب القدس لصلاح الدين حين تم فتحه ، انظر وفيات ، ٤ : ٢٣٠ ـ ٢٣٦ .

(٤) يقول ابن خلكان : ولقد تتبعت نسبتهم كثيرا ، فلم اجد أحدا ذكر بعد شادي أبا آخر ، حتى اني وقفت على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك باسم شيركوه وأيوب ، فلم أر فيها سوى شيركوه ابن شادي وأيوب ابن شادي ، انظر وفيات ، ٧ : ١٤٠ .

(٥) انظر صورة كتاب الكاثوليكوس الأرمني مقيم الأرمن ، إلى صلاح الدين ، عند ابن شداد : النوادر السلطانية ، تحقيق الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٢٤ ـ ١٢٦ . كما ذكر نص كتاب إمبراطور بيزنطه الى صلاح الدين ، ووصفه وصفا وافيا دقيقا بقوله : « انه كتابا مدرج عرضا ، وهو دون عرض كتاب بغداد ، مترجما في ظاهرة وباطنه =

ولقد ترك لنا القلقشندي ، كتابا سماه « مآثر الإنافة في معالم الخلافة » [1] يمزج فيه بين المُعالَجة التاريخية ، لتاريخ الخلافة الإسلامية ، والمُعالَجة الشرعية القانونية لموضوع الخلافة ، من وجهة نظر الفقهاء ، محاولا الاستدلال بعدم أحقّية الفاطميين وأُمويّ الأندلس وخلفاء الموحدين من بني عبد المؤمن بالاندلس والمغرب للخلافة، لكون الخلافة العباسية ، هي أقدم خلافة إسلامية ورثت الخلافة الأموية بدمشق ، التي كانت قد وحّدت العالم الاسلامي كله تحت عموم وشمول نظرها . كما تعرض للعلاقات الشرعية القانونية بين الخلافة العباسية وملوك وسلاطين الأطراف ، وما يصدُر عن الخلافة من خلَع وتقاليد رسمية لهؤلاء الملوك والسلاطين لتفويضهم السلطات الشرعية في البلاد التي يحكمونها . ولقد اورد القلقشندي في هذا الكتاب عدة نصوص لتقاليد بالسلطنة، صدرت عن الخلافة العباسية الى بعض سلاطين بني ايوب بمصر .

كذلك وجدنا وثيقة فريدة تتعلق بالنظام القضائي في العصر الأيوبي

= بسطرين بينهما فرجه ، وضع فيها الختم ، والختم في ذهب مطبوع ، كما يطبع الخاتم في الشمع ، على ختمه صورة ملك ، وزن الذهب خمسة عشر دينارا ، مضمون السطرين المكتوبين ما هذا صورته : « من ايساكيوس الملك المؤمن بالمسيح الإله ، المتوج من الله المنصور العالي ابدا ، اقعقوس المدبر من الله القاهر الذي لا يغلب ، ضابط الروم بناته اكليليوس ، الى النسيب سلطان مصر صلاح الدين » انظر نفس المصدر ص ١٣٢ ـ ١٣٣ . وقد اورد المؤرخ الصليبي Matthieu Paris نص الكتب المتبادلة بين صلاح الدين والإمبراطور الألماني فريدرك قائد الحملة الألمانية على الشام عبر آسيا الصغرى ، انظر ماجد : صلاح الدين ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ، وانظر

Champdor : Saladin, Le plus pur Heros de L'Islam, Paris, 1956, P. 206 - 209 .

(١) انظر القلقشندي : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار فراج جـ ١ ـ ٣، طبع الكويت ١٩٦٤ م .

بمصر[1] ، وأخرى بالنظام القضائى الأيوبى بالشام[2] .

واذا كانت الوثائق التي وردت * نصوصها فى كتب الحوليات التاريخية ، قد جاءت عَرَضًا فى كتب التاريخ ، تكاد المادة التاريخية تطغى عليها وتخفيها[3] ؛ فنحن نستطيع ان نصنفها تبع موضوعات بحثنا على النحو الآتى :

السلطنة :

١ ــ نسخة العهد المكتوب به من ديوان الخلافة ببغداد ، للسلطان صلاح الدين، بتقليد الديار المصرية والبلاد الشامية واليمنية[4] .

وقد ذكر القلقشندى أن ضياء الدين بن الأثير ، وهو ممن تولى الإنشاء بالدولة الأيوبية ، قد عارض هذا التقليد ، بتقليد آخر من انشائه ، وقد افاد القلقشندى ان أسلوب ورسوم كتابة التقليد الأصلى لا تتناسب مع جلالة

(١) انظر النص الكامل لتقليد زين الدين ابن بتدار منصب قاضى قضاة الديار المصرية سنة ٥٩٥ هـ ، وهو من إنشاء ضياء الدين ابن الاثير ، عند السيوطى : حسن المحاضرة ، ٢ : ١٥٤ ــ ١٥٩ ، طبعة الأستاذ ابو الفضل .

(٢) انظر وصف دقيق لوثيقة خاصة بسنطوق قضائى عند أبى الثنا الحموى : كتاب أدب القضاء ، طبع دمشق ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م ، ص ٥٣٠ ــ ٥٣٤ .

(٣) انظر ملحوظة الشيال : مجموع الوثائق الفاطمية ، طبع القاهرة ١٩٥٨ م ص ٧ حيث يقول : « ان المراجع التاريخية والأدبية ، لا زالت تضم بين فصولها عددا لا بأس به من الوثائق الرسمية ، لم يلتفت المؤرخون لأهميتها ، لقلتها ولأن نصوص الأدب والتاريخ تغطيها وتطغى عليها ، بل وتكاد تخفيها ، ولانها فى هذا التفرق تفقد عامل الوحدة الذى يقرب بينها وبين العناصر التى تضمها كل وثيقة على حدة ، والتى يمكن ان نقدم للباحث ــ لو أنها جمعت فى صعيد واحد ــ عناصر كل موضوع مجتمعه متوائمة ، موضحة لما كان يكتنف هذا الموضوع من نقص او غموض » . ولقد اقتضنا فى جمعنا وتصنيفنا لوثائق العصر الأيوبى التى أوردتها المصادر التاريخية والأدبية نفس الخطة التى رسمها الشيال بخصوص وثائق العصر الفاطمى .

(٤) القلقشندى : مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ، ج ٣ ص ٨٦ ــ ٩٩ .

صلاح الدين ومكانته ، وعلل ذلك أن هذا التقليد قد كُتب حين كان الخليفة الناصر لدين الله متغيرًا على صلاح الدين ، حين لُقّب بالملك الناصر ، لما فى ذلك من مضاهات لقب الخليفة .

٢ ــ نسخة العهد المكتوب به من ديوان الخليفة ببغداد ، عن الامام المستنصر بالله بن الظاهر بامر الله بن ناصر لدين الله العباسى ، للسلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل ابى بكر ، من انشاء الوزير ابى الازهر احمد بن الناقد ، بخط العدل ناصر بن رشيد الحوزنومى ، فى شهر رجب سنة ٦٣٠ هـ[1] .

٣ ــ نسخة كتاب كتب به العماد الأصفهانى عن السلطان صلاح الدين الى الامام الناصر لدين الله ، بفتح طبرية وعكا وما معهما من سواحل الشام[2] .

٤ ــ نسخة كتاب كُتِبَ به القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين ، فى البُشْرَى بفتح بلد من بلاد النوبة وانهزام ملكها بعساكره[3] .

٥ ــ نسخة كتاب كتب به القاضى الفاضل ، عن السلطان صلاح الدين إلى الخليفة ببغداد ، يعتذر فيه عن تأخّر الكتب ، ويذكر خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صِقِلّية من ملوك النصرانية من الروم والفرنج[4] .

٦ ــ نسخة كتاب ، كُتب به إلى ديوان الخلافة ببغداد ، عن بعض ملوك بنى أيوب ، اعتذارا عن التقصير فى وصف إنعام صدر له عن الخليفة[5] .

(١) نفس المصدر ، ٣ : ٩٩ ــ ١٢١ .
(٢) نفس المصدر ، ٣ : ٣٠١ ــ ٣٠٨ .
(٣) نفس المصدر ، ٣ : ٣٠٩ ــ ٣١٥ .
(٤) نفس المصدر ، ٣ : ٣١٥ ــ ٣١٨ .
(٥) نفس المصدر ، ٣ : ٣١٨ ــ ٣٢٢ .

٧ ـ نسخة كتاب من صلاح الدين إلى والي عدن ، مقصوده تيل الوصية على رجل من المجاورين بمكة ، يعرف بأبي محمد الأعجمي [١] .

٨ ـ كتاب عن صلاح الدين بالبشارة بفتح بلدة تل خالد [٢] .

٩ ـ كتاب عن صلاح الدين الى دار الخلافة ، فيه ذكر أحوال مصر في نهاية العصر الفاطمي وما قام به الأيوبيون من تغيرات في عناصر الجند الفاطمي ، ومن تغيرات إدارية ومذهبية بمصر [٣] .

١٠ ـ جواب فاضلي عن صلاح الدين في البشارة بفتح دمشق [٤] .

١١ ـ كتاب فاضلي عن صلاح الدين في البشارة بفتح بعلبك [٥] .

١٢ ـ كتاب عمادي إلى الديوان العزيز (الخلافة) بشرح الحال عند نزول صلاح الدين على مدينة سنجار (بالجزيرة الفراتية) . وذكر سبب قصد الموصـــل [٦] .

١٣ ـ فصل من الانشاء الفاضلي يصف انتصار الأسطول الصلاحي المصري ، على حملة أرناط الموجهة الى الحجاز عبر البحر الأحمر [٧] .

---

(١) العماد : البرق الشامي ، الجزء المخطوط بمكتبة ليدن بهولندا ، رقم ١٥٩٣ ورقـــة ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) نفس المصدر ، ورقة ٦٤ .

(٣) العماد : البرق ، مخطوط ليدن ، ورقة ١٠٦ ـ ورقة ١٠٩ ، وانظر رسالة صلاحية اخرى الى الديوان العزيز ببغداد ، نفس المصدر ورقة ١١٨ ـ ١٢٢ ، ورسالة ثالثة الى الخليفة من ورقة ١٢٤ ـ ١٢٥ ، ورسالة رابعة الى دار الخلافة ايضا من ورقة ١٢٦ ـ ١٣١ .

(٤) العماد : البرق ، مخطوط ليدن ، ورقة ١٣٥ .

(٥) العماد : البرق ، مخطوط ليدن ، ورقة ١٣٦ .

(٦) العماد : البرق ، مخطوط مكتبة البودليانه بأكسفورد برقم March 425 ج ٥ ورقة ١٤ .

(٧) العماد : البرق ، مخطوط البودليانه ، ج ٥ لوحة ٤٤ أ (مصور بالفوتستات) .

١٤ ـ فصل من الإنشاء الفاضلي ، إلى الديوان العزيز النبوي ، في تفسير فتح صلاح الدين لبلاد آمد [١] من الجزيرة الفراتية .

١٥ ـ وصف للتقليد الإمامي الواصل لصلاح الدين ، بولاية آمد [٢] .

١٦ ـ كتاب فاضلي إلى الديوان العزيز النبوي بفتح حلب [٣] .

١٧ ـ كتاب فاضلي إلى الملك العادل [٤] .

١٨ ـ رسالة عمادية إلى الديوان العزيز للبُشْرَى بفتح القدس [٥] .

١٩ ـ نسخة كتاب جامع للفتح القدسي الأيمن انشأه العماد الى سيف الإسلام، أخي السلطان باليمن [٦] .

٢٠ ـ فصل مما كتبه العماد عن صلاح الدين إلى ديوان الخلافة مع رسول الخليفة بمناسبة مبايعة ولي عهد الخلافة [٧] .

٢١ ـ مكاتبة عمادية أنشأها إلى بعض الأطراف للبشارى بانتصار صلاح الدين على الصليبيين في المصاف الأكبر أمام عكا [٨] .

---

(١) العماد : البرق ، مخطوط البودليانه ، ج ٥ لوحة ٥٣ أ .

(٢) العماد : نفس المصدر ، ج ٥ لوحة ٦٨ أ ـ ٦٩ أ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٥ لوحة ٩٣ ب .

(٤) نفس المصدر ، ج ٥ لوحة ٩٤ ب .

(٥) العمـاد : الفتح القسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، مجموعة من الشرق والغرب د . ت . ص ١٤٧ ـ ١٤٩ .

(٦) نفس المصدر ص ١٩٠ ـ ٢٠٢ وهذه الوثيقة في غاية الأهمية لدارس الديبلوماسية صلاح الدين في فتوحاته بالشام .

(٧) نفس المصدر ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٤ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٣١٣ ـ ٣١٧ .

٢٢ ـ فصل عمادى إلى ديوان الخلافة واشتمل على مجارى الامور [١] .

٢٣ ـ فصول أنشأها العماد للبشارى بكسره الأسطول المصرى لأساطيل الصليبين أمام عكا [٢] .

٢٤ ـ فصول من كتب انشأها العماد للبشارة بحريق ابراج الصليبيين امام عكا [٣] .

٢٥ ـ فصل من كتاب إلى اليمن فى وصف الأبراج واحراقها [٤] .

٢٦ ـ فصل من كتاب إلى صاحب الموصل فى شكره على تسيير ولده [٥] .

٢٧ ـ فصول عن انتصار الأسطول المصرى الثانى على سفن الفرنج أمام الساحل الشامى [٦] .

٢٨ ـ كتاب إلى الديوان العزيز ببغداد بخبر وصول حملة الألمان [٧] ... الخ

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٩ .
(٢) العماد : الفتح ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٤ .
(٣) ابو شامه : الروضتين ص ٣٧٣ ـ ٣٧٦ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٣٧٧ ـ ٣٧٩ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٣٨٣ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٨ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ . وواضح ان هذه الفصول التى كان ينشئها العماد عن صلاح الدين إلى الخليفة البغدادى ، وإلى ملوك الأطراف ، كانت أشبه بالبلاغات والبيانات العسكرية ، التى تصدرها الدول المتحاربة من محطات الإذاعة فى يومنا هذا . فيقول العماد مثلا ص ٥١٤ : « وانشأت فى استيلاء الفرنج على عكا هذه الرسالة ، وسيرت بها كتبا » (العماد : الفتح ص ٥١٤ س ١٧) والواقع أن دراسة الوثائق والمكاتبات والرسائل الرسمية التى اورد العماد الأصفهانى نصوص نسخها فى كتابه البرق الشامى والفتح القدسى هى بمثابة دراسة للوثائق المتعلقة بشئون السياسة الخارجية فى ديوان الانشاء الأيوبى بالشام ، الذى كان العماد هو رئيسه .

٢٩ ـ كتاب فاضلى ذكر أبو شامة أنه وقف عليه ، وصف فيه القاضى غزاة غزاها صلاح الدين رحمة الله فى زمان وزارته ، وكان الكتاب الى مدينة قوص ؛ وهذه الغزوة هى التى هاجم فيها صلاح الدين أيلة وغزة والدارم [١] .

٣٠ ـ كتاب فاضلى بغزوة صلاح الدين لحصنى الكَرَكَ والشُّوبَكَ [٢] ، وهى اول غزاه لصلاح الدين ، بعد استقلاله بالسلطنة بمصر .

٣١ ـ كتاب فاضلى عن السلطان إلى عز الدين فرخشاه بمصر فى العزاء فى نجم الدين والد صلاح الدين [٣] .

٣٢ ـ جزء من رسالة ارسلها السلطان نور الدين زنكى إلى قليج أرسلان [٤] .

٣٣ ـ فقرات من كتاب ارسله نور الدين إلى الخليفة المستضىء بأمر الله ، بصحبة القاضى كمال الدين الشهر زورى [٥] .

٣٤ ـ كتاب من إنشاء القاضى الفاضل ، وبخط المرتضى بن قريش ، صاحب ديوان الإنشاء إلى نور الدين يتضمن قضية ثورة عمارة اليمنى لإعادة الدولة الفاطمية . وقد نقله أبو شامة عن البرق الشامى ، للعماد الأصفهانى ، وعن كتاب السيرة الصلاحية لإبن أبى طىء ، وعلّق عليه فى أماكن متفرقة من فقراته [٦] .

---

(١) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٤٨٩ ـ ٤٩١ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٣٤ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ص ٥٤٤ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٤٧ ـ ٥٤٨ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٦٢ ـ ٥٦٦ .

٣٥ ـ كتاب من إنشاء العماد الأصفهاني ، كتبه من دمشق الى صلاح الدين بمصر ، معزّيا في موت نور الدين زنكي . نقله أبو شامه عن البرق الشامي [١] .

٣٦ ـ كتاب من إنشاء القاضي الفاضل ، ارسله صلاح الدين إلى دمشق ، في التعزية بنور الدين ، والتأكد من خبر الوفاة ، اذ أن الخبر تسرب اليه من جهة العدو « الفرنج » ... [٢] .

٣٧ ـ كتاب آخر ارسله صلاح الدين إلى دمشق للتعزية في نور الدين بإنشاء القاضي الفاضل [٣] .

٣ ـ جزء آخر من كتاب ارسله صلاح الدين إلى دمشق ، من إنشاء القاضي الفاضل ، يلقب نفسه بـ « الخادم » ، ويؤكد انه وعساكره في خدمة دولة نور الدين [٤] .

٣٩ ـ قطعة من كتاب بالمثال الفاضلي الى الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون، يخبره فيه أنه لما أتاه كتاب الملك الصالح اسماعيل ، بقصد الفرنج ، تجهز وخرج ، وسار أربع مراحل ... الخ [٥] .

٤٠ ـ قطعة من كتاب فاضلي تخبر بقدوم كتاب من الدراوم ، يفيد وفاة مرى ملك الفرنج [٦] .

---

(١) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٨٦ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٨٧ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٨٨ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٨٩ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٩٦ .

٤١ ـ قطعة من كتاب ارسله ابن المقدم « مقدم العساكر النورية »، للصالح إسماعيل ابن نور الدين زنكي ، إلى صلاح الدين ، يردعه عن الاستقلال بمصر عن الشام [١] .

٤٢ ـ قطعة من كتاب بالإنشاء الفاضلي ارسله صلاح الدين الى ابن المقدم « مقدم العساكر » للصالح اسماعيل بدمشق ، يؤكد فيه حرص صلاح الدين على منفعة الإسلام وأهله ، ووفاءه « للبيت الزنكي [٢] » .

٤٣ ـ أبو شامة يلخص عن العماد الاصفهاني ، مضمون كتاب وصل من صلاح الدين ، إلى بعض الأمراء بالشام ، يشرح لهم فيه ، خبر وصول اسطول صقلية الى الأسكندرية [٣] .

٤٤ ـ قطعتان من كتاب من إنشاء القاضي الفاضل ، تفيد تملّك صلاح الدين لمدينة بُصرى ، وظهور ارهاصات بسهولة تملك دمشق [٤] .

٤٥ ـ قطعة من كتاب فاضلي عن السلطان صلاح الدين الى الفقيه زين الدين ابن نجا الواعظ الحنبلي ، يصف فيه قلعة حمص [٥] ، حين حاصرها صلاح الدين في صراعه مع الفرع الزنكي الموصلي .

٤٦ ـ قطعة أخرى من كتاب فاضلي ، عن السلطان صلاح الدين ، الى أخيه العادل بمصر ، يخبره فيه باستنجاد أهل حلب بالصليبيين ، بعد حصاره لهم [٦] .

---

(١) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٩٧ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٩٧ ـ ٥٩٨ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٥٩٨ ـ ٦٠٠ .
(٤) نفس المصدر جـ ٢ ص ٦٠٣ ـ ٦٠٤ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦١٢ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦١٤ .

٤٧ ـ رسالة ارسلها صلاح الدين مع الخطب شمس الدين بن الوزير أبي المضاء، إلى الديوان العزيز ، ضمنها الفاضل كتابا طويلا رائقا فائقا ، يشتمل على تعداد ما للسلطان من الأيادي من جهة الإفرنج في حياة نور الدين ، ثم فتح مصر واليمن ، وبلاد جمة من أطراف المغرب ، وإقامة الخطبة العباسية بها [1] .

٤٨ ـ قطعة من كتاب آخر فاضلي إلى ديوان الخلافة ببغداد ، في تعداد أيادي صلاح الدين [2] .

٤٩ ـ قطعة من كتاب آخر فاضلي إلى ديوان الخلافة ببغداد ، يذكر فيه اعادة صلاح الدين الخطبة بمصر للدولة العباسية [3] .

٥٠ ـ قطعة من كتاب آخر فاضلي إلى ديوان الخلافة ببغداد ، يذكر فيه ولاءه للخلافة [4] .

٥١ ـ قطعة من كتاب اخر فاضلي الى ديوان الخلافة ، يعلل فيه صلاح الدين خروجه إلى الشام ، لضم ممتلكات نور الدين ، على أساس أنه كانت ثمة خطة موضوعة ، بينه وبين نور الدين ، في أن يقصد صلاح الدين الصليبيين من البر والبحر ، ويقصدهم في نفس الوقت نور الدين من جانب سهل الشام ووعره [5] .

(١) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦١٦ ـ ٦٢٣ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٣ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٤ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٤ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٢٤ .

٥٢ ـ قطعة من كتاب آخر فاضلي ، إلى ديوان الخلافة ، يعلن فيه صلاح الدين نصره على المواصلة والحلبيين ، وابتخدامه عسكر الحلبيين في حروبه ضد الفرنج [1] .

٥٣ ـ قطعة من كتاب فاضلي إلى دار الخلافة ببغداد ، يخبرهم بأن الفرنج في بلاد الشام قد فسخوا عقد الصلح [2] .

٥٤ ـ فصل من كتاب عن السلطان إلى بغداد ، عن عزمه بمهاجمة الفرنج عند طبرية [3] .

٥٥ ـ فصل من كتاب السلطان إلى الخليفة العباسي ، يشكر فيها صلاح الدين الخليفة على التشريفات والخلع التي وافته بدمشق ، ثم يذكر أنه توجه إلى الديار المصرية لتجديد النظر فيها وترتيب مصالحها [4] .

٥٦ ـ كتاب من صلاح الدين إلى الأمير معين الدين بن أُنَر ، صاحب قلعة الراوندان من نواحي حلب ، يأمره فيها أن يكون في مساعدة الملك المنصور تقي الدين عمر ، نائبه بحلب [5] .

٥٧ ـ نسخة كاملة لمكاتبة سلطانية ، إلى مجد الدين ابن الصاحب ، أستادار الخلافة المعظمة ، يصف فيها بلاءه في الاسلام وجهاده ، ونصيحته للدولة العباسية ، ويذكر فيها غدر المواصلة ، وهمّ من البيت الزنكي [6] .

(١) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٦٤٨ ـ ٦٤٩ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٧٠٦ ـ ٧٠٧ .
(٣) ابن شاهنشاه الأيوبي : مضمار الحقائق ص ٣٢ ـ ٣٣ .
(٤) نفس المصدر ص ٥١ ـ ٥٢ .
(٥) نفس المصدر ص ٦٠ ـ ٦١ . والجدير بالملاحظة هنا ان الملك المنصور تقي الدين عمر، هو والد المؤرخ ابن شاهنشاه الايوبي الذي اورد هذه الوثيقة في كتابه مضمار الحقائق .
(٦) ابن شاهنشاه : مضمار الحقائق ص ٦٢ ـ ٦٥ .

٥٨ ـ فصل من كتاب إلى الديوان العزيز من إنشاء الفاضل ، يُخبِّر فيه باجتماع أمراء البيت الزنكي المواصلة وصاحب أرمنية وصاحب ماردين وصاحب ارزن وبدليس على قصد السلطان صلاح الدين [1] .

٥٩ ـ فصول مختصرة من كتب اصدرها السلطان إلى الأمصار والجوانب مبشرا بفتح حلب وتملكها [2] .

٦٠ ـ فصل من كتاب عن السلطان إلى مجد الدين بن الصاحب ، أستاذ الدار الإمامية ، يعلل فيها فتح حلب ، واخذها من يد الزنكيين ، بأنه اراد أن يتخذها قاعدة للجهاد ، وفتح إمارة انطاكية الصليبية . وأن ملوك الجزيرة ، المواصلة ، وصاحب الموصل ، وصاحب إربل ، وصاحب تكريت ، وصاحب الحديثة ، يعوقون اداءه لفريضة الجهاد [3] . ويُعلِّق ابن شاهنشاه على الكتاب بان السلطان اصدر ايضا كتابا إلى الديوان العزيز (أى ديوان الخلافة) بمقتضى ذلك .

٦١ ـ نسخة كاملة من كتاب كتبه السلطان إلى أخيه سيف الإسلام ملك اليمن ، يذكر فيه فتح ميافارقين وعودته إلى الموصل ، وما جرى من الصلح ، وذلك بانشاء العماد الكاتب الأصفهاني [4] .

٦٢ ـ نص الخطاب الذى ارسله السلطان الصالح نجم الدين أيوب إلى ملك الفرنج المحاصر لدمياط سنة ٦٤٧ هـ وهو من إنشاء القاضى بهاء الدين زهير بن محمد كاتب الإنشاء وبخطه [5] . وانظر رسالة اخرى من

(١) نفس المصدر ص ١١٤ .
(٢) نفس المصدر ص ١٤٧ ـ ١٥٠ .
(٣) نفس المصدر ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .
(٥) انظر المقريزى : السلوك ، ١ : ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

إنشاء البهاء زهير فى استنفار أهل مصر لجهاد الفرنج سنة ٦٤٧ هـ قُرِأت على المنابر [1] .

٦٣ ـ نص كتاب كتبه بخطه السلطان المعظم تورنشاه سنة ٦٤٨ هـ ، وارسله الى الامير جمال الدين يغمور نائب دمشق ، يخبره فيه باخبار النصر على الفرنج [2] .

نيابة السلطنة :

١ ـ ولىّ صلاح الدين ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر ، على جميع مصر ، وصرّفه فيها تصرف الملاك ، وكتب له بذلك تقليدا ، وذلك فى شعبان من سنة ٥٧٩ هـ ، ولقد اورد إبنه المؤرخ محمد ابن تقى الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبى ، نص هذا التقليد وسماه « نسخة المنشور » [3] .

٢ ـ صرّفَ صلاح الدين أخاه العادل عن نيابة السلطنة بمصر ، وولاّه حلب قلعتها وأعمالها ، وكتب له منشورا بذلك ، فى شعبان من سنة ٥٧٩هـ ، واورد ابن شاهنشاه نسختَه كاملة [4] . ولقد افاد العماد الأصفهانى فى البرق الشامى انه هو الذى انشأ هذين المنشورين ثم أورد نسخة التقليد المتقوى كاملا [5] .

(١) انظر المقريزى : السلوك ، ١ : ٣٤٦ ـ ٣٤٧ . وقد ذكر هذه الوثيقة بتمامها ابن واصل فى مفرج الكروب وابن ايبك فى الدر المطلوب .
(٢) انظر المقريزى : السلوك ، ١ : ٣٥٦ ـ ٣٥٧ .
(٣) ابن شاهنشاه الايوبى : مضمار الحقائق ، ص ١٥٥ ـ ١٥٨ . ولا شك ان ابن شاهنشاه كانت لديه نسخة من تقليد والده تقى الدين عمر بنيابة السلطنة بمصر .
(٤) ابن شاهنشاه الأيوبى : مضمار الحقائق ، ص ١٥٨ ـ ١٦١ .
(٥) العماد : البرق الشامى ، مخطوطه البودليانه برقم ١٥٩٢ ، انظر لوحة ١١٩ ب ـ ١٢٣ ب ، ولقد ذكر العماد أنه انشأ هذا المنشور سنة ٥٧٩ هـ . ولا شك أيضا ان العماد كانت لديه نسخة من تقليد تقى الدين عمر بنيابة السلطنه بمصر ، لكونه منشأه وصاحب ديوان إنشاء صلاح الدين . وانتهز الفرصة لأتقدم بخاص الشكر للأستاذ الفاضلة =

نظام ولاية عهد السلطنة :

١ـ نص وصية صلاح الدين إلى ولده الملك الظاهر ، حين توجه إلى بلاده[١] .

٢ ـ نص نسخة اليمين الذى حلف به الأمراء « التحليف » للملك الأفضل ، عند توليه السلطنة ، بعد وفاه والده صلاح الدين [٢] .

٣ ـ نص وصية الملك الصالح نجم الدين ايوب لولده المعظم تورانشاه ، حين احس بقرب وفاته [٣] .

الوزارة :

١ ـ مثال لرسالة فى التهنئة بتقليد وزارة ، من رسائل القاضى الفاضل ، وهى تحتوى على جميع الألقاب الرسمية للوزير [٤] .

= الدكتورة فتحية النبراوى ، التى تكرمت فسمحت لى بالاستفادة من نسختها المصورة بالفوتستات عن مخطوطة مكتبة البودليانه من كتاب البرق الشامى للعماد الاصفهانى ، كما اتقدم بالشكر ايضا للدكتور ، ج ، ركث سميث ، والقائمين على مكتبة البودليانه بأكسفورد لتعاونهم معى فى محاولة تصوير مخطوط البرق الشامى بمكتبتهم على الميكروفيلم ، وان كانت الميكروفيلمات قد فقدت فى البريد بعد تصويرها ، الا اننى اشكر لهم ما تكلفوه من تعب فى تصويرها وابدائهم الرغبة الصادقة فى اعادة تصويرها على نفقة مكتبتهم الخاصة ، كما اننى اشكر مدير المتحف الهولندى الذى صور لى الجزء المخطوط بمكتبة ليدن بهولاندا من كتاب البرق الشامى على نفقة معهده ، فلهم خالص شكرى .

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٢٣٨ س ١١ ـ س ١٦ .

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٢٤٥ س ١٢ ـ س ١٧ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب ، مصور بالفوتستات بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ معارف عامة ، ورقة ٨٩ ـ ٩٣ وانظر بعده .

(٤) العماد : البرق الشامى ، مخطوطه ليدن ورقة ٤٤ .

٢ ـ رسالة من السلطان صلاح الدين الى القاضى الفاضل من انشاء العماد الأصفهانى وقد ارسلت إلى الفاضل حين كان صلاح الدين يجاهد بالشام والفاضل نائبا عنه بمصر [١] .

٣ ـ خطاب من القاضى الفاضل إلى العماد الاصفهانى [٢] .

٤ ـ رسالة من العماد الأصفهانى إلى القاضى الفاضل ، يصف فيها دواة ومكتبة السلطان [٣] .

٥ ـ فصل من انشاء العماد الأصفهانى ، من كتاب عن السلطان صلاح الدين ، للوزير ببغداد ، بعد عودة السلطان من الشام [٤] .

٦ـ فصل من كتاب فاضلى عن السلطان صلاح الدين الى وزير بغداد على يد الخطيب شمس الدين بن أبى المضاء [٥] .

٧ ـ منشور بمشيخة الصوفية لخصه أبو شامة عن العماد الأصفهانى [٦] ، ويهمنا هذا المنشور بالنسبة للوزارة لأن اسرة أولاد شيخ الشيوخ التى تولت الوزارة ، فى عصرى الكامل والصالح نجم الدين ايوب ، كانت قد ارتقت إلى مناصب الوزارة والإمارة العسكرية بعد توليها لمنصب شيخ الشيوخ ، أو مشيخة الخانقاه الصلاحية المعروفة بخانقاه سعيد السعداء [٧] .

٨ ـ قطعة من كتاب فاضلى ارسله القاضى الفاضل من مصر إلى صلاح الدين بالشام يهنئه بمولد ابنه داود [٨] .

---

(١) نفسه ، ورقة ٥٢ .

(٢) نفسه ، ورقة ٨٢ .

(٣) العماد : البرق الشامى ، مخطوطة ليدن ورقة ١٣٨ .

(٤) العماد : البرق ، مخطوط البودليان ، ج ٣ لوحة ١٩ أ .

(٥) ابو شامه : الروضتين ، ج ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧ .

(٦) ابو شامه : الروضتين ، جـ ٢ ص ٥٤٥ ـ ٥٤٦ .

(٧) انظر بعده .

(٨) ابو شامه : الروضتين ، جـ ٢ ص ٧٠٩ .

٩ ـ قطعة من كتاب فاضلي ارسله القاضي الفاضل من مصر الى صلاح الدين بالشام سنة ٥٧٣ هـ ، يخبره بأحوال اولاده [١] .

١٠ ـ قطعتان من كتابين فاضليين في نفس الغرض [٢] .

الادارة :

١ ـ منشور باقطاع ، يحدد المهام العسكرية ، لصاحب الاقطاع الحربي [٣] .

٢ ـ رسالة من السلطان صلاح الدين الى ابنه الملك الظاهر صاحب حلب [٤] .

٣ ـ رسالة من السلطان صلاح الدين إلى أخيه سيف الإسلام تورانشاه ، لقّبه فيه بـ « نَصْر الأنام ، ذُخْر الملة ، فَخْر الأُمة ، ملك الشام واليمن ، مميت البدع ، مُحي السُّنَن ، خليل أمير المؤمنين [٥] .

٤ ـ كتاب فاضلي الى ابن منقذ من صلاح الدين ، وهو خاص بالعرب في الشام ، وتقلبهم في الديار المصرية والديار الشامية ، وميلهم في بعض الاحيان الى الغرنجة [٦] .

٥ ـ كتاب إلى الامير عثمان الدين الزنجاري ، متولي عدن ، وفيه شرح أحوال صلاح الدين في عبوره الفرات وضمه لبلاد الموصل وسِنْجار [٧] .

٦ ـ نص تقليد لقاضي سِنْجار ، بعد ان ضمها صلاح الدين لممتلكاته ، واسم

(١) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٧١١ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ص ٧١٢ .
(٣) العماد : البرق ، مخطوط مكتبة ليدن ، ورقة ٨٥
(٤) نفس المصدر ، ورقة ٩٤ .
(٥) نفس المصدر ، ورقة ٩٩ .
(٦) نفس المصدر ، ورقة ١٣٢ .
(٧) العماد : البرق ، مخطوط مكتبة البودليانه ، جـ ٥ لوحة ٢٤ ب ، حيث يقول العماد : « وانما اردت بايراد هذه الكتب ، لاشتمالها على شرح النوب » .

القاضي نظـام الدين ، نصر بن المظفر [١] .

٧ ـ نص تقليد الأمير سعد الدين مسعود بن أنر مدينة سنجار ، من قبل صلاح الدين بعد ضمها إلى الممتلكات الأيوبية ، والتقليد مـؤرخ سنة ٥٧٨هـ [٢] .

٨ ـ نسخة منشور تولية الأمير شمس الدين بن المقدم ، نائبا عن صلاح الدين في حكم دمشق ، بعد الملك معز الدين فروخ شاه [٣] .

٩ ـ منشور من إنشاء العماد الأصفهاني ، للشيخ الإمام علاء الدين القاشاني ، مدرس المدارس الحنيفيه (كذا) بحلب [٤] .

١٠ ـ منشور من إنشاء العماد أيضا ، لمحتسب حلب ، وهو شريف ، متضمنا شروط الإحتساب [٥] .

١١ ـ منشور من إنشاء العماد أيضا ، لطبيب بحلب [٦] .

١٢ ـ فصل من كتاب ارسله صلاح الدين إلى ديوان الخلافة ببغداد ، يوضح فيه ما قام به من ترتيب شئون مصر الداخلية ، قبل خروجه للغزو في بلاد الشام [٧] .

(١) العماد : البرق ، جـ ٥ ، لوحة ٢٨ أ ـ ٢٩ ب .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٥ لوحة ٣٢ أ .
(٣) العماد : البرق الشامي ، جـ ٥ لوحة ٤٦ ب ـ ٤٨ أ .
(٤) العماد : البرق الشامي ، جـ ٥ لوحة ١٠٠ أ ـ ١٠٠ ب . ويبتدئ العماد هذه الفقرة من كتابه البرق الشامي التي اورد فيها عدة مناشير كاملة لولاة وقضاة ومحتسبين حلب من قبل صلاح الدين بقوله : « ذكر بعض المناشير التي كتبتها لأهل حلب » .
(٥) العماد : البرق الشامي ، جـ ٥ لوحة ١٠١ ـ ١٠٤ .
(٦) العماد : البرق الشامي ، جـ ٥ لوحة ١٠٤ ب ـ ١٠٧ . وينهي العماد هذه الفقرة في كتابه البرق الشامي ، التي خصصها لايراد نصوص المناشير التي انشأها لأهل حلب بقوله: « واقتصرت على ذكر هذه المناشير الثلاثه ، لئلا يفضي لطول الكتاب » .
(٧) العماد : البرق ، جـ ٣ لوحة ٤٤ ب .

١٣ ـ فصل من كتاب في معنى سور القاهرة ، وأن قصد صلاح الدين من بنائه ، أن يكون نطاقا مستديرا على البلدين ، الفسطاط والقاهرة [١] .

١٤ ـ يقول أبو شامة : قرأت نسخة سجل باسقاط المكوس بمصر ، قرئ على المنبر بالقاهرة يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة ٥٦٧ هـ ، عن السلطان الملك الناصر ، في أيام نور الدين رحمه الله ، فهو (أي نور الدين) كان الآمر ، وذاك (أي صلاح الدين) المباشر ، يقول فيه « اما بعد .. » [٢] .

١٥ ـ ويقول أبو شامة أيضا : أبطل نور الدين رحمة الله فريضة الأتيان ، ورأيت منشور بذاك ، وعلامته عليه بخطه « الحمد لله » ، يقول فيه « .... [٣] » كما اورد ابن واصل النص الكامل لمرسوم نور الدين برفع المكوس من بلاد الشام وهو من إنشاء خالد بن محمد صاحب ديوان الإنشاء ، ومستوفي الدواوين في عهد نور الدين [٤] .

وثمة بعض المؤلفات ، مزجت في تناولها وعرضها ، بين المواضيع التاريخية والأدبية ، احتفظت لنا ببعض الوثائق الفريدة ، الخاصة بزمن الأيوبيين . فقد احتفظ لنا النويري في كتابه نهاية الأرب ، بنص الوصية الملكية ، التي تركها الملك الصالح نجم الدين أيوب لابنه المعظم تورانشاه ، ليقضي بها في حكم الدولة بعد وفاة ابيه [٥] . ويؤكد النويري قبل ايراده لهذه الوثيقة وقوفه على أصلها

(١) نفس المصدر ، جـ ٣ لوحة ٦٧ب .
(٢) ابو شامه : الروضتين ، جـ ٢ ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ .
(٣) ابو شامه : الروضتين ، جـ ٢ ص ٥٥٠ ـ ٥٥١ .
(٤) ابن واصل : مفرج ، جـ ٢ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٩ .
(٥) انظر النويري : نهاية الأرب ، الجزء ٢٧ ، مصور بالفوتستات بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ معارف عامه ، ورقة ٨٩ ـ ٩٣ . وقد قام بنشر هذه الوثيقة د . محمد محمد =

الأثري بنفسه ، بقوله : « وقد وقفت على الكتاب المذكور ، وهو بخط السلطان الملك الصالح بجملته ... ابتدء السلطان الملك الصالح كتابه هذا ومنه نقلت : بعد أن كتب في طرته قبل البسملة ، والده أيوب بن محمد ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الولد تورانشاه أصلحه الله ووفقه » [١] ثم علق النويري على نص الوثيقة بقوله : « هذا آخر ما تضمنه كتاب الوصية ، وقد نقلته بنصه وهيئته على ما فيه من لحن في بعض ألفاظه » [٢] ، كذلك اورد النويري بعض رسائل للقاضي الفاضل ، أغلب الظن انه نقلها عن بعض مجاميع رسائله [٣] . ومن المؤلفات

= أمين ، في رسالته للماجستير ، عن الملك الصالح أيوب ، التي أجيزت من جامعة القاهرة ١٩٦٨ . كما نشرها ايضا عن مصدر آخر غير نهاية الأرب الأثري التونسي ، الأستاذ إبراهيم شبوح ضمن ابحاث ندوة القاهرة .
(١) النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٧ ق ٨٩ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢٧ ق ٩٣ . والواقع ان أسلوب الوثيقة ، واسترسال الملك الصالح في وصيته دون تفكير منتظم ، والصراحة البالغة التي انطوت عليها ، والعلم الدقيق بخفايا السياسة الأيوبية ، وبدرجة ولاء ورجال الدولة الأيوبية لليت الأيوبي ، ولمظاهر الإنحراف في الجهاز الإداري ، والنصائح الدقيقة الخاصة بحكم أرجاء ومتلكات الدولة الخارجية ، والدفاع عن البلاد ، الأمر الذي يتطلب حنكة ملك عظيم ، مارس الحرب والحكم ومهر فيهما . كل هذا يؤكد ان هذه الوثيقة كانت فعلا بخط الصالح ايوب ، وكتبت بأسلوبه ، حتى لا يطلع كاتب الإنشاء على أسرارها . مما يجعل لهذه الوثيقة أهمية كبيرة عند دراستنا لنظام السلطنة الأيوبية .
(٣) انظر النويري : نهاية الأرب : طبع دار الكتب المصرية ، ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م مجموعة من رسائل الفاضل ، ٧ : ١ ـ ٥١ ، وعلق النويري على هذه الرسائل ، بما يفيد أن من جمعها قد نقل بعضها عن مسودات بخط القاضي الفاضل ، والبعض الآخر عن مجموع رسائله المفقودة . فقال : « وكلام القاضي الفاضل رحمه الله كثير ، بأيدي الناس منه عدة مجلدات ، وإخبرني من اثق بقوله من القضاة الحكام الأعيان ، انه يزيد على خمسين مجلدا ، قد جمعت ، اما مالم يجمعه الناس فكثير جدا ، وقد نقل بعض من أرخ ، انه وجد للقاضي الفاضل ، مسودات كتب صدرت عنه واجوبه تزيد إذا جمعت على مائة مجلد ... ورسائله المختاره كثيرة ، وقد يكون فيها أجود مما اخترناه ونحوه » . (النويري : نهاية الارب ، جـ ٧ ص ٥١) .

التى مزجت بين المواضيع الأدبية والتاريخية أيضا كتاب ثمرات الأوراق لابن حجة الحموى ، الذى احتفظ لنا برسالة فاضلية هامة فى وصف الحمام الزاجل [1] ، وتفيد دراسة موضوع البريد فى ذلك العصر .

*

كذلك احتفظت لنا كتب « مجاميع الرسائل » بعدد ضخم من وثائق العصر الأيوبى ؛ والجدير بالذكر ، ان هذا النوع من التأليف ، لم يعرفه اى تراث ثقافى غير التراث العربى ، إذ عنى كُتّاب الإنشاء والمترسلون منذ بداية عصر التدوين فى الإسلام ، بجمع كل ما أنشؤه من مكاتبات ومراسلات شخصية أو حكومية ، وذلك إبان توليهم الأعمال الإدارية او الوزارية للدولة ، ويقوم الكاتب بترتيب هذه المكاتبات والمراسلات التى انشأها ، ترتيبا قد يراعى فيه أحيانا الترتيب الزمنى والموضوعى ، ويطلق على هذا الكتاب إسم « مجموع رسائل » ، على نحو ما

(١) انظر ابن حجة الحموى : كتاب ثمرات الأوراق ، طبع مطبعة المعاهد بالجمالية ، ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م ، والكتاب مطبوع على هامش كتاب المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهى ، ص ١١٧ حيث يقول ابن حجة الحموى « كان نظم القاضى الفاضل رحمة الله ونثره ، كقرسىّ رهان ، ولكن نثره أكثر مما نظم ، واجمع الناس أنه أبى مع الإكثار بالسجائب . وذكر قاضى القضاة ابن خلكان فى تاريخه ان مسودات رسائله انا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد ، وهو يجيد فى أكثرها ، ولعمرى إن الإنشاء الذى صدر فى الأيام الأموية والأيام العباسية ، نسى وألغى بإنشاء الفاضل ، وما اخترعه من النكت الأدبية والمعانى المخترعة ، والأنواع البديعية ، والذى يؤيده قول العماد فى الخريدة : أنه فى صناعة الإنشاء كالشريعة المحمدية ، نسخت الشرائع . ومن غرر نثره هذه الرسالة ، التى انشأها فى حمام الرسائل ، وسحب فيها ذيل البلاغة والفصاحة ، على سحبان وائل . (ابن حجة الحموى : ثمرات الاوراق ص ١١٧ ــ ١١٨ ، وانظر نص الرسالة ص ١١٨ ــ ١٢١ ، ثم نقل ابن حجة الحموى عن ضياء الدين بن الثير الجزرى ، فى كتابه المسمى ، الوشى المرقوم فى حل المنظوم قوله : « حدثنى القاضى الفاضل بمدينة دمشق سنه ٥٨٨ هـ ، وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية ... ان كل من أنشاء اقام لسطانه بإنشائه سلطانا » .

يجمع الشاعر أشعاره فى ديوان شعر ، مما يجعل مجموع الرسائل ، أقرب بأرشيف منظم يجمع جميع المكاتبات التى أنشأها كاتب بعينه ، بقصد محاولة هذا الكاتب ، أو بعض المعجبين بأسلوبه ، من تلامذته الذين عنيوا بجمع رسائله فى مجموع مفرد ، نشر طريقته فى التراسل والإنشاء ؛ ولقد ادرك المؤرخ الجليل ابن النديم [1] ، اهمية كتب مجاميع الرسائل ، بالنسبة لكتابه التاريخ ، فعقد فصلا مستقلاً من كتابه « الفهرست » للكتاب والمترسلين ، وأحصى ما ألفوه فى مجاميع الرسائل ، وأفاد اطلاعه على بعض هذه المؤلفات ، وذكر عدد أوراقها ، وذلك فى الفصل اللاحق مباشرة للفصل الذى ترجم فيه للمؤرخين والأخباريين . وبالنسبة للعصر الايوبى ، فقد وصل إلينا عدد لا بأس به من مجاميع الرسائل ، بعضها قام بجمعه والتأليف بينه المنشئ نفسه ، الذى تولى إنشاء الرسائل ، كما فعل ضياء الدين بن الاثير ، الذى تولى الوزارة وكتابة الإنشاء لملوك بنى ايوب أولاد صلاح الدين بالشام ، والبعض الآخر قام بجمعه بعض من تولى رئاسة ديوان الإنشاء الأيوبى ، بعد وفاة منشئ الرسائل ، كما فعل الموفق الدبياجى ، بجمعه لبعض رسائل القاضى الفاضل ؛ والبعض الآخر قام بجمعه بعض من تولى رئاسة ديوان الإنشاء فى العصر المماليكى ، كما فعل ابن نباته المصرى ومحى الدين ابن عبد الظاهر فى جمعهما لبعض رسائل القاضى الفاضل أيضا . وهاك بيان بمجاميع الرسائل التى جمعت عددا ضخما من وثائق العصر الايوبى .

١ ــ موفق الدين بن الدبياجى (وقد تولى ديوان الإنشاء فى العصر الايوبى) :

« من ترسل القاضى الفاضل » الجزء الاول منه مخطوط بخط جميل جدا ، كتبه جامعه الدبياجى ، وهو مخطوط بمكتبة شهيد أغا أيوب

(١) ابن النديم : الفهرست ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٨ هـ ص ١٦٨ ويحتوى على أخبار الملوك والكتاب والخطباء والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين .

باستانبول ، برقم ١٢٦ ، ويقع فى ١٥٢ ورقة ، وهو مصور بمعهد المخطوطات برقم ٨٠٨ أدب. وتحتوى هذه المجموعة الهامة على رسائل وجهها القاضي الفاضل الى ملوك بنى أيوب خارج مصر ، يصف لهم أحوال مصر وسير شئونها الداخلية ، ورسائل وجهها الفاضل الى ديوان الخلافة (الديوان العزيز) ببغداد ، وبعض الشفاعات التى رفعها القاضى الفاضل الى السلطان يشفع فيها لبعض الناس ، وشفاعه هامة كان قد رفعها الفاضل ، يشفع فى الفقيه والشاعر الشهير عمارة اليمنى ، بعد ثورته مع داعى دعاة الفاطميين بمصر ، لمحاولة اعادة الخلافة الفاطمية . كذلك تضم هذه المجموعة بعض الرسائل الإخوانية المتبادلة بين القاضى الفاضل وأدباء الشام والعراق ، مما يفيد الدارس للحياة الثقافية .

٢ ــ محى الدين بن عبد الظاهر : الدُّرّ النظيم من ترسّل عبد الرحيم ، تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوى عن نسخة مصورة بالفوتستات بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٩٤ أدب ، وهى مصورة كما أفاد بروكلمن ، من مكتبة طبقبو سراى باستانبول برقم ٢٤٩٧ . نشر مكتبة نهضة مصر بالفجّالة ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٩ م وهو يتضمن كتبا متنوّعة بعضها ديوانية كالكتاب الذى ارسله إلى بغداد للبشارة بفتح القدس [١] ، وكتاب فى الوصية للسفير الأيوبى ، إلى صاحب القسطنطينية ، أى الامبراطور البيزنطى [٢] .

٣ ــ جمال الدين بن نباته المصرى : « المختار من إنشاء القاضى الفاضل » مخطوط بمكتبة الازهر ، رقم ٤٦٩ أباظة ، ٧٠٦٥ أدب . ويوجد

(١) ابن عبد الظاهر : الدر النظيم ، تحقيق أحمد بدوى ، ص ١٥ ــ ٣٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٣٧ ــ ٤٢ .

مخطوط آخر بالمتحف البريطانى برقم ٧٣٠٧ بعنوان « المختار الفاضل من كلام القاضى الفاضل » اختيار ابن نباته أيضا . وهو مصور بدار الكتب المصرية برقم ٣٨٨٢ أدب . ومصورة بمعهد المخطوطات برقم ٧٥٠ ادب .

٤ ــ عيون الرسائل الفاضلية ، اختيار عبد الله بن على بن محمد الجعفرى ، مخطوط فى المتحف البريطانى ، بأرقام ٢٥٧٥٦ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤١ .

٥ ــ مخطوط بعنوان : « هذه إنشاءات القاضى الفاضل رحمة الله تعالى آمين » محفوظ بمكتبة جامعة كمبردج بإنجلترا برقم ٢٣٢ ، قام بتحقيقها الدكتورة فتحية النبراوى ، المكتبة التوفيقية بالقاهرة سنة ١٩٨٠ م . واغلب مكاتبات المجموعة تفيد فى دراسة سياسية سلاطين الأيوبيين فى حكم أرجاء دولتهم فى الشام واليمن والحجاز ، بالاضافة الى وجود مراسلات إلى كبار رجال الدولة الصلاحية بمصر والشام من أرباب الوظائف الدينية ؛ كما تحتوى على رسالة إلى خليفة بغداد فى البشارة بفتح القدس ؛ ورسالة الى الملك الصالح بن نور الدين محمود ، توضح تبعية صلاح الدين له ، قبل سيره إلى بلاد الشام والقضاء على الدولة النورية .

٦ ــ الرسائل الادبية ، للقاضى الفاضل . مخطوط بمكتبة الأزهر رقم ٤٣٩ أباظة ٧٠٣٥ أدب .

٧ ــ مراسلات فاضلى ، مخطوط فى المتحف البريطانى رقم ٧٤٦٥ .

٨ ــ مكاتبات القاضى الفاضل ، مخطوط فى المتحف البريطانى رقم ٢٥٧٥٧ .

وللأسف الشديد أن كتاب « مُياومات او مُتجدّدات » القاضى الفاضل ، الذى رتبه كمذكرات يومية على السنين ، واعتمد فيه على الوثائق الأيوبية

المتوفرة تحت يديه كوزير لصلاح الدين بمصر ، قد فُقِدَ ولم يصل إلينا وإن نقل منه المقريزى فى الخطط والسلوك وابن خلكان فى الوفيات ، وقد حاول كل من الباحث الهندى محمد عبد الحق [1] ، والمستشرق روزنتال [2] ، جمع إقتباسات المؤرخين من هذا الكتاب .

ولقد ذكر بروكلمن فى كتابه تاريخ الأدب العربى [3] ، عدداً آخر من النسخ الخطية لمجاميع رسائل القاضى الفاضل وهى : مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ٦٠٢٤ وبمكتبة دهدة Dahdah Recheid برقم ٢٨٧ [4] ، ومكتبة برلين برقم ٨٦٢١ . كذلك توجد مخطوطة تحتوى على مكاتبات للقاضى الفاضل بعنوان « الرسائل الحجازية » وهى بمكتبة الفاتيكان برقم ٩٤٦ . وأيضا توجد مخطوطة بعنوان « كتاب مكاتبة مختصر من متبلج الأنوار ، ومتعرج النور ، فى المكاتبة الى الملوك والوزراء والعلماء ، مما جمعه ابن عمانى (وهو وزير أيوبى ت ٥٧٢ هـ) من قول القاضى الفاضل ، وهو ضمن مجموعة خطية بمكتبة الفاتيكان برقم ١٠٩٩٫٧ . وأخيرا توجد نسخة مخطوطة من رسائل الفاضل بمدرسة أويس بالموصل [5] . وقد أورد بعض رسائل القاضى الفاضل ، كبار أدباء العصر الايوبى ، الذين تولوا الوزارة للدولة الأيوبية بمصر

---

(١) Haq, M. Abdul : Al- Gabi ul Fadil and his diary . Prose, 10th All-India or Conf., 1940, pp. 724 - 725 .

(٢) انظر روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

(٣) انظر Brockelmann : G. A. L. ; SI : P. 549

(٤) M. Biton : Dahdah Rocheid, Catalogé d'une collection de manuscrits arabes precieux et de livres rares, Paris, 1912 .

(٥) انظر داود الجلبى : كتاب مخطوطات الموصل ، مطبعة الفرات ببغداد ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧م، ص ٩٣ .

والشام ، مثل ضياء الدين بن الأثير ت ٦٣٧ هـ [1] ، وابن ظافر الأزدى ٦٢٧ هـ [2] . كما أورد أدباء العصر المماليكى مثل النويرى [3] ، وابن حجة الحموى [4] ، بعض هذه الرسائل الفاضلية . ولقد توفر المستشرق هلبنج فى كتابه الذى خصصه لسيره القاضى الفاضل على جمع عدد ضخم من الرسائل والمكاتبات التى انشأها هذا الوزير الأيوبى [5] ، كما تصدى لدراسة نماذج من إنشاءاته الدكتور أحمد أحمد بدوى [6] . هذا وقد ترجم للقاضى الفاضل ، أكثر من واحد من الاقدمين ؛ مثل محى الدين بن عبد الظاهر فى كتابه « الدر النظيم فى اوصاف القاضى عبد الرحيم » وهو مخطوط [7] ؛ ومؤلف مجهول فى كتاب سماه « سوق الفاضل فى ترجمة القاضى الفاضل » وهو مخطوط ومصور بمعهد المخطوطات [8] .

---

(١) انظر ضياء الدين بن الأثير : الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، مطبعة ثمرات الفنون سنة ١٢٩٨ هـ ، المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، المطبعة البهية . وانظر احمد محمد عنبر : جولة مع ضياء الدين ابن الاثير فى كتابه المثل السائر ، دار الكتاب العربى ، ١٩٥٤ م .

(٢) انظر ابن ظافر الأزدى : بدائع البداهة ، مطبعة بولاق ١٢٧٨ هـ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب ، ٧ : ص ٥١

(٤) ابن حجة الحموى : ثمرات الأوراق ص ١١٧ ـ ١٢١ وهو نص كامل لرسالة فاضليه فى وصف الحمام الزاجل، وهى ذات أهمية فريدة لدراسة نظام البريد فى العصر الأيوبى .

(٥) انظر N. Helbing : El-Gadi Al-Fabil, der Wezir Saladins, Fine Biographie, Berlin, 1909.

(٦) انظر أحمد أحمد بدوى : القاضى الفاضل ، دراسة ونماذج ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م .

(٧) انظر Brockelmann : G. A. L., g I: P. 339, 385 .

(٨) انظر فؤاد سيد : فهرس المخطوطات المصورة .

٩ ـ كتاب رسائل بين الملوك في أيام الأيوبيين ، مخطوط محفوظ بمكتبة نور عثمانية باستانبول برقم ٣٧٤٥ ، ومصور بمعهد المخطوطات برقم ٤١٩ أدب ، ويقع في ٩٩ ورقة ، وهو مكتوب بخط نسخ يرجع الى القرن السادس الهجرى . وكتب على ظهر الكتاب انه للعماد الكاتب ، وفوقه صفحة بيضاء ملصوقة . ولكن تأكدت بعد قراءتي لميكروفيلم المخطوط ، أنه الجزء الأول من رسائل ضياء الدين بن الأثير الكاتب ، وأن الذى نشره أنيس المقدسى ، من رسائل ضياء الدين بن الاثير ، بيروت سنة ١٩٥٩م[1] ، هو جزء مُكمِّل لهذه الرسائل التي نسبت في فهرس معهد المخطوطات خطأ للعماد . والرسائل التي وردت في مخطوطه نور عثمانية المصورة بمعهد المخطوطات ، أغلبها إنشأها وهو في خدمة الملك الأفضل بن صلاح الدين ، حين كان وزيره وصاحب ديوان انشائه بحلب ؛ وبعضها أنشأها عن نفسه يهنئ في إحداها الملك الأفضل بمولود له ؛ والبعض الآخر وثائق انشأها عن الملك المعظم العادل نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل سنة ٥٩٤ هـ ، ١١٩٧ م ، بعد ان التحق بخدمته . وأقدم الرسائل المؤرخة في هذه المجموعة ، مؤرخة سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١م، وأحدثها مؤرخ سنة ٥٥٩ هـ ١٢٠٢ م ؛ وبعض هذه الرسائل عارض بها رسائل مشهورة انشأها العماد الأصفهاني والقاضي الفاضل في عهد صلاح الدين. وهاك أهم الوثائق التي تضمنتها هذه المجموعة الخطية :

---

(١) تولى دراسة هذا الجزء المنشور في بيروت سنة ١٩٥٩م من رسائل ضياء الدين ابن الأثير المستشرق الفرنسي كلود كاهين ، انظر

Cahein . C. : La Correspondance de Diya ad-Din Ibn al Athir, Liste de Lettres et textes de Diplomes, B. S. O. A. S, I4 (1952) PP. 34 - 43 .

ـ كتاب كتبه من الملك الأفضل علي بن يوسف إلى الملك نصرة الدين أبي بكر ابن البهلوان صاحب بلاد دانية جوابا عن كتابه .

ـ كتاب كتبه عن نفسه إلى الملك الأفضل عناية بشخص من العجم من بلاد أذربيجان ، كان يخدم الملك الأفضل وفارق خدمته ثم عاد اليه . وكتب هذا الكتاب على يده من الموصل ألى الديار المصرية في ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨ م .

ـ كتاب عن الملك الأفضل إلى الملك العادل نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل .

ـ كتاب من الملك الأفضل الى الأمير سيف الدين سليمان بن جندر ، صاحب الاذقيه ، وهو من أمراء للملك الظاهرصاحب حلب ، وقد لقي شرذمة من الفرنج فهزمهم .

ـ كتاب عن الملك الأفضل إلى عمه الملك العادل أبو بكر بن أيوب .

ـ كتاب عن الملك الأفضل إلى مظفر الدين صاحب إربل .

ـ كتاب عن الملك الأفضل إلى عمه الملك العادل ، عناية بشخص من أصحابه.

ـ كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض الأصدقاء .

ـ كتاب كتبه عن الملك الأفضل إلى أخيه الملك الظاهر غازى جوابا عن كتابه ، وكانت الكتب انقطعت بينهما لنزعة جرت بينهما .

ـ كتاب كتبه عن نفسه إلى الأفضل يُهنِّئه بعيد الفطر .

ـ كتاب كتبه عن الملك الأفضل إلى رجل من كبار الصالحين المجاورين بمكة ، جوابا عن كتابه وقد اهدى إليه خرقة التصوف ومصلى .

ـ كتاب كتبه عن نفسه إلى صفى الدين عبد الله بن شُكْر ، وزير الملك العادل.

ـ كتاب كتبه عن الملك الأفضل إلى عمه الملك العادل عناية بالرشيد ابن النابلسى الدمشقى الشاعر .

ـ كتاب كتبه عن الملك الأفضل إلى عمه الملك العادل وقد سار من حرّان إلى الرقه لتجهيز عسكر الموصل الى خدمته .

ـ رقعه سأله شخص من أصحاب الملك الأفضل ان يُمليها عليه فأملاها ، وهى تتضمن شكوى حاله إليه .

ـ كتاب كتبه عن الملك الأفضل إلى قطب الدين محمد بن زنكى صاحب سِنْجَار عناية فى بعض أمر أصحابه .

ـ كتاب كتبه عن الملك الأفضل إلى الملك العادل نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل عناية بشخص من بنى الشيخ .

ـ كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض الإخوان بالموصل ، جوابا عن كتابه .

ـ كتاب عن الملك الأفضل إلى مظفر الدين صاحب إربل ، وسُيِّر إليه من حصن سُمَيْسَاط عند تسلمه إياه فى ربيع الاول سنة ٥٩٨ هـ ، ١٢٠١ م، وكان هذا الحصن قديما فى يد مظفر الدين المذكور .

ـ كتاب آخر كتبه عن الملك الأفضل فى نفس التاريخ سنة ٥٩٨ هـ ، ١٢٠١م ، إلى الملك العادل نور الدين أتابك أرسلان شاه صاحب الموصل ، وسُيِّر إليه هذا الكتاب من حصن سُمَيْسَاط .

ـ كتاب كتبه عن الملك الأفضل إلى عمه العادل عند تسليمه حصن سُمَيْسَاط إليه فى ربيع الاول من السنة المذكورة .

ـ كتاب آخر كتبه عن الملك الأفضل إليه عند النزول بحرّان فى صفر سنة ٥٩٨ هـ ، ١٢٠١ م .

ـ كتاب آخر كتبه عن الملك الأفضل إلى عمه العادل عند الوصول إلى مدينة الرقه وهى من جمله بلاده .

ـ كتاب كتبه عن الملك الافضل الى عمه الملك العادل ، وهو أول كتاب صدر إليه بعد مصالحته اياه واجتماعه به على باب دمشق فى صفر سنة ٥٩٨هـ ١٢٠١ م ؛ وهذا الكتاب كُتب اليه بعد مفارقته وسيره من حمص .

ـ كتاب كتبه عن الملك الأفضل الى اسد الدين شيركوه صاحب حمص ... الخ .

وأغلب هذه الوثائق تفيد فى دراسة الحروب الأسرية التى استمرت بعد وفاة صلاح الدين ، بين الفرع العادلى والفرع الصلاحى من البيت الايوبى . كما تفيد فى دراسة كيفية تقسيم الدولة الأيوبية وعلاقة ملوك بنى ايوب بجيرانهم وفصلائهم من ملوك بلاد الموصل والجزيرة الفراتية وأرمينيه الإسلامية . أما الجزء المطبوع من رسائل ضياء الدين بن الاثير الذى نشره انيس المقدسى ببيروت سنة ١٩٥٩م ، ففيه بعض التقاليد الخاصة بوظيفة الحسبة[١] ووظيفة الخطابة [٢] ، ونقابة الأشراف [٣] ، وبعض المناشير الإقطاعية [٤] ، إلى جانب بعض الرسائل الموجّهة إلى ديوان الخلافة [٥] ، وإلى ملوك الأسرة

(١) رسائل ابن الاثير ، تحقيق أنيس المقدسى ، بيروت ١٩٥٩ ص ١٣٩ ـ ١٤٨ .
(٢) نفس المصدر ص ١٢٤ ـ ١٢٧ .
(٣) نفس المصدر ص ١٣٢ ـ ١٣٩ .
(٤) نفس المصدر ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ، ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .
(٥) نفس المصدر ص ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ١٤٩ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧ ، ٢٨٤ ، ٣١٠ .

الأيوبية [1] ، وإلى صاحب ديوان الجيش بمصر [2] ، بالإضافة إلى الرسائل الإخوانية [3] ، ورسائل خاصة بالتهنئات بالأعياد [4] .

١٠ ـ مجموعة رسائل مَجْد الدين بن الاثير ، ت ٦٠٦ هـ ـ ١٢٠٩ م .

كذلك وصلتنا رسائل مجد الدين ، أبو السعادات المبارك بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الشيباني المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، وهو أخو المؤرخ عز الدين بن الأثير مؤرخ الدولة الأتابكية الزنكية ، وأخو الكاتب ضياء الدين بن الأثير كاتب الإنشاء في الدولتين الأتابيكية والأيوبية بالشام . وُلد مَجْد الدين ونشأ في جزيرة ابن عمر من إقليم الجزيرة الفراتية بالعراق ، وانتقل إلى الموصل حيث اتصل بصاحبها ، وتولى الكتابة الإنشائية له . وهذه المجموعة من رسائل مجد الدين ابن الأثير، قد جمعها شقيقه المؤرخ الشهير عز الدين أبو الحسن علي ابن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير ، ت ٦٣٠ هـ ـ ١٢٣٣ م ، صاحب كتاب الكامل في التاريخ ، وبأول النسخة الخطية من الرسائل المحفوظة بدار الكتب خط جامعها ، ولقد رتّب عزّ عز الدين بن الأثير رسائل أخيه مجد الدين ، كما ورد في مقدمة هذه الرسائل التي بأولها خطة على قسمين :

---

(١) انظر رسائل موجهة إلى الملك الأشرف ، نفس المصدر ، ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ١٧٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ . وإلى الملك الظاهر ، نفس المصدر ص ٢١٨ ، ٢٣٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ . وإلى الملك العادل ، نفس المصدر ص ٢٦٤ ، ٢٩٣ . وإلى الملك الكامل من ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٧ . وإلى الملك الأفضل ص ٢٩٧ وإلى الملك المعظم عيسى ص ٢٩٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، وإلى الملك المسعود ، ص ١٧٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٢٥ .

(٣) انظر رسالتين إلى القاضي الفاضل ، نفس المصدر ص ١٩٣ ، ٢٢٧ .

(٤) انظر نفس المصدر ص ١٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٠ .. الخ .

الأول في التقاليد والمناشير ، والثاني في المكاتبات ، وهذه المخطوطة كُتبت في سنة ٦٠١ هـ ـ ١٢٠٤م ، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٤٠ أدب ، وتقع في ١٧٧ ورقة ، وهي مصورة على الميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٤١٦ أدب .

١١ ـ الفرائد الجَلِيّة في الفرائد الناصرية . وهو مجموع رسائل وشعر السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أبي المفاخر داود ، ابن السلطان المظفر عيسى بن نجم الدين أيوب ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨م ، وهو صاحب الكَرَك ، وكان أحد الشعراء الأدباء ، وهي من جمع ولده مجد الدين ابن محمد الحسين ابن أبي المفاخر داود ، صدّره بمقدمة ورتّبه على قسمين . نسخة كتبت سنة ٧١٩ هـ ـ ١٢١٩ م ، بخط شاذي بن محمد بن شاذي بن داود بن ابي بكر بن أيوب ، ولعله من احفاد صاحب الرسائل، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٩٣ أدب ، وهي مصورة عن استانبول وتقع في ٢٩١ ورقة ، نشره الدكتور صلاح البحيري.

*

أما كتب دواوين ودساتير الإنشاء فهي في الواقع موسوعات تضم جميع المعلومات التاريخية والجغرافية والأدبية والإدارية ، اللازمة للتكوين الثقافي والوظيفي لكتّاب ديوان الإنشاء . وأضخم المصادر من هذا النوع الموسوعي ، دُوِّنَتْ في العصر المماليكي ، وهي :

١ ـ التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري .

٢ ـ المقْصدُ العالي المنشا الهادي لديوان الإنشاء للخالدي .

٣ ـ صُبْح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي .

ويمتاز المصدر الأخير بأنه استفاد من جميع المؤلفات التى كُتبت قبله ، الخاصة بقوانين ودساتير ديوان الإنشاء ، سواء التى دُوِّنَتْ فى العصر الفاطمى ، مثل كتاب قوانين ديوان الرسائل لابن منجب الصيرفى ، وكتاب مواد البيان لابن خَلَفَ ؛ أو فى العصر الايوبى ، مثل كتاب مَغَانِمَ الإصابة إلى معرفة الكتابة لابن شيث الإسنائى ، وكتاب المفتاح المنشأ فى صناعة الانشاء للوزير ضياء الدين بن الاثير [1] ، وان تميز كتاب صبح الاعشى عن هذه المصادر ، بتوسعه فى ايراد نصوص الوثائق الخاصة بعصور تاريخ مصر الإسلامية المختلفة . وهاك بيان بأهم الوثائق الأيوبية التى اوردها كتاب صبح الاعشى ، وتتعلق بموضوع النظم السياسية والادارية فى العصر الايوبى :ـ

تكلم القلقشندى فى الجزء الحادى عشر عن مصطلح الكتابة الديوانية فى مصر الاسلامية ، منذ الفتح العربى حتى عصر دولة المماليك الجراكسة ، فى باب موسع عنونه بـ : مُصْطَلَحُ كُتَّاب الدِيار المصرية فيما قبل الخلفاء الفاطميين وفيما بعدهم إلى زماننا [2] ، وقد عنون الفصل الثالث من هذا الباب بـ : ماكان عليه الأمر فى زمن بنى ايوب [3] ، واستهله بقوله : « وكانوا يُسَمُّون ما يُكْتَبُ عن ملوكهم من الولايات لأرباب السيوف والأقلام ، « تقاليد » و« تواقيع » و « مراسيم » ، وربما عبروا عن بعضها « بالمناشير » . وهى فى الإفتتاحات على أربع مراتب :

المرتبة الاولى :

ان تُفتتح الولاية بخطبة مبتدأة بالحمد لله تعالى ، ثم يؤتى بالبَعْدِيَّة ، ويُذكر

(١) عن التعريف بكل هذه المصادر والمؤلفات ، انظر بعده ، الحديث عن المصادر القلمية .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ١١ : ٢٨ .
(٣) نفس المصدر ، ١١ : ٣٢ .

ما سَنَحَ من حال الولاية والمُوَلَّى ، ويوصى المولى بما يليق بولايته ، ثم يقال : «وسبيل كل واقف عليه من النواب العمل به » أو على نحو ذلك . وهى على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : أرباب السيوف من هذه المرتبة [1] .

الصنف الثانى : أرباب الوظائف الدينية [2] .

الصنف الثالث : أرباب الوظائف الديوانية [3] .

المرتبة الثانية :

ان تُفتتح الولاية بلفظ « أما بعد حمد الله » أو « أما بعد فإن كذا » ويؤتى بما يُناسب من ذِكْر الولاية والمُوَلَّى ، ثم يذكر ما سنح من الوصايا ، ثم يقال : « وسبيل كل واقف عليه [4] » .

المرتبة الثالثة :

ان تُفْتَتَحَ الولاية بلفظ « رسم » ، ثم يُذْكَرَ أمر الولاية والمولى ويُوَضَّحَ ، ثم يُقال : « وسبيل كل واقف عليه [5] » .

المرتبة الرابعة :

ان يفتتح بلفظ « إن أَحَقَّ »، أو « إن أولى » أو « من كانت صفته كذا »، وما أشبه ذلك[6] .

(١) القلقشندى : صبح ، ١١ : ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢) نفس المصدر ، ١١ : ٣٤ ـ ٣٧ .
(٣) نفس المصدر ، ١١ : ٣٧ ـ ٤٢ .
(٤) نفس المصدر ، ١١ : ٤٣ ـ ٤٧
(٥) نفس المصدر ، ١١ : ٤٧ ـ ٤٨ . حيث يقدم القلقشندى نماذج للتقاليد الخاصة بأرباب السيوف من هذه المرتبة .
(٦) نفس المصدر ، ١١ : ٤٩ ـ ٦٦ ، ومن ٦٦ ـ ٧١ يقدم القلقشندى نموذجين لما يُكْتَبُ لأرباب الوظائف الديوانية من هذه المرتبة .

كما تكلم القلقشندى فى الجزء السابع عن رسوم المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية الى غيرهم من الملوك ، واورد عدة نماذج للمكاتبات الصادرة عن ملوك الدولة الأيوبية . ولقد قسم القلقشندى رسوم المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية إلى حالتين : الحالة الأولى « ما كان الأمر عليه قبل دولة الخلفاء الفاطميين بها فى الدولة الإخشيدية والطولونية وما قبلها » [1] ، والحالة الثانية ، « ما كان الحال عليها بعد الدولة الفاطمية فى الدولة الأيوبية » [2] ، ثم لَخَّصَ رُسُوم المكاتبات الأيوبية الصادرة عن السلطان ، نقلا عن عبد الرحيم بن شيث [3] ، وعَرَّفَه أنه أحد كتاب الدولة الأيوبية فى أواخر دولتهم ، وزاد على ابن شيث أنه اورد نصوص وثائقية لكل نوع من هذه المكاتبات .

(الأُسلوب الاول) ان تفتتح المكاتبة بالدعاء للمَجْلِسِ أو الجَنَاب . ثم اورد القلقشندى نُسْخَة مُكاتبة من هذا الأُسلوب بالإخبار بفتح غزة واقتلاعها من الفرنج الداويه ، الذين كانوا مستولين عليها [4] .

(الأُسلوب الثانى) ان تُفتتح المكاتبه بلفظ الإصْدار . ثم اورد نسخة كتاب من هذا الأسلوب كتب به القاضى الفاضل ، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، إلى أخيه سيف الإسلام سلطان اليمن ، يستقدمه إليه معاونا على قتال الفرنج ، ويبشره بفتح كوكب وصَفَدَ والكَرَكِ فى سنة ٥٨٤ هـ [5] ، ١١٨٨م .

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٧ : ٥ ـ ١٨ .
(٢) نفس المصدر ، ٧ : ١٩ ـ ٣٠ .
(٣) انظر التعريف بابن شيث الإسنائى ، وبكتابه مقاصد الإصابة إلى معرفة الكتابة ، بعده عند الحديث عن المصادر القلمية للعصر الايوبى ، القلقشندى : صبح الأعشى ٧ : ١٩ ؛
(٤) القلقشندى ، صبح ٧ : ٢٢ ـ ٢٣ .
(٥) نفس المصدر : ٧ : ٢٣ ـ ٢٥ ثم اعاد القلقشندى ايرادها فى نفس المصدر ٧ : ٣٤٠ ـ ٣٤٤ ، عند ذكره للمكاتبات المتبادلة بين مملكة المماليك بمصر والدولة الرسولية باليمن ، مقدما لذلك بتاريخ العلاقات بين الدولتين الرسولية والأيوبية انظر نفسه ٧ : ٣٤٠ .

(الأُسلوب الثالث) ان تُفتتح المكاتبة بلفظ « هذه المكاتبة إلى المجلس » ثم اورد نسخة كتاب من هذا الأسلوب بالإخبار بفتح أيله ، التى تحت العقبة فى مصر ممر حجاج مصر [1] .

(الأُسلوب الرابع) ان تُفتتح المكاتبة بلفظ : « كتابنا » وباقى الأمر على نحو ما تقدم ، ثم اورد نُسَخَ كتاب من هذا الأُسلوب ، كَتَبَ به القاضى الفاضل ، عن الملك الناصر ، صلاح الدين يوسف بن أيوب ، إلى بعض الأمراء بالشام ، عند وفاة السلطان نور الدين محمود [2] .

ثم يعلق القلقشندى على هذه الأساليب الأربعة لرسوم المكاتبات الصادرة عن ملوك بنى أيوب بقوله : « والمصطلح الجارى عليه الحال فى المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية فى زماننا مأخوذ من الأساليب الثلاثة : الأول والثانى والثالث المقدم ذكرها ، على أن فى الدولة الأيوبية أساليب أخرى ، لا يَسَعُ استيعابها ، ويُغْتَنَى عنها بما تقدم ذكره [3] ؛ ثم عاد القلقشندى فى الجزء الثامن ، واستكمل بعض التفاصيل الخاصة برسوم المكاتبات فى العصر الأيوبى ، نقلا عن ابن شيث أيضا ، ثم زاد القلقشندى عن ابن شيث ، أنه اورد بعض نماذج من وثائق العصر الأيوبى ، للاستشهاد على الرسوم والأساليب والمصطلحات الكتابية التى شرحها [4] .

(١) القلقشندى : صبح ، ٧ : ٢٨ ـ ٢٨ .
(٢) نفس المصدر ، ٧ : ٢٩ ـ ٣٠ .
(٣) نفس المصدر ، ٧ : ٣٥ ، ٧ : ١١٩ ـ ١٢٠ . حيث يقول أن رسوم المكاتبات فى الدولة التركية « أكثره مأخوذة من ترتيب الدولة الأيوبية التى هى أصل الدولة التركية » وانظر أيضا صبح الأعشى ٨ : ١٦٧ ، ٨ : ٢٣ .
(٤) انظر القلقشندى : صبح الاعشى ، ٨ : ٢٣ ـ ٢٤ ، ص ١٤٨ ، ١٦٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ج ١٠ ص ٦ ـ ٧ . وعن خصائص الكتابة الديوانية فى العصر الأيوبى ، راجع رسالة محمد محمود على دقش: الكتابة الديوانية بمصر فى عصر الدولة الأيوبية، رسالة =

ونستطيع ان نُقَسِّم الوثائق الأيوبية التى اوردها القلقشندى تَقْسيما مَوْضُوعيا على المواضيع الآتية :

السلطنة :

١ ـ نسخة عهد أسد الدين شيركوه بالوزارة عن الخليفة العاضد الفاطمى ، من إنشاء القاضى الفاضل ، ويقول القلقشندى : « والوزارة يومئذ قائمة مقام السلطنة[١] » .

٢ ـ نُسْخَةُ عهد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة ، عن العاضد أيضا من إنشاء القاضى الفاضل [٢] .

٣ ـ نسخة العَهْد المكتوب به من ديوان الخلافة ببغداد للعادل أبى بكر بن أيوب أخي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب [٣] ؛ هكذا جاء فى كتاب صبح الأعشى ، ولكن بدراستنا لهذه الوثيقة تبين انها نسخة تقليد الخليفة العباسى للملك الكامل محمد بن العادل ، وحدث خطأ من ناسخ كتاب صبح الأعشى ، فات على محققى الكتاب .

٤ ـ نسخة عهد السلطان صلاح الدين بن أيوب بالديار المصرية ، من ديوان الإنشاء ببغداد [٤] .

= دكتوراه ، أُجيزت بجامعة القاهرة ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية ، تحت اشراف د . حسين نصار . وعن الوثائق الدبلوماسية الأيوبية بصفة عامه ، انظر :

W. Brockelmann : Encyclopedie de L'Islam, Art., Diplomtic : T 2, 2 em edition . p. 305 . (deuxieme Paragraphe) .

(١) القلقشندى : صبح ، ١٠ : ٨٠ ـ ٩٠ .
(٢) نفس المصدر ، ١٠ : ٩١ ـ ٩٨ .
(٣) نفس المصدر ، ١٠ : ٩٩ ـ ١١١ .
(٤) نفس المصدر ، ١٠ : ١٤٥ ـ ١٥٢ .

ولقد أفاد القلقشندى أن رسوم هذا العهد كانت غريبة ، لا تتناسب مع مَكَانة صلاح الدين . ولقد اورد معارضة لهذا العهد أنشأها الوزير ضياء الدين ابن الأثير ، ذكرها فى كتابه « المثل السائر [١] » .

٥ ـ نسخة كتاب كتب به القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين ، إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد ، بفتح القدس وما معه ، واقتلاع ذلك من أيدى الفرنج ، واعادته إلى ما كان عليه من الاسلام [٢] .

٦ ـ كتاب آخر كتبه القاضى الفاضل عن الملك الناصر صلاح الدين إلى ديوان الخلافة ببغداد [٣] .

٧ ـ كتاب كتبه القاضى الفاضل ، عن السلطان صلاح الدين ، إلى الخليفة المستضئ ، ببغداد ، ببُشْرى بفتح بلد من بلاد النوبة والنصرة عليها [٤] .

٨ ـ كتاب كتبه القاضى الفاضل ، عن الملك الناصر صلاح الدين ، إلى الخليفة ببغداد ، فى البُشْرى بفتح بلد من بلاد النوبة أيضا ، وانهزام ملكها بعساكره [٥] .

٩ ـ كتاب كتبه القاضى الفاضل ، عن السلطان صلاح الدين أيضا إلى الخليفة ببغداد يعتذر له عن تأخر الكتب ، ويذكر له خبر صاحب قُسْطَنطينية وصاحب صِقِلّ من ملوك النصرانية من الروم والفرنج [٦] .

---

(١) القلقشندى : صبح ، ١٠ : ١٣٥ ـ ١٤٤ .
(٢) نفس المصدر ، ٦ : ٤٩٦ ـ ٥٠٤ .
(٣) نفس المصدر ، ٦ : ٥٠٤ ـ ٥٠٦ .
(٤) نفس المصدر ، ٦ : ٥٠٦ ـ ٥١١ .
(٥) نفس المصدر ، ٦ : ٥١١ ـ ٥١٥ .
(٦) نفس المصدر ، ٦ : ٥١٥ ـ ٥١٦

١٠ ـ كتاب كتبه العماد الأصفهانى عن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ، إلى الخليفة الناصر لدين الله ببغداد بفتح القدس [١] .

١١ ـ نسخة كتاب كتب به إلى الديوان العزيز ، أيام الناصر لدين الله ، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ، بفتح القدس الشريف ، وانقاذه من يد الكفرة ، فى آخر شعبان سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، من انشاء القاضى الفاضل [٢] .

١٢ ـ نسخة تذكرة انشأه القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين ، سيّرها صُحْبَة الأمير شمس الدين الخطيب ، أحد أمراء الدولة الصلاحية ، إلى أبواب الخلافة فى بغداد فى خلافة الناصر لدين الله [٣] .

١٣ ـ توقيع بخط الخليفة العاضد لدين الله الفاطمى على طُرّه عهد توليه أسد الدين شيركُوه الوزارة [٤] .

---

(١) القلقشندى : صبح ، ٦ : ٥١٧ ـ ٥٢٠ .

(٢) نفس المصدر ، ٨ : ٢٨١ ـ ٢٨٩ . وانظر هذه الرسالة الفاضلية فى فتح القدس ، عند ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبع بيروت ، جـ ٧ ، ص ١٧٩ ـ ١٨٦ وقال ابن خلكان فى آخرها : هذا آخر الرسالة الفاضلية ، وكان فى عزمى اختصارها والاقتصار على محاسنها ، فلما شرعت فيها قلتُ فى نفسى : عسى أن يقف عليها من يؤثر الوقوف على جميعها ، فاكملتها ... ، وهى قليلة الوجود فى أيدى الناس ، وكانت النسخة التى نقلتها منها سقيمة ، ولقد اجتهدت فى تحريرها ، حتى صححتُ على هذه الصورة حسب الإمكان (ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٧ ص ١٨٦ ـ ١٨٧) وانظر فى رسالة أخرى من انشاء القاضى ارسلها على شكل بطاقة مع الحمام الزاجل الى الملك الظاهر ابن صلاح الدين صاحب حلب ، سنة ٥٨٩ هـ يعزيه فيها فى موت أبيه (ابن خلكان . وفيات جـ ٧ ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥) .

(٣) القلقشندى : صبح ، جـ ١٣ : ٨١ ـ ٩٠ .

(٤) نفس المصدر : صبح ، ٩ : ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

١٤ ـ توقيع بخط الخليفة العاضد لدين الله الفاطمى على طُرّة عهد توليه صلاح الدين الوزارة [١] .

١٥ ـ خطاب بقلم القاضى الفاضل ، مُرسل من صلاح الدين ، إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، الخليفة الموحدى بالمغرب ، فى سنة ٥٨٥ هـ ـ ١١٨٩م ، يستحيثه على الفرنج الشاء قتاله معهم حول عكا [٢] .

١٦ ـ نسخة كتاب كُتب به إلى الملك الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى جواب كتاب ورد منه بالبشارة بفتح خِلاط [٣] .

١٧ ـ كتاب كُتب به القاضى الفاضل عن نفسه إلى السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب يهنئه بمولود ولد له . ومن أسلوب هذه المكاتبة (أن تُفتتح بتقبيل الأرض مُصدّراً بالملوك) على هذا النحو . « الملوك يُقبّل الأرض ... الخ [٤] . قلت : ومن هذا الأسلوب التمس رفعه بعض التجار البيازنة إلى الملك العادل ابى بكر بن ايوب ذكره المستشرق أمارى فى كتابه I. Diplomi.

١٨ ـ كتاب كتبه القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب

---

(١) القلقشندى : صبح ، ٩ ص ٤٠٧ .

(٢) نفس المصدر ، ٦ : ٥٢٦ ـ ٥٣٠ أو ٦ : ٤٦ ـ ٥٣ ، ولقد اورد أبو شامه ، فى الروضتين ، ج ٢ ص ١٧٠ وما بعدها من الطبعة القديمة رسالة أخرى من صلاح الدين إلى الخليفة الموحدى بالمغرب ، وفى كلا الحالتين ، كان صلاح الدين يطلب امداده بالأساطيل الموحدية . وانظر سعد زغلول عبد الحميد : العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب ، مجلة كلية الاداب بالاسكندرية سنة ١٩٥٣ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى ، ٧ : ٨٨ ـ ٨٩ .

(٤) نفس المصدر ٧ : ٩٠ ـ ٩١ .

إلى صاحب مكة المشرفة ، جواباً من كتاب ورد منه عليه فى معنى وصول غلال بَعَثَ بها إلى مكة [1] .

١٩ ـ كتاب كتبه القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب فى جواب كتاب ورد عليه مخبراً فيه بالحركة للقاء العدوّ [2] .

٢٠ ـ كتاب كتبه القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى بَردويل أحد ملوك الفرنج ، وهو يومئذ مستولٍ على بيت المقدس وما معه ، معزيا له فى أبيه !؟ ومهنئا له بجلوسه فى المُلك بعده ؟ ! [3] .

٢١ ـ كتاب كتبه بعض كُتاب الدولة الأيوبية عن الملك الجواد : أحد ملوكهم فى أيام الملك الأمل محمد بن العادل أبى بكر ، جواب كتاب ورد عليه من فرانك : أحد ملوك الفَرَنْج فى شعبان سنة ثلاثين وستمائة [4] .

٢٢ ـ نسخة مكاتبة مما كتب به القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمة الله إلى ديوان الخلافة ببغداد فى أيام [الخليفة] الناصر لدين الله يخبره ملك الألمان من الفرنجة والقتال معه ، فى جواب كتاب ورد عليه [5] .

الوزارة :

نسخة توقيع بوزارة ، من إنشاء بعض بنى الأثير [6] .

---

(١) نفس المصدر ٧ : ١٠٩ ـ ١١٠ .
(٢) نفس المصدر ٧ : ١١١ ـ ١١٢ .
(٣) نفس المصدر ٧ : ١١٥ ـ ١١٦ .
(٤) نفس المصدر ٧ : ١١٧ ـ ١١٩ .
(٥) نفس المصدر ٧ : ١٢٦ ـ ١٣٠ .
(٦) نفس المصدر ١١ : ٣٧ ـ ٤٠ .

الإدارة :

١ ـ توقيع بولاية ناحية وإقطاع بلادها لمتوليها [1] .
٢ ـ نسخة بولاية الشرقية [2] .
٣ ـ نسخة بولاية الغربية [3] .
٤ ـ نسخة مرسوم بشد ناحية [4] .
٥ ـ نسخة بولاية الشرقية [5] .
٦ ـ نسخة بولاية المرتاحية [6] .
٧ ـ نسخة بولاية السمنودية [7] .
٨ ـ نسخة بولاية النسترواية [8] .
٩ ـ نسخة بولاية الأسكندرية [9] .
١٠ ـ نسخة بولاية برقة [10] .
١١ ـ نسخة بولاية الفَرَما [11] .
١٢ ـ نسخة بولاية عَسْقَلان [12] .
١٣ ـ نسخة توقيع بنظر الدواوين [13] .
١٤ ـ نسخة تقليد بولاية الحسبة [14] .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ١١ : ٣٣ ـ ٣٤ . (٢) نفس المصدر ، ١١ : ٤٣ ـ ٤٥ .
(٣) نفس المصدر ، ١١ : ٤٥ ـ ٤٧ . (٤) نفس المصدر ، ١١ : ٤٧ ـ ٤٨ .
(٥) نفس المصدر ، ١١ : ٥١ ـ ٥٣ . (٦) نفس المصدر ، ١١ : ٥٣ ـ ٥٤ .
(٧) نفس المصدر ، ١١ : ٥٤ ـ ٥٥ . (٨) القلقشندى : صبح ، ١١ : ٥٦ ـ ٥٧ .
(٩) نفس المصدر ، ١١ : ٥٧ ـ ٥٩ . (١٠) نفس المصدر ، ١١ : ٥٩ ـ ٦١ .
(١١) نفس المصدر ، ١١ : ٦١ ـ ٦٣ . (١٢) نفس المصدر ، ١١ : ٦٣ ـ ٦٦ .
(١٣) نفس المصدر ، ١١ : ٦٦ ـ ٦٨ . (١٤) نفس المصدر ، ١١ : ٦٨ ـ ٧١ .

النظام الإقطاعي :

١ ـ نسخة توقيع كُتِبَ به عن السلطان صلاح الدين ، لأخيه العادل أبي بكر ، بإقطاع بالديار المصرية ، وبلاد الشام ، وبلاد الجزيرة ، وديار بكر ، في سنة ٥٨٠ هـ ، ١١٨٤م بعد الإنفصال من حرب الكفار بعكا ، وعقد الهدنة معهم [١] .

٢ ـ نسخة توقيع بإقطاع كُتِبَ بها لأمير قدم على الدولة فاستخدمته [٢] .

٣ ـ نسخة توقيع بإقطاع من هذا النَمَطْ ، كُتِبَ به لبعض الأمراء الصغار [٣] .

٤ ـ كذلك ثمة بعض نصوص لوثائق أيوبية تتعلق بالنظام الإقطاعي الأيوبي، مثل المنشور الإقطاعي الذي كتبه السلطان صلاح الدين بأرض بيروت بتاريخ جماده الأولى سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، للامير جمال الدين بن حجي بن بحتر، بابقائه مُقْطَعَاً على البلاد والقرى التي ورثها عن ابيه وجده [٤] .

٥ ـ كذلك لدينا منشور من الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز سلطان دمشق لجمال الدين حجي بن نجم الدين محمد بن حجي بتاريخ سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢ م [٥] .

وأيضا لدينا بعض توقيعات إقطاعية من العصر الزنكي المتأخر في بلاد الموصل، إبان الحكم الايوبي بمصر ، إذ ظلت بلاد الموصل ملكا وراثيا للبيت

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ، ١٣ : ١٤٤ ـ ١٤٨ .
(٢) نفس المصدر ، ١٣ : ١٤٨ ـ ١٥٠ .
(٣) نفس المصدر ، ١٣ : ١٥٠ ـ ١٥٢ .
(٤) لقد جاء نص هذا المنشور الإقطاعي ، في كتاب تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحريين ، للأمير صالح بن يحيى بن الحسن ، ق ٩ هـ ، نشرة لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ١٩٢٧م ، ص ٤ ـ ٤٩ .
(٥) انظر نصه في كتاب تاريخ بيروت ، ٥٥ ـ ٥٦ .

الزنكي ، مع تبعيتها السياسية الإسمية للدولة الأيوبية ، وإن ظلت هذه التبعية قابلة للتذبذب . وهذه التوقيعات من إنشاء ضياء الدين بن الأثير الذي تولى ديوان الإنشاء للأفضل الأيوبي بالشام ثم للملك العادل نور الدين أرسلان شاه بن مسعود صاحب الموصل ، ويستفاد من هذه التواقيع أن الإقطاع الوراثي عُرِفَ في العصر الزنكي المتأخر بالموصل وفي العصر الأيوبي بالشام [١] .

النظم المالية وموارد الدولة وأوجه الصرف :

١ ـ نسخة توقيع باستقرار ما أطلقه السلطان صلاح الدين بالديار المصرية ، للعُمَرِيين أعصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، كُتِبَ به في الدولة الناصرية ، محمد بن قلاوون ، من إنشاء المقر الشهابي ، ابن فضل الله العُمَرِيّ [٢] .

٢ ـ نُسْخَةُ مَرْسُوم بتحويل السنة القبطية الى السنة العَرَبِية من إنشاء القاضي الفاضل عن الملك الناصر ، صلاح الدين [٣] .

٣ ـ نسخة توقيع بتدريس مدرسة ، والنظر عليها ، والتحدث على أوقافها وسائر تعلقاتها [٤] .

٤ ـ مرسوم بِشَدّ وَقْف [٥] .

(١) انظر ضياء الدين بن الأثير : رسائله ـ ط ، ص ١٢٨ ـ ١٢٢ .
(٢) القلقشندي : صبح ، ١٣ : ٤١ ـ ٤٤ .
(٣) نفس المصدر ، ١٣ : ٧١ ـ ٧٤ . وانظر نسخة أخرى من هذا المنشور عند المقريزي : خطط ، جـ ٤ ، ص ٥٢ ـ ص ٥٣ ، حيث يذكر المقريزي أنه نقل نص هذا المرسوم من كتاب اليَوميات أو المُجَدّدات أو المُجَرّبات للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني وزير صلاح الدين ورئيس ديوان الإنشاء ، عن نسخة بخط القاضي الفاضل نفسه .
(٤) القلقشندي : صبح ، ١١ : ٣٤ ـ ٣٧ .
(٥) نفس المصدر ، ١١ ص ٤٨ .

٥ ـ نسخة منشور بنقابة الأشراف [١] .

٦ ـ نسخة منشور صلاحي خاص بانشاء ديوان الاسطول بمدينة الاسكندرية سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦ م [٢] .

ولا شك ان القلقشندى قد نقل هذه الوثائق من أصولها الأثرية ، التى توفّرت تحت يديه فى ديوان الإنشاء المماليكى ، الذى تولى رئاسته ؛ كما نقل بعضها الآخر من المصادر التاريخية الايوبية .

*

والواقع أن مؤلفى النظم الإدارية والمالية فى الإسلام ، خاصة الذين عملوا منهم فى الإدارات والدواوين الحكومية ، قد قاموا بأبحاث وثائقية مبكرة ، أشبه بالتقارير الحكومية ، وقدموا لنا هذه النظم واضحة تماما ، لتمرّسهم الطويل فى هذه الدواوين ؛ فقدموا كشوفا وقوائم مستوفاة ، للإيرادات والإحصاءات الخاصة بالدول الإسلامية ودواوينها وإداراتها وأقاليمها وولاياتها ، منقولة مباشرة عن الوثائق الرسمية التى توفرت تحت أيديهم ، سواء فى الإدارة المركزية بالعاصمة أو فى الإدرات المحلية بالاقليم ؛ فوفّروا على الباحثين المحدثين جهودا مضنية كان يصعب عليهم بذلها على هذا النحو الدقيق المتخصص الملمّ بخفايا الدواوين ومظاهر الإنحراف ووسائل التلاعب ، إذا ما وصلت الينا فعلا كل هذه الوثائق ، وحفظت حتى اليوم . ومن المصادر الحكومية الرسمية ، التى ألفّت فى العصر الأيوبى ، على يد المتخصصين فى الإدارة الأيوبية ، ومن الممكن ان نعدها أبحاثاً وثائقية إدارية مبكرة مؤلفات المخزومى [٣] ، وابن

(١) القلقشندى : صبح ، ١١ : ٤٩ ـ ٥١ .

(٢) نفس المصدر ، .

(٣) يقول كلود كاهين عن الأهمية الوثائقية لكتاب المنهاج فى صناعة الخراج للمخزومى فى مقاله

Un Tarite financier inedit depoque Fatimide - Ayyubide , JESHO V, 2 pp. 139-159 .

إن المخزومى قد ألف كتابه اعتمادا على الوثائق الفاطمية والأيوبية التى توفرت تحت يده =

مَمَاتى، والنابلسى [١] ، وسوف نستوفى التعريف بها وبمؤلفيها عند حديثنا عن المصادر القلمية [٢] .

*

وبعد هذا الحصر لأهم وثائق العصر الأيوبى ، التى حفظت لنا نسخها الأصلية الكتب والمصادر القلمية ، سواء كتب التاريخ الحولى والتراجم ، أو كتب مجاميع الرسائل ، أو كتب قوانين ودساتير ديوان الانشاء ، أوكتب النثر الادبى والموسوعات الأدبية ؛ نستطيع أن نقرر مطمئنين ، أن أغلب وثائق العصر الأيوبى، قد وصلتنا فى صورة موثوق بها لامجال للشك فى انتحالها ؛ مع ملاحظة أن الوثائق السياسية ، لم تلق الإهتمام الكافى من مؤرخى النثر الأدبى والموسوعات الأدبية عند دراستهم النقدية للرسائل الإنشائية البلاغية ، رغم أن منشئ هذه الرسائل السياسية ، كانوا هم أيضا من أئمة الكتاب والمترسلين ؛ ومرد

= وتحت يد والده من قبله ، وأنه شرح فى بعض فصول كتابه ، كيفية تحرير الوثائق الرسمية الديوانية الخاصة بالدواوين المختلفة للإدارات المالية للدولة ، لكى يستخدمها الموظفون عند تحريرهم وصياغتهم لهذا الوثائق .

(١) يقول نفس المستشرق عن الأهمية الوثائقية لكتاب إظهار صنعة الحكّ القيوم فى نواحى بلاد الفيوم للنابلسى ، ان النابلسى يعطينا سجلا ضريبيا شبه كامل لم تعطه لنا أوراق البردى فى العصور السابقة (يعنى الفرعونية والبطلمية ...) وهو أى النابلسى يقدم التطبيق العملى للقواعد النظرية التى تعرضها كتب النظم الإدارية . ولقد لاحظ هذا المستشرق فى اكثر من موضع من مقالته عن النظام الضريبى فى الفيوم الايوبية ، ان النابلسى ، قد نقل هذه القوائم الضريبية من دواوين الإدارة المحلية فى اقليم الفيوم ، انظر Claude Cahen : Le Regime des impots dans le Fayyum Ayyubide, Arabica III, I, pp.8 -30.

وعن تصريح النابلسى نفسه ، أنه استمد معلوماته عن وثائق رسمية ، وعن عقود ملكية فى حوزة الاشخاص ، انظر بعده التعريف بكتابه عند حديثنا عن الكتابات القلمية .

(٢) وعن وثائق العصر المماليكى ، وهى كثيرة جداً ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى : أجزاء ، ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ .

ذلك إلى جفاف المادة الأدبية في الرسائل السياسية وعدم شغف قراء الأدب بمطالعتها ، مما أدى إلى قلة عناية الدارسين والطلبة بنقلها . والجدير بالذكر أن أول محاولة لجمع وثائق العصر الأيوبي من بطون المصادر القديمة ، قد بدأها الشيال في ملاحق كتاب مفرج الكروب لابن واصل ، لكن المنية لم تمهله لإكمالها .

وغني عن الاستدلال ان كل هذه الوثائق التي حفظتها لنا المصادر والكتابات القلمية الموثوق بها ، والتي يعد بعضها من مصادر الدرجة الاولى ، تدحض زعم المستشرقين ، الذين حاولوا القول ، بانعدام الوثائق الخاصة بالتاريخ الإسلامي بصفة عامة ، وبالعصر الأيوبي بصفة خاصة ، ومن ثم فإن التاريخ الإسلامي ـ في رأيهم ـ لم ولن يكتب اعتمادا على الوثائق ، على عكس التاريخ الأوربي ، الذي عالجه الباحثون وثائقيا لاضطراد حكوماته واتصالها من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ؛ وهم في هذا يتعمدون توجيه الأذهان إلى كتابات خاصة بالأقليات الدينية اليهودية التي كانت تعيش بالقسطاط في العصر الاسلامي ، وصلت مدفونة ممزقة ممزقة على هيئة أقرب بـ « سلة المهملات » ، كما وصفها المستشرق جوتين Goitien [1] ، وهو من أهم من توفر على دراستها ،

(1) S.D. Goitien : The Cairo geniza as a source for the history of muslim civilization, studia Islamica, V; III, 1955;
S.D. Goitien : The documents of cairo geniza as asource for Mediteranean Social History, HAOS, V; 80, 1960;
S.D. Goitien : L'Etat actuel de la recherche sur les documents de la genisa, R.T.J, CXIIIV' (1959- 1960) P. 9-27. Proceedings of the American Jewish Academy .
S.D. Goitein : What would general and Jewish history benefit by a systematic publication of the documentary genisa papers, proceedings of the American Jewish Academy,1954.
والذي نلفت النظر إليه الآن أن جميع هذه المقالات التي نشرت للتعريف بأوراق =

ومحاولة التدليل على أن هذه الأوراق تعد بمثابة وثائق ، وأنها ستحل مشكلة غياب وثائق التاريخ الإسلامي التي افتعلوها ؛ بل راح كلود كاهين يتهم المسلمين بإهمال وثائقهم واضاعتها [1] ، متناسيا أن الاستعمار الأوربي هو الذي تعمد ضياع هذه الوثائق حين أحل النظم الأوربية الحديثة محل النظم

= الجنيزة ، قد روج لها بطريقة إعلامية مبالغ فيها جدا ، وفي مقالات كثيرة ، نشرت في أهم الدوريات العالمية في شتى أنحاء العالم . تبدأ جميعها بتخصيص عدة صفحات في محاولة تأكيد فكرة أن وثائق التاريخ الإسلامي قد فقدت جميعها وما من سبيل للعثور عليها ، وأن أوراق الجنيزة الخاصة بالجالية اليهودية بالشرق ، هي التي ستملأ هذا النقص المعيب في مصادر التاريخ الاسلامي ؟! وانظر بعده ..

(1) انظر Claude Cahen : L'histoire Economique et Sociale de L'orient Musulman Medieval, Studia Islamica, Volume III . 1955, P. 93, P. 115 .

وهامش (٢) P. 98 - 99 , P. 99 وانظر على الخصوص .
وهو يستهل مقاله ، بادعاء نقص المعلومات الخاصة بالتاريخ الإجتماعي والإقتصادي للشرق الإسلامي ، ثم يرتد هذا الزعم بحديث طويل عن ضياع وثائق التاريخ الإسلامي ، مقررا أنه لا يمكن كتابته اعتمادا على الوثائق على عكس التاريخ الأوربي ؛ وهي قضية الغرض منها ـ كما لا يخفى ـ التشكيك في مدى الدقة التي كتب بها التاريخ الإسلامي . والواقع ان تنوع مصادر التاريخ الإسلامي ، سواء التقليدية المتمثلة في كتب الحوليات والتراجم والتواريخ العامة والسير او غير التقليدية المتمثلة في المصادر الادبية ، من كتب النثر الادبي والمقامات ودواوين الشعر او فقهية مثل كتب فروع الفقه وكتب الفتاوى ، او كتب إدارية حكومية ، بالاضافة الى المعلومات الضخمة التي تقدمها كتب المسالك والممالك وكتب الرحلات ، وكتب الحسبه الاجتماعية والقتصادية ـ التي تؤكد ان كتابه التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الإسلامي ميسورة اذا ما توفر العزم للباحثين . أما بالنسبة لإمكانية الاعتماد على الوثائق في كتابةالتاريخ الإسلامي ، ففيما قدمنا من حصر لوثائق العصر الأيوبي من المصادر الأدبية والتاريخية ما يؤكد إمكانية هذا ، وقارن مقال : هانزروبرت : وثائق التاريخ المصري في العصر الإسلامي ، ترجمة لطفي عبد الوهاب ، مجلة كلية الآداب جامعة السكندرية ، المجلد الرابع عشر ، ١٩٦٠ ، ص ١٩ ـ ٣٢ .

الإسلامية بعد استيلائه على بلاد العالم الإسلامي [1] ، ومتجاهلا أيضا أن عددا ضخما من الوثائق التي اصدرها ملوك الإسلام إلى ملوك اوربا قد اضاعها الاوربيون إلى جانب وثائق إسلامية أخرى آلت اليهم [2] .

والواقع أن هذه الكتابات اليهودية التى روّج لها هذين المستشرقين وغيرهما من المستشرقين اليهود ، مثل صمويل شختر Shacter وبرنارد لويس Bernard Lewis وأيلون Aylon وأشتور Ashtor ،شيتاريلا Shetarella ، لا ينطبق عليها اطلاقا التعريف العلمى للوثيقة الرسمية الذى إصطلح عليه دارسوا الوثائق [3] .

*

٢ ـ وثائق دير سانت كاترين :

الجدير بالذكر أن أقدم الأصول الأثرية الخاصة بتاريخ مصر الإسلامية ، قد إحتفظت بها بعض الأقليات الدينية بمصر ، وفى هذا تأكيد ضمنى على مدى الأمن والاستقرار الذى حظيت به هذه الأقليات الدينية فى ظل الحكومات الإسلامية المتلاحقة منذ الفتح العربى لمصر. اذ تزخر مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء بعدد كبير من الوثائق الأصلية الصادرة عن دواوين الإنشاء المصرية فى

(١) انظر جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ، ص ٤ ـ ٥ .

(٢) لاحظ هذه الملاحظة الدكتور أحمد دراج فى مقاله : الوثائق العربية المحفوظة فى دور الأرشيف الأوربية ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ١٩٦٩ ، جـ ١ ، ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٣) انظر أحمد فؤاد سيد : أوراق جنيزة القاهرة ، هل هى إمتداد لعلم البرديات العربية ودراساته ؟! (دراسة نقدية للأبحاث المستخلصة من أوراق الجنيزة اليهودية) ؛ ضمن أبحاث الندوة التى نظمها مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس ، عن الدراسات البردية فى مصر فى المدة من ١٩ ـ ٢١ فبراير ١٩٨٣م ، ص ٢٣٣ ـ ٢٨٦.

عصور الفاطميين والأيوبيين والمماليك . والجانب الأكبر من هذه الوثائق يرجع إلى العصر المملوكى [1] ، وهى فى الواقع أمانات لرهبان هذا الدير على أنفسهم وممتلكاتهم وأوقافهم ومزروعاتهم وديرهم ، لكونهم رهبان منقطعين للعبادة ، كما تنص الشريعة الاسلامية .

وتعد الوثائق العربية المحفوظة بالدير أقدم وثائق أصلية عربية وصلت إلينا ، وصادرة عن دواوين الإنشاء ، خاصة مايعود منها الى العصرين الفاطمى والأيوبى، فمن هذين العصرين توجد إحدى عشر وثيقة أصلية باللغة العربية . والوثائق الفاطمية ترجع الى السنوات الأخيرة من حكم الدولة الفاطمية وعلى وجه التحديد بين السنوات ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م و ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م ، وقد عُنِىَ بنشر عدد منها Stern [2] وأحمد عيسى [3] . أما الوثائق الفاطمية والأيوبية التى درسها جوزيف نسيم يوسف ونشر بعضها فهى مدونة من سنة ٥٠٢ هـ الى سنة ٦٠٧هـ / ١١٠٩ م ـ ١٢١١ م [4] . وأما الوثائق المملوكية فهى مدونة فى الفترة من سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م الى سنة

(١) انظر مراد كامل : فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء ، وزارة المعارف العمومية إدارة احياء التراث ، جـ ١ ـ ٢ ، المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥١.
Atiya, A. S : The Arabic Treasures of the Convent of Mount Sinai, in Proccedings, Egypt Soc. of Hist. Stud. Vol II, Cairo 1953, PP. 5 - 26 .
Atiya, A.S : The Arabic Manuscrits of Mount Sinai, Baltimore The Johns Hopkins Press, 1955.

(٢) Stern (S.M.) Fatimid Decrees, London, 1964 .

(٣) أحمد محمد عيسى : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، المجلد الخامس ، ص ١٠٥ ـ ١٢٤ .

(٤) انظر جوزيف نسيم : دراسة فى وثائق العصرين الفاطمى والأيوبى ، المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين فى سيناء ، فصله من مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد ١٨ ، ١٩٦٤ . ص ١٧٩ ـ ٢٠١ .

٩٢٢هـ / ١٥١٦م ، ولقد نشرها المستشرق الألماني هانز أرنست Ernest [1] . وبالنسبة لوثائق العصرين الفاطمي والأيوبي فهي ـ كما وصفها جوزيف نسيم ـ تبدأ بالبَسْمَلة ، ثم الإفتتاحية ، ثم تُستَهَل الوثيقة بذكر إسم الحاكم وألقابه ، مع ايراد بعض الجمل في امتداحه ، ثم تنتقل الوثيقة الى مضمون الإلتماس المقدم من أسقف الدير أو رهبانه ، ويعقب ذلك الأمر الصادر الى الجهات المعنية، بازالة أسباب الشكوى ، واتخاذ اللازم نحو التنفيذ ، وتختتم الوثيقة بإثبات التاريخ الهجرى كتابة ، مع توجيه الحمد والشكر الى الله سبحانه وتعالى ، والصلاة والسلام على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام . وخط الوثائق ديواني جميل ، وان شذّت بعض الوثائق برداءة الخط . والكتابة بالمداد الأسود . ومعظم الكلمات غير منقوطة عدا قليل من الوثائق وُضِعَ فيه النقط ، وبعض الكلمات متشابكة ، كما أن بعض العبارات الديوانية مختصرة . وجميع الوثائق خالية من الفَصْلات والوَقْفَات والهَمْزَات . وهي مكتوبة على لفائف من الورق يتراوح طولها بين ٢٩٫٥ سم و ٤٢ سم ، وعرضها بين ١٣ سم و ٨٫٤١ سم . وهي بصفة عامة في حالة جيدة من الصيانة والحفظ ولون الورق ضارب الى الصُّفرة .

أما مضمون وثائق دير سانت كاترين فهي واحدة في فحواها ، سواء مايرجع منها الى العصر الفاطمي او الأيوبي او المملوكي أو حتى العثماني ، ولا تكاد تختلف الا في التفاصيل ، وهي كلها تؤكد الحقوق الخاصة بهؤلاء الرهبان من واقع عهود الأمان التي مُنحَتْ لهم منذ عصر النبي ﷺ ؛ من المحافظة على ممتلكاتهم وأراضيهم وأوقافهم في مصر والشام وطور سيناء وإيلات وساحل الطور والاسكندرية ودمياط ؛ وحمايتهم من اغارات البدو المجاورين لهم بغرض سرقتهم

(١) انظر

Ernst (H.). Die mamlukischen Sultan Zur Kunden des Sinai Klosters, wiesbaden 1960 .

ومقاسمتهم في محاصيلهم الزراعية أو السُّكْنَى معهم داخل ديرهم ؛ كذلك كانت تنص هذه الأمانات لولاة الأمر والمتصرفين والشادّين والنوّاب بإقليم الشرقية وسيناء وبلاد الشام ، بتأمين سفر هؤلاء الرهبان برا وبحرا الى مصر وسواحل سوريا (حلب ـ القدس) ؛ كل هذا لرعاية حق الذمّة كما أمر الشرع الإسلامي ؛ ولهذا حرصت الحكومات الاسلامية على رفع المغارم المالية والرسوم والضرائب عنهم لكونهم رهبان منقطعين للعبادة .

والواقع ان وثائق دير سانت كاترين التي ترجع الى العصر الأيوبي ، تكتسب في رأينا اهمية خاصة ، وذلك لان هذا العصر شهد في الغرب الأوربي قمة التعصب الديني الذي تمخض عن الحركة الصليبية Crusades ؛ فهذه الوثائق تؤكد حرص ملوك بني ايوب على المحافظة على تعاليم شريعة الإسلام السمحة تجاه أهل الذمة وخاصة الرهبان منهم ؛ مما يؤكد أن استبعاد الأيوبيين موظفي أهل الذمة من الإدارة المصرية في أول العهد بقيام دولتهم بمصر [1] ، كان ضرورة أملتها ظروف الوجود الصليبي في بلاد الشام واستخدامه الدعاية الصليبية لتأليب المسيحيين الوطنيين بالشرق الإسلامي من أهل الذمة . ولقد أكد الراهب الفرنسيسكاني بازتي ساني Basetti Sani في دراسة عن الأحوال الدينية بمصر في القرن الثالث عشر الميلادي ، وهو يقصد على التحديد العصر الأيوبي ، أن التسامح الديني الذي أمرت به الشريعة الإسلامية تجاه غير المسلمين قد طبّقه سلاطين بني ايوب على المسيحيين الأقباط الوطنيين ، وعلى اتباع المذهب الملكاني من رهبان دير سانت كاترين ، وعلى اتباع الكنيسة اليونانية بالأسكندرية ،

(١) انظر

Basetti Sani, b : Conditions de L'apostolat en Egypt au debut de XIII siecle, Cahiers d'histoire Egyptienne, 5 (1953) PP. 193 - 216.

وحتى على أتباع الكنيسة الكاثوليكية ، المتمثلين فى قناصل المدن الإيطالية التجارية وجالياتهم بمدينة الأسكندرية إبان العصر الأيوبى . وقد اعتمد هذا الباحث على مجموعة وثائق البابوية اللاتينية Patrolgia Latina المنشورة فى مجموعة Migne ومنها خطاب متبادل بين البابا أنوست الرابع والملك العادل ، وعلى كتابات أهل الذمة المصريين فى العصر الأيوبى ، وعلى الوثائق المنشورة من الوثائق الأيوبية بالأرشيفات الإيطالية ، وعلى وثائق دير سانت كاترين . وفى اعتقادنا ان أمانات ووثائق دير سانت كاترين التى تضطرد منذ العصر الفاطمى وإلى العصر العثمانى ، لتُجدّد لرهبان هذا الدير الإمتيازات المكفولة لهم منذ العصر النبوى ، تؤكد اضطراد سياسة الحكومات فى مصر الاسلامية ، تجاه أهل الذمة والأقليات الدينية . ولما كانت هذه الوثائق على كرّ العصور والدول ، لا تعدو إلا تكرارا وتأكيدا للإمتيازات السابقة ، فان من الممكن للباحثين دراسة هذه الوثائق مجتمعه على اختلاف عصورها ، واستخراج حقائق هامة تتعلق بأوضاع أهل الذمة فى مصر الإسلامية ، وظروف الحكم المحلى فى شبه جزيرة سيناء فى عصر الإدارة الإسلامية . وبالنسبة لعصرنا ، فإن المجموعة الضخمة من وثائق العصر المماليكى التى نشرها Ernest ، تفيد الباحث فى العصر الايوبى أيضا ، لكون العصر المماليكى امتداداً للأيوبى .

وتمدنا وثائق دير سانت كاترين بمعلومات هامة عن موظفى الإدارة المحلية فى منطقة سيناء ، وعن وجود بعض الأمراء المقطعين بالطور ، وعن أسماء القبائل العربية بهذه المنطقة ، وعن قيام رهبان هذا الدير باستضافة الحجاج المسلمين إلى الأراضى الحجازية ، بالإضافة الى أنّ هذه الوثائق وما عليها من تأشيرات كبار موظفى الدواوين فى الإدارة المركزية بالعاصمة ، تمد الباحث بتفاصيل خاصة عن سير الأوراق الرسمية فى المكاتب الحكومية المختلفة ، أى النظام البيروقراطى ، نستمدّها من إمضاءات أرباب الدواوين المختلفة على الوثيقة

وأيضا عن رسوم المكاتبات الرسمية . كما أنها تفيد فى دراسة التقسيم الإدارى لمنطقة سيناء فى العصور الإسلامية ؛ وأخيرا فهى توضح هيمنة السلطات الإسلامية على هذا الدير بحيث تُعيّن رئيسة ، وتُلزم بقية الرهبان بالامتثال إلى أوامره .

*

٣ - وثائق دير صهيون :

تتكون هذه الوثائق المحفوظة اليوم ومنذ الإحتلال الصهيونى لفلسطين سنة ١٩٤٨ م ، بدير الرهبان الفرنسسكان بحى الموسكى بمدينة القاهرة ، من مجموعتين : الأولى مكتوبة باللغة العربية وتتعلق بنشاط الرهبان الفرنسسكان فى فلسطين منذ عهد السلطان بيبرس البندقدارى ، حتى عهد السلطان الغورى ، والثانية مكتوبة باللغة التركية وتتعلق بنشاطهم خلال فترة السيادة العثمانية [1] ؛

(١) عن التعريف بوثائق دير صهيون ، ونشر عدد كبير منها انظر فهرس الأب كاستلانى الذى وضع سنة ١٨٨٢ فهرسا لها مصحوبا بتعريف موجز لكل وثيقة ، أنظر :
E. Castellani : Catalogue die Firmanie ed altri documenti legoli emanoti in lingua arabe e turca concernenti i santuari, le proprieta, i diritti della custodia di Terra santa conservati nell . Archivio della stessa custodia in gerusalemme, 1822 .
ثم قام الأب ريشانى فى سنة ١٩٣١ م بنشر كل ماوقع تحت يده من مجموعة من الوثائق العربية خلال الفترة من بداية عهد السلطان الاشرف شعبان فى عام ٧٦٤هـ حتى العام الربع عشر من سلطنة الاشرف قايتباى اى حتى عام ٨٨٥ هـ وقد قدم ريشانى مجموعة عددها ٢٦ صورة طبق الاصل من هذه الوثائق ، انظر : N. Risani : Documenti E Firmani, Gerusalemme, 1937 .
ثم قام بدراسة مجموعة الوثائق العربية الخاصة برهبان الفرنسسكان أحمد دراج ، دراسة أكاديمية علمائية . انظر أحمد دراج : وثائق دير صهيون بالقدس الشريف ، مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٨ م .

وهى شأنها شأن وثائق دير سانت كاترين ، عبارة عن أمانات تجددها الحكومات الإسلامية لرهبان هذا الدير منذ أن سمحت السلطات الأيوبية ، متمثلة فى الملك المعظم عيسى ، سلطان دمشق ، بناءً على طلب أخيه الملك الكامل سلطان مصر، بالإقامة فوق جبل صهيون فى مقر متواضع ينقطعون فيه للعبادة ، وذلك بعد أن مثل القديس فرنسيس مؤسس طائفتهم [1] ، بين يدى الملك الكامل ، إبان معركة المنصورة ، فأحسن استقباله ، رغم كونه من الفرنجة ، لكونه راهب متعبد [2] . وفى ٦٢٠ هـ عام ١٢٢٣ م أصدر البابا هنريوس الثالث المرسوم البابوى ، الذى اعترفت الكنيسة بمقتضاه بطائفة الرهبان الفرنسكان . وكان الهدف الرئيسى من اقامتهم فوق جبل صهيون ، أن يحصلوا من السلطات الاسلامية على حق رعاية الأماكن المسيحية المقدسة القائمة فوق الجبل ، والمتعلقة بحياة السيد المسيح ، وهى علّيه صهيون وقاعة الحواريين . وقد تمكن الرهبان الفرنسكان من ان يحصلوا من السلطات الايوبية فى عام ٦٤٣ هـ ١٢٤٥ م على حق تولّيهم رعاية هذه الاماكن المقدسة . ولكن رهبان الفرنسكان ، لكونهم تابعين للبابوية والكنيسة الكاثوليكية التى هيمنت على التوجيه السياسى للحروب الصليبية ، ما لبثوا أن تعدوا الحدود التى حددتها لهم السلطات الأيوبية ، وهى دينية بحتة ، وسعوا الى تحقيق الأهداف السياسية التى يسعى الفرنج لتحقيقها فى الاراضى المسيحية المقدسة ، بل قام هؤلاء الرهبان

(١) انظر :

La grande Encyclopedié, Vol 18, P. 44 - 48, (Francois D' Assie, Saint) .

(٢) انظر :

- The New Encyclopedia Britanica, Publisher 1973 - 1974 Vol. 7 P. 682 = 683 ,(Francis of Assisi, Saint) .

بنشاط تبشيرى صليبى فى أفريقيا ، وهذا مادعى الحكومة الأيوبية إلى الاهتمام بحصن رأس الجندى فى سيناء المسيطر على المدخل الشمالى للبحر الأحمر ، لمراقبة هؤلاء الرهبان الفرنسكان [1] .

ونلاحظ أنه اذا كانت جميع وثائق دير صهيون ترجع إلى العصر المماليكى ، فأغلب الظن انها تمثل ـ فيما يختص بمظاهر الحرية الدينية ، وتأمين وحماية الرهبان فى أنفسهم وممتلكاتهم ، ومنحهم حرية التنقل داخل فلسطين ، إلى جانب اعفائهم من الرسوم والضرائب الداخلية والجمركية لكونهم رهبانا منقطعين للعبادة ـ ، اغلب الظن أن كل هذه المظاهر لتسامح الشريعة الإسلامية تجاه رهبان أهل الذمة ، قد استقرت ووضعت قواعدها منذ العصر الأيوبى ، الذى كان سلاطينه هم أول من منح رهبان الفرنسكان ، حق إنشاء دير لهم فى فلسطين . والواقع ان هذه الامتيازات التى منحت لرهبان دير صهيون بفلسطين ، تكاد تتطابق مع امتيازات رهبان دير سانت كاترين ، وذلك قبل طغيان الصبغة السياسية على مهمة رهبان الفرنسكان فى الشرق الإسلامى كما حدث فى

(١) انظر محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، ١٣٨١ هـ ١٩٦١ ، ص ٥١ ـ ٥٢ ، حيث يذكر ان القديس فرنسيس وصل إلى المعسكر الصليبى بدمياط ووجد قادة الصليبيين مختلفين فى قبول عرض السلطان الكامل بالقدس ، فذهب إلى أطراف معسكر المسلمين بفرسكور ، حيث قبض عليه جنود السلطان ثم مثل بين يدى السلطان الكامل ، الذى أظهر تسامحا واحتراما لعقيدة الغير ، لا نظير له ، اذ سمح للراهب المسيحى بشرح الديانة المسيحية فى مجلسه بل طالب السلطان بإتباعها ، والطريف ان السلطان الكامل لم يجادله، بل لم يطلب حتى من أحد فقهاء المسلمين بمعسكره مجادلته ، وأكرمه وأذن له بالانصراف الى فلسطين ، ومنحه حق صدقة كنيسة القيامة ببيت المقدس ، وهى باقية فى أتباعه الى اليوم . والدكتور زيادة يحيل إلى مرجع وهو :

Roncaglia : St. Francis and the Middle East, P. 25 - 30 .

العصر المماليكى [1] ؛ بحيث تفيدنا هذه الوثائق فى معرفة النظم الإدارية فى العصرين الأيوبى والمماليكى لفلسطين .

والمجموعة العربية لوثائق دير صهيون تشتمل على الوثائق الآتية :

١ ـ مراسيم سلطانية « عامة » صادرة عن سلاطين المماليك إلى رؤساء دير صهيون ، تقرر كل ما استقر عليه الأمر بشأنهم فى عهود هؤلاء السلاطين .

٢ ـ مراسيم سلطانية « خاصة » تعالج موضوعا معينا يخصهم أو شكوى معينة رُفعت إلى سلاطين المماليك للنظر فيها .

٣ ـ مراسيم صادرة من نواب القدس ، وهى بمثابة أوامر تنفيذية ، تأذن للرهبان بتنفيذ القرارات السلطانية ، التى نصت عليها المراسيم السلطانية السابقة .

٤ ـ حجج شرعية صادرة من قُضاة القدس تتعلق بشئونهم المدنية .

٥ ـ فتاوى ومحاضر شرعية صادرة من القضاة ومشايخ الإسلام بالقدس ، تسمح لهم بعمارة وترميم كنائسهم وأديرتهم .

والواقع أن بقاء الوثائق الرسمية الخاصة بأمانات وحقوق رهبان دير سانت كاترين بسيناء ، ورهبان دير صهيون بفلسطين ، ليُأكّد التسامح الدينى للسلطات الأيوبية والمماليكية تجاه الأقليات الدينية المسيحية بمصر والشام فى عهد الحروب الصليبية ، التى جاءت ظاهرة لذروة التعصب الدينى الذى بلغته أوربا ضد الإسلام فى القرنين السادس والسابع الهجرى (١١ ـ ١٢ م) ؛ وبقاء هذه

(١) عن طغيان الصبغة السياسية على رهبان الفرنسكان فى العصر المماليكى ، انظر بالتفصيل كتاب أحمد دراج : المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى، القاهرة ١٩٦١ .

الوثائق الرسمية التى فى حوزة هؤلاء الرهبان ، بالإضافة إلى الأوراق الشخصية الخاصة بالجالية اليهودية بالفسطاط فى العصرين الايوبى والمماليكى ، ليُأكّد هذه الحقيقة ، خاصة وأن اغلب أوراق الجنيزه ترجع إلى العصر الأيوبى . ولا شك أن بعض الأقليات الدينية بمصر ، لا زالت تحتفظ ببعض الوثائق الرسمية ترجع الى عصور مصر الاسلامية ، تشبه فى أغراضها وثائق دير سانت كاترين ودير صهيون، وعلى الدارسين البحث عنها ونشرها .

٤ ـ وثائق الارشيفات الإيطالية :

حفظت لنا دور الأرْسيف بالبندقية [1] وبيزا وفلورنسه بعض الوثائق الأصلية، الخاصة ببعض نصوص المعاهدات الموقعة بين قناصلة الجمهوريات الإيطالية التجارية ، وبين الحكومات التى حكمت مصر الاسلامية . وأقدم هذه المعاهدات ترجع إلى العصر الفاطمى وتستمر إلى العصر المماليكى ، كما احتفظت هذه الأرشيفات أيضا ببعض المعاهدات الموقعة مع الحكومات الإسلامية التى حكمت بالمغرب العربى ، وتمتد من عصر الدولة الموحدية الى عصر الدولة الحفصية . وعدد الوثائق العربية الاصلية فى هذه الارشيفات قليل جدا ، اذا ماقيس بالحجم الحقيقى للعلاقات التجارية بين الجمهوريات الايطالية وحكومات مصر الاسلامية، طوال العصور الفاطمية والأيوبية والمماليكية على التوالى ، وأغلب الوثائق الموجودة اليوم فى هذه الأرشيفات هى فى الواقع ترجمات باللغة اللاتينية ،

(١) احب ان اتوجه بخالص الشكر للأستاذ خوليانو لوسيتا Giuliano Lucchetta ، وهو مستشرق من أهل البندقية ، كنت قد راسلته لما علمت بانه يقوم باعداد رسالة للدكتوراه عن العلاقة بين مصر والبندقية ، فارسل لى مشكورا خطابا مطولا مذيلا بقائمة كاملة بالمراجع الخاصة بأرشيفات البندقية ، مع تقرير واف عن حالة هذه الأرشيفات اليوم . كما أشكر كل من الأبين الدومينيكانيين ، الأب جورج شحاته قنواتى والأب جاك جوميه لأنهما كانا واسطة المعرفة بينى وبين هذا المستشرق الإيطالى .

يغلب عليها اللهجات الإقليمية والدارجه للشعوب الإيطالية " Volgare " فى ذلك العصر ، مثل لهجة البندقية واللهجة التُسكَانية . ولم يصلنا من الوثائق الأثرية الأصلية المحررة والصادرة من ديوان الانشاء المصرى الا ٢٣ وثيقة ، محفوظة فى ثلاثه فقط من دور الأرشيف ، وهى دار البندقية وفلورنسه وبرشلونه [١] .

وبالنسبة للعصر الأيوبى ، لم يصلنا إلا ثلاث وثائق أصلية فقط ، وهى خاصة بمدينة بيزا ، الاولى منها مكاتبة بين الملك العادل والقناصلة ببيزا والمؤرخة فى سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م [٢] ، والثانية عبارة عن شكوى من بعض التجار البيازنه والبنادقه وبعض تجار الفرنج الآخرين مقدمة إلى الملك العادل ومؤرخة أيضا فى سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م [٣] ، والثالثة هى نص مكاتبة متبادلة بين أسقف بيـزا والقناصل بهـا الى الملك الكامل ، والمؤرخـة فى سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥م[٤] ، ولقد اورد نصوص الوثائق العربية الثلاث المستشرق ميشيل أمارى فى كتابه عن أرشيف بيزا وفلورنسه . كـما نشر أمارى أيضا فى هذا الكتاب

(١) الذى حدد هذا الحصر للوثائق العربية فى أرشيفات إيطالية ومدن اليروفانس أحمد دراج : انظر مقالة الوثائق العربية المحفوظة فى دور الارشيف الأوربية ، ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة سنة ١٩٦٩ ، ح ١ : ١١٥ ـ ١٤٤ ، وعن الوثائق العربية فى الأرشيفات الاوربية انظر أيضا :

١ ـ الاركون (١٨٨٠ ـ ١٩٣٢) Alarccon Y santon : الوثائق العربية الدبلوماسية فى محفوظات مملكةأاراغون ، بالاشتراك مع جارثية دى لينارس ، مدريد ، غرناطة ١٩٤٠.

٢ ـ جونثالث بَالنثيه (١٨٨٩ ـ ١٩٤٩) Gonzalez Palencia الوثائق الدبلوماسية العربية فى محفوظات بلاط أراغون : مؤتمر المستشرقين الـ ١٩ سنة ١٩٣٥ .

(٢) اورد نص هذه الوثيقة باللغة العربية ميشيل امارى فى كتابه عن الوثائق العربية فى أرشيف بيزا وفلورنسا وتوسكانا ، انظر Amari : I Diplomi Arabi del Archivia Fiorentiono Florence, 1867 . p. 69 الوثيقة رقم ٢٢

(٣) الوثيقة رقم ٢٣ Amari : I Diplomi, P. 70 .

(٤) الوثيقة رقم ٢٧ Amari : I Diplomi, P. 81 .

ترجمات لاتينية لنصوص خطابات متبادلة بين القناصلة [١] البيزيين وملوك بنى أيوب ، الى جانب ترجمات لاتينية لنصوص معاهدات تجارية موقعة بين ملوك الأيوبيين والبيازنه [٢] . ولقد قمت بمساعدة الأب الدومنيكانى « دوسًا » وهو برازيلى الأصل ، بترجمة هذه النصوص اللاتينية للمعاهدات الأيوبية إلى اللغة العربية مرة أخرى، وقد بذل معى مشكورا مجهودا كبيرا ووقتا طويلا ، وذلك للصعوبات الكثيرة التى تكتنف هذه النصوص اللاتينية ، على نحو ما سأبينه عند حديثى عن لغة هذه الوثائق .

وفيما يلى قائمة بالرسائل والمعاهدات المتبادلة بين الأيوبيين والبيازنه التى اوردها ميشيل أمارى وقمت بدراستها والتعريف بها هنا ، بعد ترجمة النصوص اللاتينية الى اللغة العربية ، وسألتزم فى هذه القائمة الترتيب التاريخى للوثائق :ـ

١ ـ ترجمـة الرسـالة اللاتينيـة من قبل السلطان صلاح الدين إلى القناصلة والشيوخ البيزيين بخصوص رجل إسمه روجيرونى چانفسى Ruggerone Janevensi كـان شمس الدين أخو السلطان صلاح الدين ، قد اعطاه كمية من « الشَبَّه » ليبيعها له ويشترى له بدلا منها بعض البضائع التى حددها له . ولكن السفن البيزية ، ألقت القبض على هذا الرجل بعد وصوله الى ساحل البروفنس ، وصادرت ما معه من الشَبَّه ، فارسل السلطان

(١) كانت بيزا جمهورية مقسمة بين عدد كبير من القناصل .

(٢) إستمرت شروط هذه المعاهدات التى وقعها سلاطين بنى أيوب مع الجمهوريات الإيطالية سارية المفعول ، حتى دولتى المماليك البحرية والمماليك الجراكسة ، وذلك على نحو ما يتضح من وثائق المكاتبات بين سلاطين المماليك وملوك ودوقات أهل بيزا وفارونسا التى نشرها أمارى ، وهى : وثيقة مؤرخة سنة ٧١٣هـ من عهد السلطان الناصر محمد ابن قلاوون (أمارى : المرجع السابق ص ٨٦ ـ ٩٧) : وأخرى من عهد السلطان برسباى (المرجع السابق ص ١٦٥ ـ ١٦٨) : ووثيقتان من عهد السلطان الأشرف قايتباى ، إحداهما مؤرخة سنة ٨٩٤هـ (المرجع السابق ص ١٨١ ـ ٢٠٩) ، وأربع وثائق من عهد السلطان الأشرف قانصوه الغورى ، مؤرخه بسنوات ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٣هـ (المرجع السابق ص ٢١٤ ـ ٢٢٩) .

هذا الخطاب ليخبر البيازنه أن هذا الرجل هو بالفعل موضع ثقة أخيه ، ويطلب منهم سرعة الإفراج عنه ، واعادة الشيّه المصادرة إليه ، وإلا تعرض التجار البيازنه بمصر للقبض عليهم من قبل السلطات الأيوبية ومصادرة بضائعهم . ولقد ارسل صلاح الدين هذا الخطاب كما افادت الوثيقة مع مبعوث من قبله . والخطاب مؤرخ بتاريخ ٥٦٠ أو ٥٥٩ هـ التي يقابلها سنة ١١٧٣ م [١] . والغريب أن صلاح الدين فى هذا التاريخ لم يكن بعد قد تولى سلطنة مصر ، ولا حتى الوزارة الفاطمية . والملاحظ بصفة عامة ان من قام بترجمة هذه الوثائق إلى اللاتينية قد أخطأ فى ترجمة السنين الهجرية .

٢ ـ الترجمة اللاتينية لنسخة معاهدةمشروطة مع صلاح الدين ، الذى وصفته بملك بابليون (أى مصر) مع قميون بيزا ، وكان مندوب بيزا فى توقيع هذه المعاهدة سفيرا يدعى الديرند Aldeprandi الذى وصفته المعاهدة بأنه كان المترجم والرسول من قبل قنصل بيزا . وتنص المعاهدة فى نهايتها أنه تم توقيعها فى مدينة بابليون (أى مصر) فى اليوم الخامس من الشهر المسمى عند المسلمين صفر ، والموافق ٢٣ سبتمبر سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م . وواضح ان هذا التاريخ من صنع المترجم وأن الوثيقة العربية مؤرخة بالتاريخ الهجرى ، وليس التاريخ الميلادى . كما نصت الوثيقة فى نهايتها أنه قد شهد على توقيعها البطريرك ماركوس ، بطريرك الأسكندرية وبابليون (أى مصر) والنوبة وسبأ (أى الحبشة) ، والأسقف ميخائيل من Barba cana والكاهن الأول بالقاهرة Presbiter priori de

(١) انظر الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة ، (التى فقد أصلها العربى) فى كتاب ميشيل أمارى Amari : I Diplomi, P. 262 No. VIII .
وانظر ترجمة عربية نصية لهذه الوثيقة فى ملاحق كتابنا هذا .

Cairo واسمه هومودى Homodei كما نصت هذه الوثيقة على أن محررها وكاتبها هو Bulcairo ابن الكاهن Homodei [١] .

٤ ـ الترجمة اللاتينية لخطاب من عمر بن Sceneste ، كذا ورد اسمه فى الترجمة اللاتينية ، وأغلب الظن أن المقصود هو الملك تقى الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبى ، ابن أخو صلاح الدين ، الذى تولى نيابة السلطنة بمصر سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م بعد الملك العادل أبى بكر أخو صلاح الدين ، وذلك فى حياة السلطان صلاح الدين ، وابان وجوده ببلاد الشام [٢] ، إلى القناصله ورؤساء البيزيين ، بشأن التاجر Reggeroni الذى كان البيازنه قد قبضوا عليه وصادروا ما معه من شيّه ، سلمها له شمس الدين أخو صلاح الدين ، ـ كما جاء فى الوثيقة الاولى فى قائمتنا هذه ـ ، وقد هدّد تقى الدين عمر بن شاهنشاه القناصله بأنه سوف يقوم بالقبض على التجار البيازنه بمصر ومصادرت بضائعهم ، اذا لم يفرجوا عن Roggeroni ويعيدوا اليه الشيّه المصادرة . وقد نصت الوثيقة ، بأن السفير المرسَل من قبل السلطات المصرية ، وكُلّف بحمل هذا الخطاب اسمه اكاكيوس المسمى حسن Acacius nomie optiman وجاء فى آخر الترجمة أن هذا الخطاب كتب فى شهر نوفمبر سنة ٥٦٠ DLX او سنة ٥٦٩ DLIX بالتقويم المحمدى (اى الهجرى) الموازى سنة ١١٧٣ م [٣] . وواضح هنا

(١) انظر الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة التى فقد اصلها العربى فى كتاب ميشيل أمارى Amari : I Diplomi, P. 257 - 261 , No. VII
وانظر ترجمه عربية نصيه لهذه الوثيقة فى ملاحق كتابنا هذا .
(٢) انظر منشور تعيينه فى نيابة السلطنه بمصر ، فى كتاب ابنه محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبى مضمار الحقائق ص ١١٥ ـ ١٥٨ وانظر قبله .
(٣) انظر الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة التى فقد اصلها العربى فى كتاب ميشيل أمارى Amari : I Diplomi, P. 263, No. X
وانظر ترجمة عربية نصية لهذه الوثيقة فى ملاحق كتابنا هذا .

اختلط عليه الأمر فى ترجمة التاريخ الهجرى ، فجعله يتراوح بين تسع سنوات كاملة ؛ والغريب أن تقى الدين عمر لم نيابة السلطنة بمصر إلا سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م . وليس ٥٦٩هـ/١١٧٣م، كما ذكر المترجم ، مما يقوى احتمال جهل المترجم بالأرقام العربية .

٣ ـ الترجمة اللاتينية لخطاب من السلطان صلاح الدين الى المطران البيزى والقناصلة والكونتات والشيوخ ، يفيد وصول خطاب المطران البيزى إلى صلاح الدين ، مع مبعوث من قبل البيازنه ، ومضمون الخطاب أن البيازنه يريدون استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الدولة الأيوبية ، فاخبر السلطان مبعوثهم بأنه سيأمر رئيس الأسطول الأيوبى ورئيس الديوان بالمحافظة على سلامة التجار البيزيين وبضائعهم ، وأنه كرر هذا التعهد ايضا فى الخطاب ، كما أبدى اهتمامه بأن يواظب التجار البيازنه على احضار الحديد والخشب والزفت الى مصر لما لها من أهمية للسلطات المصرية ، ولما ستحققه من أرباح للبيازنه الذين يقدرون هذا ويقومون به فعلا ، والخطاب مؤرخ بشهر رجب سنه ٥٧٢ هـ الحمدية [الهجرية] الموافق يناير ١١٧٧م [1] .

٤ ـ الترجمة اللاتينية لنص معاهدة مشروطة بين الملك العادل سيف الدين أبى بكر ، والبيازنه . والمعاهدة طويلة وهامة جدا وتحتوى ٤١ شرطا او بندا ، وبآخرها أنها نُسْخَة طبق الأصل ، وقد كُتِبَتْ فى دمشق سنة ٦٢٦ هـ الموازية لسنة ١٢١٥ م ـ ١٢١٦ م [2] .

(١) انظر الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة العربية (التى فُقِدَ أصلها العربى) فى كتاب ميشيل أمارى Amari : I Diplomi , P. 267, No. X

وانظر ترجمة عربية نصية لهذه الوثيقة فى ملاحق كتابنا هذا .

(٢) انظر الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة العربية (التى فقد أصلها العربى) فى كتاب ميشيل أمارى Amari : I Diplomi, P. 285 - 287 , No, XXIV

وانظر ترجمة عربية نصية لهذه الوثيقة فى ملاحق كتابنا هذا .

٥ ـ الترجمة اللاتينية لصيغة أمان لجميع التجار البيازنه من الملك العادل سيف الدين أبو بكر ، يؤمّن فيه البيازنه اذا أتوا إلى أرضه ، مع تمتعهم بالإمتيازات التى تكفلها لهم المعاهدات السابقة ، ودون مطالبتهم بأى رسوم أو ضرائب زيادة على المعتاد . وفى آخر الأمان ينص السلطان العادل أنه وقّع بعلامته السلطانية على الأمان ، الذى يجب أن يُعطَى لقناصله البيازنه ، ويجب على التجار البيازنه إظهاره عندما يطلبه منهم المسؤلون فى أراضى السلطان . والمترجم اهمل ترجمة الشهر الهجرى للوثيقة وأرّخها بتاريخ ٣ مايو سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م [1] ، (١٥ شوال سنة ٦٠٤هـ) .

٦ ـ الترجمة اللاتينية لخطاب مرسل من الملك العادل سيف الدين أبى بكر إلى المطران والقناصله وجميع الشيوخ البيزيين ، يفيد أنه تلقى خطابهم عن طريق رسولهم المدعو بولغارينى Bulgarini وفيه يطلبون الإفراج عن بعض البيزيين المسجونين بمصر ، ولقد أشار السلطان انه وجّه أوامره إلى نوابه بمدينة الأسكندرية وإلى أسطوله ألا يهاجموا السفن البيزية ، ولكن هؤلاء البيزيين كانوا يركبون سفنا تابعة لدول أوربية معادية للسلطان ، وأنهم قبل أسرهم قد قاتلوا باستماته . ثم حذّر السلطان البيازنه من ركوب السفن المُعادية للسلطان او مساعدتها حتى لايُعرّضوا أنفسهم للأسر من قبَلِ الأسطول الأيوبى . ثم أبدى السلطان قبوله الإفراج عن ثمانية عشر أسيرا بيزيا نظراً للعلاقات الودية التى تربطه بأهل بيزا . والخطاب مؤرخ فى شوال سنة ٥٧٥ هـ الموافق ٢٩ فبراير الى ٢٨ مارس سنة ١١٨٠ م [2] (هكذا

(١) انظر الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة العربية (التى فقد أصلها العربى) فى كتاب ميشيل أمارى Amari : I Diplomi, P. 283, No. XXII .

(٢) انظر الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة العربية (التى فقد اصلها العربى) فى كتاب ميشيل امارى Amari : I Diplomi Arabi, p. 267-268, No. XII

وهنا نلاحظ انه فى تاريخ هذه الوثيقة أى سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م ، كان صلاح الدين لا يزال على قيد الحياة لأنه توفى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م ، فهل إرسل الملك=

يقع شهر شوال الهجرى بالنسبة لما يوافقه من شهر السنة الأغسطية على أساس ان شهر شوال يؤرخ هنا باليوم) .

٧ ـ جزء من النص الأصلى العربى لخطاب من الملك العادل للشيوخ القناصلة البيزيين ، ونهاية الخطاب مبتور وإن أرّخه المستشرق أمارى بتاريخ ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨ م ولا أدرى على أى شىء اعتمد لتحديد هذا التاريخ [١] .

٨ ـ رسالة كاملة باللغة العربية ، هى النص الأصلى الأثرى لتظلّم مرفوع من «المماليك التجار المظلومين إلى السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر» وبعضهم بيزيين وبنادقة وكريتيين ، كانو قد أقلعوا من بيروت ودخلوا ثغر الأسكندرية فاعتبرتهم السلطات الأيوبية من قبرص وألقت القبض عليهم مما أدى الى إتلاف بضائعهم وتعرضهم للجوع [٢] .

٩ ـ الترجمة اللاتينية لخطاب مرسل من الملك الذى جاء فى آخر الوثيقة ، أنه « العادل » ، إلى المطران والشيوخ البيازنه ، يفيد وصول رسول من قبل البيازنه يدعى رودلف كومستراتو Castrato ، Rodolfo، يطلب من السلطان الإفراج عن بعض البيازنه الذين أسروا من قبل الأسطول الايوبى . ولقد ذكر السلطان أنه كتب إلى أدميرال* الاسكندرية ، للإفراج عنهم . والخطاب مؤرخ بتاريخ ٦٢٣ هـ، الموازية سنة ١١٧٩ م [٣] .

= العادل هذه الرساله بوصفه نائب السلطنة بمصر إبان غيبة صلاح الدين بالشام . أو بوصفه متولى ديوان الأسطول بالأسكندرية ، ولعل مما يؤيد أحد هذين الاحتمالين أنه لم يرد فى ألقاب الملك العادل لقب (سلطان) ، بل إكتفى بالملك ، وهو لقب حملة جميع اخوة صلاح الدين وأولاده فى حياته، وانظر ترجمة عربية لهذه الوثيقة فى ملاحق كتابنا هذا .

(١) انظر : Amari : I Diplona, P. 69. ٢٢ وثيقة رقم XXII
وانظر نص هذه الوثيقة فى ملاحق كتابنا هذا .

(٢) انظر . Amari : I Diplomi, P. 70-71 ٢٣ وثيقة رقم XXIII

(٣) انظر الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة العربية (التى فقد أصلها العربى) فى كتاب ميشيل أمارى Amari : I Diplomi, P. 265 , No. XI
وانظر ترجمة عربية نصية لها فى ملاحق كتابنا هذا .

* كلمة أدميرال فى اللغات الأوربية مترجمة عن الكلمة العربية (أمير بحر) ، وتعنى قائد الأسطول .

١٠ ـ الترجمة اللاتينية لخطاب مرسل من الملك الكامل الى الشيوخ والنبلاء، والقناصله البيزيين ، يفيد تلقيه الرسالة التى أرسلها البيازنه مع قنصلهم ، كما يفيد قبول هذا القنصل سفيرا وقنصلا للبيازنه بمصر ، لرعاية شئون التجار البيزيين بها . والملاحظ أن الخطاب يصف رسول البيزيين الذى وافق الملك الكامل على أن يعتمده قنصلا تجاريا عن بلاده بمصر ، فى إحدى المرات بلقب console ثم يصفه بلقب سفير -ambasia dore وتفسير هذا أن فى هذه العصور ، لم يكن هناك تفريقا بين السفير والقنصل ، أما اليوم فيقوم السفير برعاية الشئون السياسية لبلاده ، فى حين يقوم القنصل برعاية المصالح التجارية . ومترجم الوثيقة لم يترجم تاريخها الهجرى ، الذى أرّخت به الوثيقة ، واكتفى بكتابة ما يقابله بالتقويم الميلادى . ويبدو ان التاريخ الهجرى للوثيقة قد أرّخ بالشهر فقط وليس باليوم ، الذى جعل المترجم ما يقابله بالتقويم الميلادى أول اكتوبر (مايو ١٢٥٨ م)[١] .

١١ ـ النص اللاتينى لخطاب من مطران وقناصلة ونائب كونت بيزا ، الى الملك الكامل ، يخبروه بارسالهم سفيرا لهم الى حضرته بمصر ، واسم السفير Ranuccium Benedicti de Vernaccio ولقد أرسل هذا الخطاب يوم الأحد سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ للميلاد ، اليوم الرابع بين أول شهر إبريل و ٢٩ مارس سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م بالتقويم الأغسطى [٢] . ونلاحظ هنا أن بيزا لم يكن لها كونت بل نائب كونت لانها مدينة صغيرة .

(١) انظر الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة العربية (التى فقد أصلها العربى) فى كتاب ميشيل أمارى Amari : I Diplomi, P. 282, No. XXI
وانظر ترجمة عربية نصية لها فى ملاحق كتابنا هذا .

(٢) انظر النص اللاتينى لهذه الوثيقة فى كتاب ميشيل أمارى
Amari : I Diplomi, 281 , No. XXIII
وانظر ملاحق كتابنا هذا .

١٢ ـ رسالة كاملة مكتوبة باللغة العربية ، وهي النص العربي ، الذي وجههه رؤساء مدينة بيزا وهم لتير أسقف بيزا (أوبيش) ، والقناصلة بها ، وسير أنالد فكُنْدُ البسطار بها (ربما بمعنى المطران أو ربما بمعنا نائب الكونت) ؛ إلى الملك الكامل محمد بن أبي بكر ابن أيوب ، بخصوص قبوله وصولهم إليه وهو أحد قناصله ببيزا أو أكبر رؤسائها واسمه الرّنشين د بنديت د لفرناش [1] . ولقد أرّخ اماري الوثيقة بسنه ١٢١٥م ، ولا ادري علىَ أيّ أساس .

١٣ ـ الترجمة اللاتينية للنص الكامل لمعاهده عسكرية تجارية مشروطة ، بين الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وبين البيازنه . والمعاهده تحتوى على ٤١ شرطا أو بندا ولكل شرط أو بند رقم مستقل بالوثيقة ، شأن المعاهدة التى أبرمها معهم من قبل الملك العادل [2] .

وبعد قيامى بترجمة النصوص اللاتينية ، للوثائق الإحدى عشر ، التى فقد[3] أصلها العربى بمساعدة سيادة الأب الدومينيكانى دوسًا ، لاحظنا الملاحظات التالية على لغة هذه الوثائق :ـ

١ ـ نص الوثائق مكتوب بلغة ايطاليه من فينسيا ، وهى نفس اللغة التى يتكلمها

(١) انظر النص العربى لهذه الوثيقة العربية فى كتاب ميشيل أمارى
Amari : I Diplomi, P. 81 - 82, No., XXVII
وانظر النص الكامل لهذه الوثيقة فى ملاحق كتابنا هذا .
(٢) انظر الترجمة اللاتينية لهذه الوثيقة العربية فى كتاب ميشيل أمارى
Amari : I Diplomi, P. 288 - 289, No., XXV.
(٣) أفاد المستشرق الإيطالى چوليانو لوسّيًا ، فى خطابه الذى أرسله إلى ، أن أرشيفات فينسيا أُحْرِقَتْ عدّة مرات فى الفترات القديمة ، وأن السجلات الكثيرة جداً والضخمة جداً لأرشيف الدولة للبندقية ، أو « dei Frari » وهى : ١ ـ Maggior Consiglio ، ٢ ـ Misti Senato ، ٣ ـ Libri Pactorum ، ٤ ـ Libri Com- memorala ، لا زالت توجد فيها نصوص أو ملخصات لعديد من الوثائق التجارية المشروطة ، بين البندقية والسلاطين الأيوبيين والممالك .

أهل البندقية الآن ، وان انتابها بعض التطور ؛ وبعض الوثائق الاخرى مكتوبة باللغة اللاتينية [1] .

٢ ـ الأسلوب فى الوثائق اللاتينية يكون أحيانا خليطا من اللغة اللاتينية الفصحى ، واللغة الدارجة العامّيه ، وكذلك فى الوثائق الإيطالية فهى مزيج من الإيطالية الفصحى والعامية ، ولغة الوثائق بصفة عامة ركيكه ، والترجمة غير جيدة ، بمعنى ان المترجم أحيانا لا يفهم جيدا العبارة العربية التى قام بترجمتها .

٣ ـ العبارات التكنيكية الإصطلاحية تكتب باللاتينية الدارجة ، بمعنى ان تحو الجملة اللاتينية غير سليم ، مثلا الوثيقة رقم ٦ من عهد الملك العادل عبارة
Et de aurum et argentum (sic)
Et de auro et argenta
dicentum (sic)
de cento .

٤ ـ بعض الالفاظ المستخدمة فى الترجمات اللاتينية ، الفاظ قديمة لا تستخدم فى اللغة اللاتينية اليوم ، مثل لفظ Priga الذى يعنى فى اللاتينية القديمة معنى « مناقشه » .

(١) فى هذا الزمن لم تكن هناك لغات قومية أوربية ، لكن لهجات لاتينية ، وحتى فرنسا نفسها لم تكن تتكلم كلها لغة واحدة ، كذلك إيطاليا وأسبانيا . والمقصود بكلمة الفرنجة فى هذا الزمن ، الأقوام الذين يتكلمون لغات تعود إلى أصل لاتينى وهم الفرنسيين والأسبان والإيطاليين . ولغة بيزا فى ذلك الوقت ، لم تكن هى الإيطالية ، ولكنها كانت اللغة التسكانية ، ولم تعرف الإيطالية كلغة للادب الا منذ القرن الثالث عشر الميلاد ، حين ألف دانتى أليجيرى الكوميديا الإلهية ، ولم تعدّ الإيطالية اللغة الرسمية ، إلا بعد توحيد إيطالية فى القرن الـ ١٩ م . واللغة الإيطاليه المعروفة اليوم هى متطورة عن اللغة التسكانية. أما البندقية فكانت تتكلم اللغة الفينيسية ، وهى اليوم لغة دارجة يتكلمها العامة ، وليست لغة مكتوبة .

٥ ـ كذلك فان هجاء الكلمات اللاتينية القديمة الواردة فى هذه الوثائق ، يختلف احيانا عن الهجاء الحديث مثل عادة = Saepius I - Sepius

2 - Hec Hace = هذه

3 - Que Quae = التى

4 - Quin gesimo = Quin Gentesimo = خمسمائة

٦ ـ وردت فى الوثائق اللاتينية ، الفاظ عربية لا تستخدم فى اللغة اللاتينية مثل

1 - Stolo Stoli = أسطول

2 - Admiral = امير بحر

3 - Duana أو Dogana = ديوان

٧ ـ هناك تعابير وجُمَل وصياغات عربية لا تعرف فى اللاتينية بمعنى ان النص كتب اولا باللغة العربية مثل :

1- Allocamento affidamente = السراط المستقيم [1]

2 - In gratica Deime confido = توكلنا على الله [2]

ان لغة هذا السيد هى لغة البيازية وبده هى يد البيازنه [3] .

3 - et lingua eius lingua eorum et manus eius manus eorum

4 - The Dio canta sopra lui et saluta

(١) انظر خطاب صلاح الدين ، الذى اورده أمارى برقم VIII
Amari : I Diplomi , P. 262 .

(٢) انظر معاهدة صلاح الدين ، التى اوردها أمارى برقم VIII
Amari : I Diplomi , P. 257 .

(٣) انظر نفس الوثيقة السابقة .

والمترجم يريد بهذه الصيغة ترجمة الصيغة العربية « صلى الله عليه وسلم » ولكنه ترجمها على هذا النحو « الذى يغنى عليه الله ويسلم عليه » [1] ؛ بمعنى أننا نستطيع ان نقول ان هذه الوثائق كتبت بالفاظ لاتينية او إيطالية والأسلوب عربى .

٨ ـ احتمال ان النصوص مترجمة عن لغة اخرى غير اللغة العربية ، أى أنها مترجمة عن ترجمة غير عربية للنص العربى الأصلى للوثيقة ، لأنها إذا ترجمت عن العربية مباشرة فترتيب الفقرات والجمل كان سيكون مختلفا .

أما بالنسبة للموضوع الذى تعالجه هذه الوثائق ، فهو يُظْهِر القوة السياسية والحربية التى تمتع بها السلاطين الأيوبيين فى ذلك الوقت ، بحيث أرهبت قوتهم البحرية الجمهوريات الإيطالية ، التى فضّلت التضحيه بالولاء للبابوية ، التى تولت الزعامة الروحية للعالم المسيحى فى ذلك الوقت ، وفضّلت الدخول فى علاقات إقتصادية مربحة مع سلاطين بنى ايوب ، أساسها التخلى عن فكرة الحروب الصليبية المقدسة ، وتقديم البضائع اللازمة للأسطول المصرى لمحاربة إخوانهم المسيحيين فى بلاد الشام* . فكانت الجمهوريات الإيطالية تمد مصر بالخشب والقار والحديد وهى المواد الأولية اللازمة لصناعة سفن الأسطول الحربى ، كما كانت تمدها بالأسلحة والعبيد الذين يرجعون إلى أصول مسيحية ؛ ولا شك ان فى هذا خيانة اقترفتها الجمهوريات الإيطالية للحركة الصليبية ، مما دفع البابا إلى اصدار قرارات الحرمان الكنسى [2] تجاه هذه الجمهوريات ، وتهديدها بطردهم

(١) انظر نص معاهدة الملك العادل التى أوردها أمارى برقم XXIV انظر :
Amari : I Diplomi, P. 285 .

* نصت على هذا الأمر ، المكاتبات المتبادلة بين صلاح الدين والخليفة العباسى ، راجع ما تقدم .

(٢) M. P. Migne : Patrologie, Series Latina, Saeculum XIII, P. 214 - 216 , Innacentii III , وانظر : خطاب من البابا انوست الثالث إلى البندقية كى لا تبيع أسلحة للمسلمين بدافع من المصلحة =

من رحمة الكنيسة ، وفقدانهم لجميع حقوقهم المدنية ؛ ورغم هذه القرارات البابوية المتلاحقة ، فان قوة الأسطول الأيوبى والمَغانم الإقتصادية التى كفلتها المعاهدات التجارية والعسكرية التى وقعت بين السلطات الأيوبية والجمهوريات الإيطالية ، جعلت هذه الجمهوريات تَصُمّ آذانها تماماً أمام الإلحاحات والتهديدات المتكررة من قبل البابا زعيم الحركة الصليبية .

كما تُقدّم لنا الوثائق معلومات دقيقة جدا وفريدة عن أوضاع الجاليات الأوربية فى ثغر الأسكندرية فى العصر الأيوبى ، وطريقة التمثيل القنصلى [1] فى ذلك العصر ، ومظاهر العلاقة بين القناصلة الأجانب بالأسكندرية ، والسلطات الأيوبية . وهى تكشف عن وضع هام كانت فيه الجاليات الأوربية بمصر ، تتمتع ببعض الإمتيازات والتسهيلات التجارية ، فى الوقت الذى كانت فيه القوة السياسية للملوك وسلاطين مصر الإسلامية فى أوج قوتها ، وهذا ما تفصح عنه الوثائق

= التجارية DXXXIX, P. 493

وانظر خطابا آخر من البابا الى البنادقة يوبّخهم لتحريهم للبيزنطيين وحثهم على قتال المسلمين . XVIII, P. 301

ومجموعة الآباء اللاتين هذه موجودة كاملة بمكتبة دير الآباء الدومينكان ، وقد اطلعت عليها هناك . وانظر خطابا من البابا أنوسنت الثالث إلى السلطان الأيوبى الملك العادل للشفاعة فى بعض المسلجين المسجونين فى سجون السلطان فى نفس هذه المجموعة للآباء اللاتين ، انظر

Acta Innocentii, PP. III, ed. P. Haluscynshyi no. 128, PP. 363-364

(١) انظر عن التمثيل القنصلى للتجار الأوربيين بالاسكندرية والشرق الاسلامى .

Heyed, Guglielmo : Storia del Commercia de levante nel Media Evo, Curin 1913 . p. 426 - 428, 430 - 431, 434 .

وانظر ايضا :

Wiet, G. : L'Egypte Arabe, dans Hanotaus " Histoire de la Nation Egyptienne ", T. V. P. 385 - 386 .

المتبادلة بوضوح ، من عبارات التمجيد والتفخيم التى كان السلطان الأيوبى يصف بها نفسه أو يصفه بها البيازنه ، كما يتضح من الوثائق الخاصة بالتظلمات والشفاعات التى كان يرفعها هؤلاء التجار لسلاطين بنى ايوب ، وفى كثير منها إشارات إلى تعرض بعض التجار البيازنه الذين استقلوا سفنا غير بيزيه للأسر والإسترقاق ، من قبل الاسطول المصرى .

ومن ناحية أخرى تكمل هذه الوثائق بتفاصيل فريدة وهامة ، معلوماتنا عن نظم الإدارة المصرية الخاصة بالرسوم والإجراءات الجمركية بالنسبة للتجار غير المسلمين ، فهى تحدد أنواع الضرائب التى تجبيها السلطات المصرية من هؤلاء التجار ، كما تحدد نسبتها ، وما إذا كانت تجبى عينا أو نقدا . كما تمدنا هذه الوثائق بمعلومات تكمل ايضا ما ذكرته المصادر الإدارية المتخصصة من العصر الأيوبى ، مثل كتابى المنهاج فى صناعة الخراج للمخزومى وكتاب قوانين الدواوين لإبن ممّاتى [1] ، خاصاً بأسماء الموظفين والدواوين الجمركية فى ثغر الأسكندرية ، كما تقدم لنا تفاصيلا فريدة عن الإدارة المحلية لمدينة الأسكندرية . وتقدم حقيقة هامة ، وهى أن والى الأسكندرية ، كان فى نفس الوقت قائد الأسطول الأيوبى فى البحر المتوسط ، ومتولى ديوان الأسطول ، الذى كانت الأسكندرية مقرا له منذ عصر صلاح الدين .

ولكن ثمّة صعوبة تعوق الباحث عن الإنتفاع بتفاصيل هذه المعلومات الإدارية ، وذلك لأن أسماء الموظفين والدواوين والولاء الواردة فى الترجمات الإيطالية واللاتينية لهذه الوثائق العربية التى فُقد أصلها العربى ، ولم يجدّ مترجم الوثيقة فى الألفاظ الإيطالية واللاتينية المقابل الدقيق المطابق لهذه الإصطلاحات

---

(١) انظر بعده تعريف واف عن هذين المصدرين الاساسيين عن تعريفنا بالكتابات القلمية .

الإدرية العربية ، فأما انه قام بترجمتها ترجمة توفيقية ، بحيث عجز الأب الدومنيكاني الذى استعنت به فى ترجمة هذه الوثائق على معرفة معناها ، بل تشكك أن تكون هذه الألفاظ لاتينية أو إيطاليه أصلا ، ويؤيد صدق اعتقاده أن كثيرا من هذه الالفاظ حين أوردها المستشرق الإيطالى الكبير Amari فى كتابه، ذكر امامها كلمة Sic أى كذا ، بمعنى انه ايضا لا يعرف معناها ؛ وأحيانا نجد مترجم الثائق إلى اللاتينية أو الإيطالية يحاول نقل اللفظ الإصطلاحى العربى كما قرأه هو بلسانه إلى اللغة الإيطالية او اللاتينية ، بحيث يجىء أيضا اللفظ فى النهاية غريب عن اللغة اللاتينية والعربية فى نفس الوقت . والباحث لا يستطيع أن يهتدى إلى حقيقة الإصطلاح الإدارى فى هذه الحالة الا بالدراسة الدقيقة للمؤلفات العربية الإدارية من العصر الأيوبى ، وعن طريق الفهم المسبق لظروف وشروط المعاهده ، والإلمام بهذه المصطلحات العربية من قبل . وفيما يلى أهم هذه المصطلحات الإدارية التى وردت محرّفة او مبهمة فى هذه الوثائق وإليك أمثلة :

١ ـ وليس من حق أحد أن يأخذ من السفينة شيئا ، لا حارس الديوان ، ولا المفتش او المشدين = Circatores والذين يعملون ب الـ Varca (كذا ؟!) . إلا الذين كانو قد اختيروا عن طريق التجار المسيحيين السابقين أو الذين كانوا قد اختيروا عن طريق الـ duna (كذا ؟!) لحماية المؤمنين [1] .

(١) وردت هذه الفقرة المبهمة فى معاهدة صلاح الدين الوثيقة رقم VII انظر : Amari : I Diplomi, P. 257 - 260 . ولعل لفظ duna هو نطق أعجمى لكلمة الديوان العربية ، وان كنا نلاحظ أن ترجمة وثيقة أخرى وهى الوثيقة رقم X التى اوردها أماى Amari : I Diplomi, P. 261 . قد ترجم كلمة ديوان على هذا النحو duane فى حين ترجم مترجم آخر لفظ الديوان إلى Dogana انظر الشرط او البند رقم ١٤ فى المعاهدة بين العادل والبيزيين وهى الوثيقة رقم XXIV فى كتاب أمارى انظر : Amari : I Diplomi , P. 286 .

٢ ـ واذا كان الـ baiuli (كذا ؟!) التابعين لنا كانوا يريدون تغيير أى شىء مع التجار ، لابد ان يكون هذا برغبة التجار وليس غصباً ، ولقد اعطيت اوامرى للـ Baiuli (كذا ؟!) التابعين لى على ان لا يأخذوا أى شىء من التجار بدون رغبتهم ، كما لا ينبغى لهم (أى الـ baiuli) فعل اى شىء قد يسبب تظلم من جانبهم ، على أساس أن الـ baiuli ، لهم نفوذا قويا بحيث قد يعجز التجار عن التظلّم ، ويضطرّوا إلى كبت غضبهم على مضض [1] .

٣ ـ كذلك اشتكى التجار من المفتشين (او المباشرين) Circatores والمستخدمين Servientes الذين يطالبون بحقوق غير قانونية وهؤلاء الناس يسيئون إلى الديوان ، ولقد اعطينا الأوامر إلى الـ mustellis(كذا)، ولعلها المتولّين والـ Latertimonia (كذا) والـ Lumeru(كذا) والـ Liarcariu (كذا)والـ Lundaru (كذا) ، بحيث لا يسمحون بان يقع أى غبن على أى مسيحى من واقع سلطتهم ، حتى لا ينتقد بلاطنا بالخارج ، وحتى لا يخشى التجار الأجانب من الأخلاق السيئة فى بلادنا .

٤ ـ وهم (أى البيزيون) غير مطالبين بادداء الـ Tagla (كذا) ... وهم معفيون من أداء الـ Crobaceko (كذا) إلى السلطان [2] ، ولا يدفعون

(١) وردت هذه الفقرة المبهمة فى معاهدة صلاح الدين ايضا الوثيقة رقم VII التى اوردها أمارى انظر : Amari : I Diplomi, P. 257 - 260 .
ولعل كلمة الـ baiuli هى أنطق أعجمى لكلمة « الوالى » العربية .

(٢) وردت هذه الفقرة فى نفس المعاهدة السابقة ، وواضح أن جميع الألفاظ المبهمة هى أسماء لبعض الموظفين فى الإدارة الجمركية بالميناء ، وفى الإدارة المحلية لمدينة الأسكندرية، ولقد جاءت أسماء هؤلاء الموظفين ، فى مراسيم السلطان الغورى الخاصة بتجار فلورنسه ، على هذا النحو : النوّاب والحجّاب والمباشرين والنظّار والمتكلمين وأرباب الوظائف وأصحاب الإدراك بثغر إسكندرية المحروسة » انظر أماوى : المرجع السابق ص٢١٥ ، والمقصود بالنواب ، نائب الاسكندرية ، ونواب ثغور الشام .

التعريف Tariffa ولا يدفعون الـ Carati (كذا) [1].

٥ ـ عند خروجهم من باب الفندق يجب ان يكون معهم كاتب يعرف بـ Stohiatro (كذا) وكاتبون معروفون بـ alfacchini (كذا) . لعلها : المتفقهين .

ولكن إلى جانب هذه المصطلحات الإدارية المبهمة ، أمدتنا الوثائق الإيطالية بتعريفات وتوضيحات ومعلومات وافية عن كثير من الضرائب الجمركية ، وموظفى الإدارة الجمركية بميناء الأسكندرية ، وموظفى الإدارة المحلية بمدينة الأسكندرية ، لا نجدها حتى فى المصادر الإدارية المتخصصة من العصر الأيوبى .

*

٥ ـ أوراق البردى العربية :

تولى المتخصصون نشر ودراسة هذه الأوراق ، بعد أن تفرقت فى مجموعات مبعثرة فى المكتبات العالمية ، مثل دار الكتب المصرية بالقاهرة ، والمتحف البريطانى بلندن ، والمكتبة الأهلية بباريس ، وبعض مكتبات إيطاليا ، وخاصة ميلانو ، ومجموعة الأرشيدوق رينر بمكتبة فينا ، المعروفة بمكتبة البرتينا بالنمسا ، ومكتبات برلين وهيد لبرغ وسترا صبورغ بألمانيا وغيرها . ويأتى فى طليعة المستشرقين الذين اهتموا بنشر البردى الإسلامى ودراسته مرجليوث ، وأرنست

(١) انظر الشرطين رقم ١٢ و ١٣ فى المعاهدة بين الملك العادل والبيازنه وهى الوثيقة رقم XXIV فى كتاب أمارى انظر : Amari I Diplomi, P. 286

(٢) انظر الشرطين رقم ٢١ ، ٢٢ من نفس المعاهدة السابقة وانظر Amari I Diplomi, P. 286

(٣) انظر الشرط رقم ٣٠ فى المعاهدة بين الملك الصالح والبيازنه وهى الوثيقة رقم XXV من كتاب أمارى انظر : Amari I Diplomi, P. 289

بيكر ، وأدولف جروهمان [1] ، ويعد أدولف جروهمان أهم من توفر على دراسة أوراق البردى العربية على الإطلاق ، وقد أولى كل من مجموعتى الأرشيدوق رينر بفينا ودار الكتب المصرية بالقاهرة جلّ اهتمامه ، فابتدأ منذ عام ١٩٣٤ فى اصدار ست أجزاء من كتاب بعنوان : « أوراق البردى العربية بالمكتبة المصرية »[2] .

ويلاحظ كلود كاهين ، أن الاوراق البردية ليست إلا مجموعات مضطربه من الوثائق ، لم توجد فى الدور الأصلية لحفظها ، وانما وجدت بطريق الصدفة فى أماكن ودفائن مختلفة ، ثم وزّعت بعد ذلك دون نظام فى أنحاء العالم ، حيث تقاسمتها المتاحف والمكتبات والمجموعات الخاصة ، وهذه البرديات بعضها درس دراسة علمية ، والبعض الاخر لا يزال ينتظر هذه الدراسة ، وليس بين مجموعات البردى من رابطة تجمعها سوى جهود المؤرخين وعنايتهم بها

(١) انظر ادولف جروهان : أوراق البردى العربية ، ثلاث مقالات مستقلة ، لشرح أهمية أوراق البردى العربية ومنهج دراستها ، نشرت كل مقالة مستقلة بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٣ م وانظر ايضا : O. Loth, ZWIE arabische Papyrus, Z. D. M. G., XXXIV (1880), PP. 685 - 691 .

A. Grohmann, Apercu de papyrologie arabe. Etudes de papyrologie, I, Cair , 1932, pp. 23 - 95 .

A. Grohmann, Probleme des arabischen papyrusforchung I, Archul orientalni, III (1931), PP. 381 - 394, II Ibid, V (1933) PP. 273 - 283, VI (1933-34), PP. 125 - 149, 377 - 398.

(٢) انظر A. Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library, Cairo, 1934 - 1952 (Vols I - 5) .

ولقد ترجم المؤلف الجزئين الأول والثانى بالإشتراك مع الدكتور حسن إبراهيم ، وصدرت بالقاهرة سنة ١٩٣٤ م بعنوان « أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية » ، وقد صدرت بقية أجزاء الكتاب تباعا بعد ذلك . وفى سنة ١٩٥٢ ، أخرج أدولف جروهما بحثا آخر عن أوراق البردى العربية فى العصر الإسلامى بعنوان (من عالم أوراق البردى) .

A. Grohmann: From the world of Arabic Papyri (Publications of the Egyptian Society of Historical Studis, Cairo, 1952 .

ودراستهم لمحتوياتها ؛ في حين أن الوثائق الرسمية ، تودع دائما في دورها وأماكن حفظها لأغراض إدارية لا لأغراض تاريخية ، وإفادةالمؤرخين من الوثائق الرسمية ، انما تأتي بطريق غير مباشر ؛ ويفيد من قيمة الوثائق الأرشيفية الرسمية، تلاحقها وترابطها واستمرارها ، مما ييسر للمؤرخين مهمة البحث العلمي الدقيق ، ويمكنهم من إصدار أحكام صحيحة تعتمد على إحصاءات كبيرة متتابعة ، لا على أمثلة فردية قليلة شأن الحال في أوراق البردى [1].

وإذا كانت معظم البرديات إدارية خراجيه ، فإن الطريقة المثلى للإستفادة من المعلومات الإدارية الواردة في أوراق البردى العربية ، هي تجميع ما اكتشف منها بإقليم بعينه من أقاليم مصر ، ودراستها في وحدة متكاملة ، بحيث نستطيع أن نتعرف على المعلومات الإدارية الخاصة بالإدارة المحلية في هذه الاقاليم، كما نعرف أيضا العلاقة الإدارية لهذه الإقاليم بالإدارة المركزية بالفسطاط او القاهرة ؛ ومن ناحية أخرى فإن المجاميع المنشورة من أوراق البردى العربية ، تراعي الترتيب الموضوعي للوثائق ، دون النظر إلى المكان أو الإقليم الذي عثر فيه على الوثيقة ؛ والواقع ان معلوماتنا عن الإدارات المحلية في أقاليم مصر وأعمالها نادرة جدا ، ولا نستطيع أن نستوفي دراستها إلا عن طريق أوراق البردى ؛ وكلا المنهجين له أهمية [2].

ولأوراق البردى العربية شأن كبير في دراسة الحياة الإجتماعية والسياسية والنظم الإدارية والمالية ، إذ ان من بينها أوراق بردية تتعلق نصوصها بالجزية

(١) انظر
Claude Cahen : L'histoire Economique et Sociale de L'orient Musulman Medeval, Studia Islamica, Volume III, 1955, P. 99 (2) . هامش

(٢) راجع بحثي : « الدلالات التاريخية والأثرية لأماكن العثور على البرديات العربية »، بحث إشتركت به في المؤتمر السادس الـ ٢٠ لعلم البردى المقام بالناصرك في أغسطس ١٩٩٢م، ثم ألقي في ندوة (اضواء على تاريخ وحضارة مصر من خلال وثائق البردى) ، التي نظمها مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس في فبراير ١٩٩٣م ، وراجع كتابي : دراسات في تاريخ مصر الإسلامية في ضوء أوراق البردى العربية (تحت الطبع إن شاء الله) .

والخراج وإسناد المناصب وأنظمة الإدارة وطرق التجارة ، وبناء العمائر والمساجد وإنشاء الأساطيل ، وأثمان البضائع والبيوت والأرض ، فضلا عن عقود الزواج والبيع والشراء ، وأغلب هذه الاوراق المتنوعة ترجع الى عصر الولاة في مصر [1] ؛ وهنا نلاحظ ان النظم الإدارية بصفة عامة بمصر احتفظت بشيء من الثبات ، خاصة فيما يتعلق بالتقسيمات الإدارية والمالية ونظم الزراعة والرى منذ العصر الفرعوني إلى اليوم .

ونحن نستطيع أن نقارن المعلومات المتعلقة بالنظم الإدارية والمالية الواردة في أوراق البردى ، ـ وأغلبها ترجع إلى الفترة الممتدة من عصر الولاة إلى القرن الرابع والخامس الهجرى ـ بكتب نظم الحكم المتخصصة التي وصلت إلينا نسخها الخطية ، وتوفر الباحثون على نشر ودراسة معظمها ؛ وترجع أقدم هذه المؤلفات الإدارية المتخصصة إلى القرن الخامس الهجرى ، وعن طريق مقارنة المعلومات الإدارية الواردة في أوراق البردى بهذه المؤلفات الإدارية ، فإن كل من المصدرين سيكمل الآخر ، ويصبح شاهدا على الآخر ، إذ أن اوراق البردى تدلنا على الحالات التطبيقية لنظم الحكم الاسلامية ، وليس فقط القواعد النظرية ، التي تشغل حيزا من الكتب المؤلفة عن النظم [2].

وعن طريق اوراق البردى ، نعرف معلومات هامة ودقيقة ، عن السلطات

(١) انظر المراجع الواردة في هامش (١) ص ٨٥ .

(٢) لعل المستشرق ليور ، هو أول من حاول القيام بهذه الدراسة في بحثه عن طرق الحساب وادارة الضرائب في مصر الاسلامية .
C. Leyerer: Die verrechnung und verwaltung von steuern in islamischen Agypten, ZDMG 1953 . .
Claude Cahen : Contributions a L'etude des impots dans L'Egypte medievale, JESHO V3, PP. 244-278. انظر أيضا
Claude Cahen : Le regime des impots dans Le Fayyum ayyubide, Arabica III, I PP. 8 - 30 . انظر أيضا
Claude Cahen, Mackzoumiyyate, P. 258 .
حيث يستدل في مقاله عن الدواوين والتجارة في ثغر الأسكندرية في العصرين الفاطمي=

المختلفة لحكام وموظفي الإدارات المحلية في الأقاليم ، ووسائل وقنوات الإتصال بينهم وبين السلطة المركزية في العاصمة ؛ كما نعرف معلومات قيمة عن «نظام البريد» و « قلم المخابرات » ؛ كما نقف على بعض رسوم المكاتبات المستخدمة في دواوين الإنشاء في مصر الإسلامية ؛ بالإضافة الى أنها تمدنا بمعلومات وافية عن ضريبة « الخراج ، على الأرض ، وضريبة الجزية والجوالى على اهل الذمة ، مما يعطى الفرصة للباحث المنصف ان يفند المزاعم القائله بجور هذه الضرائب فى الحكومات الاسلامية ، واشتطاط الجباه فى تحصيل هاتين الضريبتين الأساسيتين؛ ومما يؤكد فى نفس الوقت التزام هذه الحكومات ، بنصوص الشريعة الاسلامية فى تحديد هذه الضرائب ، التى هى فى الواقع « حقوق شرعية » ، للدولة ، حددها الشرع الاسلامى [1] ؛ كما تعرف ايضا معلومات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمصر الاسلامية والنظم الادارية والقضائية بها ، وحركة التعريب الإدارى فى الاسلام ، وعدالة الحكم الاسلامى فى مصر وتسامحه بها ، وانتشار الإسلام والثقافة العربية بمصر ؛ وعن الاسطول المصرى وأوجه التعاون بينه وبين الاسطول الشامى فى صدر الاسلام ، دور صناعة السفن بمصر ، كما وصلت إلينا كتب من التراث الإسلامى [2] .

= والأيوبى ، ان مصطلح « المتجر السلطانى » وهو المؤسسة الخاصة بالتجارة الحكومية قد ورد فيأوراق البردى المصرية التى نشرها هنريش بيكر Becker ، من مجموعة برديات شورت رايتهات . رغم ان هذا المصطلح لم يرد فى كتب نظم الحكم الا منذ بداية العصر الأيوبى وفى كتاب منهاج الخراج للمخزومى ، وقوانين الدواوين لابن مماتى .

(١) انظر ملحوظة الدكتورة سيدة كاشف فى هذا الشأن : سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ؛ وانظر سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٩٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ . وانظر ابراهيم احمد العدوى : اوراق البردى العربية الخاصة بالوالى قرة شريك ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٦٣م ، ص ٤٩ ـ ٥١ .

(٢) انظر الأن بحثى: « عدالة الحكم الإسلامى لمصر فى عصر الولاة (١٨ـ٢٥٤هـ) ، ومظاهر التسامح الدينى بها ، فى ضوء أوراق البردى العربية » مجلة مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس ، مجلد ٤ ، القاهرة ١٩٨٧م ، ص ١٤٦ ـ ٢٠٦ ؛ وألقى فى المؤتمر العالمى الـ ١٩ للبردى بالقاهرة ، سبتمبر ١٩٨٩م ؛ وراجع قائمة المراجع فى آخر الكتاب ، أبحاثى عن البردى التى ألقيتها ونشرتها فى سنوات ١٩٩٠و١٩٩١و١٩٩٣و١٩٩٥م؛ وهى بالعناوين التالية : « كتب من التراث الإسلامى وصلت إلينا من خلال وثائق البردى» ؛ « أثر عدالة شروط صلح الذمه الذى منحه عمرو بن العاص للقبط ، فى تألفهم على الدخول فى الإسلام » ؛ « نزول القبائل العربية ريف مصر واستيطانها له ، وغلبة =

وبالنسبة للعصرين الأيوبى والمماليكى ، فإلى عهد قريب جدا ، ظل الإعتقاد سائدا ، بإختفاء أوراق البردى بعد القرن الخامس الهجرى ، وتنحيتها عن الإستعمال ، غير أن العثور على برديات ترجع الى العصر الفاطمى المتأخر ، والعصرين الأيوبى والمماليكى ، ينفى اليوم هذا الإعتقاد . ففى مكتبة فينا مجموعة كبيرة من البرديات ، توفر القائمون عليها على فهرستها فهرسة جيدة ، وهى تبدأ من سنة ٢٢ هـ ، أقدمها من عهد عمر بن الخطاب ، وآخرها من عهد السلطان المماليكى المنصور على بن الأشرف شعبان ، فهى تشتمل على تاريخ مصر ، من عصر الولاه حتى العصر المماليكى . ويوجد من عصر الدولة الفاطمية ٢٢٤ بردية ، تبدأ برقم ١٠٦٤ الى ١٢٨٧ ؛ ومن العصر الايوبى توجد ٢٥ بردية تبدأ بالرقم ١٢٩٠ وتنتهى برقم ١٣١٥ ؛ اما برديات العصر المماليكى، فتبدأ من رقم ١٣١٦ الى رقم ١٤٠٠ [1] ؛ وللأسف لم أتمكن من الاطلاع على أوراق البردى الأيوبية هذه .

٦ ـ حجج الوقف الشرعية :

تعج دور المحفوظات بالقاهرة ، مثل محكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة (المحكمة الشرعية سابقا) ، ووزارة الأوقاف ، ودار المحفوظات العمومية بالقلعة ،

= الإسلام على قرى مصر فى القرن الثالث الهجرى » ؛ « التعريب الإدارى فى الإسلام من خلال البرديات الإسلامية » ؛ « النظم الإدارية والقضائية بمصر الإسلامية من خلال البرديات العربية ».

(١) انظر فصله من تقرير بقلم الدكتوره عائشة عبد الرحمن ، مطبوع على الإستنسل ، بعنوان: « تقرير عن أوراق البردى فى مكتبة فينا ، البرتينا Albertina » جاء فى ص ٢٢ ـ ٢٤ ، حصر لهذه البرديات الخاصة بمصر الإسلامية وأرقامها مقسمة حسب الأزمنة الإصطلاحية لمصر الاسلامية وقد جاءت برديات العصر الايوبى فى ص ٣٤ من التقرير على النحو التالى : من عهد صلاح الدين ، البردية رقم ١٢٩٠ ، من عهد العزيز عثمان البردية رقم ١٢٩١ ، من عهد العادل سيف الدين البرديات من رقم ١٢٩٢ الى ١٢٩٧ ، من عهد الكامل محمد البرديات رقم ١٢٩٨ ـ ١٣٠٢ ، من عهد الصالح نجم الدين أيوب ، البرديات رقم ١٣٠٣ الى ١٣١٠ ، من عهد الملك الأشرف موسى ، البرديات من ١٣١٣ ـ ١٣١٥ ؛ أى أن عدد البرديات الأيوبية المحفوظة بمكتبة البرتينا بفينا ٢٥ بردية .

ودار الكتب المصرية ، بعدد ضخم من حُجَج الوقف الشرعية ، أغلبيها لم يُنشر بعد ، وأقدم هذه الحُجَج يرجع إلى العصر الفاطمى .

وبالنسبة لدراسة النظم الإدارية ، تذكر لنا كثير من وثائق الوَقف عدداً كبيراً من أسماء الخطط والأماكن والشوارع والحارات والدُّروب والأزقة وغيرها فى القاهرة وخارجها ، يرجع إلى ماقبل عصر المقريزى . الذى يُعدّ كتابه عن خطط مصر المسمى بالمواعظ والإعتبار فى ذكر الخطط والآثار عُمْدَةَ الباحثين فى هذا المجال ، هذا إلى جانب أنه قد كثر ذكر أسماء البلدان والقرى والرزق الجيشية (الإقطاع) والأحباسية (الوقف) بمصر والشام ، والأنهار وفروعها ، فى متن هذه الوثائق ، حتى تكاد تكون فى مجموعها موسوعة جغرافية واسعه .

وتقدم لنا حُجَجُ الوَقف أيضا معلومات قريدة عن أحياء وأماكن فى كثير من المدن العربية مثل الأسكندرية ، ودمشق ، والقدس ، وغزّه، ومكه ، وغيرها من المدن ، مما لم يرد لها ذكر فى المصادر الأدبية المطبوعة ، أو كتب الخطط المختلفة التى وصلت إلينا ، ومن ثَمّ فهذه الوثائق تساعد على دراسة جغرافية الأقاليم والمدن فى مصر والشام ، ومعرفة التقسيم الإدارى والوحدات المالية فى العصور الإسلامية [1] ، هذا بالإضافة إلى دراسة نظام الوقف نفسه كنظام مالى ودينى له خصائصه الإسلامية المميزه [2] . ولقد وصلتنا من العصر الأيوبى هاتين الحجتين :ـ

(١) عن الأهمية التاريخية لحجج الوقف الشرعية ، انظر بالتفصيل ، عبد اللطيف ابراهيم : سلسلة الدراسات الوثائقية « الوثائق فى خدمة الآثار العصر المملوكى » ، المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربية ، بغداد ١٨ ـ ٢٨ نوفمبر ١٩٥٧ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٨٧ . وإن كانت لم تصل إلينا أى حجة من العصر الأيوبى المبكر ، فالجدير بالذكر أن المقريزى وقف بنفسه على حجة وقف المدرسة السيوفية وهى من عصر صلاح الدين ، ونص على ما نقل من هذه الحجة ، ما لخصه من تاريخ المدرسة السيوفية فى كتاب الخطط ، وذكر أنه وجد على الوقفية ، خط صلاح الدين ، انظر للمقريزى : الخطط ، طبع النيل ، ١٣٢٦ هـ ، جـ ٤ ، ص ١٩٦ ، ص ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) انظر محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الإجتماعية فى مصر ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

١ ـ حجة وقف ابنه صلاح الدين محمد ، مؤرخة بذى العقدة سنة ٦٣٧ هـ ، محكمة الاحوال الشخصية بالقاهرة ، حجة رقم ٤ ، محفظة رقم ١ .

٢ ـ حجة تمليك ووقف صادرة عن القاضى سديد الدين أبى محمد عبد المنعم عتيقة أبيه واسمها خطلوا ابنه عبد الله ، مؤرخة سنة ٦٤٩ هـ ، محفوظة بمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة ، محفظة رقم ١ . [1] .

وقد وصل إلينا من نهاية العصر الفاطمى ، وثيقة وقف الوزير الصالح طلائع ابن رزيك ، بدار الوثائق القومية (مجموعة المحكمة الشرعية) رقم ١/١ [2] ؛ وهى تفيد فى دراسة نظام الوقف ، قُبَيْل العصر الأيوبى

*

أما وثائق الوقف التى ترجع إلى العصر المماليكى ، فهى تزيد فى مجموعها عن ثمانمائة (٨٠٠) وثيقة ؛ وأكثر من نصفها ، محفوظ بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ؛ ويوجد بدار الوثائق القومية مائتا (٢٠٠) وثيقة أخرى منها ؛ فضلاً عن عدد قليل آخر منها ، بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، وببطريركية الأقباط الأرثوزكس بالقاهرة [3] .

(١) نشر هذه الوقفية ، حسنين ربيع : المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى عشر ، ١٩٦٤ م ـ ١٩٦٥م ، ص ١٩١ ـ ٢٠٢ .

(٢) راجع Cahen , Ragib et Thaher : L'Acte Et le waqf d'un grand domaine Egyptien par le vizir fatimide Talai B. Ruzzik, Annales islamologique, T. XIV, 1978 .

(٣) محمد محمد أمين : الأوقاف ص ٢ ـ ٣ .

وتُعدّ وثائق الوقف التى ترجع إلى العصر المماليكى ، مصدراً أصيلاً خصباً لا مثيل له ، لدراسة تاريخ مصر الإسلامية ، ولا سيما فى النواحى الإقتصادية والإجتماعية ؛ مثل دراسة تراجم مشاهير الرجال ؛ والألقاب الفخرية للسلاطين وشيوخ الصوفية والقضاة والعلماء ؛ والوظائف والشروط التى يجب توافرها فيمن يقوم بها ، وطريقة تعيينهم ومرتباتهم وأجازاتهم وأحوالهم المعيشية ؛ وحياة الناس اليومية ومعاملاتهم ؛ والنقود التى يتعاملون بها وقيمتها ؛ وأسعار الأراضى والعقارات ؛ وأنواع مختلف الصناعات ؛ فضلا عن أنها مصدر لا غنى عنه لدراسة تاريخ العمارة الإسلامية ، ومصطلحاتها الفنية ؛ ويمكن الإعتماد عليها فى ترميم الآثار الإسلامية ، وإعادتها إلى الصورة التى كانت عليها فى الماضى ؛ كما يمكن عن طريق هذه الوثائق ، القيام بدراسة طبوغرافية للقاهرة والفسطاط فى العصر المماليكى [1].

وترجع أهمية وثائق الوقف ، إلى أنها تقدم للباحث فى تاريخ مصر الإسلامية ، معلومات لا تتوافر عادة فى المصادر التاريخية المعروفة ، كما إنها تقدم له أيضاً ما يفسر الكثير من الحوادث التاريخية ؛ فضلاً عن أنها تمده بمعلومات أصيلة فريدة فى نوعها ، عن بعض مظاهر الحياة الإجتماعية والإقتصادية فى مصر فى العصر المماليكى ؛ مثل إيضاح الفرق بين الخانقاة والرباط كمنشئتين دينيتين اجتماعيتين ؛ ومثل بيان اصل المماليك بمصر ؛ وجهود سلاطين المماليك الجراكسة ، فى جلب إخوانهم وأقاربهم إلى مصر ، وتألفهم على الدخول فى الإسلام [2].

لقد بلغ نظام الأوقاف فى مصر درجة الإكتمال والنضج فى عصر سلاطين المماليك ، وكان له الفضل فيما أصابه المجتمع المصرى فى ذلك العصر من رقىّ

(١) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ، ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م ، دراسة تاريخية وثائقية ، ص ٣ ؛ عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار ـ كتاب المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربية (١٩٥٧م) .

(٢) راجع محمد محمد أمين : الأوقاف ص ٣ ـ ٤ .

اجتماعى وثقافى ، وفيما توافر للمواطن العادى من رعاية إجتماعية وفكرية ودينية وخلقيّة .

ولا ريب أن دراسة الحياة الاجتماعية فى مصر الإسلامية بصفة عامة ، وفى العصر الأيوبى [1] والمماليكى [2] بصفة خاصة ، فى ضوء حجج الوقف ؛ قد أوضح جوانباً مشرقة كثيرة من تاريخ التربية والتعليم بمصر الإسلامية ؛ وأجلى ما حققته الشريعة الإسلامية ، والمنشآت الدينية والاجتماعية والخيرية ، القائمة على الصدقات ووجوه البر ، من تكافل اجتماعى ، وازدهار ثقافى ، ورعاية صحية لجميع فئات أهل مصر ، وخاصة الفقراء منهم ؛ هذا فضلاً عن أهمية الأوقاف فى تسهيل تأدية فريضة الحج ، والنهوض بفريضة الجهاد ؛ إلى جانب دلالتها على قيام الدول الإسلامية التى حكمت مصر على حماية أوقاف أهل الذمة بها [3].

ووثائق حجج الوقف التى ترجع إلى العصر المماليكى ، والمحفوظ أغلبها فى أرشيف وزارة الأوقاف وفى دار الوثائق القومية بالقاهرة ، تطّردّ بإنتظام ، وتكاد تغطى جميع فترات حكم سلاطين المماليك فى دولتى المماليك البحرية والمماليك الجراكسة ؛ وقد أعدّ لها الدكتور محمد محمد أمين ، فهرسا جامعاً لها [4].

(١) راجع دراسة هامة لنظام الوقف فى العصر الأيوبى وفى العصر المماليكى ، قام بها الدكتور محمد حسنين ربيع ؛ راجع كتابه النظم المالية فى العصر الايوبى ، القاهرة ١٩٦٤ ، وراجع أيضاً .
Rabie : The Financial System of Egypt A. H . 564 - 741 / A. D. 1169 - 1341 (London 1972) .

(٢)،(٣) راجع بالتفصيل محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الإجتماعية فى مصر ، ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

(٤) راجع محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (٣٢٩ هـ ـ ٩٢٢ هـ / ٨٥٣ ـ ١٥١٦م) ، مع نشر وتحقيق تسعة نماذج ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٠م .

وسنكتفى هنا بالإشارة إلى أهم وثائق الوقف الخاصة بسلاطين دولتى المماليك البحرية والجراكسة ، اعتماداً على ما أورده الدكتور محمد محمد أمين في دراسته الواسعة الشاملة العميقة عن الأوقاف بمصر في العصر المماليكى ؛ شحذاً للباحثين والدارسين للاستفادة من هذه الوثائق القيّمة ومحاولة نشر ما لم ينشر منها .

فمن عصر دولة المماليك البحرية ، وصلت إلينا خمس وثائق وقف من عصر المنصور قلاوون ، ووثيقة من عصر الناصر محمد بن قلاوون ، ووثيقة من عصر بيبرس الجاشنكير ، ووثيقتان من عهد الناصر حسن ، ووثيقة من عهد الأشرف شعبان [1] .

ومن عصر دولة المماليك الجراكسة ، وصلت إلينا وثيقة من عهد الظاهر برقوق ، ووثيقة من عهد الناصر فرج بن برقوق ، ووثيقة من عهد المؤيد شيخ ، ووثيقة من عهد الأشرف برسباى ، ووثيقة من عهد الظاهر جقمق ، ووثيقة من عهد الأشرف إينال ، ووثيقة من عهد الظاهر خشقدم ، ووثيقتان من عهد الأشرف قايتباى ، ووثيقة من عهد العادل طومان باى الأول ، و (٢٩٠) وثيقة من عهد الأشرف قانصوى الغورى ، ووثيقة من عهد الأشرف طومانباى الثانى [2] .

ولقد تم نشر عدداً لا بأس به من وثائق الأوقاف الخاصة بهؤلاء السلاطين ،

(١) راجع محمد محمد أمين : الأوقاف ص ٨٦ ، ١٣٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ٨٧ ؛ ١٤٥ ، ٨٦ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ١٣٥ ؛ (حيث يورد صوراً فوتوغرافية لكثير من هذه الوثائق) .

(٢) راجع نفس المرجع ص ٢٤٩ ، ١٣٥ ، ٣٠٠ ، ١١٧ ، ١٤٨ ، ١٤٦ ، ٦ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٣٠٠ ، ٦ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٦ ـ ٧٧ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٨ ، ٩١ ، ٨٦ ، ٣١٤ .

وكان لكل من الدكتور عبد اللطيف إبراهيم والدكتور محمد محمد أمين ، فضل كبير فى هذا المجال ؛ فلقد نشر الدكتور محمد محمد أمين ، وثيقة السلطان المنصور قلاوون ، فى ملاحق كتاب تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، لابن حبيب الحلبى ، الذى حققه ونشره بالقاهرة [1] ؛ ونشر الدكتور أحمد دراج ملخص وثيقة وقف السلطان الأشرف برسباى [2] ؛ ونشر الدكتور محمد محمد أمين وثيقة وقف السلطان الأشرف قايتباى على المدرسة الأشرفية وقاعة السلاح بدمياط [3] ؛ ونشر الدكتور عبد اللطيف إبراهيم وثائق كثيرة من عصر السلطان الأشرف قانصوه الغورى [4] ؛ هذا فضلاً عن ما تم نشره ودراسته من وثائق بيع الوقف التى ترجع إلى العصر المماليكى [5] .

كذلك يوجد عدد كبير من وثائق الوقف الخاصة بأمراء وقضاة وعلماء وتجار دولتى المماليك البحرية والجراكسة، الذين تبارزوا مع سلاطينهم فى بناء المساجد

(١) طبع ضمن مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦م ، ج ١ .

(٢) راجع أحمد دراج : حجة وقف الأشرف برسباى ، من مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

(٣) راجع محمد محمد أمين : وثيقة وقف السلطان قايتباى على المدرسة الأشرفية وقاعة السلاح بدمياط ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٢٢ ، سنة ١٩٧٥م ، ص ٣٤٣ ـ ٣٩٠ (تحقيق ودراسة) ؛ ولقد نشرتُ كذلك إحدى وثائق وقف قايتباى ، بعنوان : حجة الملك الأشرف قايتباى ـ أو عمارات قايتباى ، فحصها المستشرق ماير ونشرها المستشرق آرثر بروشتين ، فى مجلد ، طبع لندن ، ١٩٣٨م (بدار الكتب المصرية برقم ح ٧٩٣٢) . (ولكن دون تحقيق أو دراسة) .

(٤) راجع عبد اللطيف إبراهيم : دراسة تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر السلطان الغورى ، رسالة دكتوراة بجامعة القاهرة ، ١٩٥٦م ؛ عبد اللطيف إبراهيم : التوثيقات الشرعية والإشهادات فى ظهر وثيقة الغورى ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مجلد ١٩ ، جـ ١ مايو ١٩٥٧م ، ص ٣٢٣ ـ ٣٤١ .

(٥) راجع زينب محمد محفوظ : وثائق البيع فى مصر خلال العصر المملوكى ، رسالة دكتوراة بجامعة القاهرة ، ١٩٧٧م .

والمدارس والخانقاوات والأسبلة والكتاتيب ، وغير ذلك من المنشآت الدينية والإجتماعية والخيرية ؛ تمّ نشر عددٍ لا بأس منها ؛ مثل حجة وقف الأمير صرغتمش الناصرى (سنة ٧٥٧هـ) [١] ؛ ومثل حجة الأمير يشبك بن مهدى (سنة ٨٨٤ هـ) [٢] ، والأمير آخور كبير قراجا الحسنى [٣] والأمير مسرور بن عبد الله الشبلى الجمدار [٤] .

والطريف أن بعض سلاطين المماليك وأمرائهم ، تأكيداً لأوقافهم ، وحرصاً على بقائها ، قاموا بنقش ملخص لكتاب وقفهم ، على الحجر أو الخشب ، داخل المنشآت التى قاموا بوقفها [٥] ؛ مثل بعض وقفيات السلطان قايتباى المنقوشة على واجهة الوكالة التى أنشأها بالقرب من باب النصر [٦] ؛ وبعض وقفيات

---

(١) راجع عبد اللطيف إبراهيم : نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مجلد ٢٨ ، ١٩٦٦م ، ط. القاهرة ، ١٩٧١م.

(٢) راجع عبد اللطيف إبراهيم : من وثائق التاريخ العربى ، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ، العدد الثانى ، ١٩٧١م ، ط . القاهرة ١٩٧٢م .

(٣) راجع عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة وقف الأمير آخور كبير قراقجا الحسنى ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد ١٨ ، جـ ٢ ، ديسمبر ١٩٥٦م القاهرة ١٩٥٩م .

(٤) راجع عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة وقف مسرور بن عبد الله الشبلى ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد ١٩ ، جـ ١ ، مايو ١٩٥٧م ، القاهرة ١٩٦٣م ؛ وراجع أيضاً نفس المؤلف : وثيقة بيع ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة م ١٩ ، جـ ٢ ، ديسمبر ١٩٥٧م ، القاهرة ١٩٦١م ؛ من وثائق دير سانت كاترين (ثلاث وثائق فقهية) ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، م ٢٥ جـ ١ مايو ١٩٦٣م ، القاهرة ١٩٦٧م ؛ خمس وثائق شرعية ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثانى ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م ، الخرطوم ١٩٦٩م .

(٥) راجع محمد محمد أمين : الأوقاف ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(٦) راجع كتاب الوقف على وكالة قايتباى ، عند حسن قاسم : المزارات الإسلامية والآثار العربية فى مصر والقاهرة المُعزّية ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ (عن محمد محمد أمين) ؛ المرجع السابق ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

السلطان برسباى المنقوشة على الحجر بمدرسته الأشرفية بالقاهرة ، وعلى واجهة الخانقاة الملحقة بمدفنه ، وهو نقش على ألواح رخامية مؤرخ سنة ٨٣٥هـ ، نقش عليه بيان الأعيان الموقوفة وأوجه الصرف ، وقد أبان لنا الحكمة فى كتابة وقفيته نقشاً على منشآته ، لمنع عيث العابثين بها [١] ؛ ويبدو أن هذه الظاهرة ظهرت فى آخر عصر دولة المماليك الجراكسة ، فى مدرسة السلطان شعبان (السيدة خوند بركه) فى نقش مؤرخ سنة ٧٧٠هـ ، وفيه : « فمن أبطل شيئاً منها أو من أوقافها ، كان رسول الله ﷺ خصيمه يوم القيامة » [٢] .

---

(١) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، القاهرة ١٩٤٧م ، جـ ١ ، ص٢٢٥ ؛ وراجع أيضاً ج ١ ص ٢٢٩ ، حيث يعتمد على حجج الوقف فى دراسة العمارة الإسلامية بمصر .

(٢) راجع النص بأكمله عند حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ، ١ : ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ ص ٩٧ .

الفصل الثانى

النقـــوش

ترجع أهمية الكتابات والنقوش الأثرية على الآثار الإسلامية ، إلى أن صيغتها كانت تؤلف فى ديوان الإنشاء ، ولذا تعتبر من هذه الوجهة ذات صبغة رسمية ؛ ولكن يلاحظ أنها كانت تتحكم فيها المساحة المطلوب تغطيتها ، ونوع الأثر الذى ستوضع عليه [١] . والنقوش الأيوبية فى مجملها ليست كثيرة ، خاصة ما يرجع منها إلى عصر صلاح الدين مؤسس الدولة ؛ وتعليل هذه الظاهرة ، فى رأى فان برشم ، أن عصور البطولة دائما نادرة النقوش ، لانشغال حكامها بأمور الحرب ، وعدم تفكيرهم فى الأجيال القادمة [٢] .

(١) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٤ .

(٢) M. Van Berchem : Inscriptions Arabe de Syrie , P. 456, des Memoires de L'Institut Egptien, T III, fase. V (tirage a Part, Le Caire, 1897, P . 40 .

ولقد لاحظ فان برشم ملحوظته عن قلة آثار صلاح الدين ، بهذه القائمة التاريخية للنصوص التى عرفها عن عصره :

١ ـ سنة ٥٧٤ هـ/١١٧٨م ، نقش بدمشق (اندثر) .
٢ ـ سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م ، مسجد كبير فى دمشق (اندثر) .
٣ ـ سنة ٥٧٩هـ ١١٨٣م قلعة القاهرة .
٤ـ سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، المسجد الأقصى بالقدس .
٥ ـ سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م، قبة الصخرة ، القدس (اندثرت) .
٦ ـ سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، قبة يوسف ، القدس .
٧ ـ سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، كنيسة القديسة آنه ، القدس .
٨ ـ سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، قبر السلطان ، دمشق (اندثر) .

وانظر أيضا (Wiet G., inscriptions de Saladin (Syria, III ثم نشر العلامة أحمد زكى باشا، بعد ملحوظة فان برشم وثيقة نقشية ، وصفها بأنها الوثيقة النقشية التاسعة ، التى ترجع إلى عصرصلاح الدين ، انظر =

وتتميز النقوش الأيوبية ، بخط جميل يُطلق عليه « الخط الأيوبى » وهو بين قاعدتى الثلث والنسخ [١] ، وجد على الآثار والتحف الأيوبية ، كما وجد ايضا على المخطوطات والوثائق التى كتبت فى العصر الأيوبى ؛ كما افادت المصادر القضائية التى ألفت فى زمن الأيوبين ، أن قاعدة الخط الثلث ، كانت هى المستخدمة فى تحرير الكتب الحكمية ، أى منطوقات الأحكام القضائية [٢] ؛ ولقد صور فان برشم ، شيوع الخط النسخى على الآثار الأيوبية بمصر والشام ، على أساس حدوث صراع بينه وبين الخط الكوفى ، حتى حاز الخط النسخى الصداره ، وأصبح هو المستخدم فى الكتابات التاريخية ، وظل الخط الكوفى يستخدم على الآثار الأيوبية فى كتابة الآيات القرآنية والأدعية [٣] ؛ وبقى الخط الكوفى يستعمل إلى جانب خط النسخ على تحف كثيرة ، واستعمال كلا من الخطين معا على تحفة واحدة ، من العلامات التى تعتبر مميزة للتحفة الأيوبية [٤] ؛ ويرى البعض أن أول ظهور للخط النسخى ، كان على عملة من

Ahmed Zeki Pacha : Coupe Magique Dediee A Salah Ad-Din (Saladin), Titres Royaux, Tolerance et portrait, Bulletin de L'institut Egyptien, Cinquieme Serie - Tome, X Anee, 1916. Le Caire.

ولقد ذكر أحمد زكى باشا ، أن هذه التحفة التى هى عبارة عن آنية نحاسية ، كانت زمن الأيوبيين تعرف بطاسة الخضة ، وتستخدم لعلاج لدغة العقارب والثعابين ؛ قد استخرجها بن مجموعة الأب يوحنا شنوده أسقف الكنيسة المعلقة .

(١) انظر على بهجت : مقدمة كتاب قانون ديوان الرسائل ، طبع مصر سنة ١٩٠٥ ص ٨ .

(٢) انظر ابى ابى الدم الحموى : ت سنة ٦٤٢هـ : كتاب أدب القضاء ، وهو الدر المنظومات ، فى الأقضية والحكومات ، تحقيق محمد مصطفى الزحيلى ، دمشق ١٩٧٥ ، ص ٥٣٠ س ١١ ـ ١٢ حيث يقول : « ثم يكتب الكتاب الحكمى بقلم غليظ ، يسمى فى عرف الكتابة قلم الثلث » .

(٣) M. Van Berchem : Materiaux pour un corpus Inscriptionum Arabicarum . Egypte, I, Paris 1903, P. 85 .

(٤) راجع عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى ، المكتبة الثقافية ، عدد رقم ٣٠ ، مارس ١٩٦٣ ، ص ٢٤ ـ ص ٢٥ .

عصر الخليفة الفاطمى الآمر باحكام الله [1] .

ولقد وصلتنا النقوش الأيوبية فى صور متنوعة ، فبعضها على العمائر ، سواء الدينية أو العسكرية أو التعليمية ، وبعضها على التحف المدنية ، والبعض الآخر على التحف الخشبية ، كما وصلتنا بعض النقوش التى ترجع إلى زمن الأيوبيين على شواهد القبور . وفيما يلى قائمة بأهم النقوش الأيوبية بمصر :-

١ ـ نص تأسيسى ، مؤرخ سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، خاص ببناء القلعة بالقاهرة ، وهو يتوج أقدم أبواب هذه القلعة المعروف باسم « الباب المدرج [2] » ، وقد لُقب فيه صلاح الدين بـ « محى دولة أمير المؤمنين » .

٢ ـ لوحة تأسيسية من الرخام وُجدت بالاسكندرية ومحفوظة بمتحف الفن الإسلامى ، وكانت قد عُملت تخليدا لذكرى تشييد بعض الأبنية هناك ، وأصلها من ناحية « باب سدره » بالأسكندرية [3] .

٣ ـ نقوش على التابوت الخشبى للمشهد الحسينى المحفوظ بالمتحف الإسلامى [4] .

٤ ـ نقوش على إناء نحاس يُعرفُ بَطاسَةَ الخَضَّة مصنوع سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م محفوظ بمتحف الفن الإسلامى ، عليه الألقاب الرسمية والشرفية الكاملة لصلاح الدين [5] .

---

(١) Balog (Paul) : Apparition prematuree de l'ecriture naskhy sur un dinar de L'Imam Fatimite al Moustaly Billah. BIE, XXXI, P.181 - 185 (resume arabe P. 460), Le Cairo, 1949 .

(٢) انظر : M. Van Berchem Materiaux pour un corpus p. 81, No. 49 .

(٣) عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الايوبى ص ٢١ .

(٤) نفس المرجع ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٥) Ahmed Zecki Pacha : Coupe Magique dediee a salah ad-din, B. I. E., 1916, P. 241 - 287 .

٥ ـ نقوش على التابوت الخشبى للإمام الشافعى وهى مؤرخه سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨م [1] .

٦ ـ نقش بحصن صلاح الدين برأس الجندى فى سيناء ، مؤرخ سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م ، وهو نص تملك للحصن وليس نص تأسيسى [2] .

٧ ـ لوحة تأسيسية موجوده بمتحف الفن الإسلامى ، بمناسبة وقف الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين ، قيصرية على صوفية خانقاه سعيد السعداء ، مؤرخه سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م ، والنقش يتضمن جميع الألقاب الرسمية والشرفية لهذا السلطان الأيوبى [3] .

٨ ـ نقش على تابوت زوجة السلطان العادل بقبة الأمام الشافعى مؤرخ سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١م ، والنص يتضمن جميع الألقاب الرسمية والشرفية للسلطان العادل الأول [4] ، ويتميز هذا النقش بوضوح ظاهرة النقش على الخشب على مستويين ، وهى من أهم المظاهر المميزة

---

(١) M. Gaston wiet : Le Inscriptions Du Mausolee de Shafiei, B. I. E. Tome XV, Session 1932-1933 P. 167 - 185. (P. 172) .

(٢) Hassan Sadek : Salah El_Din's Fort on Ras El-Gindi In Sinai, B.I.E. (1920) , P. 113 - 114 , P. 116 .

(٣) انظر عبد العزيز مرزوق . المرجع السابق ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٤) انظر- Wiet : Les Inscriptions du Mausolee de Shafiei, P. 175 - 176 .

وانظر نص وقفية القيصرية على الصوفية فى عهد العزيز عثمان عند :

Jean David Weill : Catalogue general du Musee Arabe du Caire, Les Bois a Epigraphes Jusqu'a L'epoque Mamlouke, Le Caire, 1931, P 14, No. 484 .

للنقوش الخشبية الأيوبيـــة [1] .

٩ ـ نقش تأسيسي بإنشاء قبة الإمام الشافعي ، في عهد السلطان الملك الكامل محمد ، مؤرخ سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١م ، ويحتوى على جميع الألقاب الرسمية لهذا السلطان [2] .

١٠ ـ نقش تأسيسي على الواجهة الحجرية المتبقية من ضريح الأمير فخر الدين اسماعيل ابن شلب ، الواقع بالقرب من مشهد الإمام الشافعي ، مؤرخ سنه ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م ، ويحتوى على جميع الألقاب الرسمية والشرفية لهذا الأمير ، الذى كان يتولى وظيفة أمير الحج والحرمين [3] .

١١ ـ شاهد قبر مؤرخ سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م . خاص بالصوفى أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن أحمد بن طاهر بن أبى الفوارس الفارسى [4] .

١٢ ـ نقوش على مبخرة من النحاس المكفت ، تحتوى على الألقاب الرسمية، وصيغ دعائية للسلطان العادل الثانى ، ابو بكر ، ابن السلطان الكامل محمد ؛ وهذه المبخره محفوظة اليوم بمتحف الفن الاسلامى [5] .

---

(١) Pauty (Edmon) : Les BoisSculptes jusqu'a L'epoque Ayy-oubide, Catalogue general du Musee Arabe du Caire,1931.
Weill (Jean David) : Les Bois a Epigraphie jusqu'a L'epoque Mamlouke, Catalogue general du Musee Arabe du Caire, 1931. P. VII.

وانظر أيضا عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ٤٦ ـ ٥٠ .

(٢) انظر : Wiet : Les Inscriptions du Mausolee de Shafi' I.P. 178

(٣) انظر : Van Berchem : Materiaux P. 95, No. 58 .

(٤) انظر : Van Berchem : Materaux, P. 97, No. 60 .

(٥) انظر عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

١٣ ـ نقوش تأسيسية وشواهد قبور متعددة ، على مدرسة وقبة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، والنقوش التأسيسية مؤرخة سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣م، والنقوش وشواهد القبور مؤرخة سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م ، وهى تحتوى على الألقاب الرسمية والشرفية لهذا السلطان [1] .

١٤ ـ نقوش على طشت من النحاس المكفت بالفضه محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تحتوى على الألقاب الرسمية والشرفية للملك الصالح نجم الدين أيوب ، وعلى عبارات دعائية له [2] .

١٥ ـ نقش تأسيسى على قبه شجرة الدر مؤرخ سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ، وهو يحتوى على الألقاب الشرفية الخاصة بها ، وهو يؤكد فى ثلاثة أسطر كاملة إنصياع أمراء الدولة لأوامرها [3] .

---

(١) انظر : Van Berchem : Materiaux, P. 192 - 110 , No . 64, 65, 66, 67

(٢) عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق ص ٨٦ ـ ٨٧ : وانظر حصر مفصل ومرتب على السنين لجميع النقوش الزنكية والأيوبية عند :
Combe, Sanvaget, Wiet : Repertoire Chronologique Depigraphie Arabe, Le Cairo, MCM XXXVII, 9, 10, XI.
والجزء السابع يبدأ من نقوش سنة ٥٥٠ هـ . والنقوش الأيوبية تبدأ من ص ٨٧ ويبدأ النقوش الأيوبية الخاصة بمصر بنقش يعود الى سنة ٥٧٤هـ من ضريح الإمام الشافعى انظر ص ٨٩ ، ثم تعاقبى النقوش مرتبة على السنين ، مع ذكر نقوش أيوبية من حلب ودمشق .. الخ وإليك أهم هذه النقوش من عهد صلاح الدين ، وهى تضيف نقوش جديدة للنقوش الشمانية التى كان حددها من قبل فان برشم : نقش تأسيسى لأسوار القاهرة سنة ٥٧٦هـ انظر رقم ١٠٨٨ ، نقش تأسيسى لإنشاء فندق بدمشق باسم صلاح الدين سنه ٥٧٧ هـ، انظر ص ١١٥ ، نقش تأسيسى لقلعة القاهرة سنة ٥٧٩ هـ ، انظر ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، نص على طاسة الفضة النحاسية سنة ٥٨٠ هـ . ص ١٣٣ ـ ١٣٤ ، نص من عهد صلاح الدين بالاسكندرية ، انظر ص ١٥٦ .

(٣) انظر Van Berchem : Mateiaux P. III-113, No. 70.
وانظر طشت نحاسى عليه اسم السلطان الصالح نجم الدين محفوظ ببروكسل ؛ وشمعدان نحاسى عليه اسم صاحبه ومؤرخ سنة ٦٤٦هـ ، عند هيماند : الفنون الإسلامية : ترجمة أحمد محمد عيسى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣م ، ص ١٥٤ .

وهذه النقوش تمدنا بمادة أصلية من الدرجة الأولى ، عن الألقاب السلطانية والشرفية لسلاطين بنى أيوب ؛ والمنهج الأمثل عند دراسة هذه الألقاب هو مطابقة هذه الألقاب كما وردت على النقوش بالألقاب التى وردت فى الوثائق الرسمية المختلفة التى أسلفنا الحديث عنها ، وخاصة نصوص التقاليد الخليفية بالسلطنة ، لسلاطين بنى أيوب التى حفظتها لنا المصادر التاريخية والأدبية ، كما تُقَارن هذه الألقاب بالألقاب السلطانية للسلاطين الأيوبيين الواردة ، فى ديباجات الكتب الحكومية أو المُهداه إلى هؤلاء السلاطين ، وألفت على يد كبار رجال دولتهم [1] . ودراسة هذه الألقاب تفيد ولاء سلاطين بنى أيوب للخلافة العباسية وللدعوة السنية ومحاربة المذاهب المبتدعه فى الاسلام ، واحياءهم للدولة العباسية ، ونهوضهم بفريضة الجهاد فى العالم الإسلامى ، وميلهم للمذهب والتصوف ؛ وهى سمات لروح العصر الأيوبى كله ؛ كما تفيد اتساع النفوذ السياسى للدولة الأيوبية وتحدد ممتلكاتها . ويلاحظ أحمد زكى باشا ، أن صيغ ورسوم هذه النقوش أى « البروتوكلات » ، سواء الخاصة بالألقاب الرسمية او بالصيغ الدعائية ، ظهرت فى مصر منذ عصر الدولة الأيوبية واستمرت طوال

(١) انظر بعده عند تعريفنا بالمصادر القلمية ، الحديث عن المؤلفات الآتية : (قوانين الدواوين لابن ممانى ـ النوادر السلطانية لابن شداد ـ المنهج المسلوك للشيزرى ـ وكتاب محاسن الملوك لمؤلف مجهول ، وكتاب لمع القوانين المضية للنابلسى ، وكتاب إظهار صنعة الحى القيوم للنابلسى ، وكتاب تجريد سيف الهمه للنابلسى ، وكتاب العقد الفريد للملك السعيد لابن ظلحة . ولا ريب ان الألقاب السلطانية لسلاطين السلاجقة ، ثم السلطان نور الدين زنكى ، كانت هيا أصل الألقاب السلطانية لسلاطين بنى أيوب . وثمة عدة نقوش اشتملت على ألقاب نور الدين زنكى ، التى هى فى الواقع الأصل المباشر لألقاب سلاطين بنى أيوب ، انظر Sauvaget, Wiet : Repertoire Chronologique D'epigraphie Arabe Tome Neuvieme, (IX), Le Caire, MCMXXXVII, P 9-11, No. 3216, 3218, 3248 , 3268, 3269 .

العصر المماليكى [1] . كما تمدنا هذه النقوش بمعلومات عن انتشار الفقه الشافعى [2] ، والعقيدة الأشعرية [3] فى مصر الأيوبية . كما يرد ذكر بعض الخزائن السلطانية على نقوش التحف الأيوبية المنقولة [4] ، وأسماء بعض الوظائف الكبرى فى البلاط مثل وظيفة الأستادار [5] ، وألقاب بعض الوظائف الكبرى فى الدولة مثل لقب « معين الدولة » ، الذى تلقب به قراقوش [6] ، ووظيفة أمير الحج [7] . كما تؤكد أن الملك العادل كان هو ولى عهد صلاح الدين فى تاريخ بناء القلعة سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣ م [8] ، وفى هذا أهمية كبرى لدراسة نظام ولاية عهد السلطنة الايوبية ، وما أعقبها من صراع أُسرى بين الفرعين الصلاحى والعادلى من البيت الأيوبى . وأخيرا فإن هذه النقوش تفيد فى دراسة تطور الخط العربى ، ودارسة رسوم « صيغ المكاتبات » Proto-col الخاصة بديوان الإنشاء الأيوبى . كما أنها تحدد تواريخ العمائر والآثار الأيوبية ، وتوضح الغرض العسكرى أو التعليمى أو الخيرى من هذه العمائر . كما تحتوى هذه النقوش أحيانا على توقيعات لبعض الصناع والفنانين الذين نبغوا فى صناعة التحف الملكية الأيوبية .

*

أما نقوش العصر المماليكى ، فقد إحتفظت بأغلب خصائص نقوش العصر الأيوبى ؛ وجاءت الألقاب والوظائف المسجله عليها ، امتداداً وتطوراً لألقاب

(١) انظر : Ahmed Zaki Pacha : Coupe Magique, P. 258 - 280 .
(٢) انظر : Wiet : Les Inscriptions du Mausolee de shafiI, P. 179 .
(٣) انظر : Ibid : p. 170 .
(٤) عبد العزيز مرزوق : الفن الاسلامى فى العصر الايوبى ، ص ٧٣ ـ ٧٥ .
(٥) نفس المرجع ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .
(٦) انظر : Van Berchem : Materiaux, P. 81, No. 49 .
(٧) انظر : Van Berchem : Materiaux, P. 95, No. 58 .
(٨) انظر : Van Berchem : Materiaux, P. 81, No. 49 .

ووظائف العصر الأيوبى ، وخاصة ألقاب سلاطين المماليك ؛ التى إنتابها تطوراً هاماً ، بعد نقلهم لدار الخلافة الإسلامية العباسية السنية ، وللخليفة العباسى ، من بغداد إلى القاهرة ، سنة ٦٥٩هـ ، فى عهد سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى ، الذى يُعدّ المؤسس الحقيقى لدولة المماليك البحرية ؛ وذلك إثر سقوط بغداد ، عاصمة دولة الخلافة العباسية فى يد التتار بقيادة هولاكو سنة ٦٥٦هـ [1] ؛ كما زيدت فى ألقاب سلاطين المماليك ، الألقاب الدالة على إنتصارهم على التتار والصليبيين ، وإجلائهم عن ديار الإسلام ؛ والألقاب الدالة على حمايتهم وخدمتهم للحرمين الشريفين بالحجاز ، وللمسجد الأقصى بالقدس ؛ إلى جانب ألقاب فخرية أخرى ، سنعرض لبعضها ، بعد إيرادنا لأهم نقوش العصر المماليكى .

ونظراً لكثرة النقوش التى وصلت إلينا من عصر دولتى المماليك البحرية والمماليك الجراكسة ؛ سنكتفى بإيراد أكثرها دلالة على روح تاريخ مصر الإسلامية فى العصر المماليكى ؛ سواء كانت هذه النقوش على العمائر ، أو على التحف المنقولة ، المعدنية والخشبية والزجاجية وغيرها ؛ وسوف نضيف أدوات الترقيم على نصوص النقوش الأثرية ، لتسهيل قراءتهما .

فمن عصر دولة المماليك البحرية (سنة ٦٤٨ هـ ـ ٧٨٤هـ) وصلت إلينا النقوش التالية

١ ـ إبريق معدنى بمتحف اللوفر عُمل للسلطان الملك الناصر يوسف الأيوبى صاحب حلب ودمشق (٦٣٤ هـ ـ ٦٥٩هـ) ، يذكر النص المنقوش عليه ، أنه عمل بدمشق سنة ٦٥٧ هـ ، على يد أحد فناني الموصل .

(١) انظر المقريزى : الخطط ، طبع مطبعة النيل بمصر ، ١٣٢٥هـ ، ٢ : ٣٩٣ .

ويمتحف اللوفر أيضاً ، زهرية معدنية عرفت باسم زهرية بربرينى ، عليها هى الأخرى إسم السلطان الملك الناصر يوسف [1] .

٢ ـ قارورة من الزجاج المموه بالمينا ، بمتحف الفن الإسلامى ، عليها كتابة باسم الملك الناصر يوسف الأيوبى أيضاً [2] ؛ وبالمتحف أيضاً ، صينية من النحاس المكفت بالفضة ، باسمه أيضاً [3] .

٣ ـ شريط كتابى به جزء من الكتابات التاريخية تاريخها سنة ٦٦٠ ـ ٦٦٢هـ ، يعلو باب الوجهة الغربية لمدرسة السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، التى تطل على شارع بين القصرين (المعز لدين الله الآن) عند تقاطعه مع شارع بيت القاضى وتستمر الواجهة الجنوبية للمدرسة الظاهرية مسافة ١١٫٥ متر ، حتى تلتقى بحائط ضريح السلطان نجم الدين أيوب [4] . والشريط الكتابى يمثل الكتف الأيمن لبابها الأصلى ، وعليه اسم منشئها وتاريخ إنشائها . وكان لهذه المدرسة باب جميل من النحاس ، ليس له مثيل فى صنعه وحسن إتقانه وجمال زخرفه ، منقوش عليه اسم الملك الظاهر بيبرس ، وسنة ٦٦١هـ التى صنع فيها ؛ ومما يؤسف له ، أن هذا الباب مركب الآن على باب السفارة الفرنسية ، بشارع الجيزة ، تجاه حديقة الحيوان [5] .

٤ ـ أربعة نقوش تأسيسية بجامع السلطان الملك الظاهر بيبرس ، الكائن بميدان الظاهر حالياً : الأول لوحة مثبتة فوق المحراب ، ونصه : « بسم الله الرحمن

(١) حسن : الفنون الإسلامية ص ١٥٤ .

(٢) ـ (٣) انظر جاستون ڤايت : دليل موجز لمعروضات دار الآثار العربية ، ترجمة حسن زكى محمد حسن ، القاهرة ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، ص ٩٣ ـ ٩٤ ، ٩٦ ـ ٩٧ .

(٤) سعاد ماهر : مساجد مصر وأوليائها الصالحون ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٩م ، ٣ : ٣١ .

(٥) محمد رمزى : النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧ : ١٢٠ ـ ١٢١ ، الحاشية .

الرحيم ، أمَرَ بإنشاء هذا الجامع المُبَارَك ، مولانا السلطان الملك الظاهر ، ركن الدُّنيا والدين ،سلطان الإسلام والمُسلمين ، أبو الفتح بيبرس الصالحي ، قسيم أمير المؤمنين ، سنة خمس وستين وستمائة [٦٦٥هـ] » . والثاني لوحة مثبتة على المدخل الغربي للجامع ، وهو المدخل الرئيسي للجامع ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إنما يعمر مساجد الله ، من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ . أمَرَ بإنشاء هذا الجامع المبارك ، مولانا السلطان الملك الظاهر بيبرس ، ركن الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، رضا وحب ، صاحب القبلتين ، والآمر ببيعة الخليفتين * ، خادم الحرم الشريفي ، أبو الفتح بيبرس الصالحي ، قسيم أمير المؤمنين ، خلّد الله ملكه؛ وذلك بتاريخ الرابع عشر من ربيع الآخر ، سنة خمس وستين وستمائة [٦٦٥هـ] » . والثالث لوحة مثبتة على المدخل الشمالي الشرقي للجامع ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم أعزّ الإسلام وجُنده ، ونصر الأغلبيه ، أعزّ مولانا الآمر بعمل هذا الجامع المبارك ، مولانا وسيدنا ، السلطان الملك الظاهر ، ركن الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، أبو الفتح بيبرس الصالحي ، [قسيم] أمير المؤمنين ، خلّد الله ملكه ؛ وذلك بتاريخ الرابع عشر من ربيع الآخر ، سنة خمس وستين وستمائة [٦٦٥هـ] » . ويعلو هذا المدخل وهذه اللوحة ، شريط كتابي ، كتب عليه قول الله تعالى : « ﴿ يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا [الآية] ﴾ » . والرابع لوحة مثبتة على المدخل الجنوبي الغربي ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ، تقرّباً إلى الله العظيم ، وإظهاراً لقوّة الدين القويم ، مولانا وسيدنا ، السلطان الملك الظاهر ، ركن الدنيا والدين ، سلطان الإسلام

* أي الخليفة المُستنصر بالله العباسي ، ثم الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، وكلاهما بويع بمصر على التوالي .

والمسلمين ، أبو الفتح بيبرس الصالحي ، قسيم أمير المؤمنين ؛ خلد الله ملكه ... » [1] .

٥ ـ نقش على عتب الباب الرئيسي لمدرسة وقبة السلطان المنصور قلاوون بشارع المعز لدين الله (النحّاسين) ، نصّه : « أمر بإنشاء هذه القبّة الشريفة المُعظّمة، والمدرسة المباركة ، والبيمارستان المُبارك ، مولانا السلطان الأعظم ، الملك المنصور ، سيف الدنيا والدين ، قلاوون الصالحي ؛ وكان إبتداء عمارة ذلك ، في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة (٦٨٣هـ] » [2] .

٦ ـ قاعدة شمعدان من النحاس المُطبّق أو المُكفّت بالذهب والفضة ، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي ؛ تدل الكتابة المنقوشة عليه بالخط النسخي الكبير، أنّه قُدّم للحرم النبوي في المدينة المنورة في القرن الـ ٧ هـ [3] .

٧ ـ وقبة شمعدان من النحاس المُكفّت بالفضة ، محفوظة بمتحف الفن الإسلامي وقوام زخرفته كتابه دعائية تحيط بجزئه السفلي ، سيقان حروفها على هيئة أشخاص ، والنُّقَطُ على شكل رؤوس حيوانات ؛ والكتابة المنقوشة في الجزء العلوي ، باسم الأمير كتبغا ، الذي تولى سلطنة مصر سنة ٦٩٤هـ [4] . كما توجد بالمتحف أيضاً مقلمة من النحاس ، وعليها نقش : « عزّ لمولانا السلطان الملك المنصور كتبغا » [4] .

---

(١) راجع دراسة أثرية واقية لجامع الظاهر بيبرس ، مع دراسة تحليلية لنقوشه ، وما ورد بها من ألقاب السلطان الظاهر ؛ عند محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مج ٣ ، جـ١ ، ١٩٥٠م ص ٩١ ـ ١٠٢ .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١ : ١١٥ .

(٣) فايت : دليل دار الآثار ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .

(٤) ـ (٤) نفس المرجع ص ٩٩ ، لوحة ١٧ ، ١٨ .

٨ ـ نقش على المنارة الواقعة على الطرف البحرى من قبة ومدرسة السلطان المنصور قلاوون ، وهى المنارة التى أنشأها إبنه السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٠٣هـ ، على أثر سقوطها فى زلزال سنة ٧٠٢هـ ؛ وبه تاريخ التجديد ، ونَصّه : « بسم الله الرحمن الرحيم : اللّهُمّ جَدِّد الرحمة والرضوان ، على روح الملك المنصور رحمه الله . أُمِرَ بتجديد هذه المأذنة ، فى أيام ولده مولانا السلطان الملك الناصر أبو الفتح محمد ، وذلك عند ظهور الآيات المُنزَلَة ، وسقوط عاليها عند حدوث الزلزلة ، فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة [٧٠٣ هـ] من الهجرة النبوية ، على صاحبها الصلاة والسلام » [١].

٩ ـ ثلاث نقوش بالخانقاه الجاولية ، بمنطقة قلعة الكبش ، بشارع مراسينة ، الآخذ من ميدان السيدة زينب إلى موضع القلعة ؛ الأول بالباب المجاور للمنارة ونَصّه: « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إنما يَعْمُر مساجدَ الله ، من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، ولَمْ يَخْشَ إلا الله ﴾ . عُمِل هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة [٧٠٣هـ] » ؛ والثانى على عتبة الباب المُوَصِّل إلى القُبّة الكبيرة ، وقد دُفِنَ بها الأمير سلار ، ونَصّه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ كُلّ من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ . هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى ، سيف الدين سلار ، نائب السلطنة المعظمة ، الملكى الناصرى المنصورى ، المستغفر من ذنبه ، الراجى عفو ربّه ، رحم الله من دعا له بالرحمة ولجميع المسلمين ؛ عُمِلَ هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة [٧٠٣هـ] ؛ والثالث على باب القبة الثانية ، وقد دُفِنَ بها الأمير سنجر ،

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١١٦ ـ ١١٧ .

ونَصّه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ . هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى ، المستغفر من ذنبه ، الراجى عفو ربه ، سنجر الجاولى ، أستاذ الدار العالية ، الملكى الناصرى المنصورى ، رحم الله من دعا له بالرحمة ، فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة [٧٠٣هـ] » [١].

١٠ ـ نقش بواجهة خانقاة الأمير بيبرس الجاشنكير بشارع الجمالية ، التى أنشأها قبل أن يلى السلطنة ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٧٠٦هـ ، ونَصّه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ فى بيوت أذِنَ الله أن ترفع ﴾ [إلى قوله تعالى :] ﴿ بغير حساب ﴾ . أمَرَ بإنشاء هذه الخانقاه السعيدة ، وقفاً مؤبّداً على جماعة الصوفية ، من فيض فضل الله تعالى وجزيل إحسانه ، راجياً بذلك عفوه وغفرانه ، العبد الفقير إلى الله تعالى ... ركن الدين بيبرس المنصورى ، عبيد الله والفقير إليه ، الراجى رحمته يوم القدوم عليه ، ضاعَفَ اللّهُ ثوابه وزَكّى أعماله ، ويَسّرَ له أسباب ما نشط من المعروف آماله ، بمنّه وكَرَمِه وإفضاله ، وصلى الله على سيدنا محمد » [٢].

١١ ـ الرُّبْعَة العظيمة للقرآن ، المحفوظة بدار الكتب المصرية بمتحف الخط العربى ، برسم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وبها إسم كاتبها ، وتاريخ كتابتها سنة ٧١٣هـ ، وعليها وقف مؤرخ سنة ٧٢٦هـ ؛ وكانت بالخانقاه البكتمرية بالقرافة الصغرى المجاورة لحوش الملك الظاهر برقوق ؛ وهى من النفائس ، ففى كل جزء من أجزائها ، صفحتان منقوشتان بالذهب والألوان [٣].

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٢٨ .
(٢) نفس المصدر ١ : ١٣٣ ؛ محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٣٠ حاشية (٤) .
(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٩٤ هامش (١) .

١٢ ـ مشكاة من الزجاج المُمَوَّه بالمينا ؛ والرنك المرسوم عليها ، وهو عصانا لعبه الصوالجة (البولو) ؛ وها شعار الأمير « الملك » الناصر محمد بن قلاوون، الذى شيد أحد المساجد فى القاهرة سنة ٧١٩هـ [١].

١٣ ـ كرسى من نحاس ، مُطَعَّم أو مُكَفَّت بالفضه ؛ وهذه التحفة الفنية المشهورة ، عليها كتابة باسم السلطان محمد بن قلاوون ، وعليها اسم صانعها : محمد بن سنقر البغدادى ، وتاريخ صنعها سنة ٧٢٨هـ [٢].

١٤ ـ ثلاثة نقوش بمسجد الأمير أُلْمَاس ـ أُلْمَاس بالتركيه خالد ـ الحاجب بأول شارع الحلمية من جهة شارع محمد على ، ترجع إلى سنتى ٧٢٩ و ٧٣٠ هـ ؛ الأولان بباب الوجه البحرية ؛ ونص الأول : « ﴿ إنما يَعْمُرُ مساجد الله ، من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة ﴾ » ؛ ونص الثانى « أَمَرَ بإنشاء هذا المسجد المبارك ، الفقير إلى الله ، أُلْمَاس ، أمير حاج ، فى شهور سنة تسع وعشرين وسبعمائة [٧٢٩هـ] ، وكمال سنة ثلاثين [٧٣٠هـ] من الهجرة النبوية » ؛ ونص الثالث ، وهى بأعلى قبة المسجد « اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إجمع بيننا وبين الصدق والإخلاص ، والخشوع والهيبة ، والنور واليقين ، والعلم والمعرفة ، والحفظ والعصمة ، والنشاط والقوة ، والبيان والفهم فى القرآن، وأدخلنا مُدخَل صدق ، وأخرجنا مخرج صدق ، وأجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ... » [٣]. وعلّق حسن عبد الوهاب على هذا النص الأخير، بقوله: وهذا النوع من الكتابة ، غريب فى وجهة رئيسية لمسجد ، لأننا

(١) فايت : دليل دار الآثار ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، لوحة ٢٠ .
(٢) نفس المرجع ص ٩٧ ـ ٩٨ .
(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد جـ ١ ص ١٢٣ ؛ محمد رمزى : النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٩ : ٢٠٦ ، حاشية (٣) .

ألفنا أن نقرأ فى مثل هذا الموضوع آيات من القرآن ، أو تاريخ إنشاء الجامع [١].

١٥ ـ نقشان من جامع الأمير قوصون بشارع محمد على : أولهما مكتوب على الباب الباقى بشارع السروجية ، ونصه : « أَمَرَ بإنشاء هذا الجامع المبارك ، بكرم الله تعالى ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، قوصون الساقى الملكى الناصرى ؛ فى أيام مولانا السلطان الملك الناصر ، أعزّ الله أنصاره ؛ وذلك فى سنة ثلاثين وسبع مائة [٧٣٠هـ] » . وثانيهما ، نشرة فان برشم ، ونصه : « أَمَرَ بإنشاء هذا الجامع ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، السيفى قوصون الملكى الناصرى ؛ فى أيام مولانا الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، محمد بن قلاوون ، وذلك فى شهور سنة ثلاثين وسبعمائة [٧٣٠هـ] من الهجرة » [٢].

١٦ ـ ثُرَيَّا نحاسية كبيرة ، بمتحف الفن الإسلامى ، مؤرخة سنة ٧٣٠هـ ، كتب عليها صانعها بدر بن أبى العلا ، أنه أتمّها فى أربعة عشر يوماً [٣].

١٧ ـ خمسة نقوش بمسجد الطنبغا المَرْدانى ، بشارع التبّانه ، وهو إمتداد شارع الدرب الأحمر حالياً . الأول بباب الوجهة الغربية ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ محمد رسول الله والذين معه ، أشدّاء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم رُكَّعاً سُجَّداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ﴾ . أنشأ هذا الجامع المبارك ، من فضل الله وكرمه ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، الطنبغا الملكى الناصرى ؛ وذلك فى شهور سنة تسع وثلاثين وسبعمائة [٧٣٩هـ] للهجرة النبوية عليه السلام » . والثانى كتابات

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٣٣ .
(٢) نفس المرجع ١ : ١٤٠ ـ ١٤١ .
(٣) فايت : دليل الآثار ص ٥٣ .

بالخط الكوفي المُرَبَّع ، على وزره بالإيوان الشرقي ، يُقرأ عليها : « لا إله إلا الله » واسم «محمد» مكرراً ، ويتوسط بعضها دوائر ، كُتب حولها : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، اركعوا واسجدوا ، واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير ، لعلكم تُفلحون ﴾ » . واشتمل إيوان القبلة على كتابات تاريخية ، منها لوحتان في الجدار البحري ، تضمنتا اسم المنشيء وتاريخ الفراغ من إنشائه ، وهو شهر رمضان سنة ٧٤٠هـ . والكتابة الرابعة ، على يمين المنبر ، ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، الراجي عفو ربه ، الطنبغا الساقي الملكي الناصري ؛ وذلك في شهور سنة أربعين وسبعمائة [٧٤٠هـ] ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله » . والكتابة الخامسة على الباب البحري لإيوان القبلة ، ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إنما يعمر مساجد الله ، من آمن بالله واليوم الاخر ﴾ ؛ وكان الفراغ من هذا الجامع المبارك ، في شهر رمضان المعظم سنة أربعين وسبعمائة [٧٤٠هـ] » [1] .

١٨ ـ ثلاث حشوات من العاج ، بمتحف الفن الإسلامي ، منقوش عليها كتابات بارزة ، الحشوتان الصغيرتان باسم السلطان محمد ابن قلاوون سنة ٧٤١هـ ، بينما الحشوة الكبيرة باسم السلطان قايتباى سنة ٩٠٢هـ [2] ؛ وكلا السلطانين ، ممن كثُرت آثارهما ، وكثُرت نقوشهما ، سواء على العمائر الكثيرة التي أنشأها ، أو على العمائر الكثيرة التي أصلحاها وعمّراها وزادا فيها ، أو على التحف المنقولة التي صُنعت بأمرهم ورسمهم .

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٤٩ ـ ١٥١ .
(٢) قايت : دليل دار الآثار ص ٩٢ .

١٩ ـ نقش على لوح رخامي بقبة السلطان علاء الدين كوجك ، الكائنة بجانب جامع آق سنقر بشارع باب الوزير ، والنقش مؤرخ سنة ٧٤٦هـ ، ونصّه : « بسم الله الرحمن الرحيم » ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ هاذه [كذا] القبّة المباركة ، عُمرت لدفن العبد الفقير إلى الله تعالى ، مولانا السلطان السعيد الشهيد ، الملك الأشرف ، علاء الدين كجك ، وكانت وفاته في شهر جمادى الأول سنة ستة وأربعين وسبعمائة [٧٤٦ هـ] » ؛ ويحيط بهذه القبّة إفريز جصي مكتوب به آية الكرسي ، وإسم من دُفن بها وألقابه [1] .

٢٠ ـ نقش مكتوب على الباب القبلي لجامع الأمير آق سنقر بشارع باب الوزير ، نصّه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ . أمر بإنشاء هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى ، آقسنقر الناصري ، تغمّده الله برحمته ؛ وكان إبتداء عمارته ، سادس عشر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وسبعمائة [٧٤٧هـ] ؛ وكان الصلاة فيه يوم الجمعة ثالث ربيع أول سنة ثمان وأربعين وسبعمائة [٧٤٨هـ] ؛ وتوفي رحمه الله تعالى ، تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة [٧٤٨] » . وبداخل الباب القبلي لهذا الجامع قبر ، يُقرأ على لوحه مثبته عليه : « هذا قبر آق سنقر الناصري ، المعروف بجامع نور ، وكان ابتداء سادس عشر رمضان سنة سبع وأربعين وسبعمائة [٧٤٧هـ] ، والفراغ منه سنة ثمان وأربعين وسبعمائة [٧٤٨ هـ] » [2] .

٢١ ـ نقش تاريخه سنة ٧٤٨هـ على بقايا المدخل الرئيسي لقصر الأمير منجك

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٥٣ ؛ حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ، القاهرة د . ت . ص ٢٩ .
(٢) نفس المرجع ١ : ١٥٢ ـ ١٥٣ .

السلحدار بشارع سوق السلاح ، ومكتوب حول القبو المغطى للمدخل إسم المنشئ وألقابه ورنكه أى رمزه (السيف) [1] .

٢٢ ـ نقش مؤرخ سنة ٧٥٠ هـ ، بجامع الأمير شيخو الناصرى ، بشارع شيخو بالصليبية ، يفيد الفراغ من هذا الجامع فى هذا التاريخ فى شهر رمضان ؛ وإن رجّح حسن عبد الوهاب ، أن البدء فى عمارته كان عام ٧٤٨ هـ ، فى آخر دولة الملك المظفر ؛ ويعزّز هذا الرأى عنده ، وجود اسم السلطان المظفر ، على شباك من النحاس المكفّت بالذهب والفضه[2] .

٢٣ ـ ثلاثة نقوش بمدرسة الأمير صرغتمش ، بشارع الخضيرى ، لصق الزيادة الغربية للجامع الطولونى . فمكتوب على جانبى الباب العمومى بالوجهه الغربية : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة ، المقرّ الأشرف ، العالى المولوى العالمى العادلى الفاضلى السيفى ، صرغتمش ، رأس نوبة الملكى الناصرى ، مربّى العلماء ، مقوّى الضعفاء ، بانى المدارس والمساجد ؛ فى ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وسبعمائة [٧٥٧هـ] » . وعلى جانبى المحراب ، بقايا وزره مكوّنه من ألواح رخامية ، منها اثنان تتوسطهما بخارية بها رنكه ، ومكتوب برءوسها : « مما عمل برسم المقر العالى السيفى الملكى الناصرى ، صرغتمش ، أسبغ الله ظلاله » . ووجد على هذه الوزرة دوائر منقوشه ، وأخرى مكتوب عليها : « عزّ لمولانا السلطان ، الملك المظفر العالم » [3] .

٢٤ ـ ثلاثة نقوش بمدرسة السلطان حسن بميدان صلاح الدين بحى القلعة . الأول فى الإيوان ، ونصه : « كان الفراغ من هذه القبه المباركة ، فى

(١) جامع السلطان حسن وما حوله ، المكتبة الثقافية ٥٦ ، القاهرة ، ١٩٦٢م ص٥٧ .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد : ١٥٦ ـ ١٥٩ .

(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٦١ ـ ١٦٣ ؛ وراجع حسن سيد جودة القصاص : المدرسة الصرغتمشية ، رسالة ماجستير ، أجيزت من كلية الآثار بجامعة القاهرة سنة ١٩٧٥م .

شهور سنة أربع وستين وسبعمائه [٧٦٤ هـ] » . والثانى فى المدرسة المالكية ، عبارة عن طراز جصى ، مكتوب بالخط الكوفى ، نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الذين إن مكّناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور ﴾ اللهم أكثر الخير ، وأتبع العطا ؛ نسالك وأنت خير مسؤل ، دوّام دولة من أسس هذا الخير وأصّله ، مولانا السلطان الأعظم ، لما ..... والمساكين ... ... بته ... ... فى عقبه ... » . والثالث فى المدرسة الحنفية ، عبارة عن طراز جصى ، مكتوب عليه ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنّ المتقين فى جنات وعيون ، إدخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما فى صدروهم ﴾ [الآية إلى قوله تعالى :] ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ . اللهم يادائم لايفنا ، يا من نعمة لا تحصا ؛ أدم العزّة والتّمكين ، والنصر والفتح المبين ، ببقاء من أيدت به الإسلام والمسلمين وأحييت ... ... حسن ابن مولانا السلطان ... ... عنه ، على ما ولّيته ؛ وخلده فى ذريته ؛ كتبه تحمو دولته . وشاد عمارته محمد ابن بيليك المحسنى ؛ ويقول حسن عبد الوهاب ، معلقاً على هذا النقش : وكتبه تحمو (أى أن هذه الأدعية مكتوبة لحماية دولته) ؛ وقد كتب تحمو بدلاً من تحمى ، ومثل هذا الخطأ وقع فى نفس الكتابه ، فقد كتب « يا دائم لايفنا ، يا من نعمه لا تحصا » بالألف بدل الياء . والمعروف أن السلطان حسنا ، حينما شرع فى عمارة مدرسته أشرف عليها مهندسين ومشدين (ملاحظى عمارة) ؛ فإذا وجدنا إسم ابن بيليك بجانب اسم السلطان ، فلاشك أنه لأكبر مهندس فيهم » [1] .

(١) وراجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٧٢ ـ ١٧٩ ؛ جامع السلطان حسن وما حوله ص٨ ـ ٢٤ ؛ توقيعات الصناع على الآثار الإسلامية ؛ القاهرة ١٩٥٧م ؛ نقوش أخرى بهذه المدرسة، منها أربعة نقوش تأسيسية على مداخل المدارس الأربعة المحيطة بالصحن بتاريخ سنة ٧٦٤هـ ، باسم وألقاب السلطان الناصر حسن ، وبالمدخل حنيتان ، بعلوهما تربيعتان ، كتب على إحداهما بالكوفى المربع « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وعلى الأخرى « أبو بكر . عمر . عثمان . على » .

٢٥ ـ إناء من النحاس ذو غطاء مخروطى الشكل ، ومحيط ببدنه كتابه بإسم السلطان حسن سنة ٧٦٣ هـ [١] .

٢٦ ـ مقلمة من نحاس مطبق بالذهب والفضة ؛ وهى من أبدع التحف الفنية وأدقها زخرفة ، وهى بإسم الملك المنصور محمد بن حاجى بن الناصر محمد ، سنة ٧٦٥ هـ [٢] .

٢٧ ـ سبعة نقوش بمدرسة أم السلطان شعبان (السيدة خوند بركة) بشارع باب الوزير تختار منها خمسة . فالباب العام ، تحيطه كتابه كوفية ، إشتملت على آية الكرسى . ومكتوب على جانبى هذا الباب : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والذين إن مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة ـ الآيه﴾ أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة ، لوالدته ، مولانا السلطان ، الملك الأشرف ، شعبان بن المنصور حسين ؛ سلطان الإسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، محيى العدل فى العالمين مظهر الحق بالبراهين ، حامى حوذة الدين ؛ عز نصره » . يعلوه سطر آخر ، تحت رجل المقرنص ، مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم ﴾ أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركه ، لوالدته ، مولانا السلطان ، المالك الملك ، الأشرف شعبان ، ابن المرحوم حسين؛ سلطان الإسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، محيى العدل فى العالمين ، مظهر الحق بالبراهين ، حامى حوذة الدين ، سيد الملوك والسلاطين ، قسيم أمير المؤمنين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، كنز الغزاه والمجاهدين ؛ منصف المظلومين من الظالمين ، ذخر الأرامل والمحتاجين ؛

(١) قايت : دليل دار الآثار ص ٩٨ .
(٢) نفس المرجع ص ٩٨ ـ ٩٩ ، ولوحه ٧ .

صاحب الديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والحصون الإسماعيلية ، والثغور الإسكندريه ، والقلاع الساحلية ، والأقطار الحجازية ، والأعمال الفراتية ؛ ناصر الملة المحمدية ؛ أعز الله أنصاره . وذلك فى شهور سنة سبعين وسبعمائة للهجرة النبوية [٧٧٠ هـ] ؛ وصلى الله على سيدنا محمد وآله » . وعلى الطرقة التى أمام قبة أم السلطان ، لوحة رخامية مثمنة ، مكتوب عليها : « الحمد لله . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة ، مولانا السلطان الملك الأشرف ، أعز الله أنصاره ، لوالدته ؛ تقبل الله منهما ؛ فمن أبطل شيئاً منها ، أو من أوقافها ، كان رسول ﷺ خصمه يوم القيامة؛ ﴿ فمن بدله ، بعد ما سمعه ، فإنما إثمه على الذين يبدلونه ، إنّ اللهّ سميع عليم ﴾ ويتوسط القبة البحرية للمدرسة ، التى أعدت لدفن السيده خوند بركه ، وقد دفنت معها إبنتها خوند زهرة ، قبر مكتوب عليه: « هذا ضريح ريحانه الجنة ؛ الست المرحومة ، الدرة المكنونة ، ست الستات ، زين الخواتين ، الست زهرة إبنة المقام المرحوم الأمجد ، سيدى حسين ، ولد المقام الشهيد المرحوم الملك الناصر ؛ كريمة سيدنا ومولانا ، المقام الشريف، المالك الملك الأشرف ، ناصر الدنيا والدين ، شعبان بن حسين ، توفيت فى يوم الأثنين ثامن عشرين جمادى الآخر سنة أحد وسبعين وسبعمائه [٧٧١ هـ]». وقد علق حسن عبد الوهاب على هذا النقش الأخير بقوله : ونلحظ فى هذا النص ، أنه عبر عن الشقيقه بكريمة ؛ وهذا له نظير فى مدرسة تتر الحجازية ، ابنة الناصر محمد ابن قلاوون ؛ فقد ورد فيه : « كريمة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، وهى شقيقته » ؛ وهو تعبير صحيح يغاير الشائع بيننا الآن [١] .

٢٨ ـ أربعة نقوش بمدرسة الأمير الجاى اليوسفى ، بشارع سوق السلاح من

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٣ ـ ١٨٦ ؛ وراجع حول هذا الموضوع أحمد عبد الرازق : العلاقات الأسرية فى المصطلاح المملوكى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية مج ٢٣ ، ١٩٧٦م ، ص ١٥٥ ـ ١٨١ .

ناحية ميدان صلاح الدين . الأول على جانبى الباب الرئيسى ، الذى عليه رنك المنشئ [كأس] ، ونصّه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ [الآية ، إلى قوله تعالى :] ﴿ المهتدين ﴾ ، صدق الله العظيم ، وصدق رسوله الكريم . أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة ، المقر الأشرف : العالى المولوى الأميرى السيفى ، الجاى ، أتابك العساكر المنصورة ، الملكى الأشرفى ، عز نصره ، بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبع مائه » . ويعلو الباب لوح رخامى مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة ، المقر الأشرف ، ألجاى أتابك العساكر المنصورة ، الملكى الأشرفى ، غفر الله له ولجميع المسلمين ، بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبعمائه [٧٧٤ هـ] . » ومكتوب على باب المنبر المجاور للمحراب : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ ، وكان الفراغ فى شهور سنة أربع وسبعين وسبعمائة [٧٧٤ هـ] » . وبالقبه التى دفن بها المنشى ، هذا النقش الذى فقد بعضه : « ... ﴿ تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ، جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ويجعل لك قصورا ﴾ ... أتابك العساكر المنصورة الأشرفى ، ختم الله بالصالحات أعماله » [1] ، وعلق حسن عبد الوهاب على النقوش التأسيسيه لهذه المدرسة بقوله : تضمنت النقوش التاريخية المكتوبه على جانبى الباب وفوقه : « أمر بإنشاء الجامع والمدرسة سنة ٧٧٤هـ وهو ما يعزز أن المدرسة هى الجامع ، من حيث أداء رسالتها الدينيه [2] » .

*

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٩ ـ ١٩١ .

(٢) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٥٨ .

أما أهم النقوش التى وصلت إلينا من عصر دولة المماليك الجراكسة (حكمت من سنة ٧٨٤ هـ إلى ٩٢٣ هـ) فهى كالآتى :

١ ـ نقش بقبة مدرسه وخانقاه السلطان الظاهر برقوق (حكم من ٧٨٤ هـ ـ ٨٠١ هـ) بشارع المعز لدين الله (بين القصرين) ، تاريخه سنة ٧٨٨هـ ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ، جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ويجعل لك قصوراً ﴾ ، أمر بإنشاء هذه القبة المباركة ، والمدفن المبارك ، والمدرسة المباركة، والخانقاه ، مولانا السلطان ، المالك الملك ، الظاهر ، سيف الدنيا والدين ، ابو سعيد برقوق ؛ العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، المؤيد ، الغازى ، الحاكم بأمر الله، والتالى لكتاب الله ؛ سلطان الإسلام والمسلمين ، نصرة الغزاه والمجاهدين ، حامى حوذة الدين ؛ ذخر الأيتام والمساكين ، صاحب الصدقات والمعروف، و المغيث لكل مظلوم وملهوف ؛ أدام الله أيامه ، وأعز أحكامه ، وختم بالصالحات أعماله ؛ يارب العالمين ؛ وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائه [٧٨٨ هـ] » . [1] .

٢ ـ مشكاه مصنوعة من الزجاج المموه بالمينا ، باسم السلطان الظاهر برقوق ، بمتحف الفن الإسلامى [2] .

٣ ـ عدة نقوش تأسيسية وكتابات تاريخية ، ونقوش إشتملت على آيات قرآنية بخانقاه السلطان فرج بن برقوق(حكم من ٨٠١ ـ ٨١٥ هـ) التى أنشئت بين سنتى ٨٠٢ و ٨١٣ هـ ، والكائنه بالقرافة الشرقيه ، المعروفه بصحراء قايتباى ، والممتده من قلعه الجبل حتى العباسيه ، بمحاذاة شارع صلاح سالم . وقد أرّخ تاريخ البدء فى عمارتها ، وتاريخ الإنتهاء منها ،

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١ : ١٩٧ .

(٢) أنظر جاستون الآثار العربية ص ٨٨ ـ ٩٠ ، وقد صور هذه المشكاه فى اللوحات الملحقة بكتابة الآثار الإسلامية الأستاذ حسن عبد الوهاب .

إعتماداً على هذه النقوش ، التى اشتملت على ألقاب السلطان برقوق وابنه السلطان فرج [1] .

٤ ـ نقش بالمدرسة الباسطية بسكة الخرنفش ، بحى الجماليه ، وهى امتداد شارع الشعرانى من ناحية ميدان باب الشعرية ؛ وهو مؤرخ سنة ٨٢٣هـ، ونصه « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنما يعمر مساجد الله ، من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ [الآية إلى قوله تعالى :] ﴿ المهتدين ﴾ . أنشاء هذه المدرسة المباركة ، مما أنعم الله تعالى على الفقير إلى رحمه ربه القدير ، عبد الباسط ابن خليل الشافعى ؛ ناظر الكسوة الشريفة ، والخزانة السلطانية المؤيديه ابو النصر شيخ خلد الله ملكه ؛ تقبلها الله تعالى ، وجعلها خالصة لوجهه الكريم . وكان إبتداء عمارتها، فى شهر جمادى الأول سنة ثلاثة وعشرين وثمانمائه [٨١٣ هـ] ، وآخرها فى شهر جمادى الأول سنة ثلاثة عشر وثمانمائه [٨٢٣ هـ] » واحتوى باب السبيل الملحق بهذه المدرسة على سقف نادر ، كتب بإزاره قوله تعالى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » [2] .

٥ ـ ثلاثة نقوش بمسجد السلطان المؤيد شيخ (حكم من ٨١٥ ـ ٨٢٤ هـ) ، والمنشأ سنة ٨١٩ والكائن داخل باب زويله وملاصق له ، بشارع المعز لدين الله (السكرية) . أولها على إفريز يحيط الشبابيك الجصية التى تعلو الإيوان الشرقى ، مكتوب بالخط النسخى المملوكى ، بحروف مذهبة ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة

(١) راجع حسن عبد الوهاب : خانقاه فرج بن برقوق وما حولها ، مستخرج من كتاب المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية ، المنعقد فى مدينة فاس فى المدة من ٨ـ١٨ نوفمبر ١٩٥٩م، ص ٢٨٣ـ٣٠٥+٣٠ لوحة ، طبع القاهرة ، ١٩٦١م، مطابع جريدة الصباح، ص١ – ٢ + ٣٠ لوحة ؛ الآثار الإسلامية بمصر ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ؛ محمود رمزى : النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٩ : ١٨٥ حاشية (٣) ، و ٧ : ٢٦١ حاشية (٤) .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

وأولوا العلم ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [إلى قوله تعالى] ﴿ فإن حاجوك ، فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ﴾ . صدق الله العظيم ، ورسوله محمد . بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إنما يعمر مساجد الله ، من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ [إلى قوله تعالى :] ﴿ يا أيها الذين آمنوا، إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وإن خفتم عيلة ، فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء الله ، إن الله عليم حكيم ﴾ صدق الله العظيم ، وصدق رسوله الكريم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . أنشأ هذا الجامع المبارك ، المعمور بذكر الله تعالى ؛ سيدنا ومولانا ، ومالك رقابنا ؛ السلطان الأعظم ، المالك الملك المؤيد ، ابو النصر شيخ ؛ سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ، قاتل الكفرة والمشركين ، مظهر الحق بالبراهين ، منصف المظلومين من الظالمين ، كهف الفقراء والمساكين ، ذخر الأيتام والمنقطعين، حامى حوذة الدين ، قسيم أمير المؤمنين ، صاحب العلمين ، خادم الحرمين الشريفين ، ملك العرب والعجم ، والترك والديلم » . وثانيها على إفريز آخر ، يحيط أيضاً بالشبابيك الجصية التى تعلو الإيوان الشرقى ، مكتوب فيه بالخط الكوفى ، بحروف سوداء على أرضية مذهبة آيات من القرآن ، منها قوله تعالى : « ﴿ لله ما فى السموات وما فى الأرض ، وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه ، يحاسبكم به الله ﴾ » . وثالثها على المنبر المجاور للمحراب ، ونصه « أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك ، سيدنا ومولانا، السلطان المالك الملك المؤيد ، ابو النصر شيخ، أدام الله أيامه » [1] .

٦ ـ نقش بالمدرسة الفخرية (مسجد البنات) المنشأة سنة ٨٢١ هـ الواقعة بشارع بور سعيد (الخليج المصرى) بالقرب من محكمة الاستئناف ، فى الجزء

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢١٢ . ولقد نقش مهندس جامع المؤيد اسمه (محمد بن القزاز) على إحد مئذنتى الجامع الجملتين ، المرتكزتين على برجى باب زويله الفاطمى ؛ راجع حسن عبد الوهاب : توقيعات الصناع ؛ إبراهيم شبوح : من روائع العمارة بالقاهرة المملوكة ، جامع الملك المؤيد ٨١٨ ـ ٨٢٢ هـ ، ألفية القاهرة ١٩٦٩م، ص ٨ .

الواقع بينها وبين شارع الأزهر ؛ وهو بسقف حجرة قبر المنشئ الأمير فخر الدين عبد الغنى بن عبد الرازق وقبر إبنه ، وقد إحتوى هذا السقف على رنوك ، وكتابه نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا قبر أمير حاج ابن محمد بن عبد الغنى بن ابى الفرج ؛ أوقفه على نفسه وعلى أولاده ووالدتهم سورباى ، تغمدهم الله برحمته ؛ لا أعان الله من تكلم فى بيعه أو باعه ، بتاريخ عشرة جمادى الأول سنة تسع وتسعين وثمانمائة [٨٩٩ هـ] من الهجرة النبوية ، أحسن الله عاقبتها » [1] .

٧ ـ نقشان بمسجد جانى بك الأشرفى بشارع المغربلين بحى الدرب الأحمر ؛ الأول على تربيعه بباب المسجد ، مكتوب عليها بالكوفى المربع : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .وعلق حسن عبد الوهاب على هذا النقش بقوله : وظاهرة الكتابه الكوفيه المربعه فى مثل هذا الموضع ، ألفنا رؤيتها فى مساجد هذه الفترة ، إذ نراها فى مساجد : المؤيد ، وكافور الزمام ، والجمالى يوسف ، وفيروز الساقى » [2] والنقش الثانى ، على جانبى مدخل المسجد ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ، ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنه التى كنتم توعدون ﴾ . صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ، المقر الأشرف ، السيفى ، جانى بك الدوادار ، الملكى الأشرفى عز نصره ، بتاريخ شهور سنة ثلاثين وثمانمائه [٨٣٠ هـ] » . ولقد افاد حسن عبدالوهاب ، أن تصميم هذا المسجد فى الداخل ، هو تصميم المدرسه* بينما كتابتها التاريخيه تنص على أنها جامع ، فى الوقت الذى يقول عنها السخاوى فى كتابه تحفه الأحباب فى المزورات أنها مدرسه وبها صوفيه ، ويعبر عنها المقريزى فى الخطط بخانقاه ؛ وان فان برشم فى كتابه عن النقوش العربيه علق على ذلك وقال : إن تسميه هذه المدرسة جامعاً فى كتابه تاريخيه من التطورات المهمه فى أسماء المبانى الدينيه ؛ ثم عقب

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢١٦ .

(٢) نفس المرجع ١ : ٢١٨ ـ ٢٢٠ .

* عن الفرق بين تخطيط وتصميم كل من المدرسة والمسجد راجع نفس المرجع ١ : ١٤ .

حسن عبد الوهاب قائلاً : والمرجح أن هذه الأسماء كانت ترجع إلى وظيفة البناء ، لا إلى البناء نفسه ، فكأن مدلولها الغرض الذى أقيم من أجله ، لا لطراز بنائه [1] .

٨ ـ عشرة نقوش بمدرسة السلطان الأشرف برسباى (حكم من ٨٢٥ ـ ٨٤١هـ) بشارع المعز لدين الله بعد تقاطعه مع شارع الموسكى ، وقبل تقاطعه مع شارع الأزهر (الأشرفية) . وهى : النص التاريخى للوجهة ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ [الآية إلى قوله تعالى :] ﴿ نصراً عزيزاً ﴾ صدق الله العظيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة ، سيدنا ومولانا ، السلطان المالك الملك ، الأشرف أبو النصر برسباى ؛ خلد الله ملكه ، بمحمد وآله يا رب العالمين ؛ وذلك بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى ، عبد الباسط ، ناظر الجيوش المنصورية ، غفر الله له وللمسلمين ؛ فى مدّة أولها شهر شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائه [٨٢٦ هـ] ، وآخرها سلخ جمادى الأول سنة سبع وعشرين وثمانمائه [٨٢٧ هـ] » . وكتب على جانبى الباب العمومى « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ صدق الله العظيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة ، مولانا السلطان ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، محيى العدل فى العالمين ، قسيم أمير المؤمنين ، خادم الحرمين الشريفين ، المالك الملك الأشرف ، خلد الله ملكه » . ويعلو عتب الباب دائرتان مكتوب عليهما : « عز لمولانا السلطان الملك الأشرف » . وينتهى طرف الوجهة الشرقية للمدرسة ، بسبيل يعلوه كتاب ، مكتوب عليه : « أمر بإنشاء هذا المكان المبارك ، إبتغاءً لوجه الله تعالى ، وطلباً لرضوانه ؛ سيدنا ومولانا ، السلطان المالك الملك ، الأشرف أبو النصر برسباى ، خلد الله ملكه » . وبإحدى أسقف حجرة السبيل ، حجاب من

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢١٨ ـ ٢٢٠ .

الخشب الخرط ، مكتوب عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ﴾ [إلى قوله تعالى] ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً ﴾ » ومكتوب بدائرة صحن المدرسة : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ، ويذكر فيها إسمه ﴾ [إلى قوله تعالى] ﴿ ولله ملك السموات والأرض ، وإلى الله المصير ﴾ . صدق الله العظيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة ، مولانا السلطان ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، منصف المظلومين من الظالمين ، خادم الحرمين الشريفيين ، الملك الأشرف، خلد الله ملكه » . إحتفظ الإيوان بسقفه ، ومكتوب بإزاره آية الكرسي . ويحيط بجدار الإيوانين الشرقي والغربي ، سطر مكتوب فيه بيان الأعيان التي وقفها الأشرف برسباى على هذه المدرسة وغيرها من منشآته ، وأوجه الصرف عليها ؛ وقد أوضح حكمة كتابتها بهذه الطريقة في أولها بقوله : « أمر بكتابة هذا السطر المبارك ، مولانا المقام الشريف ، السلطان الملك الأشرف برسباى ، خلد الله ملكه ، تذكرة لمن يلي نظر هذه المدرسه المباركة، وإصانت الجهات الموقوفه عليها وعلى ذريته وغير ذلك ؛ على ما يشهد به كتاب الوقف المبرور » . ومكتوب على باب المنبر ، الموضوع إلى جانب المحراب : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة ، سيدنا ومولانا ، السلطان الملك الأشرف، عز نصره » . وعلى مدخل قبة المدرسة ، حجاب من الخشب الخرط ، مكتوب عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار ، وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ . وكتب على قبر ضريح زوجة الملك الأشرف وأم ولده، المدفونه تحت هذه القبة : « هذا ضريح المرحومة فاطمة ، بجهة المقام الشريف الأشرف » [1] .

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٢١ ـ ٢٢٤ .

٩ ـ خمسة نقوش يرجع تاريخها إلى سنة ٨٣٥ هـ ، بخانقاه السلطان الأشرف برسباى بالقرافة الشرقية المعروفة بصحراء قايتباى ، الممتدة من قلعة الجبل وحتى العباسيه ، بمحاذاة شارع صلاح سالم . أولها نقش مكتوب على الألواح الرخامية التي ثبتت على واجهة الخانقاة ، كتب فيه السلطان الأشرف برسباى نص حجة وقفيته ، نقشاً على المنشأة ، وأرخت هذه الألواح بتاريخ سنة ٨٣٤ هـ . والباب العمومى مكتوب عليه « بسم الله الرحمن الرحيم، أنشأ هذه الخانقاه ، المقام الشريف ، مولانا السلطان ، الملك الأشرف ، سلطان الإسلام والمسلمين ، أبو النصر برسباى ، عز نصره ؛ وكان الفراغ من ذلك في شهر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وثمانمائه [٨٣٥ هـ] » . يتلو عتب هذا الباب ، سطر آخر مكتوب فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إنما يعمر مساجد الله ﴾ [الآية] » يكتنفه دائرتان بها : « السلطان الملك الأشرف برسباى ؛ عز نصره» . وقبة هذه الخانقاه من القباب الكبيرة ، ونقوش هذه القبة تعتبر الخطوة الثانية بعد قبتى خانقاه فرج بن برقوق ، في سبل ترقية زخارف القباب الإسلامية ، ومكتوب برقبتها من الخارج : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم [الآية] ﴾ ثم إسم السلطان الأشرف برسباى وألقابه» [1].

١٠ ـ نقشان بمسجد السلطان الأشرف برسباى ، ببلدة الخانكاه ، التابعة لمركز شبين القناطر ، بمحافظة القليوبية ، والواقعة على خط سكة حديد القاهرة؛ فمكتوب على جانبى الباب العمومى ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ [إلى قوله تعالى :] ﴿ المهتدين ﴾ . أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ، سيدنا السلطان الملك الأشرف ، ابو النصر برسباى عز نصره » . ويعلو الباب عتب رخامى ،

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٢٥ ـ ٢٢٧ .

يوجد به دائرتان ، مكتوب عليهما «عز لمولانا السلطان الملك الأشرف ، أبو النصر برسباى ، عز نصره » . يعلوهما سطر مكتوب فيه تاريخ الفراغ من البناء بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ فى بيوت إذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ [إلى قوله تعالى] ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ صدق الله العظيم ؛ وكان الفراغ فى مستهل جمادى الأولى سنة أحد وأربعين وثمانمائة [٨٤١ هـ] من الهجرة النبوية » [١] .

١١ ـ ثريا من البرونز ، بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، تتكون من ثلاث طبقات ، والطبقة الوسطى فيها ، منقوش عليهما كتابة ، يمكن تأريخها بسنة ٨٢٦هـ ؛ أى من عصر السلطان الأشرف برسباى [٢] .

١٢ ـ أكثر من عشرة نقوش ، ترجع إلى عصر السلطان الظاهر جقمق (حكم من ٨٤٢ هـ ـ ٨٥٧ هـ) موجودة بالمساجد الثلاثة التى أنشأها الأمير زين الدين يحى ، استادار السلطان جقمق ، والباقية إلى الآن ؛ المسجد الأول الكائن عند تلاقى شارع الأزهر بشارع الخليج المصرى (بور سعيد حالياً) المُنشأ سنة ٨٤٨هـ ؛ والمسجد الثانى الكائن بساحل بولاق ، والمنشأ سنة ٨٥٢هـ ؛ والمسجد الثالث الكائن بشارع الحبانية بحى الدرب الأحمر والمنشأ سنة ٨٥٦هـ ؛ وهى إما على الواجهات ، أو على الأبواب الرئيسية وجوانبها ، أو فى طرق المداخل ، أو تحت مقرنصات أرجل إيوانات الصحن، أو على المنابر ، أو على المحاريب أو على كرسى المصحف ، أو على الألواح الرخامية المثبته على قبر المُنشئ ؛ ونختار منها النقوش التالية : نقش بمسجده بشارع الأزهر ، مكتوب تحت مقرنص أرجل الإيوانات الأربعة للصحن المكشوف ، وتضمن إسم المنشئ وألقابه ، وتاريخ العمارة بما نصّه « أمر

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٣١ ـ ٢٣٢ .
(٢) فايت : دليل دار الآثار ص ٦٠ .

بإنشاء هذا الجامع المبارك ، مولانا المقر الأشرف ، الكريم العالى المولوى الأميرى الكبيرى الأجلى المحامى المخدومى السيدى السندى المالكى الزخرى العضدى النظامى الهمامى المشيرى السفيرى ، الزينى أبو زكريا يحى ، أمير أستادار العالية ... ؛ وكان الإبتداء فى ... [خمسين] وثمانمائة [٨٥٠هـ] ، والفراغ منه فى ثان شعبان المكرم سنه تاريخه ؛ عمرها [الله] بذكره » [١] ونقشات بمسجده ببولاق ، أولها أعلى الباب القبلى، ونصه: « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ، ابتغاء لوجه تعالى ، المقر الأشرف الكريم العالى ، الزينى ، استاذ دار العالية ، الملكى الظاهر ، عز نصره » . والثانى بتجويف المحراب الذى يتوسط الإيوان الشرقى ، ونصه « أنشأ هذا الجامع المبارك ، فى صحائف مولانا السلطان الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق، عز نصره ، فقير رحمه ربه ، أبو زكريا يحيى الشافعى، عامله الله بلطفه الخفى » [٢] . ونقشان بمسجده بالحبانية ؛ فمكتوب بالتجويفه العليا للمحراب ، قوله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ يا أيها الذين أمنوا ، اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ [إلى قوله تعالى :] ﴿ هو سمّاكم المسلمين من قبل ﴾ » . ومكتوب بتجويفته الوسطى ، ما نصّه : « أنشأ هذا الجامع المبارك ، فى صحائف مولانا السلطان الملك الظاهر محمد أبو سعيد ، عز نصره ؛ فقير رحمه ربه يحى ، عامله الله بلطفه الخفى ، بمحمد وآله » [٣] .

١٣ ـ نقشان بمسجد السيده فاطمه شقرا ، بشارع أحمد ماهر (تحت الربع) ، المنشأ سنة ٨٧٣هـ ؛ فمكتوب على جانبى بابه العمومى ما نصّه « بسم الله الرحمن الرحيم ... ، الست المصونة فاطمه شقرا ... ، بتاريخ شهر

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٣٦ .
(٢) نفس المرجع ١ : ٢٤٠ .
(٣) نفس المرجع ١ : ٢٤٠ .

جمادى الآخر من سنة ثلاث وسبعين وثمانمائه [٨٧٣هـ] ؛ ويعلو المحراب مستطيلان ، كتب فيهما : ﴿ وما النصر إلا من عند الله . إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ [١] .

١٤ ـ عدد كبير ووفير من النقوش ، يرجع إلى عصر السلطان الأشرف قايتباى (حكم من ٨٧٢ ـ ٩٠١ هـ) ، الذى عنى بالعمارة الإسلامية ، وله فيها آثار كثيرة بمصر والشام والحجاز بعض هذه النقوش على منشآته الشخصية ، مثل مدرسته وسبيله ومدفنه وربعه ومقعده بالقرافة الشرقيه المعروفة بصحراء قايتباى ، ومسجده بجزيرة الروضة ، وقلعتيه بالأسكندرية ورشيد؛ وبعضها على التحف المعدنية المنقولة التى كانت بقصوره ومنشآته المعمارية ، أو التى أهداها وأوقفها على المسجد النبوى بالمدينة المنوره ؛ وبعضها على المنشآت المعمارية التى جددها فى عصره ، مثل قناطر القليوبية الى أنشئت فى عهد السلطان الظاهر بيبرس، ومثل قناطر مياه فم الخليج التى أنشئت فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ هـ ، الذى أنشأ أربع سواق على النيل تنقل الماء إلى السور على قناطر اتصلت بسور صلاح الدين ومنه إلى القلعه ؛ وبعضها على المنشآت المعمارية التى أنشأها امراء دولته ، مثل الأمير يشبك بن مهدى ، الذى تولى دولة قايتباى وظائف الدواداريه والوزاره والأستاداريه ، ومثل الأمير قجماس الإسحاقى ، الذى تولى فى له وظيفة أمير آخور كبير ، ومثل الأمير قانيباى الرماح الذى تولى له وظيفة أمير آخور أيضاً ، ويعقوب شاه الذى تولى له وظيفة المهمندار .

فلدينا نقوش تاريخية تأسيسية ، ونقوش دعائية ، وأخرى إحتوت على آيات قرآنية ، بمسجد السلطان قايتباى بالقرافه الشرقية ، المنشأ سنة ٨٧٩هـ ، وورد

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٤٨ .

فى هذه النقوش اسم قايتباى ، وألقابه الرسمية [١] ؛ وما زال إسم قايتباى منقوشاً على قنطره من قناطر المياه التى ترفع المياه من فم الخليج إلى القلعة عند قرافه السيدة نفيسة ، إذ جددها سنة ٨٨٥هـ [٢] ؛ ونختار من مدرسة الأمير قجماس الإسحاقى بشارع الدرب الأحمر ، التى أنشئت سنة ٨٨٦ هـ ، نقشاً مكتوباً بدائر الصحن الأوسط، نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . أمر بإنشاء هذا الجامع السعيد المبارك ؛ من فضل الله تعالى ، وجزيل عطائه العميم ؛ على مولانا المقر الأشرف ، الكريم ، العالى المولوى الأميرى الكبيرى السيدى السندى المالكى الخدومى ، المجاهدى المرابطى المؤيدى المنصورى الوزعى المتورعى الزاهدى العابدى الصائمى القائمى الراكعى الساجدى ، السيفى ، قجماس ، أمير آخور كبير ، المالكى الملكى الأشرفى ، أعز الله أنصاره بمحمد وآله ، فى أيام مولانا السلطان ، الملك الأشرف ، أبو النصر قايتباى ، عز نصره . وكان الفراغ من هذا المكان المبارك ، فى شهر رمضان المعظم قدره ، سنة خمس وثمانين وثمان مائة [٨٨٥هـ] » [٣] .

ولقد أوقف السلطان قايتباى مجموعة كبيرة من المشكاوات والشمعدانات ، لوضعها بالحجرة النبويه بالمسجد النبوى بالمدينة المنوره ، وأمر أن يُكتب عليها « عز لمولانا السلطان الملك العادل المجاهد ، سلطان الإسلام والمسلمين ، الأشرف أبو النصر قايتباى ؛ هذا ما أوقف على الحجرة النبوية ، مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى عز نصره ، بتاريخ سنة سبع وثمانين وثمانمائه [٨٨٧هـ] ، فى شهر رمضان المعظم قدره» [٤] ؛ وثمة شمعدان نحاسى من هذه الشمعدنات ،

(١) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٥٠ ـ ٢٥٧ .
(٢) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٦٨ .
(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٦٥ .
(٤) أنظر حسن قاسم : المزارات الإسلامية والآثار العربية فى مصر والقاهرة المعزية ، القاهرة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) ، ج٣ ، ص١٨٧ ؛ محمد محمد أمين : الأوقاف ، ص١٠٦.

محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ويتبين من الكتابة المنقوشة عليه ، أنه صنع ليُهدى إلى الحرم النبوى فى المدينة المنورة سنة ٨٨٧هـ [١] ؛ ويوجد طست يحمل إسم السلطان قايتباى محفوظ فى الآستانة بتركيا [٢] ، وتوجد سلطانيه عليها أيضاً إسمه بمتحف المتروبوليتان [٣] ، كما يوجد قرص من القاشانى المصنوع فى مصر ، وهو بإسم السلطان قايتباى سنة ٩٠٢ هـ ، ومحفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة [٤] ؛ وبنفس هذا المتحف ، حشوات خشبية ، فيها ألقاب السلطان قايتباى سنة ٩٠٢ هـ [٥] .

ونختار من مسجد قايتباى بجزيرة الروضة ، الذى بدئ فى تجديده سنة ٨٨٦هـ ، وكان الفراغ منه ٨٩٦هـ ، النقش التالى المنقوش على الوجهة الشرقية للمسجد التى بها الباب ، وقد كتب على جانبيه إسم قايتباى وألقابه بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المعظمة ، مولانا ، المقام الشريف ، السلطان المالك الملك ، الأشرف أبو النصر قايتباى ؛ عز نصره ؛ سلطان الإسلام والمسلمين ، محيى العدل فى العالمين ، ناصر شريعة سيد المرسلين ؛ خلد الله ملكه ، وثبت قواعد دولته » [٦] .

وثمة نقوش عديدة ، ترجع إلى عهد السلطان الأشرف قايتباى ، نقشت على عمائر الأمير يشبك بن مهدى ، الذى تولى فى دولة قايتباى ، وظائف الدوادارية والوزارة والأستادارية ؛ فلقد سكن هذا الأمير قصر الأمير قوصون الكائنه بقاياه إلى الآن خلف مسجد السلطان حسن بميدان صلاح الدين بحى القلعة ،

(١) قايت : دليل دار الآثار ص ١٠٠ ، ولوحه ١٩ .
(٢) ـ (٣) ديماند : الفنون الإسلامية ص ١٥٧ .
(٤) قايت : دليل دار الآثار ص ٩٤ .
(٥) نفس المرجع ص ٩٤ ـ ٩٥ ، ولوحه ١٢ .
(٦) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد : ٢٧٥ .

وكتب إسمه وألقابه عليه ، كما نقش رنكه على جانبى مدخله [١] ؛ كذلك بنى قبة بكوبرى القبة ، عند مدخل حدائق قصر القبة ، عرفت بإسم قبة الأمير يشبك ، لا تزال موجوده بنقوشها إلى الآن [٢] ؛ وأيضاً أنشأ سنة ٨٨٤هـ القبه الفداوية الباقيه إلى اليوم بحى العباسية [٣] ، وقد كتب يشبك على هذه القبه ، إسم سيده الملك الأشرف قايتباى ؛ فيقرأ على جانبى الباب القبلى منها : « أمر بإنشاء هذه القبه المباركة ، سيدنا ومولانا ، السلطان المالك الملك ، أبو النصر قايتباى ، أعز الله أنصاره ، بمحمد وآله وسلم » ويُقرأ على دائرة القبة أعلى المقرنص : « بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة [الآية] ﴾ . ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ . ﴿ قل اللهم مالك الملك [الآية]﴾. صدق الله العظيم . اللهم وأدم عز مولانا ، وولى النعم ؛ سيد ملوك العرب والعجم ، ناصر دين الله ، حافظ بلاد الله ، قسيم خليفة الله ، الحاج إلى بيت الله ، الفائز بزيارة قبر رسول الله ، السلطان الملك الأشرف ، ابو نصر قايتباى؛ خلّد الله سلطانه ، وأفاض على العباد والبلاد جودة وإحسانه ، مَنّ فَضَّلَه الله بالحج والزيارة على ملوك البسرية ، وناداه ربه فحج فى سنة أربع وثمانين وثمانمائه [٨٨٤هـ] [٤] ». ويستوقفنا فى ألقاب السلطان قايتباى هنا ، الألقاب الداله على أدائه فريضة الحج سنة ٨٨٤هـ [٥] ؛ وهذا يفيد أن

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد١ : ٢٥٨ ؛ وجامع السلطان حسن وما حوله ص ٣٥ ـ ٣٦ .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد١ : ٢٥٨ ـ ٢٦٠ .
(٣) نفس المرجع ١ : ٢٦٩ ـ ٢٧٢ .
(٤) نفس المرجع ١ : ٢٧١ .
(٥) راجع حول هذا الموضوع الطريف ، المقريزى : خلاصة الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، سلسلة مكتبة المقريزى الصغيره ، القاهره ١٩٦٠م .

المشكاوات والشمعدانات التى وصلت إلينا وعليها اسم وألقاب قايتباى ، ومؤرخة سنة (٨٨٧هـ) ، ونقش عليها أنه اهداها للمسجد النبوى بالمدينة المنوره وأوقفها عليه [١] ، قد تمّ صنعها واهدائها ووقفها ، إثر أداء قايتباى لفريضة الحج .

ولم يقتصر تشييد المساجد فى عهد السلطان قايتباى على الأمراء بل شاركهم فى ذلك التجار ، على نحو ما نجد فى مسجد أبى العلا بشارع فؤاد الأول (٢٦ يوليو الآن) من ناحيه حى بولاق ؛ وهو المسجد المنسوب إلى الشيخ المتصوف الصالح حسين أبى على المُكنّى بأبى العلا ؛ وقد بنى له هذا المسجد ، أحد مريديه ، وهو التاجر الكبير ابن القنيش البرلسى ، وذلك سنة ٨٩٠هـ ، وألحق به قبة دفن فيها الشيخ أبو العلا ؛ وبهذا المسجد كتابه تاريخيه فوق المحراب ، نصّها : « أنشأ هذا المكان المبارك ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، الخواجا نور الدين على بن المرحوم [شمس] الدين محمد بن القنيش غفر الله لهم ، لسيدنا ومولانا ، الشيخ حسين أبا على ، نفعنا الله ببركاته والمسلمين ، فى الدنيا والآخرة »[٢] .

وترك لنا الأمير يعقوب شاه ، مهمندار السلطان الأشرف قايتباى ، نقشاً فريداً على قبته التى أنشأها بقلعة الجبل سنة ٩٠١ هـ ، تذكاراً لإنتصار الجيش المصرى فى دولة السلطان قايتباى على عساكر الروم ، ونقش على طرازها بالوجهة وصفاً للمعركة وهذا نصه : « مما أنعم الله به ، على العبد الفقير الحقير ، تراب الأقدام ، يعقوب شاه المهمندار ، عمارة هذين الصهريجين والقبتين ، فى دولة المقام الشريف الخاقانى ، الغفورى الفريدونى ، تاج ملوك العرب والعجم ، خادم الحرمين الشريفين ، الذى فاق أقرانه من الملوك بالعلم

(١) راجع ما تقدم .
(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ ، ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

والعمل والفروسية ، أبو الفتوحات ، السلطان قايتباى ؛ منها جريان عين عرفه ، وعين بيت المقدس ؛ عمارة مسجد الخيف والحرم النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ؛ وتوجه العساكر المنصورة إلى مملكة الروم لرد عساكرهم ، فلما أن تقابل العسكران وهجمت العساكر المنصورة عليهم كالأسود الضراغم ، فضيقوا عليهم الأرض بما رحبت ، فما وسعهم إلا الفرار ، ففروا كحمر مستنفره ، فرّت من قسورة ، فوقع فى قبضتهم باش عساكرهم ابن هرسك ومن دونه ، وشبع من لحوم قتلاهم الضباع والذئاب والنسور والعقبان ، فأحضروهم فى السلاسل والأغلال بين يدى الحضره المعظمة ، وصناجقهم منكسة بالحوش الشريف ؛ وكان يوماً ما كتب مثله فى تواريخ الملوك السالفه . وكان الفراغ فى سنة إحدى وتسعمائه [٩٠١هـ] »[١] .

ونختار من مسجد قانى باى الرماح ، أمير آخور كبير السلطان قايتباى ، الكائن بميدان صلاح الدين بحى القلعه ، والمنشأ سنة ٩٠٨ هـ ، هذا النقش المكتوب على جانبى المسجد : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة ، من فضل الله ، المقر الأشرفى العالى المولوى السيفى ، قانى باى ، أمير آخور كبير أعزّه ؛ الله تعالى »[٢] ؛ وإذا كان تاريخ الإنتهاء من هذا المسجد ، يقع فى عهد سلطنه السلطان الغورى ، فإن قانيباى الرماح من مماليك السلطان قايتباى ، والأولى ، أن تذكر منشآته وتنسب إلى عهد السلطان قايتباى .

وبالنسبة للنقوش التى ترجع إلى عصر قايتباى ، والموجوده على العمائر التى جددها ، فنجد أن قايتباى قد نقش رنكه (رمزه) على الواجهة الجنوبية ، لقنطرة ترعة أبو النجا بالقليوبية ، وقد بناها السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥هـ ،

(١) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ١١١ ـ ١١٢ .
(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٨١ .

وأصلحها وجددها قايتباى سنة ٨٩٢هـ ؛ مما دفع فان برشم فى كتابه عن النقوش والكتابات العربيه إلى القول بأن هذه القناطر قد أعيد بناؤها بأجمعها تقريباً فى عهد قايتباى؛ ولكن كريسويل فى كتابه عن العمارة الإسلامية بمصر لا يأخذ بهذا الرأى ؛ ويرجح عبد الرحمن عبد التواب ، أن الجزء الذى نقش عليه قايتباى رنكه ، هو الذى أعيد بناؤه فى عهده [١] . كذلك لا يزال إسم قايتباى منقوشاً على قنطره من قناطر الناصر محمد بن قلاوون المتمده من فم الخليج إلى القلعه ، وهذه القنطرة بالركن القبلى الشرقى المتجه إلى الفسطاط عند قرافة السيدة نفيسة [٢] . كما لا يزال إسم قايتباى على لوحتين على قناطر الجيزة [٣] .

١٥ ـ ويُعَدّ عصر السلطان الأشرف قانصوه الغورى (حكم من ٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ) ، عصراً غنياً بالنقوش أيضاً ؛ إذ أُولِعَ الغورى بالبناء ؛ وليس أدل على غرامه بالعمائر ، من إنشائه فى منطقه واحدة ، ـ وهى التى تعرف اليوم بشارع الغوريه نسبه إليه ، وتبدأ من تقاطع شارع الأزهر مع شارع المعز لدين الله وتمتد حتى باب زويله المعروف للعامة ببواية المتولى ـ ، مجموعة أثرية مكونة من مسجد، ووكالة ، وحمام ، ومنزل ، ومقعد ، وسبيل ، وكتاب ، ومدرسة ، وقبة ؛ وهى باكورة أعماله المعمارية ، لأن الفراغ منها كان سنة ٩٠٩ ـ ٩١٠ هـ ـ وهى زاخرة بالنقوش ـ ؛ هذا فضلاً عن عمائره الخيرية بحلب والأقطار والحجازية [٤] ؛ إلى جانب بعض العمائر الإسلامية بمصر التى جددها فى

(١) عبد الرحمن عبد التواب : منشآتنا المائية عبر التاريخ ، المكتبة الثقافية رقم ٩٦ ، ١٩٦٣م، ص ٥١ ـ ٥٢ .
(٢) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٦٨ .
(٣) هى قنطرة قراقوش وزير صلاح الدين واللوحتان مؤرختان سنة ٨٨٣هـ و ٨٨٤هـ، انظر عبد الرحمن عبد التواب المرجع السابق ص ٣٨ .
(٤) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢١٦ .

عهده؛ مثل ضريح ومسجد الإمام الليث ، الذى جدده سنة ٩١١ هـ [١] ، وقناطر مياه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، التى جددها وزاد عليها فى سنة ٩١٢ هـ ، فامتددت حتى تلاقت بالقرب من حى السيدة نفيسه بيقايا قناطر الناصر ثم بسور صلاح الدين القديم ، ونقش اسمه عليها وانتهت الأعمال فيها سنة ٩١٤ هـ [٢] ؛ ومئذنة الجامع الأزهر المذدوجه الرأس إلى إستجدها سنة ٩١٧ هـ ؛ وخان الخليلى الذى أنشأه الأمير جهاركس الخليلى فى نهاية القرن الثامن الهجرى ، ثم أنشأه الغورى من جديد سنة ٩١٧ هـ [٣] ، والى الآن ترى تلك البوابات الحجرية الكبيرة الحافلة بالزخارف والمقرنصات ، هى وما يتصل بها من أبنيه قديمه من إنشاء السلطان الغورى [٤] ، وهى التى يدخل منها إلى خان الخليلى من ناحية ميدان المشهد الحسينى ، وعليها نقوش كتابية تحمل إسم السلطان الغورى وألقابه ؛ هذا وقد وصلت إلينا ثريا من البرونز عليها إسم الغورى ومؤرخه سنه ٩٠٩هـ ، وهى محفوظه بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة [٥] .

ونختار من المجموعة الأثرية للسلطان الغورى ، الموجودة عند مدخل شارع الغوريه ، من جهة شارع الأزهر ، النقوش الآتيه : فمكتوب على الأبواب الأربعه بصحن مسجده : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة ، من فضل الله تعالى وجزيل عطائه ، سيدنا ومولانا ، ومالك رقابنا ، الإمام الأعظم ، الملك المكرم ، ملك البرين والبحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، المقام الشريف ، السلطان الملك الأشرف ، أبو النصر قانصوه الغورى ، عز نصره » . ومكتوب حول عقد

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٠٠ .
(٢) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٦٨ ـ ٦٩ .
(٣) حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ١٧ .
(٤) نفس المرجع ص ١٨ .
(٥) فايت : دليل دار الآثار ص ٦٧ .

الإيوان الغربى : « بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [الآية إلى قوله تعالى :] ﴿ وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ . ومكتوب على دكة المبلغ : «أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة ، من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم ، سيدنا ومولانا ومالك رقابنا ، السلطان الملك الأشرف، أبو النصر قانصوه الغورى ؛ عز نصره » [1] .

أما سبيل الغورى ، فمكتوب فى طراز وجهته : « أمر بإنشاء هذا المعروف المبارك ، من فضل الله تعالى ، سيدنا ومولانا ، السلطان الأعظم ، مالك رقاب الأمم ، سيد ملوك العرب والعجم ، السلطان العالم العادل ، المالك الملك ، الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى ، خلد الله تعالى ملكه ، وأدام أيامه ، بجاه محمد وآله وصحبه وسلم ؛ وكان الفراغ من ذلك فى شهر ذى الحجة الحرام سنة تسع وتسعمائة من الهجرة النبوية [٩٠٩هـ] ، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين » . ومكتوب فوق الأبواب بجانبى السبيل « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك ، مولانا السلطان ، قانصوه الغورى ، عز نصره ؛ بتاريخ فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعمائة [٩٠٩هـ] ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين » [2] .

ولم يبق من عمارة السلطان الغورى لمسجد الإمام الليث بن سعد ، سوى الباب الثالث الكبير المؤدى إلى المسجد ، وهو مبنى من الحجر ، وبه دائرتان بهما إسم الغورى ، وتاريخ العمارة مكتوب على جانبيه بما نصه : « أمر بإنشاء هذا الباب الشريف ، من فضل الله تعالى ، سينا ومولانا وما لك رقابنا ، السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى ، عز نصره ؛ وكان الفراغ من

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٩١ .
(٢) نفس المرجع ١ : ٢٩٤ .

إنشاء هذا المكان فى مستهل رجب الفرد من سنة إحدى عشرة وتسعمائه [٩١١هـ]»[1] .

وثمة نقش طريف يرجع إلى عصر السلطان الغورى ، عباره عن قطعة من الفاشانى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم ٩٦٥ ، كتب عليها جزء من وقفيه السلطان الغورى [2] .

تلك أهم النقوش التى وصلت إلينا من العصر المماليكى ، وكان جُلّ إعتمادنا فى حصرها وإيراد نصوصها ، على مؤلفات عالم الآثار الشهير حسن عبد الوهاب ، لأنه قرأ أغلبها بنفسه ؛ ولأنه ناقش فيها آراء وملاحظات فان برشم التى علّق بها على هذه النقوش ، فى كتابه عن النقوش والكتابات العربيه(Corpus) ؛ كما أنه شارك جاستون فايت فى حصر وقراءه وترتيب النقوش العربيه ، التى لم يقف عليها فان برشم ، وذلك فى ذيله على كتاب فان برشم الذى سماه (Repertoire) كما أنه ـ أىّ حسن عبد الوهاب ـ قد عنى فى مؤلفاته بتحليل هذه النقوش ودراست مدلولاتها الأثرية .

اماكن النقوش : -

ولو رحنا نحدد أماكن كتابه هذه النقوش ، على شتى أنواع العمائر التى وصلت إلينا من العصرين الأيوبى والمماليكى ، سواء على العمائر الدينيه والتعليميه والخيرية ، أو على العمائر المدنية ، أو على العمائر الحربية ؛ لوجدنا أنها بالنسبة للعمائر الدينية والتعليمية والخيريه ، المتمثله فى المساجد والمدارس والخوانق والكتاتيب والأسبله والرباطات والتكايا ، توجد على وجه الخصوص ، على الواجهات الرئيسية ، وفوق الباب الرئيسى وعلى جانبيه ، وربما وجدنا لوحة

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٠٠ و ج٢ ، صورة رقم ١٣٢ (باب السلطان الغورى سنة ٩١١ هـ) .
(٢) محمد محمد أمين : الاوقاف ص ٨٥ ، هامش (٣) .

تأسيسية تحوى كتابات تاريخيه مؤرخه ، فوق الباب الرئيسى ، وفوق المحراب أو فى تجويف المحراب ، وعلى أبواب المنابر وعلى مقدماتها ، وعلى دكة المبلغ، وعلى كرسى المصحف ، وحول الإيوانات الأربعة المحيطة بالصحن الأوسط ، وحول رقاب القباب ومحيط المآذن ، وحول الأسقف وحول الشبابيك العلوية ، وعلى اللوحات الرخامية المثبته على القبور ، وعلى شواهد القبور ؛ ولوجدنا أنها بالنسبة للعمائر المدنيه ، توجد على وجه الخصص على واجهات وأبواب القصور والمنازل والحمامات ، وعلى أبواب وواجهات الخانات والوكالات ، وعلى قناطر رفع المياه؛ ولوجدنا أنها بالنسبة للعمائر الحربية ، توجد على أبواب المدن وأسوارها ، وعلى أبواب القلاع وأبراجها . كذلك نجد عدداً من هذه النقوش ، على التحف المنقوله المحفوظه فى المتاحف العالميه ، وعلى رأسها متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، مثل التحف المعدنية والزجاجيه والخزفيه والخشبية ؛ وأغلب الظن أن هذه التحف المعدنية ، كانت إما فى قلعة الجبل مقر الحكم بمصر فى العصر الأيوبى والمماليكى ، إما فى قصور الأمراء وكبار رجال الدولة ، أو فى بيوت كبار التجار والعلماء والقضاء والأعيان ؛ أما التحف الزجاجية ، وأغلبها مشكاوات من الزجاج المموه بالمنيا ، فكانت فى الواقع تنير جوامع القاهرة الكبرى، وعلى الخصوص جامع السلطان حسن ومدرسه السلطان برقوق ؛ فى حين أن الحشوات الخشبية ، كانت فى الأصل ، مثبته فى المساجد والقصور؛ فى الوقت الذى أثبت فيه أعداد كبيره من التحف الخزفية من حفائر مدينة الفسطاط، وحفائر الفيوم ، وغيرها من مدن وعواصم الديار المعاصرة فى العصر الإسلامى[1] .

(١) بالنسبة للتحف المنقوله ، راجع محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفيه الإسلامية فى مصر قبل الفاطميين ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م .

دلالات الآيات القرآنية المنقوشة على العمائر الدينيه والتعليميه والخيرية :

لا تكاد تخلو إحدى العمائر الدينية والتعليمية والخيرية ، من نقش أو عدة نقوش ، إحتوت على الآيات القرآنية التى ارتبطت أسباب نزولها ، بعمارة المساجد الإسلامية الأولى فى تاريخ الدعوه الإسلامية ، قبيل وبعد قيام دولة الإسلام النبوية بالمدينة المنورة ؛ وتمكّن المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينيه علانية ، وبناء المساجد ، وإعلان الآذان [1] . وهى الآيات الآتية :

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وءاتى الزكوة ، ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [2] . ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ولله ملك السموات والأرض ، وإلى الله المصير ﴾ [3] . ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور ﴾ [4] . ﴿ وإن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ [5] . ﴿ محمد رسول الله والذين معه ، أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ﴾ [6] . ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ [7] . ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾

(١) راجع كتابى ، تاريخ الدعوة الإسلامية فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين ، مكتبة الخانجى القاهرة ، ص ١١٣ ـ ١٨٣ (باب عمارة المساجد) .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٣٦ ، ١٨٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٨١ .

(٣) نفس المرجع ١ : ١٨٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٦٥ .

(٤) نفس المرجع ١ : ١٦٥ .

(٥) نفس المرجع ١ : ٢٢١ ، ٢٦١ .

(٦) نفس المرجع ١ : ١٥١ .

(٧) نفس المرجع ١ : ١٤٩ .

إلى قوله تعالى : ﴿ وينصرك الله نصرا عزيزاً ﴾ [1] . ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن إتبعن ﴾ [2] . وعادة ما يستهل بهذه الآيات اللوحات التأسيسة للجوامع والمساجد والمدارس وغيرها من المنشآت الدينية والتعليمية والخيريه ، أو تنقش على الواجهات والابواب ذاتها ، أو حول إيوانات الصحون . ولقد أوجز النص التاريخى التأسيسى لجامع الظاهر بيبرس ، الهدف من عمارة المساجد ، بقوله : « أمر بإنشاء هذا الجامع ، تقرباً إلى الله العظيم ، وإظهارا لقوة الدين » [3] .

كذلك لا تكاد تخلو إحدى العمائر الدينية ، من شهادة التوحيد فى الديانه الإسلاميه ، وهى الركن الأول من أركان الإسلام : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ؛ وكثيراً ما نجد إسم « محمد » رسول الله ﷺ مكرراً [4] .

وعادة ما نجد فى أعلى المحاريب أو فى تجويفها ، الآيات القرآنية الخاصة بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام فى العام الثانى للهجرة ؛ وبصلح الحديبية سنة ٦ هـ ، ونزول سورة الفتح منصرفه ﷺ من الحديبية ، تبشر النبى بفتح مكة وتطهيرها من الأصنام ، والأنتصار على المشركين، ودخول الناس فى دين الله أفواجا ؛ كما نجد أيضاً على المحاريب الآيات الآمرة بالركوع والسجود والعبادة ؛ وهى الآيات التاليه : ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها [5] ﴾ . ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ [6] . ﴿ وما النصر إلا

(١) نفس المرجع ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
(٢) نفس المرجع ١ : ٢١٢ .
(٣) راجع ما تقدم ص ١٠٨ .
(٤) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٤٩ .
(٥) نفس المرجع ١ : ٢٦١ ، ٢٨٤ ، ٢٧٣ .
(٦) نفس المرجع ١ : ٢٧٣ .

من عند الله ﴾ [1] . ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ، واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ [2] ، وهذه الآية الأخيرة ، كثيراً ما نجدها منقوشة على أبواب ومقدمات المنابر أيضاً ؛ كما نجد على المنابر أيضاً قوله تعالى: ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ [3] لتوافق هذه الآية الأخيرة ، مع الصلاة على رسول الله ﷺ فى الخطب المنبريه أيام الجُمَع .

كذلك جرى العرف أن يكتب على الأسبلة قوله تعالى : ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ﴾ . ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ [3] ؛ لملاءمة هذه الآيات للغرض الذى أنشئت من أجله الأسبلة ، لشرب المارة وأبناء السبيل، وتبشيرها للمؤمنين بما أعده الله لهم فى الجنة من الشراب .

أما المداخل والأبواب والطرق والدركاوات والقاعات ، فعادة ما نجد عليها الآيات التاليه : ﴿ اللهم أدخلنا مدخل صدق ، وأخرجنا مخرج صدق، وأجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ [4] . ﴿ إن المتقين فى جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ﴾ [5] . ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ إلى ﴿ وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ [6] .

أما داخل القباب، التى دفن تحتها منشؤ العمائر الدينية والتعليمية والخيرية ،

(١) نفس المرجع ١ : ٢٤٨ .
(٢) نفس المرجع ١ : ٢٤١ ، ٢٨٢ .
(٣) نفس المرجع .
(٤) أنظر مثلاً نفس المرجع : تاريخ المساجد ١ : ٢٠٣ .
(٥) نفس المرجع ١ : ١٣٦ ، ٢٣٥ .
(٦) نفس المرجع ١ : ١٦٥ .
(٧) نفس المرجع ١ : ٢٦١ .

وألحقت بهذه العمائر ، تشفعاً لمنشئيها وطلباً للثواب والغفران من الله ؛ فجرت العادة أن يكتب عليها الآيات القرآنية ، التى تقرر أن كل نفس ذائقة الموت ، وأن الله سبحانه وتعالى قد إدخر للمؤمنين المتقين جنات وقصورا ، وأنه ـ جل شأنه ـ هو القادر على إحياء الموتى ؛ وهى الآيات التالية ، التى نجدها أيضاً على اللوحات الرخاميه فى مقدمة القبور وعلى شواهد القبور : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامه ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ [1] . ﴿ تبارك الذى إن شاء جعل له خيراً من ذلك ، جنات تجرى من تحتها الأنهار، ويجعل لك قصوراً ﴾ [2] . ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ﴾ [3] . ﴿فانظر إلى آثار رحمت الله ، كيف يحى الأرض بعد موتها [4] ﴾. ﴿ أن الدين عند الله الإسلام ﴾ [5] ﴿ قل اللهم ما لك الملك ـ الآية ﴾ [6] . ﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴾ [7] .

وأيضاً لا يكاد يخلو مسجد من المساجد من آية الكرسى [8] ، التى شرحت عقيدة التوحيد المنزه عن كل شرك بالله ، كما جاء بها الإسلام ؛ وكثيراً ما نجدها حول رقاب القباب، وحول المآذن ، وحول عقود إيوانات الصحن الأوسط؛ كما نجد أيضاً حول عقود الإيوانات وداخل القباب ، قوله تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٥٣ ، ٢٢٤ .
(٢) نفس المرجع ١ : ١٨٨ ، ١٩٧ .
(٣) نفس المرجع ١ : ٢٨٤ .
(٤) نفس المرجع ١ : ٢٦٩ .
(٥) نفس المرجع ١ : ٢٧١ .
(٦) نفس المرجع ١ : ٢٧١ .
(٧) نفس المرجع ، تاريخ المساجد ١ : ٢٨٣ .
(٨) نفس المرجع ١ : ٢٨٣ .

إلى قوله تعالى : ﴿ وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ [1] لارتباط هذه الآية أيضاً بتقرير عقيدة التوحيد فى الإسلام .

وأغلب المشكاوات الزجاجية التى كانت معلقة بأسقف المساجد القديمه، وإحفوظه الآن بمتحف الفن الإسلامى ، كتب عليها آية سورة النور ﴿ الله نور السموات والأرض ـ الآية ﴾ لملاءمة هذه الآية لمهمة المشكاوات فى إنارة المساجد من جهة ، ولدلالتها العقائدية من جهة أخرى .

دراسة لألقاب سلاطين الأيوبيين والمماليك ، كما وردت على النقوش والكتابات الأثرية :-

إنفرد خلفاء الإسلام دائماً بسلطة التلقيب ، وذلك نتيجة لتمتعهم بحق التعيين ، وكان من تقاليد الدولة العباسية أن ينص على اللقب عند كتابة التقليد[2] ، كما احتفظ الخلفاء الفاطميون أيضاً بحق التعيين والتلقيب ، وحرصوا على عدم التفريط فى هذا الحق حتى نهاية العصر الفاطمى ، حتى أن الألقاب التى أطلقها وزراء السيوف المتغلبين على الفواطم فى نهاية دولتهم ، ظلت فى نظر الناس مغتصبة وغير رسمية [3] ؛ وظل حق الخليفه فى التولية باقياً حتى الدولة الأيوبيه ، بحيث حرص الملوك مهما كبر سلطانهم واتسع نفوذهم على الحصول على عهود أو تقاليد من الخلافه تثبتهم فى مراكزهم ، وكان من الطبيعى أن يستتبع ذلك إحتفاظ الخليفة بسلطته فى التلقيب ، فكانت الألقاب تثبت فى العهد نفسه [4] ؛ ولكن بسقوط الخلافة العباسية فى بغداد وانتقالها

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٩١
(٢) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧م ، ص٩٢ .
(٣) نفس المرجع ص ٩٣ .
(٤) نفس المرجع ص ٩٩ .

إلى القاهرة ، فقد الخليفة العباسي سلطته في التعيين والتلقيب ، واقتصرت مهمته على مبايعة السلطان المملوكي وإعلان لقبه [1] ، بمعنى أن الألقاب التي منحتها الخلافة العباسية ، لسلاطين بني ايوب ، قد منحت لهم بعد أن استعادت هذه الخلافة هيمنتها العامة تقريبا على ديار الإسلام بسقوط الخلافه الفاطمية بمصر ، وبعد تفردها بحقّ التلقيب الرسمي .

ويمكننا الآن عقد دراسة مقارنة بين ألقاب سلاطين بني أيوب وسلاطين المماليك ؛ وإذا كنا قد أوردنا نصوص أهم نقوش سلاطين المماليك التي وردت فيها ألقابهم ؛ فسنورد الآن نصوص أهم نقوش سلاطين الأيوبيين التي وردت فيها ألقابهم ، مع إيراد ألقاب السلطان صلاح الدين الأيوبي ، والسلطان الكامل الأيوبي ، كما وردت في التقليد الخليفي الذي منحه الخليفة لكل منهما ، ليتسنا لنا عقد المقارنة بين ألقاب سلاطين الأيوبيين وألقاب سلاطين المماليك .

١ ـ نقش الباب المدرج بالقلعة المؤرخ سنة ٥٧٩هـ ، والموجود إلى يومنا هذا على هذا الباب ، وبه بعض ألقاب صلاح الدين : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة ، المجاورة لمحروسة القاهرة ، التي جمعت نفعاً وتحصيناً ، وسعة على من إلتجأ إلى ظل ملكه وتحصينا ، مولانا الملك ، صلاح الدنيا والدين ، أبو المظفر يوسف بن أيوب ،، محيي دولة أمير المؤمنين ، في نظر أخيه وولي عهده ، الملك العادل ، سيف الدين، ابو بكر محمد، خليل أمير المؤمنين؛ على يد أمير مملكته ، ومعين دولته ، قراقوش ابن عبدالله المالكي الناصر ، في سنة تسعة وسبعين وخمسمائه [٥٧٩هـ]» [2] .

(١) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ١٠٢ .

(٢) راجع Van Berchem : Materiaux , P . 81 عبد الرحمن زكي : القاهرة ، تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ص٦٥ ، ولوحة ١٤ بآخر الكتاب ؛ حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٦٤ ـ ٦٥ ، ٧٤ ـ ٧٥

ولقد لُقب صلاح الدين في التقليد الذي بعثه له الخليفي العباسي من بغداد ، بـ « الملك ، الأجل ، السيد ، صلاح الدين ، ناصر الإسلام ، عماد الدولة ، جمال الأمة ، فخر الملة ، صفي الخلافة ، تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، عز المجاهدين ، ألب غازي بك ، يوسف بن أيوب » [1] .

٢ ـ وجاءت ألقاب صلاح الدين على طاسه نحاسيه من الطاسات التي عرفت بطاسة الخَضّة ، حقق الأثريون أنها من عصر صلاح الدين ، على هذا النحو: « عزّ لمولانا ، السلطان الملك ، المؤيد المنصور ، أبو المظفر يوسف ، قسيم أمير المؤمنين » [2] . وجاء لقب «خليل أمير المؤمنين» ضمن ألقاب صلاح الدين ، في نص إنشاء بتاريخ سنة ٥٨١هـ ، من قلعة جندى بسيناء[3] .

٣ ـ توجد لوحه من الخشب بمتحف الفن الإسلامي ، تتضمن النص التأسيسي بوقف قيسارية على صوفية خانقاه سعيد السعداء ، مؤرخ سنة ٥٩٤ هـ ، في عهد الملك العزيز عثمان ، إبن صلاح الدين ، الذي تولى ملك مصر بعده ، ونص هذا النقش « العزّه لله وحده ، اللهم ارحم الملك الناصر صلاح الدين ، ورضى الله عنه ، الذي أنعم على الصوفية بهذه القيصرية ، واوقفها على بقعتهم التي تعرف بدار سعيد السعداء بمحروسة القاهرة ؛ وقد أمر بهذا الباب الجديد ، والفتح السعيد ، سيد الملوك والعبيد ، عماد

(١) انظر القلقشندي : مآثر الإنافه في معالم الخلافة ٣ : ٨٦ ، ٩٩ ؛ صبح الأعشى ١٠ : ٩٨ ، ١٣٥ ؛ أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم والإداره في العصر الايوبي بمصر ، رسالة ماجستير أجيزت بجامعة عين شمس سنة ١٩٨٣م ص ٤٢٨ .

(٢) راجع Ahmed Zaki : Caure Mogique , P263 - 265 حيث يلاحظ أن مصطلح « عز نصره » ظهر لأول مرة على هذه الطاسه النحاسية ، وظل مستخدماً طوال العصر المماليكي .

(٣) حسن الباشا : الألقاب ص ٢٠٠ .

الدنيا والدين ، وسلطان الاسلام والمسلمين، عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الزاهرة، نظام العالم ، ملك المعالى ، الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب، ظهير أمير المؤمنين ؛ خلد الله ملكه ؛ فى تاريخ ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمائه ٥٩٤هـ ، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه أجمعين [١] » .

٤ ــ ورد لقب « خليل أمير المؤمنين » ، ضمن ألقاب الملك العادل أخو صلاح الدين ، بالنقش المشار اليه من قبل على الباب المدرج بقلعة الجبل بالقاهرة سنة ٥٧٩هـ ؛ وأيضاً فى نقوش أثرية بسيت المقدس بتاريخ ٥٨٩هـ وبدمشق من سنة ٦٠٥ هـ ــ ٦١٠ هـ ، وبالقاهرة بتاريخ سنة ٦٠٥هـ[٢] ؛ ويبدو أن السلطان العادل الأول أبو بكر بن ايوب ، هو اول من لقب بهذا اللقب من سلاطين بنى أيوب بصفة رسميه ، إذ أثبت فى التقليد الخليفي له بالسلطنة ، الذى أرسل اليه سنة ٦٠٤هـ [٣] .

٥ ــ وردت ألقاب الملك الكامل محمد بن العادل ، على نقش تأسيسى بقبة الإمام الشافعي مؤرخ سنة ٦٠٨ هـ ، على هذا النحو : « ... هذا قبر ... والدة الفقير إلى رحمة ربة محمد ، ولد مولانا السلطان الملك ، العادل العالم العابد المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور ، سيف الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ، قامع الخوارج والمتمردين ، قاهر الكفرة والمشركين ، أبو بكر بن أيوب ، خليل أمير المؤمنين » [٤] .

(١) عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى ، ص ٣٦ ــ ٣٧ .
(٢) حسن الباشا : الألقاب ، ص٢٠١ .
(٣) المقريزى : السلوك ١ : ١٦٨ .
(٤) راجع G. wiet : les inscriptions du Mausolee ole Shafei, B . I . E . Tome Xv 1932 - 1933 . P 175 .

ولقد لُقّب الملك الكامل فى التقليد الذى أرسله له الخليفيه العباسى من بغداد ، بـ « الملك ، الأجل ، السيد ، الكامل ، المجاهد ، المرابط ، نصير الدين، ركن الإسلام ، أثير الأنام ، تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والمتمردين ، ألب غازى بك ، محمد بن أبى بكر بن أيوب، معين أمير المؤمنين » [١] ؛ وعلل الخليفة منح هذه الألقاب له بأنها «رعاية لسوابق خدمه وخدم أسلافه وآبائه» [٢] .

٦ ــ وردت ألقاب الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، على نقوش ضريحه فى قبته ومدرسته ، على النحو التالى : « ... مولانا الملك ، الصالح، السيد العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر ، نجم الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك المجاهدين ، وارث الملك عن آبائه الأكرمين » [٣] .

ولما كان مصطلح الكتابة الديوانيه فى العصر المماليكى ، جاء استمراراً لمصطلح الكتابة الديوانية فى العصر الأيوبى كما افادنا القلقشندى [٤] ؛ ولما كان سلاطين المماليك ، كان يعدون أنفسهم تلامذه سلاطين بنى أيوب وورثتهم ؛ فقد حمل سلاطين المماليك جميع الألقاب الملكيه تقريباً التى حملها سلاطين بنى أيوب ، وزادوا عليها بعد نقلهم ــ أى المماليك ــ مقر الخلافه العباسيه والخليفه العباسى نفسه إلى القاهرة سنة ٦٥٩ هـ .

ولو رحنا نتتبع أصل كل لقب من هذه الألقاب ، نجد أن الألقاب الثلاثة :

(١) القلقشندى : مآثر الإناقه ٣ : ١٠٥ ــ ١٠٦ .
(٢) نفس المصدر ٣ : ١٠٦ ، ص ٤ ــ ٦ .
(٣) انظر van Bercham : Materiaux , P103 , 105
(٤) راجع ما تقدم فى فصل الوثائق .

السيد، الأجل ، الملك ؛ التي وردت في التقليد الخليفي لكل من صلاح الدين الأيوبي والملك الكامل ، قد ورثت عن وزراء السيوف المفوضين في العصر الفاطمي ، وكان آخرهم صلاح الدين الأيوبي نفسه ، وهي على ترتيب ظهورها في العصر الفاطمي : السيد ، الأجل، الملك [1] ؛وإن كنا نلاحظ أنها وردت في التقليدين العباسيين بعكس هذا الترتيب، بحيث جاء لقب « الملك » ـ وهو آخر هذه الألفاظ ظهوراً في العصر الفاطمي، وأضخمها ، وأكثرها دلالة على استقواء نفوذ هؤلاء الوزراء المفوّضين ـ أول هذه الألقاب الثلاثة في التقليد العباسي، إقراراً لتحول صلاح الدين من وزير فاطمي إلى ملك يدين بالولاء للخليفة العباسي .

ولقد ذكرت كتب الأوائل في التراث الإسلامي ، أن أمراء بني بويه الشيعة الزيديه ، هم أول من حملوا لقب ملك في الإسلام [2] ، بعد سيطرتهم على السلطات الفعليه للخلفاء العباسيين السنيين في بغداد عاصمة دولة الخلافة العباسية ؛ ولقد توارث جميع سلاطين بني ايوب وجميع سلاطين المماليك لقب **الملك** .

أما لقب **سلطان** : فهو لقب أطلق على وزراء السيوف المفوّضين، سواء في العراق العباسي أو بمصر الفاطميه ابتداء من القرن الخامس الهجري [3] ، وأصبح بمرور الوقت ، وبظهور ملوك الأطراف المستقلين عن الخلافه العباسية ، يعني في

(١) راجع عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٣م، ١ : ٨٣ ـ ٨٧ .

(٢) أنظر ابو هلال العسكري : كتاب الأوائل ، مطبوع ؛ وأنظر السيوطي : الوسائل إلى مسامرة الأوائل ، تحقيق أسعد طلس ، ١٩٥٠م ، ص ٧٨ .

(٣) أنظر أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم والإداره في العصر الايوبي بمصر ، ص ٢٣٥ ـ ٢٧٧ (فصل : القضاء على الخلافة الفاطمية) ، وص ٣٥٨ ـ ٤٢٣ (فصل : الوضع السياسي والشرعي للسلطنه الأيوبيه) ، حيث ناقشت مسألة تطابق وظيفتي وزارة التفويض والسلطنة .

العُرف السائد ، ملك الملوك ، أو كبير ملوك الأطراف [1] ؛ وفي اعتقادنا أن أول من حمله بصفه رسمية ، هو السلطان محمود الغزنوي ، سلطان غزنه والهند وإيران ، الذي كان في القرن الخامس الهجري ، أقوى ملوك المشرق الإسلامي ، الذين رفضوا الدعوة الفاطمية ، وعمد إلى مساندة الخلافة العباسية في صراعها مع الخلافة الفاطمية ، من أجل السيطرة على العالم الإسلامي ؛ ولقد أفاد العتبي مؤرخ سيرة هذا السلطان ، أن الذي أوحى إلى الخليفة العباسي بمنح محمود الغزنوي لقب « سلطان » الإمام ابو اسحاق الإسفرايني [2] ، وهو من أئمة الفكر الأشعري السُنّي ، الذي وقف من الدعوة الفاطمية الشيعيه موقف الخصومه المذهبية والسياسية [3] ؛ فلا غرو أن إعتز محمود الغزنوي بهذا اللقب ، وذكره على نقوشه [4] ؛ ثم توارثه عنه جميع سلاطين المشرق السُنيين ، المفوضين من قبل الخليفه العباسي ، والقائمين بدعوته ، وهم : السلاجقه ثم الزنكيين ثم الأيوبيين [5] ، ثم المماليك .

(١) عن التطور التاريخي للقب السلطان ، أنظر القلقشندي : صبح ، ٥ : ٤٤٧ ـ ٤٤٨ ، ٩ : ٣٩٨ ، ٤٠٣ ؛ ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ؛ ابو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٧٩ ؛ السيوطي : الوسائل ص٧٨ ؛ أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم ص ٤٣٦ . (فصل : السلطنه) .

(٢) انظر الشيخ العتبي : شرح التاريخ اليميني المؤلف ليمين الدولة محمود ، المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي ، طبع مصر ، طبعه قديمه د . ت . (في عهد الخديوي توفيق) ص ٣١ ، وص ٣٠ ـ ٣١ ، حيث يذكر ألقاب محمود الغزنوي كامله، أولها لقب « سلطان »، وأهم ألقابه « يمين الدولة ». ويرى حسن الباشا أنه قد توارث هذا اللقب بعده سلاطين السلاجقة ثم الزنكيين ثم الأيوبيين ثم المماليك ، انظر الألقاب الإسلاميه ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، وعن ملك البويهيين والسلطان محمود الغزنوي والسلاجقة للقب سلطان على نقوشهم ومسكوكاتهم انظر احمد فؤاد سيد : نظم الحكم ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) راجع أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم ص ٢٧٨ ـ ٢٥٧ (فصل إعادة الشعائر السنية إلى مصر، ونشر الفكر الأشعري بها).

(٤) حسن الباشا : الألقاب ص ٢٢٣ .

(٥) أنظر ابو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٧٩ .

وإذا كان البعض قد ذهب إلى أن لفظ « سلطان » ، يرجع إلى أصل فارسي[1] أو أصل سرياني أو آرامي [2] ؛ فنحن نستطيع أن نؤكد أن هذا اللفظ عربي ، لوروده أكثر من مرة في القرآن الكريم [3] ؛ وقد تتبع المؤرخ بدر الدين العيني ، مرات ذكر هذا اللفظ في القرآن ، فوجد أن الله قد ذكره في القرآن في إثنين وثلاثين موضعاً [4] .

وقد ذهب اللغويون في شرح معنى كلمة السلطان ، كما وردت في القرآن، بأنها أحياناً ما تكون في معنى « البرهان » ومنها ما يكون في معنى «القدرة» وأحياناً ما تأتي في القرآن بمعنى « الحجة » [5] وحاول بعض اللغويين، تفسير إطلاق هذه اللفظة على خليفة المسلمين ، أو من ينوب عنه في مباشرة السلطة السياسية في ديار الإسلام ؛ فذهب أحدهم إلى أنه « إنما قيل للخليفه سلطان ، لأنه ذو السلطان أي ذو الحجة ، وقيل لأنه به تقام الحجج والحقوق [6] ؛ وذهب آخر إلى أنه « قيل للأمراء سلاطين ، لأنهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق [7] ؛ وذهب ثالث إلى أن « السلطان إنما سمي سلطاناً ، لأنه حجه

(١) راجع F . Steingass : Acomprehensive persian - English Dice-tionany , New Impression 1970 ,P 693 .

(٢) راجع حسن الباشا : الألقاب ص ٣٢٣ .

(٣) أنظر محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ١٣٦٤هـ، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ؛ ويستفاد منه أن لفظة « سلطان » قد وردت في القرآن ٣٧ مرة ، وليس ٣٢ مرة كما ذكر البدر العيني .

(٤) أنظر البدر العيني : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (ظطر) ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، القاهرة ، د. ت . ص٢٣ ـ ٢٤ .

(٥) أنظر بن دريد : كتاب الإشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشر الخانجي ، ١٩٥٨م ، ص ١١١ ـ ١١٢ ؛ ابن منظور : لسان العرب ، مادة « سلط » ؛ الزبيدي : تاج العروس ٥ : ١٥٩ ، مادة « سلط » .

(٦) نقل هذا الرأي الزبيدي : تاج العروس ٥ : ١٥٩ ، عن الأزهري في كتابه « تهذيب اللغه » .

(٧) هذا رأي ابن منظور ، صاحب لسان العرب .

الله في أرضه » [1] ؛ في حين حاول فريق آخر من اللغويين ، تفسير هذه اللفظه تفسيرات مجازية ، مستمدة من الأوضاع السياسية ؛ فلاحظ الزبيدي أن « السليط » في اللغه ما يضاء به ، وه السلطان » ، الوالي ، لتنويره الأرض وكثرة الإنتفاع به [2] ؛ في حين ذهب ابن منظور إلى أن « السلاطة » في اللغه القهر، ومن ثم فإن « السلطان » قدره الملك ، وقدرة من جعل ذلك له [3] .

ونحن نستطيع إعتماداً على هذه التعريفات اللغوية لكلمة السلطان ، مع مطابقتها على الأوضاع السياسية والشرعيه ، والظروف التاريخيه التي صاحبت تلقيب السلاطين السُنيين به ؛ أن نقرر أن هذا اللقب ، عمدت دولة الخلافة العباسية برضائها ، إلى منحه لأعظم الملوك السُنيين المعاصرين لها ، للإشارة إلى أن هذا الملك ، هو السلطان أو الحجة أو البرهان ، الذي يعلن عن سلطة الخليفة السياسية وعن وجوده الشرعي ؛ على أساس أنه بالخليفة أو بحجته الذي هو السلطان ، تقام الحجج والحقوق الشرعية ؛ ولما كان هذا اللقب لا يمنح إلا للأمراء العسكريين من أرباب السيوف ؛ فقد إقترن مفهوم هذه اللفظة في اللغة ، بمعنى القدرة والشدة والحدة والسطوة ، وأصبحت تسمية عامه ، لكل من يتولى أمر من الأمور أو ولاية من الولايات .

ويفهم من تقليد دولة الخلافة العباسيه ، لكل من صلاح الدين الأيوبي والسلطان الملك الكامل الأيوبي [4] ؛ أن الخليفة العباسي قد فوض لسلاطين بني أيوب بمصر جميع سلطاته الشرعية ، بوظائفها الدينيه والحربية والإداريه ؛ وترك

(١) هذا رأي محمد بن يزيد اللغوي ، كما أورده ابن منظور في لسان العرب .

(٢) انظر الزبيدي : تاج العروس ٥ : ١٥٩ .

(٣) انظر ابن منظور : لسان العرب ، مادة « سلط » .

(٤) انظر القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٨٧(تقليد صلاح الدين) ؛ ٣ : ١٠٥ (تقليد الملك الكامل) .

لهؤلاء السلاطين إختيار الأكفاء من رجال دولتهم ورعاياهم ، القادرين على النهوض بأعباء هذه الوظائف على الوجه الأكمل ، ليفوض السلطان بدوره ، لكل منهم ، سلطات الوظيفه التى يستطيع الإضطلاع بها ؛ ولقد أوضحت كتب السياسة الشرعيه ، أن تفويض السلطان الوظائف العامة للأكفاء ، يعدّ فى الفقه الدستورى الإسلامى ، من باب أداء الأمانات إلى اصحابها [1] ؛ وذلك لأن حق الرعيه ، يعدّ من الناحية الشرعية النظرية هو حق الله [2] ؛ بمعنى أن من فرّط فى مصلحة الرعية ، وفى حق من حقوقها ، فكأنه فرط فى حق من حقوق الله .

ولما كانت الألقاب التى منحتها الخلافة العباسية لسلاطين بنى ايوب ، قد مُنحت لهم بعد أن إستعادت هذه الخلافه هيمنتها العامه تقريباً على ديار الإسلام بسقوط الخلافة الفاطميه بمصر ، وبعد تفرّدها بحق التلقيب الرسمى ؛ وحين اصبحت كلمتها مسموعة مهابة بين جميع ملوك الأطراف ، حتى أصبحت طاعتهم فى العرف الإسلامى العام آنذاك مفروضة واجبه على المسلمين ؛ فإن تلقيب دولة الخلافة لملوك بنى أيوب بلقب « سلطان » ، قد جعل من هؤلاء الملوك أعظم ملوك الإسلام ، الناهضين بمساندة دولة الخلافة العباسية فى رعاية شئون الدنيا والدين ، لكون الاسلام دين ودولة [3] .

وبالنسبة لتاريخ حمل الملوك الأيوبين للقب « سلطان » ؛ فلقد لاحظ المؤرخون المحدثون ، أنه من الثابت تاريخياً أن صلاح الدين لم يتخذ لقب «سلطان» رسمياً ، وإن كان بعض المؤرخين القدماء قد أضفوا عليه هذا اللقب[4] ؛ فى حين ذهب البعض الآخر من المؤرخين المحدثين، إلى أن صلاح

(١) انظر ابن تيميه : السياسه الشرعيه ، تحقيق على سامى النشار ، ١٩٥١م ، ص٤ ـ ١١ .
(٢) نفس المصدر ، ص٦٦ ـ ١٧٢ .
(٣) راجع أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم ص ٢٣٥ ـ ٢٢٧ (فصل : القضاء على الخلافة الفاطمية) وص ٣٥٨ ـ ٤٢٣ (فصل : الوضع السياسى والشرعى للسلطنة الأيوبية) .
(٤) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، دار النهضة العربية ١٩٧٠م ص ١٧٥ .

الدين هو الذى أطلق هذا اللقب على نفسه [1] ؛ وهى ملحوظة هامة يؤيدها التقليد الخليفى لصلاح الدين ، الذى خلّى من هذا اللقب ؛ وعلى هذا الأساس ، فنحن نرفض ما ذهب إليه البدر العينى ، حين قال : « أن لفظة سلطان، إنما ظهرت فى دولة بنى أيوب ، لأن أول من ملك منهم ، هو السلطان صلاح الدين ، ولم يكن أحد قبله يخاطب بالسلطان » [1] ؛ وذلك لأن هذا اللقب قد تلقب به كثيرون قبل صلاح الدين ، سواء بصفة رسمية أو إغتصاباً ؛ وأغلب الظن أن البدر العينى ، وهو مؤرخ ألف كتابه فى عصر السلطنه المماليكيه بمصر ، وارثه السلطنه الأيوبيه ، قد حاول أن يبالغ فى أهمية السلطنة الأيوبية ، بالنسبة لتاريخ الخلافة الإسلامية .

ونستطيع أن نقرر أن الملك العادل ، هو أول من حمل لقبى « السلطان » و « خليل أمير المؤمنين » ، بصفة رسمية ، من الخليفة العباسى سنة ٦٠٤ هـ[3] ؛ وعنه توارث جميع سلاطين بنى أيوب هذا اللقب ، حتى نهاية دولتهم ؛ بل ورثه عنهم سلاطين المماليك بمصر [4] .

وقد استلفت نظر بعض الباحثين [5] ، أن سلاطين بنى أيوب ، قد حملوا جميعاً لقباً مذدوجاً ، هو « السلطان الملك » ؛ وعللوا هذا اللقب المزدوج ، بإشارة القلقشندى وابن خلدون ، أن الوزير جعفر البرمكى هو أول من حمله[6] ؛ وأن وزراء السيوف فى العصر الفاطمى المتأخر ، قد توارثوا لقب

(١) Ahmed zaki : Coupe Magique , P 260.
(٢) انظر البدر العينى : الروض الزاهر ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .
(٣) انظر المقريزى : السلوك ١ : ١٦٨ .
(٤) راجع ما تقدم وما سيأتى .
(٥) Ahmed zaki : Coupe Magique , P 260 - 262
(٦) أنظر القلقشندى : صبح الأعشى طبع بولاق ، ٩ : ٤٠٥ ؛ ابن خلدون : المقدمة ، طبع بولاق ١٢٨٤ هـ ، ص ١٩٩ .

«الملك» [1] ، فى حين أطلق على العادل بن سلار ـ وكان سنى المذهب ـ لقب سلطان [2] ، كما إتخذ بعض إخوة وزراء السيوف الفاطميين هذا اللقب [3] ، فى حين منح الخليفة الفاطمى العاضد لقب الملك لشيركوه ولصلاح الدين بصفة رسمية .

وعلى هذا الأساس ، فقد ورث الأيوبيون عن وزراء السيوف الفاطميين لقب ملك [4] ، فى حين آل اليهم لقب سلطان عن طريقين : أولهما السلاطين الزنكيين الذين عمل آباء الأيوبيين فى خدمتهم ، وثانيها عن وزراء السيوف الفاطميين [5] .

ويفيدنا القلقشندى ، أن الفرق بين « السلطان » و « الملك » ، أن الملك أخص ؛ بمعنى أن السلطان قد يكون تابعاً له أكثر من ملك ؛ بمعنى أن السلطان يعنى ملك الملوك [6] ، وهو اللقب الذى لقّب به الخليفة العباسى الملك العادل سنة ٦٠٤ هـ ، فخاطبه بـ « شاهنشاه » ملك الملوك [7] .

ولقد حمل سلاطين بنى أيوب ومن بعدهم سلاطين المماليك ، ألقابا تدل على نهوضهم بعبء مساندة دولة الخلافة الإسلامية العباسية السنية فى رعاية شئون الدين والدنيا ، لكون الإسلام دين دولة ، فلقد ورث سلاطين بنى ايوب عن صلاح الدين مؤسس دولتهم ، لقب « تاج الملوك والسلاطين » الذى منحه له الخليفة [8] ، إذ توارثه جميع السلاطين الأيوبيين [9] ، ويرى البعض أنه فى

(١) انظر القلقشندى : صبح ، طبعة دار الكتب المصرية ، ٥ : ٤٤٧ ـ ٤٤٨ ، الخالدى : المقصد ـ خ ، لوحه ١٩٣ أ ـ ١٩٣ ب ، القلقشندى : صبح ٩ : ٣٩٩ ـ ٤٠٤ .

(٢) راجع أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم ٢٣٥ ـ ٤٢٣ .

(٣) أنظر المقريزى : الخطط ، طبعة بولاق ، ١ : ٤١١ ، ٤٨٦ ؛ رغم أن هذا الأخ لم يكن إلا مجرد والياً للإسكندرية .

(٤) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ١ : ٨٧ .

(٥) حسن الباشا : الألقاب ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

(٦) القلقشندى : صبح ٩ : ٣٩٨ . (٧) المقريزى : السلوك ١ : ١٦٨ .

(٨) انظر القلقشندى : مآثر الإنافة ٣ : ٨٧ ـ ٨٨ .

(٩) حسن الباشا : الألقاب ص ٢٣٢ .

العصر الأيوبى ، أخذ « اللقب المضاف إلى الدنيا والدين » يختص بالسلاطين دون غيرهم ، وأن أول من تلقب بهذه الألقاب المضافة إلى الدنيا والدين بصفة رسمية من الخلفاء العباسيين ، هو السلطان طغرلبك ، أول سلاطين السلاجقة [1] .

ولا شك فى أن توارث سلاطين بنى أيوب لهذه الألقاب « السلطان » ، و «تاج الملوك والسلاطين » ، قد ميزهم عن معاصريهم من ملوك الأطراف فى المشرق الإسلامى ؛ خاصة بعد أن نهضوا بفريضة الجهاد ضد الصليبيين بإسم الخليفه العباسى ، وقيامهم بحماية ورعاية فريضة الحج ؛ فضلاً عن إحيائهم لدولة الخلافة العباسيه ، وقضائهم على الخلافة الفاطمية ، والكيانات السياسيه الشيعيه ، كما أن فى حملهم للألقاب المضافة إلى « الدنيا والدين » ، إشارة خفيه لتفويض الخليفة العباسى لهم لسلطانه الشرعية التى تشمل الدنيا والدين ، لكون الإسلام دين ودولة [2] .

وهذه الألقاب الدالة على مساندة السلاطين السُّنيين ، لدولة الخلافة العباسية السنية فى رعاية شئون الدين والدنيا ، كان أول من حملها السلطان محمود الغزنوى ، وهو أول من تلقب رسمياً بلقب سلطان ـ كما حققنا ـ ، ونقشه على آثاره ، وتلقب أيضاً بيمين الدولة ؛ [3] ثم تلقب بعض سلاطين السلاجقه بألقاب : « يمين أمير المؤمنين » ، و « برهان أمير المؤمنين » و « قسيم أمير المؤمنين» [4] ؛ ثم تلقب نور الدين زنكى بـ « قسيم الدولة وعمادها » و «اختيار

(١) حسن الباشا : الألقاب . ص ١٥٤ .

(٢) أحمد فؤاد : نظم الحكم ، الفصول الخاصه بالقضاء على الخلافة الفاطميه ، والوضع السياسى والشرعى للدولة الأيوبيه ، والسلطنة الأيوبية .

(٣) انظر المنينى : شرح التاريخ اليمينى ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٤) أنظر الراوندى : راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة عن الفارسيه الشواربى وحسنين والصياد ، القاهرة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠م ص ١٤٣ .

الخلافة ومعدها » « ورضى الإمامه وأميرها » و « ناصر دولة أمير المؤمنين » [1] ؛ وقد حمل سلاطين الإيوبيين ومن بعدهم تلامذتهم سلاطين المماليك ، ألقاباً مشابهة لهذه الألقاب .

ونستطيع أن نصنّف الألقاب التى أضفاها ملوك وسلاطين بنى ايوب على أنفسهم ، وورثها عنهم سلاطين المماليك ؛ إلى ألقاب رسميه منحها لهم الخلفاء العباسيون ، ووردت فى تقاليدهم ؛ وألقاب فخرية أسبغها عليهم كتاب دولتهم ومتملّقوهم ؛ أو نعوت نعت بها ملوك بنى ايوب أنفسهم للإتّصاف بالصفات التى أملتها روح العصر ، مثل الزهد والعلم ؛ كما حملت بعض هذه الألقاب الفخرية ، معانى المبالغة فى النفوذ السياسى والحربى والروحى للسلطنة الأيوبية .

والواقع أن هذا الصنف الأخير من الألقاب الفخرية الطنانة ، لم يظهر بجلاء إلا فى ألقاب السلاطين الأيوبيين المتأخرين ، حين إنكمش النفوذ السياسى لسلطان مصر ، بإستقلال ملوك الأطراف الأيوبيين عنه ، أو بضم سلاطين خوارزم بإيران ، أو سلاجقة الروم بآسيا الصغرى لبعض الممتلكات الأيوبية ببلاد الجزيرة الفراتية وشمال الشام من ناحية ، ونتيجة لتزايد الأطماع الصليبية فى غزو مصر من ناحية أخرى ؛ وهذا الأمر ينسحب أيضاً على الألقاب الفخرية الطنانة التى حملها سلاطين المماليك الأواخر بمصر ، بعد ظهور قوه البرتغاليين كقوة صليبية حربيه وتجارية ، وبعد إستقواء طموح الدوله العثمانية الإسلامية السنيه الفتيه فى ضم مصر إلى ممتلكاتها ، ونقل مقر الخلافة والسلطنة الإسلامية إلى عاصمتها اسلامبول ؛ وذلك بعد أن تمكن سلاطين العثمانين من إسقاط مدينة القسطنطينيه عاصمة الدولة البيزنطيه ، وفتح أغلب بلاد شرق أوربا ، المتمثله فى بلاد آسيا الوسطى والقوقاز وشبه جزيرة البلقان، فى القرنين التاسع والعاشر الهجريين .

---

(١) أنظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، طبع الهند ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م ٨ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق (ترجمة نور الدين زنكى) .

وبعض الألقاب الرسميه التى حملها سلاطين بنى أيوب ، وتوارثها عنهم سلاطين المماليك ، يظهر العلاقة الوثيقة بين الخلافة العباسية وبنى أيوب، مثل الإشارة إلى قيامهم بإحياء الخلافة العباسيه ، أو إلى تقسيم السلطة السياسية بينهم وبين الخلافة ، أو تأكيد طاعتهم وولائهم للخليفة ، أو التنويه بالمعونات العديدة التى أسدوها له ، أو تخليداً لمظاهر الود والصداقة ، التى ربطت بين الخلافه العباسيه ، وهؤلاء السلاطين السنين .

ومن هذه الألقاب « صفى الخلافة » الذى منح لصلاح الدين [1] و « خليل أمير المؤمنين » الذى منح لأخيه العادل [2] ، و « ظهير أمير المؤمنين » الذى يبدو أنه منح للملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين وخليفته فى حكم مصر بصفه رسميه ، بدليل إستخدامه على نقوشه [3] ، و « معين أمير المؤمنين» [4] ، الذى منح للملك الكامل بعد توليه سلطنة مصر .

والواقع أن لقب « **خليل أمير المؤمنين** » هو اللقب الذى توارثه أغلب سلاطين بنى أيوب بمصر ، وأثبتوه على نقوشهم [5] ؛ ويبدو أن السلطان العادل

---

(١) القلقشندى : مآثر الإنافة ٣ : ٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) انظر المقريزى : السلوك ١ : ١٦٨ .

G. Wiet : Les inscription du Mousolee de shafei , P. 175 .

(٣) انظر عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى ص ٣٦ ـ ٣٧ ؛

Jean David weill : Catalogue general du Musee Arabe du Caire ... ,les Bois a Erigraphes Jusqu'a L ' epoque Mamlouke , Le Caie , 1931, P 14 , NO, 484 .

(٤) القلقشندى : مآثر الإنافه ٣ : ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٥) لقب به الملك العادل راجع حسن الباشا : الألقاب ص ٢٠١ ، كما لقب به ابنه السلطان الكامل محمد راجع .

G. Wiet : Les Inscriptions de shafiei , P. 175 .

وحفيده الملك الصالح نجم الدين ايوب راجع .

Van Berchem : Materiaux , P.103 , P 105 .

الأول ابو بكر بن أيوب ، هو أول من لقب به بصفة رسمية ، إذ اثبت فى التقليد الخليفى للملك العادل بالسلطنة - الذى أرسل اليه فى سنة ٦٠٤ هـ[١] رغم أنه لم يرد من قبل فى التقليد الخليفى لأخيه صلاح الدين ؛ ويفيدنا القلقشندى ، أن لقب « خليل أمير المؤمنين » هو الأدنى مرتبة مباشرة ، من لقب « قسيم أمير المؤمنين » [٢].

ويبدو أن لقب « قسيم أمير المؤمنين » قد أطلق على صلاح الدين ، فى الأوساط الشعبية بمصر ؛ وهو لقب حمله من قبل بعض سلاطين السلاجقة[٣] ، كما حمل نور الدين زنكى بعض ألقاب مشابهة له [٤] ؛ ولكن الأرجح أن صلاح الدين وخلفاءه من سلاطين بنى أيوب لم يحملوه ، وذلك للإبقاء على النفوذ العباسى للخليفة العباسى ، مهاباً مصوناً ؛ ولكن بعد أن اسقط التتار بقيادة هولاكوخان دولة الخلافة العباسيه فى بغداد سنة ٦٥٦هـ ، ونقل السلطان المماليكى الظاهر بيبرس الخلافة العباسية إلى القاهرة سنة ٦٥٩ ، لقب بلقب «قسيم أمير المؤمنين » [٥] ؛ وهو لقب يشى بمحاولة السلطان المملوكى بيبرس، الظهور أمام العالم الاسلامى ، بمظهر من يُقاسم الخليفة سلطانه فى ديار الإسلام [٦] ؛ ولقد توارث هذا اللقب أغلب سلاطين

(١) المقريزى : السلوك ١ : ١٦٨ ؛ الذى يذكر أنه لما تسلطن العادل فى سنة ٦٠٤ هـ ، أرسل إليه الخليفه العباسى الناصر بقلده جميع البلاد التى فتحها ، ويخاطبه بـ « شاهنشاه ملك الملوك ، خليل أمير المؤمنين » .

(٢) القلقشندى : صبح ٦ : ١١٣ ـ ١١٤ .

(٣) انظر الراوندى : روحة الصدور ص ١٤٣ ؛ وراجع ما تقدم .

(٤) انظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ؛ وراجع ما تقدم .

(٥) انظر ابن ايبك : الدر الزكية ص ٤٩ ؛ المقريزى : السلوك ١ : ٤٤٧ ، حسن الباشا الألقاب ص ٢٠٤ .

(٦) انظر محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البندقدارى ، المجلة التاريخيه المصريه ، المجلد الثالث ، مايو ١٩٥٠ م ، ص ٩١ ـ ١٠٢ ؛ ففيه دراسة وافية لألقاب بيبرس اعتماداً على النقوش التأسيسية لجامعه .

المماليك[١] .

ويبدو أن رجال دولة صلاح الدين قد لقبوه بـ « محى دولة أمير المؤمنين »[٢] وأغلب الظن أن هذا اللقب لم يمنحه الخليفه العباسى لصلاح الدين ، أولاً لعدم وروده فى وثيقة تقليده ، وثانياً لاستبعاد تصريح الخليفة بمثل هذا اللقب ، حتى ولو كان حقيقى الدلالة ؛ فأغلب الظن إذا ، أنه جاء من وحى إعتزاز كتاب رسوم المكاتبات والبروتوكولات بديوان الإنشاء المصرى بسلطانهم ، وإشادتهم بدوره فى توحيد العالم الإسلامى حول الخلافة العباسية؛ ويرى بعض الباحثين أن لقب « محى دولة أمير المؤمنين » ، الذى لقب به صلاح الدين بصفة غير رسمية ، كان المصدر للّقب الذى ابتكره كتاب ديوان الإنشاء فى العصر المماليكى ، وهو لقب « محى الدولة العباسية » ، الذى إتخذه الملك الأشرف خليل بن قلاوون [٣] ؛ اغلب الظن بعد استئصاله شأفه الصليبيين من ساحل بلاد الشام .

(١) لقب به السلطان شعبان فى نقش مؤرخ سنة ٧٧٠ هـ انظر حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٤ ؛ والسلطان المؤيد شيخ فى نقش مؤرخ سنة ٨١٩هـ أنظر نفس المرجع ١ : ٢١٢ ؛ والسلطان الأشرف برسباى فى نقش مؤرخ سنه ٨٢٨ هـ أنظر نفس المرجع ١ : ٢٢١ ؛ أما السلطان قايتباى فقد لقب قسيم الخليفه أنظر نفس المرجع ١ : ٢٧١ .

(٢) جاء هذا اللقب على نقش بقلعة القاهرة مؤرخ سنة ٥٧٩هـ راجع حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٦٤ ـ ٦٦ (لوحه مصوره) ؛ وهذا اللقب لقب به من قبل السلطان السنى محمود الغزنوى ، انظر الكرملى : النقود العربيه ص ١٣٣ ؛ حسن الباشا : الألقاب ص ٤٦٣ ؛ وانظر العتبى : التاريخ اليمينى ١ : ٢٠ ـ ٢٩ .

(٣) تتبع أحمد زكى باشا فى دراسته الممتعه لألقاب صلاح الدين التى وردت على طاسة الخضه ، لقب « محى دولة أمير المؤمنين » ، لكونه قريب الدلالة من لقب « قسيم أمير المؤمنين » ، الذى نقش على هذه الطاسة ، وانتهى إلى أن الخليفة العباسى لم يمنح هذا اللقب قط لصلاح الدين ، ولكنه كان من ابتكار القاضى الفاضل رئيس ديوان الإنشاء المصرى فى عهد صلاح الدين ، لوروده فى نص رسالة فاضلية أوردها ابو شامة فى الروضتين ؛ وما لبث أن شاع هذا اللقب بين كتاب وأدباء العصر الأيوبى ، بحيث =

ولكن رغم أن لقب « محى دولة أمير المؤمنين » لم يكن لقباً رسمياً لصلاح الدين ، فقد إستجاز كتاب ديوان الإنشاء بمصر الأيوبيه لأنفسهم ، محاكاة للقاضى الفاضل ، إثبات هذا اللقب على نقوش صلاح الدين [1] ، وعلى نقوده [2] .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نلاحظ ، أن ثمة ألقاب حملها صلاح الدين بطريقة رسميه ، لورودها فى تقليده الخليفى ؛ وثمة ألقاب حملها أخوه الملك العادل بعد توحيده للدولة الأيوبية سنة ٦٠٤ هـ، وإقرار الخليفة العباسى له بالسلطنة ، ومنحه التقليد الخليفى الذى لقبه فيه بـ « شاهنشاه ، ملك الملوك ، خليل أمير المؤمنين » ؛ أى أن هذه الألقاب الجديدة المضافة إلى ألقاب صلاح الدين الرسميه ، قد منحت للسلطان العادل بصفه رسميه أيضا ، ومن ثم فقد توارثها سلاطين بنى أيوب ، إلى آخر دولتهم ؛ ثم ورثها عنهم تلامذتهم سلاطين المماليك .

= استخدمه الخطباء فى أول خطبه جامعة أقيمت على منابر بيت المقدس ، بعد أن إسترده صلاح الدين من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ ؛ وأيد أحمد زكى رأيه فى أن هذا اللقب لم يكن رسمياً ، بأن القلقشندى حين عرض للألقاب الرسمية ، لم يذكر سوى لقبى «محى السنة » و « محى العدل فى العالمين » ؛ ومن ناحية أخرى ، فقد تدارس زكى باشا الوثائق والمكاتبات التى أرسلها خلفاء بنى العباس لصلاح الدين ، فلم يجد إلا لقباً شبيها له ، هو « معز أمير المؤمنين » ، ولكنه ولاريب مخالف له فى الدلالة .

أنظر Ahmed zaki : Coupe Magique , P . 263 - 265

(١) انظر حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٦٤ ـ ٦٦ (مع لوحه مصورة) Van Berchem : Materiaux P . 81; Corpus , Egypte, V.1, No 527 ,

(٢) Lane Poole : Catalague oF Oriental Coins in the British Musum , v 4 , p 71 ، 72 ; Soret : Element de la numismatique musulmame , P . 168 .

ومن الألقاب الكثيرة والمتنوعة لسلاطين بنى أيوب ، نولى إهتماماً خاصاً بألقابهم التى تدل على إتساع نفوذهم السياسى والدينى على ديار الإسلام ، لكونهم قد ، اصبحوا بسيطرتهم على الحرمين الشريفين مكة والمدينة ببلاد الحجاز ، واستردادهم لبيت المقدس من أيدى الصليبيين بالشام ، وحمايتهم لفريضة الحج التى صاحبها بعد استرادهم للقدس ظاهرة الحج لبيت المقدس ، بعد الحج لمكة ، وذلك بعد إنتهاء موسم الحج [1] ؛ وأهم هذه الألقاب ولا ريب ، « خادم الحرمين الشريفين » [2] و « صاحب الحرمين الشريفين » [3] . و « ملك الحرمين الشريفين والبيت المقدس [4] » .

ولا يخفى أن السيادة على الحرمين الشريفين ، تعتبر رمزاً لشمول النفوذ على العالم الإسلامى كله [5] ؛ فلا غرو أن أطلق بعض سلاطين الأيوبيين على أنفسهم لقب سلطان الإسلام والمسلمين [6] ، وشجعوا رجال دولتهم على

(١) أنظر أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم فى العصر الأيوبى ص ٣٥٨ ـ ٤٢٣ (فصل : الوضع السياسى والشرعى للسلطنه الأيوبيه) .

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه (سيره صلاح الدين الأيوبى) ، تحقيق جمال الدين الشيال ص٣ .

(٣) حسن الباشا : الألقاب ص ٣٧١ .

(٤) نفس المرجع ص ٤٤٥ ؛ والواقع أن لقب « حامى حمى الحرمين الشريفين » ، وكان هو اللقب الذى ورثه السلطان المماليكى الظاهر بيبرس ، عن سلاطين بنى أيوب ، وجعله أحد دعائم زعامته للعالم الإسلامى ، بعد أن ساهم فى هزيمة المغول فى عين جالوت سنة ٦٥٨هـ ، ونقله للخلافه العباسيه إلى مصر سنة ٦٥٩ ؛ أنظر ابن ايبك : الدره الزكية ص ٤٩ ؛ والمقريزى : السلوك ١ : ٤٤٧ ؛ وأنظر دراسه مستفيضة لألقاب بيبرس فى مقال عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البندقدارى : المجله التاريخيه المصرية ، المجلد الثالث، مايو ١٩٥٠م ، ص ٩١ ـ ١٠٢ ؛ وقد ورث هذا اللقب عن سلاطين المماليك سلاطين العثمانيين ؛ أنظر أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم فى العصر الأيوبى ص ٣٥٨ ـ ٤٢٣ .

(٥) حسن الباشا : الألقاب ص ٣٦٨ .

(٦) نفس المرجع ص ٣٣١ ـ ٣٣٣ .

مخاطبتهم به [1] ؛ بحيث ذاع هذا اللقب فى ديار الإسلام ، وطار فى الآفاق ، وصار علماً على سلاطين بنى أيوب ، يلقبهم به العلماء والمفكرون ، حتى من حظى برعاية عظماء ملوك الإسلام ، المزاحمين للدولة الأيوبية فى نفوذها السياسى، وأعنى بهم ملوك الدولة الخوارز مشاهيه فى إيران وما وراء النهر وعراق العجم [2] .

ولقد توارث سلاطين المماليك عن سلاطين بنى أيوب ، الألقاب الخاصة بتهوضهم بوظيفة السلطنة الإسلامية فى رعاية شئون الدين والدنيا ، ومساندة دولة الخلافة العباسية فى هذا الأمر ؛ ومقاسمتها سلطتها السياسية الشرعية ، وحمايه الحرمين الشريفين ؛ فتلقب السلطان الظاهر بيبرس بنقوش جامعة سنة ٦٦٠هـ، بـ « ركن الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ـ رضا وحب ـ خادم القبلتين والآمر ببيعة الخليفتين، خادم الحرم الشريفى ، قسيم أمير المؤمنين ». [3] وتلقب المنصور قلاوون بنقوش مدرسته سنة ٦٨٣ هـ ، بـ «السلطان الأعظم ، سيف الدنيا والدين » [4] ، وتلقب الأشرف شعبان بنقوش مدرسته سنة ٧٧٠م بـ « سلطان الإسلام والمسلمين ، محى العدل فى العالمين، مظهر الحق بالبراهين ، حامى حوذة الدين ، سيد الملوك والسلاطين ، قسيم أمير المؤمنين ، ناصر الملة المحمدية » [5] ؛ وتلقب الظاهر برقوق ، بنقوش مدرسته سنة ٧٨٨هـ بـ « سيف الدنيا والدين ، الحاكم بأمر الله ، والتالى لكتاب الله ،

(١) انظر ابن شداد : النوادر ، ص ٣ ؛ النابلسى : تجريد المهمه لوحه ٢ ، أ ـ ب .
(٢) ألف الإمام الفخر الرازى ت ٦٠٦ هـ ، الذى عاش فى بلاط الدولة الخوارزميه وحظى عند ملوكها ، كتابه أساس التقديس ، واهداه للسلطان العادل ابى بكر ابن ايوب ، ولقبه بهذا اللقب أنظر أساس التقديس ص٣ ، س٣ ـ ٦ .
(٣) انظر عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البندقدارى : المجلة التاريخيه المصرية ، المجلد الثالث ، مايو ١٩٥٠م ، ص ٩١ ـ ١٠٢ .
(٤) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١١٤ .
(٥) نفس المرجع ١ : ١٨٤ .

سلطان الإسلام والمسلمين ، نُصرة الغزاه والمجاهدين ، حامى حوذة الدين [1] »، وتلقب المؤيد شيخ ، بنقوش جامعه سنة ٨١٩هـ ، بـ « سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ، مُظهر الحق بالبراهين ، حامى حوذة الدين، قسيم أمير المؤمنين ، صاحب العلمين ، خادم الحرمين الشريفين » [2] ؛ وتلقب الأشرف برسباى بنقوش مدرسته سنة ٨٢٧ هـ بـ: « سلطان الإسلام والمسلمين ، قاتل الكفره والمشركين ، محى العدل فى العالمين ، قسيم أمير المؤمنين ، خادم الحرمين الشريفين [3] » وتلقب الأشرف قايتباى ، على نقوش القبه القدارية سنة ٨٨٤هـ بـ « ناصر دين الله ، حافظ بلاد الله ، قسيم خليفه الله [4] » وتلقب على نقوش مسجده بالروضه : « سلطان الإسلام والمسلمين ، محى العدل فى العالمين ، ناصر شريعة سيد المرسلين » [5] ؛ وتلقب الأشرف قنصوه الغورى بنقوش مدرسته سنة ٩٠٩هـ بـ« الإمام الأعظم ، الملك المكرم، ملك البرين والبحرين ، خادم الحرمين الشريفين » [6] .

وقد زاد فى العصر المماليكى الإيقاف على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، ولاسيما كسوة الكعبة ، وعلى فقراء مكة والمدينة ؛ حرصاً من سلاطين المماليك على القيام بكل ما يؤكد زعامتهم للعالم الإسلامى ، ومن ذلك بسط سيادتهم على الحجاز [7] ؛ وقد وصف السلطان قايتباى على نقوشه بـ « الحاج

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٩٧ .
(٢) نفس المرجع ١ : ٢١٢ .
(٣) نفس المرجع ١ : ٢٢١ .
(٤) نفس المرجع ١ : ٢٧١ .
(٥) نفس المرجع ١ : ٢٧٣ .
(٦) نفس المرجع ١ : ٢٩١ .
(٧) محمد محمد أمين : الأوقاف ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

إلى بيت الله ، الفائز بزيارة قبر رسول الله ، من فضّله الله بالحج والزيارة على ملوك البريه ، وناداه ربه فحج » [1] ربه ولقد أوقف قايتباى عدداً من المشكاوات على الحرم النبوى بالمدينة ، نقش عليها إسمه ، وصل الينا عدد منها محفوظ بالمتحف الإسلامى [2] ؛ هذا فضلاً عن العمائر الدينية والخيرية التى بناها سلاطين المماليك ، مثل المؤيد شيخ ، والأشرف قايتباى ، وقانصوه الغورى ، فى الأقطار الحجازية [3] .

ونمه بعض الألقاب التى منحتها الخلافة العباسية لسلاطين بنى أيوب ، منذ عصر صلاح الدين ، للإشارة إلى قضائهم على الدعوة الفاطمية ، مثل : « جامع كلمه الإيمان » [4] ، و « قامع الخوارج والمتمردين » [5] ، « ودافع المتمردين فى البلاد » [6] و « دامغ المفسدين فى البلاد » ، و « ماحى البغى والعناد » و « ماحى البغى والفساد » ، و « مهلك الطغاه والمارقين » ؛ وقد حمل بعض سلاطين المماليك ، مثل هذه الألقاب ، فتلقب السلطان شعبان بـ « قاهر الخوارج والمتمردين » [7] .

كذلك مُنح سلاطين بنى أيوب ، ألقاباً تمجد دورهم السياسى فى توحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الصليبيين فى بلاد الشام ، ودورهم الحربى فى التصدى للقوى الصليبية بالشام ، والحاق الهزائم بها ، واسترداد بيت المقدس من

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٧١ ؛ وراجع ما تقدم .
(٢) محمد محمد أمين : الأوقاف ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ؛ وراجع ما تقدم .
(٣) راجع ما تقدم .
(٤) حسن الباشا : الألقاب ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦ .
(٥) انظر ابن شداد : النوادر ١٢٤ ـ ١٢٦ ؛ حسن الباشا : الألقاب ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
(٦) أنظر حسن الباشا : الألقاب ص ٤٢٥ ، ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ، ٥١٥ .
(٧) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٤ .

أيديهم ، مثل ألقاب : « المجاهد » [1] ، « المثاغر » [2] ، « سيد ملوك المجاهدين » [3] ، « مطهر قبور الإسلام والمسلمين من رجس الكافرين » [4] ، « قامع عبدة الأوثان [5] » ، « قامع عبدة الصلبان [6] » ، « حافظ الجمهور » [7] ، « حامى الثغور » [8] ، « سيف الإسلام » [9] ، « سيف الدولة [10] » ، « منقذ بيت المقدس من أيدى الكافرين [11] » ؛ وقد ورث سلاطين المماليك بعض هذه الألقاب ، مثل « قاتل الكفرة والمشركين [12] » ، و « كنز الغزاة والمجاهدين [13] » .

وأغلب الظن أن بعض هذه الألقاب ، قد مُنحت رسمياً من الخلافة العباسية ، ووردت فى المهود الخليفيه لسلاطين بنى أيوب ، والبعض الآخر أطلقه بنو أيوب على أنفسهم ؛ ولكننا لانستطيع التمييز بدقة بين كلا النوعين من الألقاب ، لعدم توفر جميع التقاليد الخليفيه لسلاطين بنى أيوب [14] .

(١) ـ (٢) حسن الباشا : الألقاب ص ٤٥١ ـ ٤٠٢ ، ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .
(٣) القلقشندى : صبح ، ١٠ : ٩٩ ـ ١١١ ؛ حسن الباشا : نفس المرجع ، ١٩٣ ، ٣٥٠ .
(٤) ـ (١١) حسن الباشا : الألقاب ص ٤٧٣ ، ٤٢٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ .
(١٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٤ ، ٢١٢ .
(١٣) نفس المرجع ١ : ١٨٤ .
(١٤) أغلب الظن أن الكتابات الرسميه على النقوش ، كانت تلتزم بالألقاب الرسميه التى منحها الخليفة لسلاطين بنى ايوب ؛ وفى بعض الأحيان ، كان ديوان الإنشاء المصرى ، يزيد بعض الألقاب التى يؤثرها هؤلاء السلاطين لأنفسهم ويجدونها جديرة بهم ، أو أحياناً لاستغلالها كوسيله دعائيه إعلامية عن مكانتهم فى العالم الإسلامى ؛ والملاحظ أن هذه الألقاب الفخريه الواردة على النقوش الأثريه للعصر الأيوبى ، الخاصة بمنشآت سلاطين بنى أيوب ، تكاد تطابق الألقاب التى أوردها كتاب ومؤرخو هذا العصر فى الكتب الرسمية التى أهدوها لهؤلاء السلاطين ، أو ألفوها باسمهم ، وذلك فى ديباجة هذه المؤلفات؛ انظر ابن شداد : نوادر ، ص ٣ ، س٩ ـ ١١ ؛ ابن مماتى : قوانين ، ص٥٢ ، س١ ـ ٢ ؛ الشيزرى : المنهج المسلوك ، ص ٣ ، س٩ ـ ١١ ؛ ابن بعرة : كشف الأسرار العلميه ص٥٠ س ٢٠ ؛ النابلسى : تحريد سيف الهمة ، لوحه٩٢ ب ، س٦ ؛ النابلسى : إظهار صنعة الحى القيوم ، ص٢ ، س٧ ـ ٨ ؛ النابلسى : لمع القوانين ، ص٣ ، س٦ـ٩ .

كما دلت بعض ألقاب سلاطين بني أيوب على إتساع نفوذهم السياسي، وامتداد ممتلكات دولتهم ؛ وأغلبها ذات دلالة حقيقية ؛ في حين أن بعضها خاصة التي حملها المتأخرون منهم ، كان يغلب عليه طابع المبالغة والصبغة الإعلامية الدعائية ؛ فمن هذه الألقاب : « صاحب ديار مصر وزبيد وعدن واليمن وديار بكر » [1] ، « ملك الديار المصرية والشاميه والأخلاطية » [2] « شاه أرمن » [3] ، « فاتح الطراز الأخضر من بني الأصفر » [4] .

والغريب أن آخر سلاطين الأيوبين ، وهو الملك الصالح نجم الدين أيوب ، حاول أن يوهم ببلوغ الدولة أقصى إتساعها في أيامه ، فتلقب بـ « شهريار الشام، سلطان العرب والعجم ، صاحب الحرمين الشريفين ، ملك البرين والبحرين ، ملك الهند والسند (؟!) واليمن ، ملك صنعاء وزبيد وعدن ، سلطان المشارق والمغارب»[5] ؛ والطريف أن الملك الأشرف موسى بن الملك العادل ابي بكر ، وجد في سيطرته على أغلب أجزاء الجزيرة الفراتية ، مسوغاً ليدعت نفسه بـ «سلطان العراق » [6] وبـ « خسروا إيران » [7] .

ومن الألقاب الدالة على إتساع النفوذ السياسي لسلاطين المماليك: «صاحب الديار المصرية ، والبلاد الشاميه ، والحصون الإسماعيلية ، والثغور السكندرية ، والقلاع الساحلية ، والأقطار الحجازية ، والأعمال الفراتية » [8] و « ملك العرب

(١) حسن الباشا : الألقاب ص ٢٧٢ .
(٢) نفس المرجع ص .
(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ : ٧١١ ؛ حسن الباشا : المرجع السابق ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ؛ وانظر ديوان ابن النبيه ، ص ١٥ ، ٢٢ ، ٥٦ ، ٧٦ .
(٤) حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٤١٥ .
(٥) نفس المرجع ص ٥٠٦ .
(٦) نفس المرجع ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .
(٧) نفس المرجع ص ٢٧٥ .
(٨) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٤ .

والعجم والترك والديلم » [1] ، و « سيد ملوك العرب والعجم » [2] .

كما حمل سلاطين بني أيوب وسلاطين المماليك ، القاب وكُنَى ، تشير إلى اعتزازهم بالإنتصار على الصليبيين والمغول ، مثل : الناصر ، والمنصور ، والمظفر ، والمؤيد ، ومثل أبي النصر ، ومثل عبارة « عز نصره » ، التي يختم بها ألقاب السلاطين ؛ فضلاً عن لقب : « الشهيد » .

وإذا كانت الألقاب الرسميه والفخرية لسلاطين بني أيوب ، قد أوضحت النفوذ السياسي والديني الذي تمتع به سلاطين بني أيوب ، وأهمية السلطنه الأيوبية ، بالنسبة للعالم الإسلامي ، والخلافة العباسية ؛ وإذا كان أغلب هذه الألقاب قد تشابه كما أوضحنا مع ألقاب السلاطين المشارقه السُّنيين ، الذين قاموا من قبل بنفس رسالة السلطنة الأيوبية في تعضيد الدعوة السنية والخلافة العباسية ، وهم على التوالي : سلاطين الغزنويين ثم السلاجقه ثم الزنكيين ؛ فقد لاحظ القلقشندي ، أن الخلع والتشاريف الخليفيه ، التي منحت لسلاطين بني أيوب ، تكاد تطابق الخلع والتشاريف التي منحها الخلفاء العباسيين للأمراء والسلاطين ، الذين قاسموهم السلطة في بغداد ، مثل أسرة البويهيين ثم السلاجقه على التوالي؛ وفي رأي القلقشندي ، أن الأيوبيين قد أصبحوا من واقع هذه الخلع ، هم سلاطين الإسلام ، وحماة الخلافة العباسية ، شأنهم شأن سلاطين السلاجقة ، إلا في كون هؤلاء كانوا اتخذوا من بغداد ، مقراً رسمياً لدار سلطنتهم ، في حين إتخذ الأيوبيون من مصر مقراً لسلطنتهم [3] .

ولقد وردت في نقوش سلاطين المماليك ، ألقاب أغلبها موروث عن

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٢١ .
(٢) نفس المرجع ١ : ٢٧١ .
(٣) انظر القلقشندي : مآثر الإنافة ٢ : ٥٩ ـ ٦٠ ، ٢٣٧ ـ ٢٤٠ ، صبح ٣ : ٢٦٩ ـ ٢٧٢ .

سلاطين بنى أيوب ؛ تشير إلى التزامهم بما نصحهم به فقهاء عصرهم الذين ألفوا لهم الكتب فى السياسه الشرعيه والأحكام السلطانيه وتدبير الملك وإصلاح الراعى والرعية ؛ من الإلتزام بالعدل ، ورعاية العلم والعلماء ، والإستماع إلى نصيحة العلماء ، وأخذ مشورتهم ؛ ومن هذه الألقاب « محى العدل فى العالمين، منصف المظلومين من الظالمين » [1] ، « العادل الحاكم بأمر الله ، التالى لكتاب الله ، المغيث لكل مظلوم وملهوف » [2]، « العادل » [3] ، « العالم»[4]؛ وذلك لأن العدل هو أساس الحكم فى الإسلام ؛ وأن العلم أحد الشروط العشرة التى يجب أن تتوفر فى إمام المسلمين الذى ينهض بوظيفه الخلافه أو السلطنة .

وكان مقام العلماء فى العصرين الايوبى والمماليكى ، مقام جليل ، على نحو ما جاء فى ألقاب الإمام الخبوشانى : « الإمام الزاهد نجم الدين ، وكن الإسلام ، قدوة الأنام مفتى الفرق» [5]، وذلك فى نقش مدرسته سنة ٥٧٥هـ. وجاء فى نقش بقبة الإمام الشافعى مؤرخ سنة ٦٠٨ هـ : « الشافعى إمام الناس كلهم ، فى العلم والحلم والعلياء والباس ، له الإمامة فى الدنيا مسلمة ، كما الخلافة فى أولاد عباس ، اصحابه خير اصحاب ومذهبه ، خير المذاهب عند الله والناس» [6] . وفى العصر المماليكى ، نجد الإشادة بالعلم على واجهات المساجد[7] ؛ ونجد أمير من المماليك البانين للمدارس يلقب نفسه : « مربى العلماء ، مقوى الضعفاء ، بانى المدارس والمساجد » [8] .

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٤ .
(٢) نفس المرجع ١ : ١٩٧ .
(٣) نفس المرجع ١ : ٢٩٤ .
(٤) نفس المرجع ١ : ١٩٧ ، ٢٩٤ ، ١٦٣ .
(٥) انظر Gastan wiet : Les inscriptions du Mausalee de Shafiei B . I . E . Tome XV , session 1932 - 1933 , PP 167 - 185, P . 170
(٦) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ص ١٧٩ .
(٧) نفس المرجع ١ : ١٣٦ .
(٨) نفس المرجع ١ : ١٦١ .

كما وردت فى نقوش سلاطين المماليك ، ألقاب تفيد بنائهم للمنشآت الخيريه لرعاية الأطفال والأرامل والأيامى والمساكين والفقراء وأبناء السبيل والصوفيه ؛ مثل ألقاب : « ذخر الأرامل والمحتاجين » [1] ؛ « منصف المظلومين من الظالمين ، كهف الفقراء والمساكين ، ذخر الأيتام والمنقطعين ، صاحب الصدقات والمعروف ، المغيث لكل مظلوم وملهوف [2] » ؛ ووجدنا صيغ دعائيه لسلاطين المماليك على النحو التالى : « أدام الله أيامه ، وأعز أحكامه ، وختم بالصالحات أعماله» [3] ، « ولى النعم ... خلد الله سلطانه ، وأفاض على العباد والبلاد جوده وإحسانه [4] » .

وساهمت الأميرات فى العصر المماليكى ، فى إنشاء المدارس والمساجد والمنشآت الخيريه ، وهذا دليل على ما كرم به الله المرأة فى الإسلام، فجعل لها ذمتها الماليه المستقله ، وجعل لها حق الملكية والبيع والشراء والهبة والوقف ؛ ولقد لقبت النساء على هذه النقوش بألقاب تشير إلى صيانة المرأة واحترامها ، واعتزاز الأميرات بالأمومه ، مثل ألقاب « الست ، الدره المكنونة ، ست الستات ، زين الخواتين » « الست المصونه » « أم السلطان » [5] .

وجميع المنشآت الدينيه والتعليميه والخيريه الكثيره التى أنشئت فى العصرين الأيوبى والمماليكى ، ذكر منشؤها فى نقوشها ـ وأغلبهم من السلاطين والأمراء

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٤ .
(٢) نفس المرجع ١ : ٢١٢ .
(٣) نفس المرجع ١ : ١٩٧ .
(٤) نفس المرجع ١ : ٢٧١ .
(٥) نفس المرجع ١ : ٢٧١ .
(٦) نفس المرجع ١ : ١٨٦ ، ٢٤٧ ؛ مرجع مقتبل باللغة الفرنسيه للدكتور أحمد عبد الرازق عن جميع ست مكة ومنشأ نسائية أخرى فى العصر المماليكى ، نشره فى مجلة Annales islamologique فى مطلع السبعينات

أنهم أنشؤوها تقرباً إلى الله، وطلباً لثوابه وغفرانه ؛ ومن المال والفضل الذى رزقهم به الله [1] .

هذا وتفيد دراسة النقوش فى دراسة أهم الوظائف الكبرى فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، والتدرج الوظيفى لكبار موظفى الدولة [2] .

كما تفيد دراسة النقوش ايضاً ، فى الوقوف على عدد من توقيعات المهندسين والصناع على العمائر والمنابر والمحاريب والتحف المنقوله [3] .

(١) انظر حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ـ ١٣٥ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢٢ ، ٢٦٥ ، ٢٩١ .

(٢) نفس المرجع ١ : ١٦١ ، ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢١ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٨١ ؛ وراجع حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربيه (١ ـ ٣) ، القاهرة ١٩٦٥م .

(٣) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٦٤ ؛ ٥٧ ، ١٥١ ، ١٣٩ ، ١٧٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧ ؛ وراجع ايضاً حسن عبد الوهاب : توقيعات الصناع على الآثار الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٧م .

الفصل الثالث

الآثـــار

عُنى الأيوبيون منذ استتباب حكمهم فى مصر ، بإنشاء عدد كبير من العمائر والمنشآت الدينية والتعليمية والخيرية ، لنشر المذهب السُّنى والعلوم السنية بمصر ، ومحاربة التشيُّع والعقائد الاسماعلية التى روَّج لها الفاطميون من قبل . وقد لاحظ القلقشندى ان المدارس والخوانق والرُّبط ، لم تنتشر فى مصر الا على يد الأيوبيين . فهو يقول : « وأما المدارس فكان المتقدمون يجلسون للعلم بالجامع العتيق (جامع عمرو) وأول من أحدث المدارس بالقسطاط بنو أيوب [1] ... » وكانت فى الدولة الفاطمية وما قبلها قليله الوجود بل تكاد ان تكون معدومه ... ثم جاءت الدولة الأيوبية ، فكانت الفاتحة لباب الخير والغارسة لشجرة الفضل [2] » « وأما الخوانق والربط فما لم يُعهد بالديار المصرية قبل الدولة الايوبية ، وكان المبتكر لها السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمة الله ، فابتنى الخانقاه الصلاحية المعروفة بسعيد السعداء [3] » . كما ابتنى صلاح الدين قلعة الجبل ، التى صارت مقراً لحكم مصر ، ولبلاط سلاطين بنى ايوب من عهد الملك الكامل محمد سنة ٦٠٤ [4] . كما مدَّد سوراً لمدينة القاهرة بغرض الإحاطه

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٣ ص ٣٤٢ س ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) نفس المصدر : ٣ : ٣٦٢ س ١٥ ؛ وانظر حسن عبد الوهاب : نشأة المدارس بمصر ، مجلة منبر الاسلام ، السنة ١٩ ، العدد ٧ ، سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م ص ٩٠ ـ ٩١ ؛ عبد الرحمن زكى : مدارس الدين فى أيام الأيوبيين ، مجلة منبر الإسلام ، السنة ٢١ ، العدد الاول ، سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ، ص ١٦١ ـ ١٦٤ .

(٣) نفس المصدر ، ٣ : ٣٤٣ س ١٥ ؛ جـ ٣ : ٣٦٤ س ١٥ .

(٤) انظر وصف القلعة فى المصادر التاريخية القديمة ، عند المقريزى : الخطط ٣ : ٣٣٠ ـ ٣٣٦ ؛ ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ـ خ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣ : ٣٦٨ ـ ٣٧٥ ؛ ابن جبير : الرحلة ، ص ٥١ .

بالعواصم الاسلامية الثلاث بمصر ، وجعلها مدينة واحدة ، تصبح القاهرة عاصمة الفاطميين احد أحيائها [1] ، وقد سخّر صلاح الدين فى بناء أسوار وتحصينات قلعة الجبل بالقاهرة أسرى الفرنج [2] ، الذين سخّرهم أيضا فى بناء أسوار المدن وتحصيناتها فى بلاد الشام [3] . وكذلك اشتهر عن السلطان الصالح نجم الدين ايوب ، أنه « كان يحب العمارة ويباشر الأبنية بنفسه ، وعمّر بمصر مالم يعمّره أحد من ملوك بنى ايوب ، فانشأ قلعة الروضة تجاه مدينة فسطاط مصر ...، وأقام جسراً من مصر إلى الروضة ...، وبنى أيضا على النيل بناحية اللوق قصورا بلغت الغاية من الحسن ... ، وبنى قصراً عظيما فيما بين القاهرة ومصر سماه « الكبش» على الجبل بجوار جامع ابن طولون ، وبنى مدينة سماها الصالحية [4] .

---

(١) انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٠ .

(٢) نفس المصدر والصفحة س ١٠ .

(٣) العماد : الفتح القسى : ص ٢٠٩ س ١٥ .

(٤) المقريزى : السلوك ، ج ١ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ ولقد ذكر المقريزى كذلك فى هذا النص، أن الملك الصالح نجم الدين ايوب ، قد بنى قصرا بالقرب من العلاقمة فى أوض السانح، وجعل حوله مدينة سماها الصالحية ، فيها جامع وسوق ، لتكون مركزا للعساكر، بأول الرمل ، الذى بين الشام ومصر . بمعنى ان مدينة الصالحية ، كانت مدينة عسكرية ملكية على طريق مصر والشام ، لحماية المدخل الشرقى لمصر ، شأن مدينة العادلية التى بناها السلطان الملك العادل ، ومدينة المنصورة التى بناها السلطان الكامل من قبل . والمقريزى قد أوضح فى هذا النص ان المدن الملكية والعسكرية للأيوبيين ، كانت أهم عناصرها هى القصر الملكى ، وجامع المدينة ، وسوق المدينة ، الى جانب مساكن الجند وميادين تدريبهم بالطبع . ولقد أفاد ياقوت ، ان بلدة العلاقمة هى بلدة دون بلبيس فيها اسواق ، انظر معجم البلدان جـ ٣ ص ٧١٠ طبعة وستفلد سنه ١٨٦٦ م . ولقد ذكر على مبارك ان هذه البلدة كانت فى زمانه إحدى مراكز مديرية الشرقية ، انظر على مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، طبعة بولاق سنة ١٣٠٦ هـ ، ج ١٤ ص ٥٣ ـ ٥٤ . وانظر الحديث عن مدينة المنصورة الأيوبية فى هوامش الأستاذ محمد رمزى على النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ٦ ص ٢٣١ هامش (٤) ، وانظر أيضا تحديده لمواقع قلعة =

فالأيوبيون اذاً شيّدوا بمصر ، عدداً ضخماً من الآثار ، سواء من القلاع والمدن الملكية العسكرية ، أو العمائر الدينية والخيرية ، أو القصور ؛ ومع ذلك فالآثار الأيوبية الباقية بمصر قليلة ومُخرِّبة [1] ، وهى لا تتعدى ستة عشر أثرا (١٦) [2] ، وهذه قائمة بأهمها [3] :ـ

١ ـ قلعة الجبل : إبتدئ العمل بها سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م ، فى عهد صلاح الدين ، وفى أثناء العمل توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م ، ثم أوقف العمل إلى أن كمل فى سلطنة العادل سنه ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م . ولم يبق من بناء القلعة الأيوبية سوى بعض الأسوار بأبراجها وبعض الأبواب وأهمها باب المدرج [4] . وقد أدخلت على الأسوار وعلى

= الروضة النجوم جـ ٦ ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ هامش (٣) ، ولقنطره السد التى بناها الصالح نجم الدين ايوب على الخليج المصرى وظلت قائمة الى سنة ١٨٩٩ م ، انظر النجوم جـ ٦ ص ٣٨١ هامش (١) ، وقلعة الكبش ، انظر النجوم ، ج٦ و ج ٧ ص ٧٢ حاشية (٢) وص ١١٩ حاشية (٢) و ١٢ : ٨٢ حاشية (٤) .

(١) كان الخبير الأثرى الشهير الأستاذ حسن عبد الوهاب ، أول من لاحظ هذه الملحوظة ، انظر ، حسن عبد الوهاب : العمارة الإسلامية فى العصر الأيوبى (٥٦٧ ـ ٦٤٨ هـ ١١٧١ ـ ١٢٥٠ م) ، مقال بمجلة العمارة ، العدد ٧ ـ ٨ ، السنة ١٩٤٠ ، المجلد الثانى ، ص ٣٩٢ ـ ٤٠٧ ، وعلى الخصوص ص ٣٩٢ ، وللمقال مزود بصور نادرة ، ودقيقة جدا ، وقطر أيضا حسن عبد الوهاب ، الدولة الأيوبية وعمارتها ، مجلة منبر الإسلام السنة ١٩ ، العدد ١٠ ، ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م ، ص ٧١ ـ ٧٧ .

(٢) قدم هذا الحصر العددى للعمائر الأيوبية فريد شافعى ، الذى قارن بين عدد العمائر الأيوبية ، وعدد العمائر الفاطمية السابقة عليها ، والمماليكية اللاحقة لها ؛ اذ يرتفع عدد العمائر الباقية من العصر الفاطمى إلى سبعة وعشرين أثرا ، ويصل عدد الباقى من العصر المماليكى الثانى إلى مائة وثلاثه وثلاثين أثرا ، انظر فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية ص ٣٢٩ .

(٣) إستأنسنا فى إعداد هذه القائمة ، بالقائمة التى اوردها أحمد فكرى فى مقالته بعنوان ، «خصائص عمارة القاهرة فى العصر الأيوبى» ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ١٩٦٩ ، طبع مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ ، ص ١٦٣ ـ ١٩٢ خاصة ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٤) عنه انظر محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٧ : ١٩٠ حاشية (٤) .

كثير من الأبراج والأبواب تعديلات وزيادات في أزمنه مختلفة، منذ الدولة الأيوبية حتى عصر محمد على باشا ؛ اذ اتخذت القلعة دارا للملك وأقام بها السلطان الملك الكامل الايوبى ومن بعده ملوك مصر حتى عصر اسماعيل باشا خديوى مصر ، فانه اتخذ سراى عابدين مقرا للملك [1].

٢ ـ سور الفسطاط : إبتدى العمل به سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م . ولم يتبق منه اليوم سوى ست اجزاء متفرقة [2] .

٣ ـ سور الأسكندرية : أنشئ على أرجح الآراء فى عهد صلاح الدين [3].

(١) انظر بول كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة الجبل ، ترجمة أحمد دراج ، مراجعة جمال محرز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤ م ؛ كريزويل : وصف قلعة الجبل ، ترجمة جمال محرز ، مراجعة عبد الرحمن زكى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م ؛ زكى محمد حسن : قلعة الجبل ، مجلة الكتاب ، اكتوبر ١٩٤٦ ، ص ٨٧٣ ـ ٨٨٢ ؛ حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ، المكتبة الثقافية رقم ٥٦ ، سنة ١٩٦٢ ص ٦٤ ـ ٩٦ ؛ عبد الرحمن زكى : قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصره ، القاهره ١٩٦٠م؛ محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٧ : ١١٨ حاشية (٢) .

(٢) انظر تحديداً دقيقاً جدا لهذه الاجزاء الست المتبقية من سور القاهرة الذى شُيّد فى عصر صلاح الدين ، فى هامش محمد رمزى على النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، جـ ٦ ص ١٧٦ ، هامش (٧) المعتد الى ص ١٧٧ ، وقارن بول كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٥٨ ـ ٥٩ ؛ وانظر تعريف محمد رمزى لقنطرة قراقوش ، هامش على النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، جـ ٦ ص ١٧٧ هامش (١) ؛ وفى رأى عبد الرحمن عبد التواب ، ان دراسة أسوار القاهرة ، والأجزاء الأيوبية والمماليكية من قناطر العيون ، سيؤدى بنا الى معرفة دقيقة عن نظام توزيع الماء على مدينة القاهرة فى العصر الأيوبى والمماليكى، وهى دراسة لم يقم بها أحد من قبل (معلومة شفوية أمدنى بها ميادته) .

(٣) تاريخ بنا بناء سور الأسكندرية غير مؤكد ؛ ولكن سيد عبد العزيز سالم يرجح بناءه فى عصر صلاح الدين ، على أساس ان الصليبيين قد حاصروا صلاح الدين بالأسكندرية قبل توليه الوزارة الفاطمية ، فلقى أشد العنت فى الدفاع عنها ، فلمس ضرورة الحاجة الى بناء سور يحصنها ، وعلى أساس أن صلاح الدين قد احاط العواصم الأربعة بسور ، وزار الأسكندرية أكثر من مرة فى عهد سلطنته ، وأنشأ بها ديوان الأسطول ، وهو يرجح أن باب الديوان ، بأسوار الأسكندرية ، إشتق إسمه من ديوان الأسطول ؛ وسور الاسكندرية مزدوج، بمعنى أن هناك سور قصير يتقدم سور كبير ، والأبواب مزدوجة واحيانا ثلاثية ، بمعنى أن هناك باب فى السور الصغير الخارجى ، ثم باب مزدوج فى السور الداخلى ؛ والباقى اليوم من أسوار الأسكندرية ، بنى أساسه فى عصر صلاح الدين ، ثم رمّم فأضيف اليه فى عصر المماليك البحرية ، ثم رممه السلطان شعبان بعد غزوه القبارصة للأسكندرية ؛ انظر محمد عبد العزيز سالم : الاسكندرية فى العصر الاسلامى ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م.

٤ ـ مسجد اللُّمْطى : بالمنيا ، انشئ سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م [1].

٥ ـ قبة الامام الشافعى : انشئت سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م [2]، بشارع الإمام الشافعى ، بحى الإمام الشافعى .

٦ ـ آثار إيوان الثعالبه وبوابته : انشئت سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦م [2] .

٧ ـ آثار المدرسة الكاملية : انشئت سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م [2] ، بشارع المعز لدين الله (بين القصرين) ، وتعرف بجامع السلطان الكامل .

٨ ـ مئذنة المشهد الحسينى : انشئت سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م [2]، بميدان المشهد الحسينى ، بحى الجمالية .

٩ ـ قبة الخلفاء العباسيين : انشئت حوالي سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢ م [3] خلف المشهد النفيسى ، بحى الخليفة *؛ دفن بها من كان بمصر من الخلفاء العباسيين وأولادهم ، بعد نقل الخلافة العباسية إلى مصر سنة ٦٥٩هـ .

١٠ ـ المدرسة الصالحية[4] : أنشئت سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م ، بشارع المعز

(١) انظر حسن عبد الوهاب : العمارة الاسلامية فى العصر الايوبى ، مجلة العمارة ، ١٩٤٠ م ص ٣٩٧ .

(٢) ـ (٢) انظر حسن عبد الوهاب : المقال السابق ص ٣٩٨ ـ ٤٠١ ؛ وانظر أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الثانى ، العصر الأيوبى ، دار المعارف بمصر ، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩م ؛ المقريزى : الخطط ٤ : ٢١١ ـ ٢١٦ (المدرسة الكاملية) ؛ وقال : «وتعرف بدار الحديث الكاملية» .

(٣) انظر Hez (Max) : Les Sepultures Abbasides pr`es de La Mosquee d'El-Sayeda Nafisa, Bulletin de Comit`e de conservation des Monuments Arabe, Le Caire, 1911 .

(٤) انظر Hez (Max) ; Mosquee et Tombeau du Sultan Saleh Negm El-Dyn Ayyoub , Bulletin du Comit`e de Conservation des Monumunts Arabe, Le Caire, 1902 .

* أفاد المقريزى عند ذكره لخط درب ابن البابا الذى يتوصل منه إلى الجامع الطولونى ، أن تسميه الحى الموصل بين قلعة الجبل وجامع أحمد بن طولون بحى الخليفة ، سببه أن الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر ، كانوا يسكنون هذا الحى حتى عصره ؛ فيقول : «وهو حيث الآن سكن الخلفاء ، بالقرب من المشهد النفيسى» ؛ انظر المقريزى : الخطط ٣ : ٢١٨ ص ١٩ .

لدين الله (بين القصرين)[1] .

١١ ـ ضريح الصالح نجم الدين ايوب : انشئ سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م ، بشارع المعز لدين الله .

١٢ ـ قبة شجرة الدرّ : انشئت سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م ، (بشارع الخليفه).

١٣ ـ مئذنة زاوية الهنود : « نهاية العصر » بشارع باب الوزير ، بحى الدرب الأحمر ، تجاه مدرسة أم السلطان شعبان .

١٤ ـ مئذنة وقبة المنصور غَضَنْفَر : « نهاية العصر » .

١٥ ـ منزل إبن لقمان : بالمنصورة [2] .

١٦ ـ بعض الحوائط المتبقية من خانقاه سعيد السعداء ، وهى اليوم جزء من جامع المطهر بشارع الجماليه ؛كذلك توجد بعض الحوائط من المدرسة الصاحبيه ، التى انشأها الوزير الأيوبى صفى الدين ابن شكر وزير الملك العادل .

ويقول حسن عبد الوهاب « الغريب الذى لم أوفق لتعليله ، أنه رغم عناية ملوك الدولة الأيوبية وامراؤها بمصر ، ومباراتهم فى إنشاء المساجد والمدارس ، وإنشائهم الكثير منها ، فقد اندثرت ولم يبق منها الا النذر اليسير [3] ؛ ومن الممكن أن نجتهد فى تعليل ظاهرة اختفاء العدد الأكبر من العمائر الايوبية بعدة عوامل نوجزها فيما يلى :ـ

(١) انظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٠٩ ـ ٢١٠ (المدرسة الصالحية) ، ٤ : ٢١٠ ـ ٢١١ (قبة الصالح) .

(٢) انظر على حسن الهاكع : بحث خاص عن دار إبن لقمان بالمنصورة ، التى سُجن فيها لويس التاسع ملك فرنسا فى الحروب الصليبية ، طبع مصر ، سنة ١٩٤٩ م ، الطبعة الاولى ، وانظر ايضا :

Hassan Abdel Wahab : La Maison de Lokman, Ou La pretendre prison de Lowis IX, a Mansourah, Cahiers d'histoire Egyptienne, Vol. 2, 1949, PP. 529-537.

والمقال مزود برسم مسقط Plan للمنزل من إعداد محمد رشاد افندى ، ورسم بد للبيت بريشة البارون تيلور ، وصورتين للوضع الحالى للمنزل .

(٣) حسن عبد الوهاب : العمارة الإسلامية فى العصر الأيوبى ، ص ٣٩٣ .

١ ـ كانت بعض العمائر الأيوبية المبكرة ، عَمائر وقتية ، دعَت اليها سُرْعَة الحاجة لبناء المنشآت الدينية والخيرية التى استخدمها الأيوبيون لاستمالة الناس ونشر المذهب السنى ومحاربة الدعوة الاسماعلية ؛ فنجد ان عددا من هذه العمائر الأيوبية المبكرة كانت فى الواقع تحويراً لبعض البيوت والمنشآت الفاطمية ، وليست انشاء معمارياً جديداً ؛ ومثال ذلك المدرسة التقوية [1] ، التى نسبت للملك المنصور تقى الدين عمر ، إبن أخ صلاح الدين ، وقامت على أساس تحوير بعض المنازل الفاطمية التى عرفت بمنازل العز، لتوائم الغرض الإنشائي للمدرسة ؛ وهذا ينسحب أيضا على الخانقاه الصلاحية [2] ، التى عرفت باسم خانقاه سعيد السعداء، نسبة الى الخادم الفاطمى ، الذى حوّل منزله إلى هذه الخانقاه ؛ كما ينسحب على مدرسة المشهد الحسينى [3] ، التى انشأها صلاح الدين ، ولم يتبق منها سوى صندوق خشبى نفيس ، إكتشفه حسن عبد الوهاب فى طبقة اسفل القبة سنة ١٩٣٩ م ، وحفظ بمتحف الفن الاسلامى [4] .

٢ ـ جرت اصلاحات وترميمات في العصر المماليكى والعثمانى ، على عدد من العمائر الأيوبية ، خاصة وأن المماليك كانو يعدّون أنفسهم هم ورثة أساتذتهم بنى أيوب فى كل ما خلفوه ؛ ويبدوا أن هذه الإصلاحات والترميمات جاءت من الشمول والإتساع، بحيث طَمَسَت الأثر الايوبى تماما ، واخرجت لنا أثراً يحمل بعض الجدران الأيوبية ، ويغلب عليه الطابع المملوكي ، مثل خانقاه سعيد السعداء ، التى تحولت إلى مسجد مملوكى عرف بجامع المطهر ، وبقيت الى الآن محاولات تحديد الأجزاء الأيوبية من الأثر ، موضع خلاف بين الأثريين ، حتى من اعتمد منهم فى أبحاثه الأثرية ، على خبرته العملية فى فنون المعمار والهندسة [5] ؛ وأيضا المدرسة

(١) عنها انظر المقريزى : الخطط ، طبع مطبعة النيل ، ١٣٢٥ هـ ، ٤ : ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٢) عنها انظر المقريزى : الخطط ، ٤ : ٢٧٣ .

(٣) انظر حسن عبد الوهاب : العمارة الإسلامية فى العصر الأيوبى ص ٣٩٥ .

(٤) نفس المقال السابق ص ٣٩٥ ايضا .

(٥) انظر فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص ٢٥١ .

الناصرية المتاخمه [1] لضريح الإمام الشافعى التى تحولت الى مسجد عثمانى، كذلك قناطر قراقوش [2] ، التى بُنيتْ لرفع المياه من النيل عند منطقة « فم الخليج » الحالية ، وتوصيلها الى القلعة ، جاءت ترميمات وإضافات السلطان محمد بن قلاوون من الضخامة ، بحيث أخفت معالم الأثر الأصلى، ولم يتبق منه سوى حوائط صغيرة ؛ وأخيرا قلعة الجبل التى تتابعت عليها الإصلاحات والزيادات طوال العصر المماليكى ، ثم فى العصر العثمانى ، ثم فى عصر محمد على باشا ، بحيث أنه لولا دقة كل من المقريزى [3] ، وابن فضل الله العمرى [4] ، والقلقشندى [5] ، فى وصف قلعة الجبل ، وتمييز إضافات المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد فى العصر المماليكى ، ولولا قرب العهد بعصر محمد على ، لعجز علماء الآثار عن معرفة الأجزاء الأيوبية منها .

٣ ـ أودَت الحروب الصليبية بكثير من العمائر الحربية الأيوبية ، فرغم أننا نعرف أن صلاح الدين ، حين بنى التحصينات العسكرية لعواصم مصر الإسلامية ، قد حصّن جميع الثغور الشمالية [6] ، لمصر مثل تنيس

(١) عنها انظر المقريزى : الخطط ، ٤ : ١٩٣ .

(٢) عنها انظر محمد رمزى : النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١٧٧ ، هـ (١) ؛ وقارن عبد الرحمن عبد التواب : منشآتنا المائية عبر التاريخ ، ١٩٦٣م ، ص ٣٧ ـ ٣٨ (ذكر قناة قراقوش على طريق الجيزه ، وهو نفسه طريق الهرم) ؛ حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٦٧ ـ ٧١ .

(٣) انظر المقريزى : الخطط ، طبع مطبعة النيل ، ١٣٢٥ هـ ، ٣ : ٣٢٧ ـ ٣٣٢ .

(٤) انظر ابن فضل الله العمرى ، مسالك الابصار ـ ج بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٥٩ ، معارف عامة ، المجلد ٢ ، ٣ لوحة ٤١٢ ـ ٤١٥ .

(٥) انظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣ : ٣٦٨ ـ ٣٧٥ .

(٦) انظر نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٩ ـ ٢١ ، وانظر أيضا Gayet, A: Les Monuments de Damiette et de Mansourah, Contemporains de L' epoque des Croisades (in Revue de L'Art ancien et Moderne, VI. 71, Paris, 1874 .

ودمياط ورشيد والفرما والأسكندرية ، فإن جميع هذه التحصينات العسكرية للثغور الشمالية ـ باستثناء سور الأسكندرية ـ قد اندثر ؛ وهذا ليس مستغربا، إذ تخبرنا المصادر أن مدينة تنيس قد خُرّبت وهُجرت ، بعد أن هاجمها الفرنج أكثر من مرّة ونهبوها [1] . كذلك إضطرت الحكومة المماليكية ، نظرا للضرورات العسكرية ، الى تخريب دمياط وهدم سورها [2] ؛ وهذه الخطة التكتيكية لتخريب المدن التى تَحُل الظروف دون إمكانية الدفاع عنها خشيّة وقوعها غنيمة باردة فى أيدى الصليبيين ، وهدم سورها حتى يسهل استردادها بعد ذلك ، كان الأيوبيون هم أول من استخدموها إبان صراعهم مع الفرنج بالشام [3] ، واشهر مثل لهذه الخطة ، قيام صلاح الدين بنفسه مع أمرائه وأولاده بتخريب عسقلان وهدم سورها [4] . كذلك فان المدن الملكية العسكرية ، التى أنشأها سلاطين بنى أيوب فى إقليم الشرقية ، لمواجهة الخطر الصليبى المتمركز فى بلاد الشام ، مثل مدينة العادلية ، والمنصورة ، والصالحية ، قد أُهْمِلَتْ وهُجرت بمرور الوقت ، خاصة بعد إنتزاع المماليك لشأفه الصليبيين من الساحل الشامى .

٤ ـ إختفت جميع العمائر الدينية والمدنية التى أنشأها الأيوبيون بمدينة الأسكندرية ، التى وَجّه إليها سلاطين بنى أيوب إهتماما كبيرا ، لكونها

(١) انظر ابن بسام المحتسب التنيسى : أنيس الجليس فى أخبار تنيس ، تحقيق جمال الدين الشيال ، فصله من مجلة المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٦٧ ، ج ١٤ ، ص ١٥١ ـ ١٨٩ .

(٢) انظر جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ، طبع الاسكندرية سنة ١٩٤٩ م .

(٣) انظر Claude Cahein : Encyclopedie de L'Islam Art Ayyubide, VI, P. 796-807.

(٤) العماد : الفتح القسى ، ص ٥٥٠ ـ ٥٥١ .

ظلت طوال العصر الفاطمى من أقوى معاقل المذهب السنى المالكى [1]، فشيَّد الأيوبيون بها عدداً كبيراً من المدارس السُنيَة والمنشآت الخيرية ، عاينها الرحالة الاندلسى إبن جبير ، وترك وصفاً دقيقاً لها فى رحلته [2] ؛ كما بنوا بالاسكندرية عدداً كبيرا من المساجد ، تعَجَب دارسوا تاريخ الأسكندرية لضـــياعه [3] . وأغلب الظن أن حملة القبارصة على الأسكندرية سنة ٧٦٧هـــ /١٣٦٥ م [4] ، قد أوْدَتْ بأغلب الآثار والعمائر الإسلامية بالمدينة ؛ ويؤيد هذا الظن ملاحظة الهروى السائح ، الذى زار بيت المقدس بعد استرداده من الصليبيين ، ووصف اعتداءهم على المساجد والمنشأت الإسلامية بها ، وتخريبهم لبعضها وتحويلهم للبعض الآخر الى كنائس ، بعد تغيير خصائصه الإسلامية [5] ؛ فاذا كان هذا مَسْلَك الصليبيين فى القدس، لسكناهم فيه وإمكانيه استخدامهم لمنشآته الإسلامية ، فلا يستبعد الظَنّ بأن إستحالة بقائهم فى الأسكندرية ، قد دفعهم الى تخريب جميع آثارها الإسلامية ، التى أدركتها أيديهم . ولا شك أن العمائر الأيوبية بالأسكندرية كانت كثيرة ومتنوعة ، للأهمية التجارية والعسكرية الكبيرة لهذا الثغر فى العصر الأيوبى ، الى حَدّ حدَا بالبعض إلى الظن ، أن

(١) انظر حسن عبد الوهاب : الأسكندرية فى العصر الإسلامى ، مجلة الكتاب ، السنة الثانية، المجلد الثالث ، ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م ، ص ٣٧٩ ـ ٣٩٣ وعلى الخصوص ص ٣٨١ ؛ جمال الدين الشيال . أعلام الأسكندرية فى العصر الإسلامى ، دار المعارف ، ١٩٦٥ م ، ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، (ذكر مدينة الأسكندرية) .

(٣) جمال الدين الشيال : الأسكندرية فى العصر الاسلامى .

(٤) انظر التوبرى : الإلمام بما جرت به الأحكام المقضية فى وقعة الاسكندرية الواقع بها سنة ٧٦٧ هـ ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٤٤٩ ، تاريخ .

(٥) انظر الهروى السائح : الإشارات إلى معرفة الزيارات ، (ذكر بيت المقدس) ؛ وهذا ما ذكره ابن بطوطة عن مدينة الخليل والحرم الإبراهيمى بها ، حين استولى عليها الصليبيون ، انظر ابن بطوطة : تحفة النظار (ذكر مدينة الخليل) .

الاسكندرية كانت عاصمة مصر فى زمن بنى ايوب [1] .

٥ ـ نُكبَت البلاد ببعض الإضطرابات السياسية الداخلية ، فى عصر الإنتقال ، بين العصر الأيوبى ، والعصر المماليكى الأول ، أدَت الى خراب أثر من أعظم الآثار الأيوبية ، بل هو فى الواقع قلعة عسكرية ومدينة ملكية حكومية، أعنى قلعة الروضة ؛ ذلك انه لما كان الملك المعز أيبك ، أول ملوك المماليك بمصر ، لا ينتمى إلى طائفة المماليك البحرية الجديدة ، بل ينتمى الى طائفة المماليك الصالحية القديمة [2] ، فقد هَجَر قلعة الروضة كمقَرّ للحكومة ، وأهملها طيله مده حكمه ، لكون المماليك البحرية ، الذين نشأوا بقلعة الروضة ، كانوا هم أعتى منافسيه فى السلطنه [3] ، وحين نجحوا فى الإطاحة به ، أعادوا إلى قلعة الروضة سابق جمالها ورونقها ، إلى ان انتقل عنها المماليك الجراكسة ، وسكنوا من جديد قلعة الجبل ، فأُهمِلَت قلعة الروضة مرة اخرى ، وانطمست آثـــارها [4] .

٦ ـ لم تُحْصَر الى الآن الآثار الإسلامية خارج مدينة القاهرة ، وفى أرجاء الأقاليم المصرية ، حصراً دقيقا ، وحتى الذى تم حصره وتسجيله منها ، لم يتوفر

(١) انظر سيد عبد العزيز سالم : تاريخ الأسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ ، ص ٢٣١ ـ ٢٧١ ؛ وانظر كتاب تاريخ الأسكندرية منذ أقدم العصور ، طبع محافظة الأسكندرية ، سنة ١٩٦٣م، على الخصوص مقال سعد زغلول عبد الحميد: الأسكندرية من الفتح الإسلامى إلى بداية العصر الفطمى ، ص ٢١٧ الى ٢٨٩، سيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها من العصر الفاطمى إلى الفتح العثمانى ص ٢٩٠ ـ ٣٢٦ .

(٢) انظر محمد مصطفى زيادة : ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك ، مجلة كلية آداب جامعة القاهرة ، ١٩٣٦ م.

(٣) انظر المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ؛ المقريزى : الخطط ٣ : ٢٩٩ .

(٤) انظر المقريزى ، الخطط ، ٣ : ٢٩٧ ـ ٣٠٠ (ذكر قلعة الروضة) ؛ وراجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٧٥ : ١٩٢ حاشية (٧) .

الأثريون على دراسته وتحديد تاريخ بنائه ، وتطور ترميمه ، وإصلاحه ، شأن اهتمامهم بالآثار الإسلامية بمدينة القاهرة ؛ حتى أن سور الاسكندرية الأيوبى لايزال امتداده واجزاءه الباقية الى اليوم ، فى حاجة الى دراسة وحفائر جديدة ؛ والى الآن لم تتم أى حفائر من قبل مصلحة الآثار الإسلامية، فى تنيس ودمياط والمنصورة والصالحية والعادلية ، وكلها مدن إمّا أنشأها الأيوبيون ، وإمّا اهتموا بها اهتماما خاصا لأهميتها العسكرية ؛ وإن كانت مدينة تنيس ، يجرى فيها الآن بعض الحفائر الإسلامية . كذلك لم يُعنَ الأثريون بدراسة إمتداد مدن الأقاليم المصرية إبّان العصر الإسلامى ، بحيث أن المنشآت الأيوبية الكثيرة ، التى ذكرها المؤرخون بمدينة الفيوم[1] ، يصعب تحديد موقعها الآن بالنسبة لمدينة الفيوم الحالية[2] ؛ ولكن لاريب أن كتب الخطط وحجج الوقف الشرعية ، بالإضافة إلى كتب التواريخ المحلية للبلاد المصرية ، ستكون خير مرشد للأثريين ، فى دراسة التخطيط والإمتداد الطبوغرافى لمدن مصر الإسلامية .

٧ ـ ان ضيق الحيّز الزمنى للعصر الأيوبى ، بين العصرين الفاطمى والمماليكى، وتشابه العناصر المعمارية والزخرفية فى العمائر الأيوبية والمماليكية تشابها كبيرا ، جعل الأثريين يترددون فى نسبة بعض الآثار الأيوبية غير المؤرخة إلى العصر الأيوبى ، وقيام مناقشات طويلة حول تاريخ هذه الآثار ، وإرجاع بعضها إلى العصر الفاطمى (جامع اللمطى مثلا) ، او المماليكى (مأذنة

(١) انظر النابلسى : إظهار صنعة الحى القيوم فى تراتيب بلاد الفيوم (فصل ذكر مساجد الفيوم) ؛ وانظر المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٩ ـ ٤٠٣.

(٢) معلومات شفهيه أمدنى بها الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب ، عن الآثار الإسلامية ، خارج مدينة القاهرة .

زاوية الهنود ـ قية ومئذنة معاذ أو الغضنفر ـ مشهد الخلفاء العباسيين[1]) .

*

ولقد اشتملت الآثار الأيوبية مع قلتها على تفاصيل معمارية هامة ، تعتبر أساسا ، نسجَ على منوالها فى كثير من الآثار التى أعقبتها ، كانت باكورة لتطور كثير من التفاصيل المعمارية التى دقت وتهذبت فى كثير من الفنون الفرعية ؛ وفيها ظهرت بمصر المدرسة ذات التخطيط المتعامد Plan Cruciforme ، ثم شاعت بعدها فى دولتى المماليك ؛ ومن مميزاتها تطور المَنَاره ، وظهور طرز مخصوص للقبة ، وتعدُّد حطّات المُقَرنَص ، وبناء الإيوان مفرداً فوق القبور بدل القباب[2] . واذا كانت الآثار الأيوبية بمصر لم يبق منها الا بقايا قليلة ، ولكن تفاصيل تلك البقايا دلّت على أهميتها ، وعلى أنها أرقى من معاصرتها فى سورية[3] .

كذلك خلّفَ الأيوبيون عمائرا فى سوريا وفلسطين فيما يلى أهمها :

(١) معلومات شفهية أمدنى به الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب أيضا .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، مطبعة دار الكتب سنة ١٩٤٦ ، جـ ١ ، ص ١٢ ـ ١٤ ، ص ١٧ ـ ١٨ ؛ أحمد فكرى : خصائص عمارة القاهرة فى العصر الأيوبى ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ١ : ١٦٣ ـ ١٩٢ ؛ وانظر فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٠م، حيث يتحدث عن كل عنصر معمارى من العناصر التى ظهرت أو إنتشرت فى العصر الأيوبى على حدة ، كما يتحدث عن كل منشأة من المنشآت الأيوبية على حدة ، ويتتبع أول ظهورها والغرض منها ، انظر العمارة العربية ، ص ١٦٩ ، ١٩١ ، ١٩٣ ـ ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢١٣ ـ ٢١٤ ، ٢٤٨ ـ ٢٥٠ ، ٢٥٠ ـ ٢٥٢ ، ٢٥٢ ـ ٢٥٥ ، ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٣) حسن عبد الوهاب : مميزات العمارة الاسلامية فى القاهرة ، مؤتمر الآثار فى البلاد العربيه سنة ١٩٤٧ م ص ١٧٩ ـ ١٨١ .

١ ـ قلعة دمشق : وهى ترجع إلى العصر السلجوقى ، ولكن الملك العادل سيف الدين الأيوبى ، وسّعها وجعلها على صورتها الأخيرة ، وجعلها مقرا للملك ، ثم رممها الظاهر بيبرس ، ووصلت إلينا بقاياها [١] .

٢ ـ قلعة حلب : تعد من أبدع ما ابتكرته الهندسة العسكرية فى العصور الوسطى، وقد جعلها ملوك الأيوبيين حاضرة ملوكهم ، فجمعوا فيها منعة الحصون وأبهة القصور [٢] .

٣ ـ قلعة بُصرَى [٣] .

٤ ـ خانقاه الفرافرة بحلب [٤] .

٥ ـ المدرسة السلطانية بحلب [٥] .

---

(١) الأمير جعفر الحسنى : مظاهر الحضارة الاسلامية فى دمشق وحلب ، أبحاث مؤتمر الآثار فى البلاد العربية المنعقد فى دمشق سنة ١٩٤٧ ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة سنة ١٩٤٨ م ، ص ٥٧ ـ ٦٧ ، وعلى الخصوص ص ٦٠ـ ٦١ .

(٢) انظر ، نفس المقال ص ٦٦ ؛ وانظر عبد الرحمن زكى : العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والصليبيين ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، ١٩٥٨م ، ص ١٠٦ ـ ١٣٣ ؛ عبد الرحمن زكى : القلاع فى الحروب الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس عشر ، ١٩٦٩ ، ص ٤٩ ـ ٩٧ .

(٣) انظر K. Creswell, A. Abel : La Sitadelle ayyibude du Bosra, Annales Archeologiques de Syrie, VI (1956) .

سليم عادل عبد الحق : مدرج مسرح بصرى وقلعتها ، المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية ، تونس ١٨ ـ ٢٩ مايو سنة ١٩٦٣م ص ٢٦٥ ـ ٢٨٦ ، ٢٨٧ ـ ٢٩٨ .

(٤) انظر محمد أسعد طلس : الآثار الإسلامية والتاريخية فى حلب ، ص ٨٨ ـ ٩٠ ؛ وانظر فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، جـ ١ : ٢٥٠ .

(٥) انظر Lauffray (J) : Une madrasah Ayyoubide de La Syrie du Nord, La Sultaniya d'Alep, Etude Architecturale, Annales Archeologique de Syrie, Tome III, 1953 .

هذا بالإضافة إلى بعض الآثار الأخرى التى خلفها بنوا أيوب بدمشق [١] ، وحماه [٢] وفلسطين [٣] ،منها قلعة بعلبك .

*

كما تميز العصر الأيوبى ، بتحف منقولة ، وضح فيها إتجاه الأيوبيين ، نحو البعد عن رسوم الأبهة واتخاذ التحف الذهبية والفضية شأن الفاطميين من قبلهم، لذلك شاع فى هذا العصر فن التكفيت ، أى حفر النحاس وحشوه بالفضة [٤] ؛ كما برع فنانو هذا العصر فى صنع نوع من الخزف الرائع ، عُرف بالخزف بديع الصنع ، وأيضا تقدمت صناعة الزجاج فى هذا العصر تقدما ملحوظا ، وبالقاعة الايوبية بمتحف الفن الاسلامى ، نموذجا من هذه الفنون التطبيقة الأيوبية [٥] ؛ وايضا ثمة قطع فنية أيوبية أخرى فى المتاحف

---

(١) Sauvaget : Les Monuments Ayyoubides de Damas , Paris, 1938 .

(٢) انظر خير الدين الزركلى : الأعلام ، جـ ٧ : ٢٠٤ ترجمة الملك المنصور محمد بن عمر المظفر ابن شاهنشاه الأيوبى أبو المعالى ، صاحب حماة ، وفيها أنه بنى جسر المراكب فى حماة ويعرف اليوم بجسر السرايا ، ومن آثاره فيها « سوق المنصورية » المعروف اليوم بالسوق و « حمام السلطان » .

(٣) انظر Martin S. Briggs : Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine, New York, 1974, chapt. V. PP. 76 - 88 .

ولا ريب أن مقارنة الآثار الأيوبية ، بآثار أستاذهم نور الدين ، ستكشف عن تشابه فى الطراز والغرض ، انظر : Nikita Elisseeff : Les Monuments de Nur Ad-Din, Bulletin d'Etudes orintales, Tome XIII, Annees, 1949-1951, Institut Français de damas, p. 5 - 43 .

(٤) انظر Rice, S : Islamic Studies in metalwork, Bull of the school of or St. XIV, I4; XVII, I7. 1952 - 1955.

(٥) انظر أحمد ممدوح حمدى : الطراز الأيوبى فى مصر ، المؤتمر الخامس للآثار فى البلاد العربية ، القاهرة ١٩ ـ ٢٤ أبريل ١٩٦٩ ، ٨٠٩ ـ ٨٢١ ، وهو يستشهد دائما بتحف متحف الفن الإسلامى .

العالمية [1] . ورغم أن العصر الأيوبى ، شهد تأسيس دارا للطراز بالأسكندرية ، التى ورثت فى هذا العصر ، هى ومدينة دمنهور ، مكانة تنيس ودمياط بالنسبة لصناعة النسيج فى العصر الفاطمى [2] ؛ فإن المنسوجات التى يمكن التأكد من نسبتها الى العصر الايوبى قليلة جدا [3] ؛ كما وصلتنا من هذا العصر بعض المخطوطات المزوقة [4] .

ولعل أوضح أثر تركه الأيوبيون بمصر ، مازلنا نحسه إلى اليوم ، أن هيئة القاهرة وامتدادها الذى يقى الى اليوم ، هو أثرا باقيا من العصر الايوبى [5] . ومما لاشك فيه أن الآثار الايوبية فى مجملها لاتزال الى اليوم ، تنطق بمدى إزدهار الحضارة فى ذلك العصر ، فى جانبها المادى ، كما أنها من ناحية أخرى تطلعنا

(١) تتبع هذه التحف الأيوبية المنقولة ووصفها الدكتور عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى ، المكتبة الثقافية رقم ٨٠ ، سنة ١٩٦٣م ؛ وراجع مقال عن الكرة النحاسية التى أهداها الملك الكامل إلى فردريك الثانى ، انظر بول كازانوفا : تاريخ وصف قلعة القاهرة ، ترجمة أحمد دراج ، ١٩٧٤م ، ص ٩٤ هامش (١٢) .

(٢) انظر محمد عبد العزيز مرزوق : طراز الأسكندرية ، ابحاث مؤتمر الآثار فى البلاد العربية المنعقد بدمشق ، ١٩٤٧ ، طبع القاهرة ١٩٤٨ ص ١٦٥ ـ ١٧٥ ، انظر Claude Cahein : Un texte inedit relatif au Tiraz Egyptien, Art Asiatiques XI, PP. 165 - 168 .

(٣) اورد بعض هذه المنسوجات الأيوبية كوتل فى كتابه Kuhnel : Islamische stoffa aux Aeyytischen graben

وانظر ملحوظة الدكتور عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى ص ١١٩ .

(٤) انظر عيسى سليمان : مخطوطتان فريدتان زوقتا فى القاهرة فى عصر الملك الكامل الأيوبى ، المؤتمر الخامس ، طبع القاهرة ١٩٧١ ص ٢٣ ، وانظر : عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى ص ٩٠ ـ ٩٧ .

(٥) انظر عبد الرحمن زكى : نشأة القاهرة وامتدادها فى أيام الأيوبين ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى عشر ، ١٩٧١ ص ١١١ ـ ١٦٠ ، وانظر : فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، ص ٣٢١ ـ ٣٢٨ ؛ وانظر عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الدار المصرية والترجمة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

على جوانب هامة من الإهتمامات الإدارية والحربية لهذا العصر ، وفى نفس الوقت تشى العمائر الدينية والتعليمية والخيرية التى أدخلها الأيوبيون فى مصر لأول مرة ، بالأثر الهام الذى حققته هذه المنشآت ذات الطابع السنى المميز ، فى نشر المذهب السنى بمصر ، تأكيداً لعودة ولائها الروحى للخلافة العباسية السنية ، وضماناً لأستمرار ولاء أهل مصر للسلطنة الأيوبية السنية التى أحيت الخلافة العباسية ، وأقامة دعوتها على منابر أغلب ديار الإسلام ؛ ولما كان الطابع الحربى هو الغالب على الدولة الأيوبية ، فلقد كانت الدواوين الحكومية تتخذ من القلاع فى عواصم المدن مقراً لها ، ومن ثم فإن دراسة هذه القلاع يفيدنا فى تحديد طبوغرافية الدواوين الحكومية ، كما انه يفيدنا أيضا فى دراسة النظام الإقطاعى ، الذى كان هو الأساس للتقسيم الإدارى للدولة الأيوبية ، وحكم ارجائها ، وخاصة ممتلكاتها فى بلاد الشام ؛ واخيراً فإنه اذا كانت مشاريع الرى الضخمة التى شيدها الأيوبيون فى مصر ، من قناطر وغيرها ، لم يبق منها من آثارها إلا أطلال [1] ، فهى تؤكد اهتمام بنى ايوب بشئون الزراعة والرى بمصر .

أما الخصائص المعمارية والفنية والزخرفية ، للعمائر والآثار فى العصر الأيوبى ؛

(١) انظر عن أطلال القناطر التى بناها قراقوش لصلاح الدين عند الجيزة ، بالقرب من الأهرام ، محمد رمزى ، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، جـ ٦ ، ص ١٧٧ ، وحاشية (١) ؛ وراجع عن قنطرة السد التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب على الخليج المصرى ، فى منطقة فم الخليج ، أمام حى المنيل حاليا قبل الكوبرى الذى يعرف حاليا بكوبرى الملك الصالح ، وكانت هذه القنطرة تروى الأراضى الزراعية الواقعة على جانبى الخليج ، حتى نهايته الشمالية فى مديرية الشرقية ، ولقد ذكر المقريزى هذه القنطرة ، وظلت باقية كاملة إلى سنة ١٨٩٩ م ، التى فيها ردم الخليج ، وكان يقطع مصر كلها ؛ انظر محمد رمزى ، ملاحق كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، ٦ : ٣٨١ ؛ وعن قناطر المياه التى توصل المياه إلى القلعة ، انظر محمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى ، ص ١٧ ـ ١٨ ، وراجع عبد الرحمن عبد التواب : منشآتنا التاريخية عبر التاريخ ، ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ـ ٢٤ ، ٣٧ ـ ٣٨ .

فيحدثنا عنها عالم الآثار الشهير حسن عبد الوهاب ، ـ كما تتبعها ورصدها بخبرته الطويلة في دنيا الآثار الإسلامية ؛ فيقول : « إن ما بقي من العمائر والآثار الأيوبية مع قلته ، يعطينا فكرة صريحة عن مقدار إزدهار العمائر والفنون في هذه الدولة ، ففي عهدها أُنشئت المدارس للمذاهب ، وللحديث الشريف ؛ وتطوّرت العمائر تطوراً ملموساً ، وظهر تخطيط المدرسة وشاع ؛ كما تطور طراز القبة والمئذنة ، بل وجد نوع من القباب إقتصر ظهوره على هذه الدولة ، كما اتُّخذ بعضها من الخشب ، وكسي بالرصاص ؛ وشاع الخط النسخي بجانب الكوفي على الآثار ؛ وازدهرت صناعة الأخشاب والنحاس ، وبلغت قمة مجدها ؛ وظهر نوع جديد من السقوف المعروفة بالقصعّ ؛ وتقدّمت صناعة الجص ؛ وظهر الزجاج الملون في الشبابيك ؛ كما ظهرت للمرة الثانية الفسيفساء المذهبة في المحاريب ، وشاع استعمال الرخام فيها ؛ وفُتحت الشبابيك بأسفل وجهات المساجد ، وحليت أعتابها بالنقوش ؛ وأخذت صناعة الحجر في الرقي والإنتشار ؛ وعُني بتحصين مصر ، فأُنشئت القلعة ، وأُحيطت مصر والقاهرة بسور حجري ؛ وظهرت الخوانق والربط ، كما ألحق السبيل والكتاب وأحواض شرب الدواب بالمدرسة ؛ وفي عهد هذه الدولة أيضاً ، ظهرت بعض تأثيرات أندلسية في صناعة الجص . »[1].

*

وقد جاءت آثار وعمائر مصر في العصر المماليكي ، إستمراراً للهدف والمقصد الذي شيدت من أجله عمائر العصر الأيوبي ؛ ولا غرو ، فإن سلاطين المماليك هم تلامذة سلاطين بني أيوب .

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، جزءان في مجلدين ، الجزء الأول التاريخ ، والجزء الثاني فيه الصور ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٦ م ١ : ١٧ ـ ١٨ .

آثار عصر دولة المماليك البحرية من سنة ٦٤٨ هـ ـ ٧٨٤هـ

عصر هذه الدولة من العصور الذهبية في مجال العمائر والآثار والفنون ، فقد تنافس فيه ملوك مصر وأمراؤها في تشييد المنشآت الدينية والخيرية والمدنية والحربية ؛ وفيه أنشأ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ـ (حكم من ٦٩٣ ـ ٦٩٤ هـ ، ثم من ٦٩٨ ـ ٧٠٧ هـ ، ثم من ٧٠٩ ـ ٧٤١ هـ ، أي ٤٢ سنة) ، ديواناً للأشغال والعمائر [1] ؛ ويُعدّ السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري المؤسس الحقيقي لهذه الدولة ـ (حكم من ٦٥٨ ـ ٦٧٦ هـ ، أي ١٨ سنة) [2] ـ ، وقام بالحكم فيها أكثر مدّة ، أسرة واحدة توارثت الحكم ، وعلى رأسها السلطان الملك المنصور قلاوون ـ (حكم من ٦٧٨هـ ٦٨٩هـ ، أي ١١ سنة) [3].

وقد دام حكم هذه الدولة ١٣٦ سنة ، ووصل إلينا من عصرها بمدينة القاهرة فقط مائة (١٠٠) أثر : منها جوامع ومدارس ومساجد وخوانق وأسبلة وكتاتيب ورباطات وقباب وبيمارستانات وقصور وحمامات وقناطر ووكالات وقلاع وأسوار ؛ وهي تُقدّم بدراستها في ضوء كتب الخطط والآثار ، وكتب التراجم وكتب الحوليات وكتب الحسبة ، معلومات تاريخية هامّة ودقيقة وحيّة ، عن الحياة الإجتماعية والثقافية والاقتصادية ، والأوضاع السياسية والحربية في ذلك العصر ؛ هذا بالإضافة إلى قيام سلاطين وأمراء المماليك في هذه الدولة ،

(١) حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ، طبع القاهرة ، د . ت ص ١٢ ؛ وجامع السلطان حسن وما حوله ، مجموعة للكتبة الثقافية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٧٨ .

(٢) انظر المقريزي : الخطط ٣ : ٣٨٧ ؛ والسلوك ١ : ٤٣٦ ـ ٦٤١ ؛ وراجع محمد جمال الدين : الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره .

(٣) راجع محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون بمصر ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧م .

بعمارة وإصلاح وتجديد الجوامع الكُبرى التى بُنِيَتْ بمصر قبل العصر المماليكى، مثل : جامع عمرو بن العاص ، وجامع أحمد بن طولون ، والجامع الأزهر ، وجامع الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، وجامع الوزير الفاطمى الصالح طلائع من رزيك خاتمة الجوامع الفاطمية بمصر ، والجامع الأقمر الذى بناه الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله [1]. هذا فضلاً عن الآثار العديدة لدولة المماليك البحرية الباقية بأرجاء وأقاليم الديار المصرية ، ــ وهى غير محصورة بدقة على وجه التحديد ، شأن جميع الآثار الإسلامية بأقاليم الديار المصرية ، كما تقدم القول ــ ؛ وعدد وافر من آثارها ما يزال قائماً فى بلاد الشام وفلسطين وبلاد الحجاز .

*

(١) راجع فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة ، مصلحة المساحة ، القاهرة ، ١٩٥١م ، ص ٤ ــ ٦ (عصر دولة المماليك البحرية) ؛ وقد إعتمدنا على هذا الفهرس فى حصر عدد آثار دولتى المماليك البحرية والبراجكسة وتحديد تواريخها ؛ وأيضا على القائمين اللتين أوردهما عبد الرحمن زكى فى كتابه القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦م ، ص ١٤٢ ــ ١٤٤ ، ١٨٩ ــ ١٩١ ؛ كما اعتمدنا فى تحديد مكان الأثر فى يومنا هذا ، على وصف المقريزى فى الخطط لأماكن هذه الآثار ، داخل أسوار وأبواب مدينة القاهرة الفاطمية القديمة ، وخارج أسوارها ، وبضواحيها ؛ وعلى ما استدركه على مبارك فى كتابه الخطط التوفيقية على خطط المقريزى ؛ وعلى هوامش محمد رمزى على كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لأبى المحاسن بن تغرى بردى ؛ وعلى تحقيقات حسن عبد الوهاب فى مؤلفاته العديدة عن الآثار الإسلامية بمصر ؛ وتحقيقات سعاد ماهر فى كتابها مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ؛ فضلاً عن زيارتى الشخصية لأغلب هذه الآثار ، وتحديد أسماء الشوارع الموجودة بها فى يومنا هذا ؛ ومطابقة المعلومات التاريخية عن كل أثر ، على اللوحات الخشبية الصفراء التى تضعها اليوم مصلحة الآثار ، وتذكر فيها اسم الأثر واسم منشئه وتاريخ انشائه ورقم تسجيل الأثر فى مصلحة الآثار ؛ أو مطابقة رقم الأثر المكتوب على اللوحات المعدنية الصغيرة المستديرة الزرقاء التى تضعها مصلحة الآثار على كل أثر ، على قائمة مصلحة المساحة ــ التى ذكرت أسماء الآثار وتواريخها وأرقامها ــ ؛ وذلك إنا لم أجد اللوحة الخشبية الصفراء على الأثر . ويبلغ عدد آثار مدينة القاهرة ، من الفتح الإسلامى حتى عصر محمد على ٦٢٢ أثراً ، حسب ما جاء فى فهرس آثار القاهرة ، الذى أعدته مصلحة المساحة سنة ١٩٥٠م .

ويحدثنا المؤرخ أبو المحاسن بن تغرى بردى ، عن مُنشآت السلطان الظاهر بيبرس ــ المؤسس الحقيقى لدولة المماليك البحرية ــ التى بناها بمصر ، فيقول : بُنِىَ فى أيامه بالديار المصرية ، ما لم يُبْن فى أيام الخلفاء المصريين [الفاطميين] ، ولا ملوك بنى أيوب ، من الأبنية والرباع والخانات والقواسير والدور والمساجد والحمامات » [1] ؛ ومع ما فى هذا القول من مبالغة ، فهو فى نفس الوقت ، ينبهنا إلى ولع الظاهر بيبرس بالبناء والتعمير ، وكثرة منشآته الدينية والخيرية والمدنية والحربية بمصر .

وقدَّم لنا المقريزى ، حصراً وافياً لعمائر ومُنشآت الظاهر بيبرس وأعماله العمرانية ، بمصر وبلاد الحجاز وفلسطين وبلاد الشام ؛ ويتبين من هذا الحصر أن هذه العمائر والمنشآت قد شملت مدينتى القاهرة ومصر (الفسطاط والقطائع والعسكر) ، وضواحيهما ، وشتَّى مدن وأقاليم الديار المصرية ؛ فضلاً عن الديار الحجازية والشامية . فاهتم بعمارة المقدسات الإسلامية فى بلاد الحجاز وفلسطين؛ لإعلان نهوضه بحماية وخدمة الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، وحماية وخدمة القبلتين : الكعبة المسجد الحرام والمسجد الأقصى ؛ وتدليلاً على أحقيته فى حمل لقبى : خادم الحرمين الشريفين ، والقبلتين ؛ وهو ما حقق له الزعامة على العالم الإسلامى ، حتى لُقِّبَ بـ « سلطان الإسلام والمسلمين» ؛ والمعروف أن أول من أدار كسوة الكعبة المصنوعة بمصر ، قبل إرسالها إلى بلاد الحجاز ، هو السلطان الظاهر بيبرس [2]. وهدف بيبرس من عمائره الدينية والتعليمية والخيرية داخل الديار المصرية ، إلى إقامة شعائر الدين الإسلامى ، ونشر العلوم

(١) ابو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٧ : ١٩٠ .
(٢) انظر المقريزى : خلاصة الذهب المسبوك ، فيحن حجّ من الخلفاء والملوك ، تحقيق محمد جمال الدين السيال ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

الدينية النقلية الشرعية ؛ وذلك بتجديد للجامع الأزهر بالقاهرة ، وإعادة الخطبة إليه سنة ٦٥٥ هـ [1] ، بعد أن ظلت مقطوعة منه طوال العصر الأيوبى ، لحرص الأيوبيين على القضاء على المذهب الفاطمى الشيعى الإسماعيلى ، وعلى ذكرى دولة الخلافة الفاطمية بمصر [2] ؛ وبناء مسجد جامع ضخم ، يعد من أضخم المساجد الجامعة التي بنيت فى تاريخ مصر الإسلامية ، وهو الجامع الذى ما زال يعرف باسمه فى حيّ الظاهر ؛ وبناء مدرسة ضخمة لتدريس المذاهب الفقهية السُّنية الأربعة ، وعلوم التفسير والحديث والقراءات ، وإقراء وتحفيظ أيتام المسلمين القرآن . فى حين هدف بيبرس من منشآته وأعماله وإصلاحاته المدنية ، إلى بناء المدن الجديدة والقرى الجديدة فى أرجاء وأقاليم الديار المصرية ؛ وعمارة القناطر وشق الخلجان والترع ، الخاصة بمشاريع الرّيّ والزراعة بأقاليم مصر ، وبناء القصور ، وأهمها قصره الأبلق بمدينة دمشق . وأهتم بيبرس اهتماماً كبيراً بالعمائر الحربية ؛ فعنى بتحصين مصر وثغورها الشمالية الساحلية ، وأهمها الإسكندرية ودمياط ورشيد ، وعمارة دور صناعة السفن الحربية بها ، وتعمير أغلب القلاع الشامية لردع الخطر الصليبى فى بلاد الشام وآسيا الصغرى وأرمينيا ، وتحسُّبا للخطر المغولى ؛ وقد أتت هذه التحصينات ثمارها ؛ بالانتصارات الكثيرة التى حققها بيبرس على الفرنج الصليبيين ، واستردادة منهم عدداً كبيرة من مدن ساحل الشام وفلسطين وآسيا الصغرى ؛ وانتصاراته على التتار فى شمال بلاد الشام [3] . ولم يفت بيبرس رعاية الأحوال الصحية والإجتماعية بمصر ببناء

(١) انظر المقريزى : الخطط ٤ : ٥٣؛ حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ١٧ ؛ وجامع الأزهر ، فوق محرابه الخاصى القديم ، نقش مؤرخ بهذا التاريخ باسم السلطان بيبرس ، يشير إلى عمارته للجامع الأزهر ؛ راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ص ٥٣ ـ ٥٤ ، وصفه للجامع الأزهر ؛ محمد رمزى : النجوم ٧ : ١٩٢ حاشية (٢).

(٢) راجع أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم والإدارة فى العصر الأيوبى بمصر ص ٢٧٩ ـ ٣٥٧، الفصل الخاص بإعادة الشعائر السنية إلى مصر ونشر الفكر الأشعرى بها ، وخاصة ص ٢٨٧ ـ ٢٩٣ .

(٣) عن فتوحات الظاهر بيبرس وانتصاراته على الصليبيين والمغول، انظر المقريزى ٤ : ٩٦ ـ ٩٧ ، آخر الترجمة المطولة لبيبرس ، التى ذيل المقريزى بها حديثه عن جامع الظاهر .

الرباع والدور والحمّامات ، وتشجيع النشاط التجارى والإقتصادى بها ، ببناء الخانات والقواسير ؛ على نحو ما أفاد نص ابن تغرى بردى ، الذى سبق الإستشهاد به .

فيقول المقريزى ، مُعَدِّداً آثار وعمائر السلطان الظاهر بيبرس بمصر والشام وفلسطين والحجاز : « وعَمَّر الحرمَ النبوى ، وقُبَّة الصَّخْرة ببيت المقدس ، وزاد فى أوقاف الخليل عليه السلام [فى الحرم الإبراهيمى فى مدينة الخليل] ؛ وعمر قناطر شبرا منت بالجيزة ؛ وسور الأسكندرية ،ومنارة وشيد ؛ وردم فم بحر دمياط ووعّر طريقه ؛ وعمر الشُّوانى ؛ وعمر قلعة دمشق ، وقلعة الصبيبة ، وقلعة بعلبك ، وقلعة الصلت ، وقلعة صرخد ، وقلعة عجلون ، وقلعة بصرى ، وقلعة شيزر ، وقلعة حمص ؛ وعمر مدرسة بين القصرين بالقاهرة ، والجامع الكبير بالحسينية خارج القاهرة ؛ وحفر خليج الأسكندرية القديم وباشره بنفسه ، وعمر هناك قرية سمّاها الظاهرية ، وحفر بحر أشموم طناح على يد الأمير بلبان الرشيدى ؛ وجدّد الجامع الأزهر بالقاهرة ، وأعاد إليه الخطبة ؛ وعمر بلد السعيدية من الشرقية بديار مصر ؛ وعمر القصر الأبلق بدمشق ؛ وغير ذلك » [1].

وبمدينة القاهرة ، أربعة آثار ، ترجع إلى عصر سلطنة الظاهر بيبرس (حكم من ٦٥٨ ـ ٦٧٦ هـ ، أى ١٨ سنة) ؛ وهى : منارة زاوية الهنود ، ويرجعها البعض إلى حوالى سنة ٦٦٠هـ ، فى حين يرجعها البعض إلى أواخر العصر الأيوبى سنة ٦٤٨هـ ـ ، كما تقدم القول ، وهى الأثر رقم ٢٣٧ [2] ؛ ومدرسة الظاهر بيبرس ، سنة ٦٦٠ ـ ٦٦٢هـ ، وهى الأثر رقم ٣٧ ، بشارع النحّاسين (المعز لدين الله) لصق مدرسة السلطان الصالح نجم الدين أيوب ؛

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٩٧ .

(٢) راجع عنها ، أحمد فكرى : مساجد ومدارس مصر ، العصر الأيوبى ص ٤٤ ـ ٤٥ ، لوحة ٢٠ .

وجامع الظاهر بيبرس ، سنة ٦٦٥ ـ ٦٦٧ ، وهو الأثر رقم ١ ، بميدان الظاهر ، بحى الظاهر ؛ وضريح ورباط الشيخ يوسف العجمى العدوى ، سنة ٦٦٦ ـ ٦٧٣ هـ ، وهو الأثر رقم ٢٧٩ ـ ويعرف بضريح مصطفى باشا ـ ، بقرافة الإمام الشافعى [1].

ويأتى فى طليعة آثار الظاهر بيبرس بمدينة القاهرة ، جامعه الضخم المنسوب إليه الذى لا يزال باقياً بحى الظاهر ؛ وهو يعدّ من أضخم عمائر العصر المماليكى بصفة خاصة ، ومن أضخم جوامع وعمائر مصر الإسلامية بصفة عامة ؛ وكان يسمى جامع العافية ، وعنه يقول محمد رمزى : « إن هذا الجامع يقع بميدان الظاهر ، بين شارع الظاهر والعباسية (شارع فاروق سابقاً ، وشارع الجيش حالياً) بالقاهرة ؛ وهو من أكبر جوامعها ، يبلغ مسطحه ١١٨٨٠ متراً مربعاً ، وهو ما يقرب من ثلاثة أفدنة ؛ وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع تعطلت منه إقامة الشعائر من أول القرن العاشر الهجرى ، بسبب سعته وتعذّر الصرف عليه ؛ ثم تخرّب وسقطت قبته الكبيرة التى كانت فوق إيوان المحراب ، ثم سقطت مئذنته ، ولم يبق منه الآن إلا جدرانه الخارجية ، المبنية من الحجر النحيت . وذكر الجبرتى أن هذا الجامع جعل فى العهد العثمانى مخزناً للمهمات الحربية ، كالخيام والسروج وغيرها ؛ ثم جعل قلعة وثكنة للجنود ، فى زمن الحملة الفرنسية ؛ ثم جعل مخبزاً للجراية ومعملاً للصابون فى زمن محمد على ؛ ثم جعل فى زماننا مذبحاً لجيش الإحتلال الإنجليزى ، وقد بطل الذبح فيه سنة ١٩١٥م ؛ ولهذا يعرف اليوم باسم المذبح . وفى سنة ١٩١٨م ، غرست مصلحة التنظيم أرض صحن الجامع وجعلته متنزهاً عاماً . وفى سنة ١٩٢٨م ، عمّرت لجنة حفظ

(١) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٣ ـ ٤٣ و ٣ : ٣٣٧ ، لوحة ٤ ؛ والرباط فى مصر هو المكان المخصّص للأفعال الصالحة والعبادة ، وإقامة المنقطعين عن الأهل ؛ ومنها ما هو مخصّص للنساء بمثابة دور لكفالة المرأة ؛ وفى الثغور المكان المخصّص للمرابطين للذود عنها ، راجع حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٦١ ، هامش (١) ؛ وانظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٩٢ ـ ٢٩٧ (ذكر الربط) و ٤ : ٣٣٣ (ذكر الرباطات التى كانت بالقرافة) .

الآثار العربية الجزء الواقع عند المحراب ، وجعلته مُصلّى [1] . قلت : وتقوم هيئة الآثار فى يومنا هذا سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ، بعمارة ضخمة واسعة لهذا المسجد . وسوف نتحدث الآن عن عمائر الظاهر بيبرس بالتفصيل .

المدرسة الظاهرية

قال عنها المقريزى : « هذه المدرسة بالقاهرة ، من جملة خط بين القصرين ؛ كان موضعها من القصر [الفاطمى] الكبير [الشرقى] ، يُعرف بقاعة الخيم ... ، ومما دخل فى هذه المدرسة باب الذهب المذكور فى أبواب القصر ؛ فلما أوقع الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الحوطة على القصور والمناظر... ، أمر بهدمها ، وبناء موضعها مدرسة ؛ فابتدئ بعمارتها فى ٢ ربيع الآخر سنة ٦٦٠هـ ، وفرغ منها فى سنة ٦٦٢هـ ؛ ولم يقع الشروع فى بنائهما ، حتى رتّب السلطان وقفها ـ وكان بالشام ـ فكتب بمارتّبه إلى الأمير جمال الدين ابن يغمور ، وأن لا يستعمل فيها أحدا بغير أجرة ، ولا ينقص من أجرته شيئاً ؛ فلما كان يوم الأحد ٥ صفر سنة ٦٦٢ هـ ، إجتمع أهل العلم بها ـ وقد فرغ منها ـ وحضر القرّاء ؛ وجلس أهل الدروس ، كل طائفة فى إيوان منها ، الشافعية بالإيوان القبلى ، ومدرسهم الشيخ تقى الدين محمد بن الحسن بن رزين الحموى ، والحنفية بالإيوان البحرى ، ومدرسهم الصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين بن العديم الحلبى ، وأهل الحديث بالإيوان الشرقى ، ومدرسهم الشيخ شرف الدين عبد المؤمن ابن خلف الدمياطى ، والقرّاء بالقراآت السبع بالإيوان الغربى ، وشيخهم الفقيه كمال الدين المَحلّى ؛ وقرروا كلهم الدروس ، وتناظروا فى علومهم ؛ ثم مدّت الأسمطه لهم فأكلوا ... ، [ثم] أفيضت عليهم الخلع ، وكان يوماً مشهوداً ؛ وجعل بها خزانة كتب ، تشمل على أمّهات الكتب فى سائر العلوم ؛ وبنى بجانبها مكتباً لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله ، وأجرى لهم الجرايات والكسوة ؛ وأوقف عليها

(١) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٧ : ١٦١ حاشية (٢) .

ربع السلطان * خارج باب زويلة ... ؛ وهذه المدرسة من أجلّ مدارس القاهرة ؛ إلاّ أنها قد تقادم عهدها فرثّتْ ، وبها إلى الآن بقية صالحة ، ونظرها تارة يكون بيد الحنفية ، وأحياناً بيد الشافعية » [1].

وقد ظل جزء كبير من المدرسة الظاهرية باقياً حتى سنة ١٨٧٤م ، عند شق الطريق المُوصِّل بين بيت القاضي وسوق النحّاسين ، أمام قُبّة قلاوون ، ـ وهو ما يُعرف اليوم بشارع بيت القاضي ـ ، وفي سنة ١٨٨٢م سقطت مئذنة المدرسة ؛ ولم يبق منها حتى الآن ، غير كتلة من المباني ، تبلغ مساحتها (١١ × ٥ أمتار) ، ويتقدم هذه الكتلة البنائية الواجهة الغربية للمدرسة ، التي تطلّ على شارع بين القصرين (المعز لدين الله الآن) ويتوسطها باب ، يعلوه شريط كتابي ، به جزء من الكتابات المؤرخة ، وتستمر الواجهة الجنوبية مسافة ١١٫٥ متر ، حتى تلتقي بحائط ضريح السلطان نجم الدين أيوب [2] . ويُقرأ على الشريط الكتابي ، الذي به جزء من الكتابات المؤرخة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة ، السلطان .... الخ » .

جامع الظاهر :

قال عنه المقريزي : « هذا الجامع خارج القاهرة ؛ وكان موضعه ميداناً ، فأنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري جامعاً . قال جامع السيرة الظاهرية : وفي ربيع الآخر ـ يعني سنة ٦٦٥ هـ ـ إهتم السلطان بعمارة جامع بالحسينية ؛ وسيّر الأدابك فارس الدين أقطاي المستعرب ، والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن حنا ، وجماعة من المهندسين ، لكشف مكان يليق أن يُعمل جامعاً ؛ فتوجهوا لذلك ، واتفقوا على مناخ

(١) المقريزي : الخطط ٤ : ٢١٦ ـ ٢١٨ .
(٢) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٨ ـ ٣١ و ٣ : ٣٣٢ لوحة ٣ .
* هو ما كان يُعرف بشارع تحت الربع ، خارج باب زويلة ، وهو شارع أحمد ماهر حالياً ، يحي الدرب الأحمر ، من ناحية ميدان باب الخلق (أحمد فؤاد) .

الجمال السلطانية ، فقال السلطان : لا والله ، لا جعلتُ الجامع مكان الجمال ، وأوّل ما جعلته ، ميداني الذي ألعب فيه الكُرة ، وهو نُزهتي ؛ فلما كان يوم الخميس ٨ ربيع الآخر ، ركب السلطان وصحبته خواصه والوزير الصاحب بهاء الدين علي بن حنا والقضاة ، ونزل إلى ميدان قراقوش ؛ وتحدث في أمره ، وقاسه ، ورتّب أموره ، وأمور بنائه ، ورسم بأن يكون بقية الميدان ، وقفاً على الجامع يُحكَرُ ؛ ورسم بين يديه هيئة الجامع ، وأشار أن يكون بابه مثل باب المدرسة الظاهرية ، وأن يكون على محرابه قُبّة على قدر قُبّة الشافعي رحمه الله ؛ وكتب في وقته الكتب إلى البلاد ، بإحضار عُمد رخام من سائر البلاد ، وكتب بإحضار الجمال والجواميس والأبقار والدوّاب من سائر الولايات ، وكتب بإحضار الآلات من الحديد والأخشاب النقية برسم الأبواب والسقوف وغيرها . ثم توجّه لزيارة الشيخ الصالح خضر ، بالمكان الذي أنشأه له ، وصلّى الظهر هناك . ثمّ توجّه إلى المدرسة [الظاهرية] بالقاهرة ، فدخلها والفقهاء والقرّاء على حالهم ، وجلس بينهم ؛ ثمّ تحدّث وقال : هذا مكان جعلته لله عزّ وجلّ ، وخرجت عنه ، وقفاً لله ؛ إذا متُّ لا تدفنوني هنا ، ولا تغيّروا معالم هذا المكان ، فقد خرجت عنه لله تعالى ؛ ثم قام من إيوان الحنفية ، وجلس بالمحراب في إيوان الشافعية ، وتحدّث وسمع القرآن والدعاء ، ورأى جميع الأماكن ... ، ثم ركب إلى قلعة الجبل وولّى عدّة مشدّين على عمارة الجامع ؛ وكان إلى جانب الميدان، قاعة ومنظرة عظيمة ، بناها السلطان الملك الظاهر ؛ فلما وسم ببناء الجامع ، طلبها الأمير سيف الدين قشتمر العجمي من السلطان ، فقال : الأرض قد خرجت عنها لهذا الجامع ، فاستأجرها من ديوانه ، والبناء والأصناف وهبتك إياها؛ وشرع في العمارة في منتصف جمادى الآخرة منها [سنة ٦٦٥هـ] . وفي أول جمادى الآخرة سنة ٦٦٦هـ ، سار السلطان من ديار مصر ، يريد بلاد الشام ؛ فنزل على مدينة يافا وتسلّمها من الفرنج بأمان يوم الأربعاء ٢٠ من

جمادى الآخر المذكور ... ، وشرع فى هدمها وقسّم أبراجها على الأُمراء ... ؛ وأخذ من أخشابها جملة ، ومن ألواح الرخام التى وجدت فيها ، ووسق منها مركباً من المراكب التى وُجدت فى يافا ، وسيّرها إلى القاهرة ؛ ورسم بأن يُعمل من ذلك الخشب ، مقصورة فى الجامع الظاهرى ، بالميدان من الحسينيّة ، والرخام يُعمل بالخراب ، فاشتُغل كذلك . ولما عاد السلطان إلى مصر فى ١١ ذى الحجة منها [سنة ٦٦٦ هـ] ـ وقد فتح فى هذه السفرة يافا وطرابلس وأنطاكيا وغيرها ، أقام إلى أن أهلّت سنة ٦٦٧هـ ؛ فلما كملت عمارة الجامع فى شوال منها ، ركب السلطان ، ونزل إلى الجامع وشاهده ، فرآه فى غاية ما يكون من الحسن ، وأعجبه نجازه فى أقرب وقت ومدّة ، مع علوّ الهمّة ؛ فخلع على مباشريه ، وكان الذى تولّى بناءه الصاحب بهاء الدين ابن حنا ، والأمير علم الدين سنجر السرورى متولّى القاهرة ؛ وزار الشيخ خضرا ، وعاد إلى قلعته ؛ وفى شوال منها [سنة ٦٦٧ هـ] ، تمّت عمارة الجامع الظاهرى ، ورتّب به خطيباً حنفى المذهب ، ووقف عليه حكر ما بقى من أرض الميدان ، ونزل السلطان إليه ، ورتّب أوقافه ونظّر فى أموره . »[1] .

وقد قام الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق بدراسة أثرية معمارية لجامع الظاهر بيبرس ، بيّن فيها هيئته المعمارية ، عند إنشائه سنة ٦٦٧ هـ ؛ فأوضح انه كان للجامع قبّة ضخمة فوق محرابه ، وأربعة أبراج كانت تعلو أركانه الأربعة الخارجية ، وثلاثة مداخل وأبواب ضخمة ـ ما زالت موجوده إلى الآن ؛ وأفاد أن محرابه الآن قد سقط رخامه وفسيفسائه ، وأصبح عاطلاً من الزخرفة ، وفى حاجة إلى عمارة وإصلاح وترميم ، وإن النوافذ المحيطة بالجامع من أركانه الأربع ، تحوى زخارف جصية جميله ، تختلف فى كل شباك من شبابيك الجامع ـ

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٩١ ـ ٩٢ (ذكر الجوامع) ، و ٤ : ٩٢ ـ ٩٧ (ترجمة الظاهر بيبرس) .

على كثرتها ـ عن الشباك الآخر ؛ كما نشر الدكتور عبد العزيز مرزوق فى هذه الدراسة ، النقوش التأسيسه الأربعة ، التى تعلوا الأبواب الثلاثه للجامع ، وتعلوا محرابه ، ودرس الألقاب الرسمية للملك الظاهر بيبرس الواردة فيها ، دراسة تحليلية[1] .

ولا يزال الميدان المجاور لجامع الظاهر بيبرس بحي الظاهر ، يُعرَف إلى اليوم بميدان قَشْتُمُر ، نسبة إلى الأمير سيف الدين قَشْتُمُر العجمى ، الذى وهبه الظاهر بيبرس القاعة والمنظرة المجاوره للجامع ، التى كانت فى أغلب الظن فى مكان هذا الميدان ؛ وإلى الآن ، ثمّة مقهى شهير بميدان قَشْتُمُر من ناحية شارع الجيش (الأمير فاروق سابقاً) ، يحمل إسم مقهى قَشْتُمُر ؛ ولا تزال إحدى الحارات المواجهة للواجهة الجنوبية لمدخل جامع الظاهر بيبرس ، تحمل إسم الوزير بهاء الدين ابن حنا ، الذى تولى مباشرة بناء جامع الظاهر ؛ وتجرى فى عامنا هذا ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م ، عملية ترميم واسعة لهذا الجامع .

قنطره اللاهون بمدينة الفيوم : وبقيت من العمائر المدنية التى عُنيَ بها السلطان الظاهر بيبرس ، قنطرة اللاهون بمدينة الفيوم ؛ فقد أنشأها الظاهر بيبرس حوالى سنة ٦٦٥ هـ ، وبقى من الجزء الذى أنشأه بيبرس الجزء الخلفى من القنطرة ، وطوله ١٣ متراً ، وقد أصلح هذه القنطرة السلطان الأشرف قانصوه الغورى حين زار الفيوم سنة ٩١٨ هـ[2] .

(١) راجع محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البندقدارى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد ٣ ، جـ١ ، سنة ١٩٥٠م ، ص ٩١ ـ ١٠٢ ؛ وراجع أيضاً سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٣٢ ـ ٣٧ ، وصوره ٣ : ٣٣٢ ـ ٣٣٦ ، ولوحه ٤ـ١٢ .

(٢) راجع عبد الرحمن عبد التواب : منشآتنا المائية عبر التاريخ ، ص ٣٩ ـ ٤٨ ، وأنظر صورة هذه القنطرة ص ٤٦ ، صوره رقم ٣ .

قنطرة ترعة أبو النجا بالقليوبية : كذلك فإن قنطرة ترعة أبو النجا بالقليوبية ، التى بناها السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ هـ ، لاتزال موجودة إلى اليوم ، ويُزخرف أعلى الواجهة الشمالية منها ، أفريز من السباع [أو الفهود] وهى رنكّ ـ أى شعار ـ الظاهر بيبرس ، ما زال باقياً منها إثنان وعشرون [٢٢] فى أماكنها ، وكلها متشابهة ، وكل هذه السباع منحوته على قطعة واحدة من الحجر ؛ وقد أصلح السلطان الأشرف قايتباى هذه القنطرة سنة ٨٩٢ هـ ، وتولى الإشراف على إصلاحها الأمير بدر الدين حسن ابن الطولونى [١] ؛ وعن هذه القناطر يقول المقريزى : « هذه القناطر من أعظم قناطر مصر وأكبرها ، أنشأها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فى سنة ٦٦٥ هـ ، وتولى عمارتها الأمير عز الدين أيبك الأفرم » [٢] .

عمارة الجامع الأزهر ، وقلعة الجبل ، وسور القاهرة ومصر :

وقد نبّهنا علماء الآثار الإسلامية ، إلى أن الزخارف الجصّية الموجودة فوق الخراب الفاطمى القديم بالجامع الأزهر ، ترجع إلى عمارة السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى للجامع الأزهر فى سنة ٦٥٥ هـ [٣] ؛ وأنّ برج الزاوية بقلعة الجبل ، بجوار باب القلعة العمومى ، قد بناه الظاهر بيبرس ، وهو لا يزال قائماً حتى اليوم ؛ وكان بيبرس قد أنشأ على هذا البرج قبّة ، وأقام بجواره طباقاً للمماليك [٤] ؛ وأن عناية بيبرس وإضافاته وإصلاحاته ، قد شملت أيضاً أسوار مدينتى القاهرة ومصر (الفسطاط ـ العسكر ـ القطائع) [٥] ؛ وهى الأسوار التى

(١) نفس المرجع ١ ص ٤٩ ـ ٥٢ ، وانظر صورة هذه القنطرة ص ٥٠ ، صورة رقم ٤ .
(٢) المقريزى : الخطط ٣ : ٢٤٦ (ذكر القناطر) .
(٣) حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ١٧ ؛ وراجع ما تقدم ص ١٩٤ ، هامش (١) .
(٤) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٨ ـ ٢٥ .
(٥) نفس المرجع والمكان ؛ وانظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٤٥ ، ذكر الدار الجديدة التى عمرها الظاهر بيبرس عند باب سر القلعة سنة ٦٦٤هـ و ٣ : ٣٤٦ (ذكر الطباق بساحة الإيوان) .

بُنيت فى عصر السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى ، على يد وزيره بهاء الدين قراقوش الأسدى ، بهدف إحاطة مدينة القاهرة وقلعة الجبل ومدينة مصر بسور واحد ، تحسّباً للخطر الصليبى [١] ، الذى حاول منذ أواخر عصر الخلافة الفاطمية بمصر ، إرسال الحملات الصليبية إلى مصر ، بقصد الإستيلاء عليها ، لكونها قلب العالم الإسلامى النابض .

وللظاهر بيبرس الوقائع الهائلة مع التتار والإفرنج الصليبيين ، وله الفتوحات العظيمة فى بلاد الشام وفلسطين وآسيا الصغرى ، بحيث فتح الله على يده بلاداً كثيرة مما كان مع الفرنج ، وصارت إليه الكثير من البلاد التى كانت مع المسلمين ، ومن فتوحاته بلاد النوبة ودنقلة ـ ولم تفتح قبله ، مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها ـ ؛ وفى أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية سنة ٦٥٩هـ ، ولم يكن للخليفة من الأمر إلا لقب الخلافة ، والدعاء له على المنابر قبل الدعاء للسلطان ، ونقش السكه باسمه [٢] ؛ وتوفى الظاهر بيبرس بدمشق ، ومرقده فيها معروف ، أقيمت حوله المكتبة الظاهرية [٣] ؛ التى تُعدّ من أعظم المكتبات فى البلاد العربية ، بعد دار الكتب المصرية .

*

(١) عن أبراج القلعة انظر حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٦٤ ـ ٦٥ ، ٧١ ـ ٧٥ ؛ أحمد فكرى : مساجد ومدارس مصر ، العصر الأيوبى ، لوحة ٣ـ٨ .
(٢) انظر المقريزى : الخطط ٤ : ٩٢ ـ ٩٧ ، وخاصة ص ٩٧ حيث يُعدّد فتوحاته و ٣ : ٣٨٧ و ٣٩٣ ؛ السلوك ١ : ٤٣٦ ـ ٦٤١ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ٩٤ ؛ ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ٧ : ٩٤ ؛ النُّعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ١ : ٣٤٩.
(٣) الزركلى : الأعلام ٢ : ٧٩ .

أما عصر السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ = حكم ١١ سنة) [١] ؛ فبمدينة القاهرة ستة آثار ترجع إلى أيامه ؛ هي :

١ ـ ضريح فاطمة خاتون : (أم الملك الصالح علاء الدين علي بن الملك المنصور قلاوون) ، ويُعرَفُ بضريح أم الملك الصالح ، سنة ٦٨٢ ـ ٦٨٣ هـ أثر رقم ٢٧٤ ، بالقرب من المشهد النفيسي بحي الخليفة ؛ وقد ذكر المقريزي هذا الأثر باسم (مدرسة تربة أم الصالح) ؛ وقال : هذه المدرسة بجوار المدرسة الأشرفية [نسبة إلى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون] ، بالقرب من المشهد النفيسي، فيما بين القاهرة ومصر [القطائع والعسكر والفسطاط] ... ؛ أنشأها الملك المنصور قلاوون ، على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، في سنة ٦٨٢هـ ، برسم أم الملك الصالح علاء الدين علي ابن الملك المنصور قلاوون ؛ فلما كمل بناؤها ، نزل إليها الملك المنصور ، ومعه ابنه الصالح ، وتصدق عند قبرها بمال جزيل ، ورتّبَ لها وقفاً حسناً ، على قُرّاء وفقهاء وغير ذلك ؛ وكانت وفاتها في ١٦ شوال سنة ٦٨٣هـ » [٢].

٢ ـ زاوية وخانقاه أيدكين البندقداري : سنة ٦٨٣ هـ ، أثر رقم ١٤٦ ، بشارع السيوفية بحي الخليفة ، وهو إمتداد شارع الحلمية الكائن بحي الدرب الأحمر ، ويتقاطع شارع السيوفية من ناحية الخليفة مع شارع الصليبة ؛ ذكرها المقريزي باسم الخانقاه البندقدارية ، وقال : « هذه الخانقاه بالقرب من الصليبة ، أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي النجمي ، وجعلها مسجداً

(١) انظر المقريزي : الخطط ٣ : ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

(٢) انظر المقريزي : الخطط ٤ : ٢٤١ (ذكر المدارس) ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٤٤ ـ ٥٧ ، و ٣ : ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ، لوحة ١٥ ـ ١٨ ، وقد ذكرها ابن دقماق في كتابه الإنتصار ٤ : ١٢٥ ، باسم التربة الخاتونية ؛ وأفاد محمد رمزي ، أنه قد دفن بهذه التربة للاثة ملوك ، من أبناء السلطان قلاوون ، لقبهم الصالح ، راجع محمد رمزي : النجوم الزاهرة ٧ : ٢٧٢ حاشية (٢) .

لله تعالى وخانقاة ، ورتّب فيها صوفيه وقُرّاء في سنة ٦٨٣هـ ؛ وفي سنة ٦٤٨هـ إستنابه الملك المعز [عز الدين] أيبك [لنيابة السلطنة ونظر المظالم] ، فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية [بشارع بين القصرين بمدينة القاهرة] مع نواب دار العدل ؛ وإلى أيدكين هذا يُنسب الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، لأنه كان أولاً مملوكه ، ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فعُرِفَ بين المماليك البحرية ببيبرس البندقداري ، وعاش أيدكين إلى أن صار بيبرس سلطان مصر ، وولاه نيابه السلطنة بحلب في سنة ٦٥٩ هـ ... ، فلما خرج السلطان إلى الشام في سنة ٦٦١هـ وأقام بالطور، أعطاه إمره بمصر وطبلخاناه في ربيع الآخر منها ، ومات في ربيع الآخره سنة ٦٨٤ هـ ، ودفن بقبّة هذه الخانقاه »[١]. ويطلق المقريزي أحياناً على هذه الخانقاه اسم المدرسة البندقدارية [٢]. وهي لا تزال موجوده ، وتتميّز بقبتها الكبيرة الجميلة[٣] ولصق بها قصر الأمير طاز ، بُني سنة ٧٥٣ هـ وهو الآثر رقم ٢٦٧ ، وسيأتي الحديث عنه .

٣ ـ مدرسة وبيمارستان وقبة السلطان قلاوون : سنة ٦٨٣ ـ ٦٨٤هـ ، أثر رقم ٤٣ ، بشارع بين القصرين (المعز لدين الله حالياً) ، في النهاية الشماليه لسوق الصاغة ، وكان بموضعه القصر الفاطمي الغربي . ويقول المقريزي موضحاً السبب الديني والإنساني لإنشاء هذا البيمارستان (المُستشفى) ، مبيناً هدف منشئة من تحقيق التكافل الإجتماعي والتأمين الصحّي ومجّانية العلاج للمجتمع المصري في عصره ، شارحاً الترتيب والتنظيم الدقيق لهذا البيمارستان ، الذي جعله صاحبه يضارع أرقى المستشفيات الحديثة وكليات الطب الحديثة ، من حيث تقسيمه إلى أقسام حسب أنواع الأمراض ، وفصل

(١) المقريزي : الخطط ٤ : ٢٨٢ (ذكر الخوانق) .

(٢) أنظر المقريزي : الخطط ٣ : ١١٩ ، ذكر القصور والدور (دار طاز) .

(٣) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٥٢ ـ ٥٩ و ٣٤٠ ـ ٣٤١ ، لوحه ١٩ ـ ٢١ ، محمد رمزي : النجوم الزاهرة ٧ : ٣٦٥ حاشية (٢) .

الرجال عن النساء فى كل قسم ، وإفراد قسم للصيدلة والعقاقير ، وقاعة لإلقاء دروس الطب : « البيمارستان الكبير المنصورى : وهذا البيمارستان بخط بين القصرين من القاهرة ، كان قاعة ستّ الملك إبنة [الخليفة] العزيز بالله الفاطمى نزار بن الخليفة المعز لدين الله [الفاطمى] ... ؛ أخذها الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى ... سنة ٦٨٢ هـ ، بسفارة الأمير علم الدين سنجر الشجاعى مُدبِّر الممالك ، ورسم بعمارتها مارستاناً وقبة ومدرسة ، فتولى الشجاعى أمر العمارة ، وأظهر من الإهتمام والاحتفال مالم يُسمع بمثله ، حتى تمّ الغرَضُ فى أسرع مُدة ، وهى أحد عشر شهرا وأيام ... ؛ وكان الشروع فى بنائها مارستانا أول ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ . وكان سبب بنائه ، أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير إلى غزاة الروم فى أيام الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥ هـ ، أصابه بدمشق قولنج عظيم ، فعالجه الأطباء بأدوية أُخذت له من مارستان نور الدين [زنكى] الشهيد ، فبرأ ، وركب حتى شاهد المارستان ، فأُعجِبَ به ، ونذر إن أتاه الله الملك ، أن يبنى مارستاناً ؛ فلما تسلطن أخذ فى عمل ذلك ... ولما نجزت العمارة ، وقف عليها الملك المنصور من الأملاك بديار مصر وغيرها ، ما يقارب ألف ألف [مليون] درهم فى كل سنة ، رتب مصارف المارستان والقبّة والمدرسة ومكتب الأيتام ؛ ثم استدعى قدحاً من شراب المارستان وشربه ، وقال : قد وقفت هذا على مثلى فمن دونى ، وجعلته وقفاً على الملك والمملوك ، والجندى والأمير ، والكبير والصغير ، والحر والعبد ، والذكور والإناث . ورتّبَ فيه العقاقير والأطباء وسائر ما يحتاج إليه من به مرض من الأمراض ، وجعل السلطان فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى ، وقرّر لهم المعاليم ، ونصب الأسرّة للمرضى ، و فرشها بجميع الفرش المُحتاج اليها فى المرض ؛ وأفرد لكل طائفة من المرضى موضعاً ، فجعل أواوين المارستان الأربعة للمرضى بالحُمّيات ونحوها ، وأفرَدَ قاعة للرمدَى ، وقاعة للجرحى ، وقاعة لمن به إسهال ، وقاعة

للنساء ، ومكاناً للمبروذين ـ ينقسم بقسمين : قسم للرجال وقسم للنساء ؛ وجعل الماء يجرى فى جميع هذه الأماكن ؛ وأفرد مكاناً لطبخ الطعام والأدوية والأشربة ، ومكاناً لتركيب المعاجين والأكحال والشيافات ونحوها ، ومواضع يخزن فيها الحواصل ؛ وجعل مكاناً يفرق فيه الأشربه والأدوية ؛ ومكاناً يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس الطب . ولم يحصِ عدة المرضى ، بل جعله سبيلاً لكل من يرد عليه من غنى وفقير ، ولاحدّد مدّة لإقامة المريض به ، بل يرتّب منه لمن هو مريض بداره سائر ما يحتاج إليه . ووكّل الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى أمير جاندار ، فى وقف ما عيّنه من المواضع ، وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم ؛ وجعل النظر لنفسه أيام حياته ، ثم من بعده لأولاده ، ثم من بعدهم لحاكم المسلمين الشافعى ؛ فضمّن وقفه كتاباً تاريخه يوم الثلاثاء ١٣ صفر سنة ٦٨٠ هـ [كذا] ... » [1] ؛ ولا يزال بيمارستان قلاوون عامراً إلى اليوم ، ويعرف بمستشفى قلاوون الرمدى .

أمّا المدرسة المنصورية ؛ فيقول عنها المقريزى ، مُبيّناً الهدف الدينى والعلمى والتعليمى والإجتماعى من إنشائها : « هذه المدرسة من داخل باب المارستان الكبير المنصورى ، بخط بين القصرين بالقاهرة ؛ أنشأها هى والقبّة التى تجاهها والمارستان ، الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى ، على يدَ الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ؛ ورتّب بها دروساً أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة ؛ ودرساً للطب ؛ ورتّبَ بالقبّة درساً للحديث النبوى ، ودرساً لتفسير القرآن الكريم ، وميعاداً ؛ وكانت هذه التداريس لا يليها إلاّ أجَلّ الفقهاء المُعتبَرين » [2] ، « ورتّب بالمدرسة إماماً ، ومُتصدّراً لإقراء القرآن ... ؛ ورتّبَ بمكتب السبيل معلّمين

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٥٩ ـ ٢٦٣ (ذكر البيمارستانات) .
(٢) نفس المصدر ٤ : ٢١٨ (ذكر المدارس) ؛ وراجع أيضاً عن المدرسة المنصورية ، محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٥ حاشية (٢) .

يُقرئان الأيتام ؛ ورتّب للأيتام رطلين من الخبز فى كُلّ يوم لكل يتيم ، مع كِسْوة الشتاء والصيف » [1] .

وعن الهدف الدينى والعلمى والتعليمى للقبّة المنصورية ، يقول المقريزى : «هذه القبّة تجاه المدرسة المنصورية ، وهما جميعاً من داخل باب المارستان المنصورى ؛ وهى من أعظم المبانى الملوكية وأجلّها قدراً ؛ وبها قبر تضمّن الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وابنه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، والملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون ؛ وبها قاعة جليلة فى وسطها فسقيه ؛ يصل اليها الماء من فوّاره بديعة الذى ؛ وسائر هذه القاعه مفروش بالرخام المُلوّن .. ؛ وفى هذه القبّة أيضاً قرّاء ، يتناوبون القراءة بالشبابيك المُطلّة على الشارع طوال الليل والنهار ... ؛ وبهذه القبّة إمام راتب ، يُصلّى بالخدّام والقرّاء وغيرهم الصلوات الخمس ، ويُفتح له باب ، فيما بين القبّة والمحراب ، يدخل منه من يصلّى من الناس ، ثم يغلق بعد إنقضاء الصلاة ؛ وبهذه القبّة خزانة جليلة كان فيها عدّة أحمال من الكتب فى أنواع العلوم ، ممّا وقفه الملك المنصور وغيره ، وقد ذهب معظم هذه الكتب ، وتفرّق فى أيدى الناس ؛ وفى هذه القبّة خزانة بها ثياب المقبورين بها ... » [2] ؛ « وجُعل بالقبة رئيساً للمؤذنين [خمسين مؤذناً] ، عندما يؤذّنون فوق منارة ، ليس فى إقليم مصر أجلّ منها » [3] .

والواقع أن هذه المجموعة من منشآت قلاوون : المدرسة والبيمارستان والقبّة ؛ من أجمل آثار مصر الإسلامية ؛ وعنها يقول حسن عبد الوهاب : « والناظر إلى

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٥٩ ـ ٢٦٣ (ذكر البيمارستانات) ؛
(٢) نفس المصدر ٤ : ٢١٨ ـ ٢٢١ (ذكر المدارس) .
(٣) نفس المصدر ٤ : ٢٥٩ ـ ٢٦٣ (ذكر البيمارستانات) ؛ وعن القبة المنصورية ، راجع أيضاً محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٥ حاشية (٢) و ١٠ : ١٤٠ حاشية (٣) .

هذه المجموعة يرى منظراً من أروع المناظر للعمارة الإسلامية بالقاهرة » [1] ؛ «وهى غنية بمختلف الفنون ، وخاصة القبّة ، فقد كُسيت جُدرانها بوزرات رُخامية مُطعّمة بالصدف ، ونُقشت وذُهّبت سقوفها ؛ وبها محراب رُخامى دقيق ، لا نظير له فى ارتفاعه ودقة صناعة الرُّخام فيه ؛ والقبّة غربيه فى تصميمها ، وهى الوحيدة بمصر ، وعلى الطَّرَف الشمالى منها ، المئارة الضخمة التى جدّد إنشأها إبنه الناصر محمد سنة ٧٠٣ هـ » [2] .

٤ ـ قبة الصوابى : حوالى سنة ٦٧٤ هـ ، أثر رقم ٢٩٦ .

٥ ـ قُبّة السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون : سنة ٦٨٧ هـ ، أثر رقم ٢٧٥ ، بشارع الأشرف (أمتداد شارع الركبية) ، بجانب قبة شجرة الدرّ ، وبالقرب من المشهد النفيسى ؛ ويبدو تاريخ هذا الضريح واضحاً فى شريط الكتابة التى تحيط بأعلى جدرانه من الخارج ، فقد جاء فيه أن القبّة بُنيت سنة ٦٨٧هـ ، أى قبل موت السلطان قلاوون ، وقبل أن يُصبح الأشرف خليل ولياً للعهد [3] .

٦ ـ مدرسة وقبة الأمير حُسام الدين طرنطاى المنصورى : سنة ٦٨٩ هـ ، أثر رقم ٥٩٠ ، بحارة الوزيرية ، خلف محكمة الإستئناف الوطنية بباب الخلق ؛ وقد أفاد المقريزى أن هذا الأمير تولى نيابة السلطنه بديار مصر سنة ٦٧٨

(١) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١١٤ ـ ١٢٢ ، وخاصة ص ١١٦ ، ٢ ؛ ص٤٥ ـ ٤٨ ، لوحه ٥٧ ـ ٦٤ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٩ ـ ٧٤ و ٣ : ٣٤١ لوحة ٢٢ ـ ٤٢ .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ١٨ ـ ١٩ ؛ بين الآثار الإسلامية ص١٣ .
(٣) راجع سعاد ماهر : مساجد القاهرة ٣ : ٨٢ ـ ٨٨ ، لوحه ٤٥ ـ ٤٨ ؛ محمد رمزى : النجوم الزاهرة لابن تغرى ٨ : ٢٥ حاشية (١) .

هـ ، وتوفى سنة ٦٨٩ هـ ، ودُفِنَ بتربته التى أنشأها بمدرسته هذه [١] ؛ وقد نُقش على التابوت الخشبى الذى بقبة هذه المدرسة : « هذا قبر الفقير إلى الله ، الأمير الجليل ، حسام الدين طرنطاى الملكى المنصورى ، توفى ... سنة ٦٨٩ هـ »[٢] .

*

ولم يصل إلينا من عصر السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ ـ ٦٩٣ هـ ، ومدّة حكمه ٣ سنين وشهرين) [٣] ؛ إلا أثران من أيام سلطنته ، وأثر من أيام ولايته لعهد أبيه ـ هو قبته ومدرسته التى تقدم ذكرها فى آثار عصر أبيه ـ ؛ وقد وصفه مترجموه بأنه كان له آثار عمرانية ، منها : قصره الذى بناه بالقلعة وعُرِفَ بالأشْرَفِيّة [٤] والرقوف الذى عَمَرَه ، وصوّر فيه أمراء دولته [٥] ؛ وقلّة آثاره ترجع فى الواقع إلى قِصَرِ عصر سلطنته من ناحية ، وإلى إنشغاله بحروبه مع الصليبيين فى بلاد الشام من ناحية أخرى ؛ فقد استفتح الملك بالجهاد ، فقصدَ البلاد الشامية ، وقاتل الإفرنج ، فاستردّ منهم عكّا وصور صيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل ، واستأصلهم من الساحل الشامى ، وتوغّل فى الداخل ؛ وقد أفاد المقريزى أنّه دُفِنَ بمدرسته الأشْرَفِيّة [٦] والأثران اللذان وصلا إلينا من عصر سلطنته ، هما :

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٢٨ (ذكر المدارس ـ المدرسة الحسامية) .
(٢) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٧٥ ـ ٨١ ، لوحة ٤٣ ـ ٤٤ ؛ وراجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٤٥ حاشية (٤) .
(٣) أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٨٨ .
(٤) عنه أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٤٣ (صفة قلعة الجبل) .
(٥) عنه أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٤٥ (صفة قلعة الجبل) ؛ حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٧٢ .
(٦) أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٨٨ ؛ السلوك ١ : ٧٥٦ ـ ٧٩٣ ؛ ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ١ : ١٥١ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٣ .

٩ ـ رباط أحمد بن سليمان الرفاعى : سنة ٦٩٠ هـ ، أثر رقم ٢٤٥ ، بحارة حلوات ، خلف مسجد الرفاعى ، الكائن بآخر شارع محمد على (القلعة) من جهة ميدان صلاح الدين ، فى مواجهة جامع ومدرسة السلطان حسن ، وينفذ اليه من طرف شارع سوق السلاح من جهة ميدان صلاح الدين ، كما يتوصل اليه من سلم يهبط إلى تلك الحارة خلف مسجد الرفاعى ؛ سماه المقريزى بالرباط المعروف برواق ابن سليمان ، وقال : « هذا الرواق بحارة الهلالية ، خارج باب زويلة ؛ عُرِف بأحمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان ابن إبراهيم بن أبى المعالى بن العباس الرحبى البطائحى الرفاعى ، شيخ الفقراء الأحمدية الرفاعية بديار مصر ؛ كان عبداً صالحاً ، له قبول عظيم من أمراء الدولة وغيرهم ، وينتمى إليه كثير من الفقراء الأحمدية ، وروى الحديث عن سبط السلفى ، وحدّث ؛ وكانت وفاته ليلة الإثنين ٦ ذى الحجة سنة ٦٩١ هـ ، بهذا الرواق » [١] . ولم يتخلف من مبانى هذا الرباط ، سوى رواق مستطيل بصدره محراب كبير ، وبالطرف البحرى للمصلى قبه صغيره ، عامرة من داخلها بالزخارف والألوان ونوادر الصناعة فيها ، وتنوع الخط ما بين نسخى وكوفى ، وبصدرها المحراب وهو من الطرف النادرة ، وبعض الكتابات وبعض الزخارف والإفريز المحيط بالمحراب ، غطيت بزجاج ملون باللونين الأرجوانى والأخضر ، وهذا هو المثل الوحيد فى الآثار الإسلامية بمصر ، وغيرها من الأقطار الإسلامية ، ويُعتبَرُ من أخصّ مميزات هذا الأثر ؛ ويتوسط القبه تابوت ، كتب به آية الكرسى ، ومكتوب على الرأس القبليه إسم الشيخ الصالح محى الدين أبى العباس أحمد بن سليمان الرفاعى ، وتاريخ وفاته سنة ٦٩٠ هـ . وهذا الرباط من الآثار المستترة ؛ التى حوَتْ من دِقّة الصنع وبدائع الفن ، مالم يتوفر فى غيره [٢] .

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٩٤ (ذكر الربط) .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ، ص ٦١ ـ ٦٣ ؛ وراجع حسن عبد الوهاب أيضاً ، سلسلة مقالات عن بعض الآثار المغبونه ، مثل رباط أحمد بن سليمان ، ومدرسة أبو بكر مزهر بحارة برجوان المتفرعة من شارع بين القصرين بحى الجمالية ، ومسجد أصلم السلحدار ؛ وسيأتى الحديث عن هذا المسجد الأخير .

٢ ـ قصر الين آق الحُسامى : سنة ٦٩٣ هـ ، أثر رقم ٢٤٩ ، بشارع التبانه ؛ وهو إمتداد شارع الدرب الأحمر ، ومع نهاية شارع التبانة ، يبدأ شارع باب الوزير ، بحى الدرب الأحمر .

*

كذلك فإن عصر السلطان العادل كتبغا (٦٩٤ ـ ٦٩٦ هـ ، حكم سنتين) ، ـ الذى خلع السلطان الناصر محمد بن قلاوون عن عرشه فى سلطنته الأولى ، بعد سنة ، وكان لايزال طفلاً [١] ؛ لم يصل إلينا منه إلا أثراً واحداً بدئ فى عمارته فى عصر سلطنة كتبغا ، وأكمل فى عهد سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية (٦٩٨ ـ ٧٠٨ هـ) [٢] ، وهو : **المدرسة الناصرية أو مدرسة السلطان الناصر محمد بن قلاوون وقبته** : سنة ٦٩٥هـ ـ ٧٠٣هـ ، أثر رقم ٤٤ ، بشارع النحاسين (المعز لدين الله) ، بحى الجمالية: يقول عنها المقريزى : « هذه المدرسة بجوار القبة المنصورية فى شرقيها ؛ كان موضعها حماماً ، فأمر السلطان الملك العادل كتبغا المنصورى ، بإنشاء مدرسة موضعها ، فابتدئ فى عملها ، ووضع أساسها ، وارتفع بناؤها عن الأرض ، إلى نحو الطراز المُذهَّب الذى بظاهرها ، فكان من خلعة ما كان ؛ فلما عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى مملكة مصر فى سنة ٦٩٨ هـ ، أمر بإتمامها ، فكملت فى سنة ٧٠٣ هـ ؛ وهى من أجلّ مبانى القاهرة ، وبابها من أعجب ما عملته أيدى بنى آدم ، فإنه من الرخام الأبيض البديع الزى ، الفائق الصناعة ، نقل إلى القاهره من مدينة عكا ؛ وذلك أن الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، لما فتح عكا عنوة فى ١٧ جمادى الأول سنة ٦٩٠ هـ ، أقام الأمير

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٨٨ .
(٢) أنظر نفس المصدر ٣ : ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ؛ وراجع ما سيأتى .

علم الدين سنجر الشجاعى لهدم أسوارها ، وتخريب كنائسها ، فوجد هذه البوابة على باب كنيسة من كنائس عكا ، وهى من رخام قواعدها وأعضادها وعمدها ، كل ذلك متصل بعضه ببعض ، فحمل الجميع إلى القاهرة ، وأقام عنده إلى أن قتل الملك الأشرف ، وتمادى الحال على هذا أيام سلطنة الملك الناصر محمد الأولى ؛ فلما خلع وتملك كتبغا ، أخذ دار الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ليعملها مدرسة ، فدل على هذه البوابة ، فأخذها من ورثة الأمير بيدرا، فانها كانت قد انتقلت إليه ؛ فلما خلع من الملك ، وأقيم الناصر محمد ، اشترى هذه المدرسة قبل إتمامها والإشهاد بوقفها ، وولى شراءها وصيه قاضى القضاه زين الدولة على بن مخلوف المالكى ، وأنشأ بجوار هذه المدرسة من داخل بابها قبة جليلة ، ولكن دون قبة أبيه ؛ ولما كملت نقل إليها أمه بنت سكباى بن قراجين ، ووقف على هذه المدرسة ... ؛ فلما مات أبنه أنوك من الخاتون طغاى فى يوم الجمعه ١٧ ربيع الأول سنة ٧٤١ هـ وعمره ١٨ سنة ، دفنه بهذه القبة ، وعمل عليها وقفاً يختص بها ، وهو باق إلى اليوم ، يصرف لقراء وغير ذلك . وأول من رتب فى تدريس المدرسة الناصرية من المدرسين ؛ قاضى القضاه زين الدين على بن مخلوف المالكى ، ليدرس فقه المالكية ، بالإيوان الكبير القبلى ؛ وقاضى القضاه شرف الدين عبد الغنى الحرانى ، ليدرس فقه الحنابلة بالإيوان الغربى ؛ وقاضى القضاه أحمد بن السروجى الحنفى ، ليدرس فقه الحنفيه بالإيوان الشرقى ؛ والشيخ صدر الدين محمد ابن المرحل المعروف بابن الوكيل الشافعى ، ليدرس فقه الشافعية بالإيوان البحرى ؛ وقرر عند كل مدرس منهم عدة من الطلبة ، وأجرى عليهم المعاليم ؛ ورتب بها إماماً ، يؤم بالناس فى الصلوات الخمس ؛ وجعل بها خزانة كتب جليلة . وأدركت هذه المدرسة وهى محترمة إلى الغاية ، يجلس بدهليزها عدة من الطواشية ، ولا يمكن غريب أن يصعد إليها ؛ وكان يفرق بها على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها ، السكر فى كل شهر ، لكل أحد منهم نصيب ، ويفرق عليهم لحوم

الأضاحى فى كل سنة ؛ وقد بطل ذلك ، وذهب ما كان لها من الناموس ؛ وهى إلى اليوم عامرة من أجل المدارس » [1] . ولاتزال مدرسة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى اليوم تعدّ من أجمل آثار مصر الإسلامية [2] .

*

وأيضاً فإن **عصر السلطان المنصور لاجين** (٦٩٦ ـ ٦٩٨ هـ = كانت مدة حكمه سنتين وشهر) [3] ؛ لم يصل إلينا منه إلا أربعة آثار : أحدها عمارته لجامع أحمدبن طولون ؛ فكسوة الحراب الرخامية ، والفسيفساء المذهّبة فوقها ، والمنبر بجواره والقبة فوقه ، من عمله ؛ وهو الذى أعاد بناء المنارة ذات السلم الخارجى ، طبقاً لما أدركها عليه ، وهى الوحيدة بمصر ؛ كما أنه أعاد بناء القبة وسط الصحن [4] ؛ ويقع الجامع الطولونى بمنطقة قلعة الكبش (جبل يشكر) ، بشارع الخضيرى ، بحى السيدة زينب ، وامتداد هذا الشارع بحى الخليفة . كذلك وصل إلينا من عصر سلطنة لاجين ، مئذنة على البقلى ، سنة ٦٩٦هـ ، أثر رقم ١٥٦ ؛ وزاوية زين الدين يوسف سنة ٦٩٧ هـ ، أثر رقم ١٧٢ ، بالقرافة ، بسفح جبل المقطم ؛ وباب المزهرية ، سنة ٦٩٨ هـ ، أثر رقم ٨ ، بشارع البنّالة (البنهاوى حالياً) بباب الشعرية .

*

(١) المقريزى: الخطط ٤ : ٢٢١ ـ ٢٢٢ (ذكر المدارس ـ المدرسة الناصرية) .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ص١٣ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ص ١١٧ ـ ١٣٠ ، لوحة ٦٣ ـ ٧٠ .
(٣) انظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٨٩ .
(٤) حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص٥ ؛ وكان لاجين وهو أمير قبل ولايته للسلطنة ، قد اضطر إلى الإختفاء فى منارة الجامع الطولونى ؛ إبان قتاله مع منافسيه ، فلما إن ولاه الله السلطنة ، أن يعمر هذا الجامع .

ويعد **عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون** ، من أهم عصور دولة المماليك البحرية ؛ التى أنشئت فيها كثير من العمائر ، وخاصة عصر سلطنته الثالثة (٧٠٩ ـ ٧٤١ هـ ، التى دامت ٣٢ سنة) ؛ إذ حكم هذا السلطان مصر أطول مدة فى دولة المماليك البحرية ، فقد ولى مصر فى المحرم سنة ٦٩٣ هـ ، وتوفى سنة ٧٤١ هـ ، تنحّى خلالها عن الملك فترتين قصيرتين ، فترة سلطنة العادل كتبغا (٦٩٤ ـ ٦٩٦ هـ) الذى قام بتدبير دولة الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الأولى ، وكان عمر الناصر سبع سنين ، فخلعه كتبغا بعد سنة ؛ ثم فترة سلطنة المنصور لاجين (٦٩٦ ـ ٦٩٨ هـ) ؛ ثم أعيد الناصر محمد إلى السلطنة مرة ثانية ، وقام بتدبير الأمور الأميران سلار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير استادار ؛ حتى سار الناصر كأنه يريد الحج ، فمضى إلى الكرك [بالأردن] وانخلع من السلطنة ، فكانت مدة سلطنته الثانية هذه تسع سنين [1] ؛ أى أنه حكم مصر أكثر من أربعين عاما ؛ وكان رحمه الله محباً للعمارة ، فعمّر كثيراً من الآثار ، كما أنشأ كثيراً من المساجد والمدارس والقصور؛ وفى عهده أنشئ ديوان للعمارة ، وتأثرت العمائر بتأثيرات فارسية وأندلسية ، وكان لمنشآته الخيرية نصيب موفور [2] .

ووصل إلينا من العمائر التى بُنيَتْ فى عصر السلطنة الثانية للسلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٨ ـ ٧٠٨ هـ) ، التى كانت مدتها تسع سنوات ؛ أربعة آثار هى : قبة وإيوان المتوفى ، نهاية القرن السابع الهجرى ، أثر رقم ٣٠٠ ، بدرب القزازين بشارع قصر الشوق ، بحى الجمالية ؛ ومدرسة قراسنقر ، سنة٧٠٠هـ ، أثر رقم ٣١ ، بشارع الجمالية ، من ناحية باب النصر بحى

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .
(٢) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٧٨ ـ ٨١ .

الجمالية ؛ وعمارة مسجد عمرو بن العاص ، سنة ٧٠٣ ، أثر رقم ٣١٩ ، بالفسطاط ، بحى مصر القديمة ؛ ومدرسة ومسجد وخانقاه سنجر الجاولى ، سنة ٧٠٣ هـ ، أثر رقم ٢٢١ ، بشارع مراسينا ، الآخذ من ميدان السيده زينب إلى منطقة قلعة الكبش (جبل يشكر) بجوار الجامع الطولونى .

كذلك تمّت فى عصر هذه السلطنة الثانيه للناصر محمد بن قلاوون ، عدّة عمائر وإصلاحات ، لعدد من الجوامع والمساجد بمصر ، التى ترجع لعصر الولاه بمصر (٢٠ ـ ٢٥٤ هـ) ، وللعصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ) ؛ وتولىّ هذه العمائر والإصلاحات عدد من كبار أمراء مصر فى ذلك الوقت ؛ فالمحراب الجصى الحافل بالزخارف بجامع عمرو بن العاص الذى يقابل القادم عليه من الخارج ، هو والشبابيك الجصية فوقه ، من عمارة الأمير سلار نائب السلطنة بمصر سنة ٧٠٣ هـ [١] ؛ والمنبر الموضوع اليوم بمسجد الوزير الفاطمى الصالح طلائع بن رزيك ، خاتمة المساجد الفاطمية بمصر ، الكائن بميدان باب زويله ، هو منبر الأمير بكتمر الجوكندار ، ويؤرّخ بسنة ٦٩٩ هـ ؛ ثم قام هذا الأمير بعمارة هذا الجامع سنة ٧٠٢ هـ ، وهو من أهمّ العمارات التى أجريت به [٢] ؛ وفى سنة ٧٠٣ هـ ، قام الأمير بيبرس استادار السلطنة بمصر بعمارة مسجد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، وبنّا قبّة منارتيه ، وهما من أقدم المنارات بمصر [٣] .

والمدرسة القراسنقرية : الكائنة اليوم بشارع الجمالية ، على يسار القادم من باب النصر ، بحى الجمالية ، وكان مكانها ـ كما يقول المقريزى ـ من جملة

(١) حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص٢ .
(٢) حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص٢٨ .
(٣) حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ص٦ .

دار الوزارة الفاطميه الكبرى التى أنشأها الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ؛ وأنشأها الأمير قراسنقر المنصورى ، نائب السلطنة سنة ٧٠٠هـ ، وبنى بجوارها مسجداً معلقاً ، ومكتباً لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ، وجعل بهذه المدرسة درساً للفقهاء ، وهى من المدارس المليحة ؛ وكنّا نعهد البريدية ، إذا قدموا من الشام وغيرها ، لا ينزلون إلا فى هذه المدرسة ، حتى يتهيّأ لهم السفر ، وقد بطل ذلك من سنة ٧٩٠ هـ ؛ [١] وداخل هذه المدرسة اليوم ، مدرسة معاصره للتعليم الإلزامى ، هى مدرسة الجمالية الإبتدائية الأميرية للبنين ، وعلى واجهتها حجر قديم أثرى ، عليها إسم المدرسة وإسم المنشئ ووظيفته .

والخانقاه الجاوليه : بمنطقة قلعة الكبش ، بشارع مراسينا ، الآخذ من ميدان السيده زينب إلى الموضع الذى كانت به القلعة ؛ مبنية على ربوة عالية ، وهى ضخمة ، تتميّز بقبتيها ومنارتها [٢] ؛ ذكرها المقريزى مرّة عند ذكر المدارس باسم المدرسة الجاولية [٣] ، ومرة عند ذكر الخوانق باسم الخانقاه الجاوليه [٤] ؛ وأفاد أنها على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش ، فيما بين القاهره ومصر ، أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى سنة ٧٢٣ هـ [كذا ، رغم أن نقوشها التاريخية التأسيسية تنص على أنها أنشئت سنة ٧٠٣ هـ] ، كان مملوك جاولى أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس ، وانتقل بعد موت الأمير جاولى إلى بيت قلاوون ، وصحب الأمير سلار نائب السلطنه بمصر وواخاه ، وجعله السلطان الملك الناصر سنة ٧١١هـ ، نائباً على غزّه والساحل والقدس وبلد الخليل

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٣٢ ـ ٢٣٥ .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٢٤ ـ ١٢٨ ، ٢ : الصوره رقم ٦٥ ـ ٦٨ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٤٠ ـ ١٥١ ، لوحه ٩١ ص ٣٨٧ .
(٣) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٨٣ .
(٤) أنظر نفس المصدر ٤ : ٢٤٧ ـ ٢٤٨ و ٢٨٣ .

وجبل نابلس ، وفى سنة ٧٢٩ هـ جعله السلطان الناصر محمد بن قلاوون أحد أمراء المشورة ، وتوفى سنجر سنة ٧٤٥ هـ ، ودفن بمدرسته ؛ وله آثار جميلة فاضلة بغزة والخليل بناها إبان توليه نيابة غزه ، اذ بنى جامعاً فى غايه الحسن على حد قول المقريزى ، وبنى ببلد الخليل جامعاً ، وهو الذى مدّن غزّه على حد قول المقريزى أيضاً ؛ « وسائر عمائره طريفة أنيقه مليحة ؛ وكان ينتمى إلى الأمير سلار ويجل ذكره » [1] . أمّا الأمير سلار ، فهو سيف الدين سلار ، كان مملوكاً للمنصور قلاوون ، وعيّن نائباً للسلطنة فى دولة الناصر محمد بن قلاوون، وتوفى سنة ٧١٠هـ ، ودفنه الأمير سنجر الجاولى بتربته التى أنشأها بجانب مدرسته [2] . ويرى حسن عبد الوهاب ، أن تصميم هذا الأثر شاذ عن تصميم المساجد والمدارس ، فلا هو بتصميم مسجد ، ولاتصميم مدرسة ، وعنده إنه أقرب إلى تصميم الخوانق ، لتفاصيله المعمارية [3] . وقد دفن الأمير سلار بالقبة الأولى من هذه الخانقاه ، ودفن الأمير سنجر الجاولى فى القبة الثانية منها [4] .

وأبدى السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى ، الذى تولى السلطنة (من ٧٠٨ ـ ٧٠٩ هـ) ، لمدة عشرة أشهر [5] ، عناية بالعمارة ، قبل أن يتولى السلطنة ، وإبان سلطنته ؛ وهو من خيار المماليك سيرة ، وفى أيامه خفّ المنكر ، وخفى الفساد [6] وقد وصل إلينا من العمائر التى

(١) أنظر نفس المصدر ٤ : ٢٤٧ ـ ٢٤٨ و ٢٨٣ .
(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٣) نفس المرجع ١ : ١٢٥ .
(٤) نفس المرجع ١ : ١٢٨ .
(٥) انظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٨٩ .
(٦) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٧٦ ـ ٢٧٨ ؛ السلوك ٢ : ٤٥ ـ ٧١ ثم ٨٠ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٢٣٢ ـ ٢٧٦ ؛ الزركلى : الأعلام ٢ : ٧٩ ـ ٨٠ .

شُيّدت فى عصره أربعة آثار ، وهى : خانقاه بيبرس الجاشنكير ، سنة ٧٠٨ هـ ـ ٧٠٩ هـ ، أثر رقم ٣٢ بشارع الجمالية ، بحى الجمالية ؛ والمدرسة الظيبرسية سنة ٧٠٩ هـ ، أثر رقم ٩٧ ، وهى داخل الجامع الأزهر ؛ وقبة على بدر الدين القرافى ، حوالى سنة ٧٠٠ ـ ٧٠١ هـ ، أثر رقم ٢٩٢ ، بالقرافة ، يسفح جبل المقطم ؛ وقناطر الجيزة ، التى بناها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى ، وزير السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ثم رمّمها السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى (بيبرس الأول) ، ثم رممها السلطان بيبرس الجاشنكير (بيبرس الثانى) ، سنة ٧٠٨ هـ ؛ ثم رممها من بعدهما السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى عصر دولة المماليك البحرية ، ثم السلطان الأشرف قايتباى فى عصر دولة المماليك الجراكسة .

قنطره الجيزة : الراجح لدينا إعتماداً على ماكتبه المقريزى عن هذه القنطرة، أن عمارة بيبرس الجاشنكير لها ، كانت هى أهم عمار أجريت عليها ، إذ قال المقريزى : « وفى سنة ٧٠٨ هـ ، رسم الملك المظفر بيبرس برمها ، فعمر ما خرب منها ، وأصلح ما فسد فيها ، فحصل النفع بها » [1] ويقوّى هذا الترجيح لدينا ، أن المقريزى لم يذكر أن الناصر محمد قد عمر هذه القنطرة ؛ وفى نفس الوقت ، فإن المقريزى يتهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، بأنه كان دائما « يمحو آثار مَنْ تقدّمه ، لتخليد ذكره ، ومعرفة الآثار به ، ونسبتها إليه [2] » ؛ ويفسّر المقريزى هذا السلوك من السلطان الناصر محمد بـ « كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله ، وبغضه أن يُذكر لأحد غيره شئ يُعرَفُ به » [3] ؛ ونحن

(١) انظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٤٣ (ذكر القناطر ـ قناطر الجيزة) ؛ وراجع عبد الرحمن عبد التواب : منشآتنا المائية عبر التاريخ ص ٣٧ ـ ٣٨ ، حيث يذكر أن الرحالة الذين زاروا مصر فى القرن الـ ١٨ شاهدوا هذه القناطر ووجدوا عليها لوحة بتاريخ عمارتها فى عصر الناصر محمد بن قلاوون مؤرخين سنة ٧١٦ هـ ولوحين بتاريخ عمارتها فى عصر السلطان الأشرف قايتباى مؤرخه سنة ٨٨٣هـ ، ولوحه من العصر العثمانى سنة ١٠٨٧هـ.
(٢) ـ (٣) المقريزى : الخطط ٣ : ٢٣٨ ص ١٦ ـ ٢٠ .

لانستبعد هذا الأمر بالنسبة لعمارة بيبرس الجاشنكير لقنطرة الجيزة ، لأن الناصر محمد كان ينظر إليه على أنه حَجَرَ عليه في مُدّة سلطنته الثانية ، ثم اغتصب منه السلطنه لمُدّة سنة ؛ كما أن الناصر لم يتسنّ له إرتقاء عرش السلطنة في سلطنته الثالثة إلاّ بعد خلع بيبرس الجاشنكير . ولقد نقل المقريزى ، عند ذكره لقناطر الجيزة ، عند كتاب عجائب البُنيان ، أن مؤلفه قال : « إن القناطر الموجودة اليوم في الجيزة ، من الأبنيه العجيبة ، ومن أعمال الجبّارين [1] » .

وكانت خانقاه وكن الدين بيبرس الجاشنكير : من جُملة دار الوزارة الفاطمية الكُبرى ، التى أنشأها الوزيرا الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالى ؛ وعنها يقول المقريزى : « هى أجلّ خانقاه بالقاهرة بنياناً ، وأوسعها مقداراً ، وأتقنها صنعَة ، بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى ، قبل أن يلى السلطنة ، وهو أمير ؛ فبدأ في بنائها في سنة ٧٠٦ هـ ؛ وبنى بجانبها رباطاً كبيراً ، يُتوصّل إليه من داخلها ، وجعل بجانب هذه الخانقاه قبة بها قبره ... ؛ ومن حُسن بناء هذه الخانقاه ، أنه لم يحتج فيها إلى مرمّة ، منذ بُنيت إلى وقتنا هذا ، وهى مبنيّة بالحجَر ، وكلها عقود محكَمَة بدل السقوف الخشبّ ؛ وقد سمعت غير واحد يقول : أنه لم تُبن خانقاه أحسن من بنائها »[2] ؛ وهى لاتزال إلى اليوم محتفظة بجمالها وزخارفها ونقوشها [3] .

أما المدرسة الطيبرسية : فيقول عنها المقريزى : « هى بجوار الجامع الأزهر من القاهرة ، وهى غربيه مما يلى الجهة القبلية ؛ أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس

(١) المقريزى : الخطط ٣ : ٢٤٣ (ذكر القناطر ـ قناطر الجيزة) .
(٢) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٧٦ ـ ٢٧٨ (ذكر الخوانق) .
(٣) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٣١ ـ ١٣٥ ، ٢ : صورة ٦٩ ـ ٧٤ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٦٢ ـ ١٧٣ ، لوحة ١١٧ ـ ١٢٣ ؛ وراجع وصف آثرى دقيق لهذه الخانقاه عند محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٣٠ حاشية (٤) ، حيث أفاد أنه مئذنتها على طراز المآذن الأيوبية ، وأن الرباط الذى كان بها قد إندثر .

الخازندار نقيب الجيوش سنة ٧٠٩هـ ، وجعلها مسجداً لله تعالى زيادة فى الجامع الأزهر ، وقرّر بها درساً للفقهاء الشافعية ، وأنشأ بجوارها ميضأة ، وحوض سبيل ترده الدواب ؛ وتأنّق فى رخامها ، وتذهيب سقوفها ؛ حتى جاءت فى أبدَعَ زِىّ ، وأحسن قالب ، وأبهج ترتيب ؛ لِمَا فيها من إتقان العمل ، وجودة الصناعة ؛ بحيث لم يقدر أحد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام ، فإن جميعه أشكال المحاريب ...؛ وفيها خزانة كتب » ؛ وقد ولى السلطان لاجين الأمير طيبرس « نقابة الجيش بديار مصر سنة ٦٩٧ هـ ، ولم يزل فى نقابة الجيش إلى أن مات سنة ٧١٩ هـ ، وباشر النقابه مباشرة مشكورة إلى الغايه »[1] ؛ وعن هذه المدرسة يقول حسن عبد الوهاب : « يقابل القادم إلى الجامع الأزهر ، بابان كبيران ، أنشأهما الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧ هـ ، فإذا ما إجتزنا أحدهما ، نجد على اليمين المدرسة الطيبرسية التى أنشأها الأمير طيبرس العلائى سنة ٧٠٩ هـ ، وجدّد واجهتها عبد الرحمن كتخدا ؛ وأجمل ما بقى بها محرابها الرخامى الجميل ، بفسيفسائه المذهّبه الساده ذات الأشجار بفواكهها »[2] .

*

ويحدثنا المقريزى أن السلطان الناصر محمد بن قلاون ، منذ عاد إلى ولاية الملك فى المرة الثالثه (٧٠٩ ـ ٧٤١ هـ) ، التى إستمرت ٣٢ سنة ، مازال يُعَمّر إلى أن مات على عرشه ؛ فيقول عنه المقريزى : « كان محبّاً للعمارة ، عَمّر عدّة أماكن ، منها : جامع قلعة الجبل وهدَمَه مرّتين ، وعَمّر القصر الأبلَقّ بالقلعة ، ومُعظَمَ الأماكن التى بالقلعة ، وعَمّر المَجرى الذى ينقَلّ الماء عليه من بحر النيل إلى القلعة ، وعَمّر الميدان تحت القلعة ، وناظر الميدان على النيل ؛

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .
(٢) حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ١٥ ـ ١٦ .

وعَمَّر قناطر السباع على الخليج ، وقناطر سرياقوس ، والخانقاه بسرياقوس (*) ؛ وحفر الخليج الناصرى بظاهر القاهره ؛ وعَمَّر الجامع الجديد على شاطئ النيل بظاهر مصر ؛ وعَمَّر جامع الفيله الذى بالرصد ، والمدرسة الناصرية بين القصرين من القاهرة ، وغير ذلك ...؛ وما زال يُعَمِّر منذ عاد إلى ولاية المُلك فى المَرَّة الثالثة ، إلى أن مات ؛ وبلغ مصروف العمارة فى كل يوم من أيامه سبعة آلاف درهم فضّة ، عنها [أى تساوى] ثلثمائه وخمسون دينار ، سوى مَنْ يُسَخِّره من المُقَيَّدين [الأسرى والمساجين] وغيرهم فى عمل ما يُعَمِّره ؛ وحَفَر عدّة من الخلجان والترع ، وأقام الجسور بالبلاد ، حتّى أنه كان يتصرف على ذلك رُبع مُتَحَصَّل الإقطاعات ؛ وحفر خليج الاسكندريه وبحر المَحلّة مرّتين ، وبحر اللبينى بالجيزه ، وعمل جسر شبين ، وعمل جسر ... بالشرقيه والقليوبية »[1].

ووصل إلينا من عصر السلطنة الثالثه للناصر محمد ابن قلاوون ٤٤ أثر بمدينة القاهره وضواحيها ، منها جوامع ومدارس وخوانق ومساجد وأسبله وكتاتيب وقباب ؛ وأبراج وأسوار ؛ وسواقى وقناطر ؛ وقصور وحمامات ووكالات وفنادق ؛ ولاغرو ، ففى عهده أُنشئ ديوان للعمارة والأشغال ،[2] وكان شادّ العمائر فى عهده الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد ، فنهض بها نهضة أُعجب

(*) يقول عنها المقريزى : « هذه الخانقاه خارج القاهره من شماليها على نحو بريد منها ، بأوّل تيه بنى إسرائيل ، بسفح سرياقوس ؛ أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٣ هـ ، وكملت سنة ٧٢٥هـ ... الخ » أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٨٤ ـ ٢٨٦ ؛ إلا أن الزمن لم يبق على هذه الخانقاه ، فزالت من الوجود ، وتركت إسمها على موضعها وموقعها ، وهو ما يعرف اليوم ببلدة الخانكاه ، التابعة لمركز شبين القناطر ، بمديرية القليوبية ، والواقعة على خط سكة حديد القاهره ، وانجح حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٢٩ ـ ٢٣٣ .

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٩٨ ـ ١٠٢ (ذكر الجوامع ـ الجامع الجديد الناصرى) .

(٢) حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ص ١٢ ؛ جامع السلطان حسن وما حوله ص ٧٨ .

بها السلطان[1] ؛ كذلك كان المعلم إبن السيوفى كبير المُهندسين فى الأيام الناصرية[2] .

فمن العمائر والمُنشآت التى أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فى مُدّة سلطنته الثالثة ، ونُسِبَتْ إليه ، وعُرفت بإسمه : ساقية الناصر محمد ، سنة ٧١٢ هـ ، أثر رقم ٣٦٩ ، بقسم الخليج بالفسطاط (مصر القديمه) ؛ قناطر المياه (عصر الناصر محمد) ، سنة ٧١٢هـ ، أثر رقم ٧٨ ، من قسم الخليج إلى قلعة الجبل ؛ سور الميدان تحت قلعة الجبل ، سنة ٧١٢هـ ، أثر رقم ٦١٧ ، بأول شارع السيدة عائشة ، ومُمْتَدّ مع الشارع ، بحى الخليفة ؛ بقايا قصر الناصر محمد ، سنة ٧١٤هـ ، بقلعة الجبل ؛ سبيل الناصر محمد ، سنة ٧٢٦هـ ، أثر رقم ٥٦١ ، بشارع بين القصرين (المعز لدين الله حالياً) بحى الجمالية ؛ جامع الناصر محمد ، سنة ٧٣٥ هـ ، أثر رقم ١٤٣ ، بقلعة الجبل.

فعن **ساقية وقناطر الناصر محمد** : يقول الأستاذ حسن عبد الوهاب : «ظلت القلعة تُغَذّى بالمياه العذبة بوساطة مجراه على ظهر سور صلاح الدين المُمْتَدّ من الفسطاط إليها ، إلى أن إتسعت مبانيها وكثرت منشآتها ، فأنشأ الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٢ هـ ، أربع سواق على النيل ، تنقل الماء على السور إلى قناطر إتصلت بسور صلاح الدين ومنه إلى القلعة ؛ كما أنه حينما أتمّ الناصر محمد بن قلاوون غرس الميدان تحت القلعة ، وأراد تقوية المياه فى سنة ٧١٨هـ، أمر بعمل سواق عند الساحل إتصلت بها قناطر ، وامتدت واتصلت بالقناطر العتيقة كى تتجمع المياه فى مستودعين ، وتكون قوية تُغَذّى القلعة والميدان [3] .

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٢٤ ـ ٢٢٨ (ذكر المدرسة الأقبغارية) .

(٢) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٢٤ ـ ٢٢٨ أيضاً .

(٣) راجع حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ، ص ٦٧ ـ ٧١ ، وصورة القناطر ص ٧٠ .

وعن **سور الميدان تحت القلعة** : يحدثنا الأستاذ حسن عبد الوهاب عن عناية الناصر محمد بالميدان الكبير تحت القلعة ، ويحكى لنا تاريخ هذا الميدان ، ويحدد لنا موضع سور الميدان الذى بناه الناصر محمد ، فيقول : ميدان صلاح الدين ، هو الميدان الكبير تحت القلعة ، عُرف قديماً بالميدان ، وبالرملية ، وبسوق الخيل ، وبالمنشية ، ثم بسوق العصر ـ حيث كان يُقام فيه سوق كل عصر ـ ثم أُطلق عليه إسم صلاح الدين . ولهذا الميدان ذكريات تاريخية ، فقد كان فيه قصر أحمد بن طولون وميدانه الممتد إلى مسجده الكبير ؛ وقد إهتم به الملك الكامل محمد سنة ٦١١هـ ، وعَمَّر إلى جانبه بركاً ثلاثاً لسَقْيَة ؛ كما اهتم به الملك الصالح نجم الدين أيوب إهتماماً زائداً ، فغرس حوله الأشجار ؛ ثم عُنِىَ به الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ هـ ، حيث وسّعه ، وأحاطه بسور مازالت بقاياه موجودة إلى الآن فى أول شارع السيدة عائشة ، ومُمتدة مع الشارع ، وغرس فيه النخيل والأشجار وأقام به حظائر للحيوانات ، وكان يلعب فيه الكرة (البولو) ، كما كان يُصلّى فيه العيدين ، ويستعرض خيوله المشهورة ؛ وبقى الميدان إلى أن كانت سنة ٨٠٠ هـ ، حيث هجره الظاهر برقوق فخرب . ثم إهتم به السلطان الغورى فى سنة ٩٠٩هـ ، وغرس فيه أنواع الفواكه والزهور ، وأقام بواسطه بركة كبيرة أُطلق فيها فرس البحر ، وأنشأ فيه أبنية جديدة . وبعد وفاة الغورى أُهمل الميدان ، وأقيمت به الأسواق ؛ إلى أن عُنى بتنسيقه وتخليته فى مستهل القرن العشرين ، وكان لتنسيقه أثر كبير فى إظهار المجموعة الأثرية المحيطة به بالمظهر اللائق بها ، ويعتبر أحفل ميدان بالآثار [1] » .

(٢) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٥ ـ ٧ ؛ وراجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ١١١ حاشية (١) و ١٧٩ حاشية (٢) و ١٠ : ٢٧ حاشية (٣) و ٣١ حاشية (٣) و ١٢ : ٥٣ حاشية (٣) و ٨٠ حاشية (٣) .

قصر الناصر محمد بقلعة الجبل : عُرف هذا القصر واشتُهِرَ ، بإسم القصر الأبلَقَ ـ كما سماه المقريزى ـ ؛ وعنه يقول : « هذا القصر يُشرف على الإصطبل [السلطانى بقلعة الجبل] ؛ أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى شعبان سنة ٧١٣ هـ ، وانتهت عمارته فى سنة ٧١٤ هـ ، وأنشأ بجواره جنينة ؛ ولما كمل عمل فيه سماطاً حضره الأمراء وأهل الدولة ، ثم أُفيضت عليهم الخِلَعَ ... ، فبلغت النفقة على هذا المُهم خمسمائة ألف ألف درهم ، وخمسمائة ألف درهم [٥٠٠ر٥٠٠ر٥٠٠ درهم = خمسة مليون وخمسمائة ألف درهم] ؛ وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة ، ما عدا يومى الإثنين والخميس ، فإنه يجلس للخدمة بدار العدل [لنَظَرِ المَظَالِم] ... ؛ وكان بهذا القصر الأبلق رسوم وعوايد ، تغيّر كثير منها ، وبطل معظمها ، وبقيت إلى الآن بقايا من شعار المملكة ، ورسوم السلطنة » [1] . وكلمة الأبلَقَ تعنى الملون بأكثر من لون ، وذلك إشارة إلى إختلاف ألوان أحجار هذا القصر . وقد أفاد حسن عبد الوهاب أن البقايا الهامة لهذا القصر ، كانت موجودة إلى عصر الحملة الفرنسية ، فرَسَمَتْه وأسْمَتْه قصر يوسف ؛ وهو يوجد فى القسم الجنوبى من داخل باب العزب من أبواب قلعة الجبل ، وهو الباب الذى يُقابل القادم إليها من ميدان صلاح الدين ببدنتين كبيرتين ، وهو المعروف قديماً بباب السلسلة وبباب الإسطبل ، وهو باب كبير تتمثل فيه عظمة الحصون ؛ وفى القسم الجنوبى من داخل هذا البابا ، بقايا القصر الأبلق بأحجاره الملوّنة ، والبرج الذى أنشأه الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٣ هـ ، وبقايا الإسطبل السلطانى بعقوده وكوابيله الضخمة [2] .

(١) انظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٤٠ ـ ٣٤١ (ذكر صفة القلعة ـ القصر الأبلَقَ) .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٧٢ ـ ٧٤ .

جامع الناصر بقلعة الجبل : ذكر المقريزى هذا الجامع مرّتين فى كتابه الخطط ، الأولى عن ذكر الجوامع وسماه (جامع القلعة) [1] ، والثانية عند ذكره لصفة قلعة الجبل وسمّاه (الجامع بالقلعة) [2] ؛ وسوف ندخل كلام المقريزى فى المرّتين عن هذا الجامع ، فى بعضه البعض ؛ قال « هذا الجامع بقلعة الجبل ، أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٨ هـ ؛ وكان قبل ذلك هناك جامع دون هذا ، فهدمه السلطان وعمله جامعاً ؛ ثم أخربه فى سنة ٧٣٥ هـ ، وبناه هذا البناء ، وعمره أحسن عمارة ، وعمل فيه من الرخام الفاخر الملوّن شيئاً كثيراً ، وعمّر فيه قبّة جليلة ، وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصّنع ، وفى صدر الجامع مقصورة من حديد أيضاً برسم صلاة السلطان ... ، فجاء من أجلّ جوامع مصر وأعظمها . فلما تمّ بناؤه ، جلس فيه ؛ واستدعى جميع مؤذّنى القاهرة ومصر ، وجميع القرّاء والخطباء ، وعرضوا بين يديه ، وسمع تأذينهم وخطابتهم وقراءتهم ، فاختار منهم عشرين مؤذّناً رتّبهم فيه ؛ وقرّر درس فقه وقارئاً يقرأ المصحف ؛ وجعل عليه أوقافاً تكفيه وتفيض . وصار من بعده من الملوك ، يخرجون فى أيام الجمع إلى هذا الجامع ، ويحضر خاصّة الأمراء معه من القصر ، ويجيء باقيهم من باب الجامع ؛ فيصلّى السلطان عن يمين المحراب ، فى مقصورة خاصة به ، ويجلس عنده أكابر خاصّته ، ويصلّى معه الأمراء خاصتهم وعامتهم ، خارج المقصورة عن يمنتها ويسرتها ، على مراتبهم ... وهذا الجامع متّسع الأرجاء ، مرتفع البناء ، مفروش الأرض بالرخام ، مبطّن السقوف بالذهب ، وبصدره قبّة عالية ، يليها مقصورة مستورة هى والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة الصّنعة ، ويحفّ صحنه رواقات من جهته . وبه إلى اليوم يصلّى سلطان مصر صلاة الجمعة ؛ والذى يخطب فيه ويصلّى

(١) انظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٣٢ .

(٢) انظر نفس المصدر ٣ : ٣٤٤ – ٣٤٥ .

بالناس الجمعة ، قاضى القضاة الشافعى » [1] .

ويصف حسن عبد الوهاب هذا الجامع ، على حالته التى هو عليها فى عصرنا الحديث ؛ فيقول : « إذا ما اجتزنا الباب الأوسط للقلعة ، يقابلنا مسجد الناصر محمد بن قلاوون ، وهو مسجد عظيم ...؛ وقد شرع فى إنشائه سنة ٧١٨هـ ، وجرياً على سنّته فى هدم وتغيير ما لم يرُق فى نظره من بنيان ؛ هدم الوجهة القبلية مع قسم من الوجهة الغربية ، وأعاد بناءهما مع زيادات أخرى وذلك فى سنة ٧٣٥هـ؛ واحتفظ باللوحة التذكارية للإنشاء الأول فوق الباب الغربى ، ثم نقش لوحة تذكارية أخرى بتاريخ عمارته الثانية ، ثبّتها فوق الباب البحرى ...؛ ويسترعى النظر فى وجهاته منارتان مختلفتا الطراز ، وقد امتازت كل منهما بكسوة قسمهما العلوى بالقاشانى الملون المكتوب ، وهما على غاية من الأهمية والجمال ، ولا نظير لهما بين منارات مصر ..؛ والسقوف من نوع اختصت به منشآت عصرى قلاوون والناصر محمد ابن قلاوون ، وهى ذات قصع ملوّنه مذهّبة [2] ؛ وقد جدّد محرابه الرخامى الدقيق طبقاً لأصله ، وعمل له منبراً جميلاً طبقاً لمنابر عصره [منبر جامع الطنبغا المرادانى] كما أصلحت سقوفه ذات القصع الجميلة »[3] .

سبيل الناصر محمد : أنشئ سنة ٧٢٦هـ ، وهو الأثر رقم ٥٦١ ، ويقع بشارع بين القصرين (المعز لدين الله حالياً) ، فى مواجهة مدرسة السلطان

(١) انظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٣٢ و ٣ : ٣٤٤ – ٣٤٥ .

(٢) راجع حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٧٨ – ٨٣ ، وانظر صورتين لهذا الجامع ، نفس المرجع ص ٨٤ – ٨٥ .

(٣) راجع حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ١٢ ؛ بين الآثار الإسلامية ص١٤؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٣١ – ١٣٩ ، لوحة ٧١ – ٨٩ .

الصالح نجم الدين أيوب [1]. ويلاحظ علماء الآثار ، أن تكسيه رقاب القباب بالقاشاني ، ظهرت بمصر فى قبة سبيل الناصر محمد بن قلاوون ، لصق المدرسة المنصورية [2].

*

ويبدو أن حُبّ العمارة فى عَصر السَّلْطَنة الثالثة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، قد إنتقل من السلطان إلى كبار أمراء دولته ؛ فاشتهر منهم بحُبّ العمارة أميران كبيران : الأول ، الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى ، كاتبّ سرّ السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، قرّبه الملك الناصر وأعلَى محلّه ، وتوفى بشتاك سنة ٧٤٢هـ [3] ؛ والثانى الأمير سيف الدين قوصون ، صِهْر السلطان الناصر محمد ابن قلاوون ، إذ زوّجه السلطان إبنته ، وتزوّج السلطان أخته ، وتوفى قوصون سنة ٧٤٢هـ أيضاً [4].

وأهم آثار الأمير بشتاك ، المُتبقية إلى اليوم بمدينة القاهرة : جامع وقصر وحَمّام ، ويُعَدّ ثلاثتهم من أجمل آثار مدينة القاهرة ؛ أما الخانقاه التى أنشأها بجانب جامعه فقد اندثرت ؛ وتُعَدّ آثاره من المنشآت المعمارية الهامة .

---

(١) نقلاً عن قائمة آثار مدينة القاهرة ، التى اعدتها مصلحة المساحة سنة ١٩٥١م ؛ وعن اللوحة الخشبية الصفراء لمصلحة الآثار ، الموضوعة على واجهة سبيل السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٣١٧ .

(٣) انظر ترجمة بشتاك عند المقريزى : الخطط ٣ : ٥٤ ـ ٥٦ (ذكر خطّ قصر بشتاك) ونَصّ على أنه نقلها عن كتاب الوافى بالوفيات للصفدى .

(٤) انظر ترجمة قوصون عند المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٣ ـ ١٠٥ (ذكر جامع قوصون).

جامع بشتاك : أُنشئ سنة ٧٣٦ هـ ، والمُتبقّى من الجزء القديم الأثرى منه ، الباب الداخلى والمئذنة ، وهما يرجعان إلى نفس تاريخ الإنشاء سنة ٧٣٦هـ ، وهما الأثر رقم ٢٠٥ ، بشارع درب الجماميز (بور سعيد حالياً) ، بجوار المدرسة الخديوية ، بحى الدَّرْب الأحمر ؛ ويُعرَفّ حالياً بجامع مصطفى باشا . يقول عنه المقريزى : « هذا الجامع ... على بركة الفيل [التى يقع مكانها الآن بين مدينة القاهرة ومدينة القطائع] ؛ * عمره الأمير بشتاك ، فكمل فى شعبان سنة ٧٣٦هـ ... ؛ وعمر تجاهه خانقاه على الخليج الكبير ، ونَصَبَ بينهما ساباطاً يُتوَصّل به من أحدهما إلى الآخر ؛ وهو من أبهَجِ الجوامع ، وأحسنها رخاماً ، وأنزهها ، وله من الآثار سوى ذلك ، قصر بشتاك ، بين القصرين » [1]. وقد صدّق حسن عبد الوهاب على كلام المقريزى ، فذكر أن هذا الجامع من أحسن الجوامع رخاماً [2]. ويقول محمد رمزى : أنّه يُستفاد من التاريخ المنقوش على باب المئذنة ، المُشرف على سطح هذا المسجد ، أن عمارته تمت فى رجب سنة ٧٣٧هـ ؛ وفى سنة ١٢٧٧هـ أمَرَتْ ألفت هانم قادن ، والدة مصطفى باشا فاضل أخى الخديوى إسماعيل ، بتجديد هذا الجامع ، فأُعيد بناء المسجد جميعه سنة ١٢٧٨هـ ، ما عدا بابه العام القديم ، والمئذنة ، وأُنشئت له وجهة جديدة بسيطة ، هى التى فيها بابه الحالى ، المُشرف على شارع درب الجماميز ؛ وبين البابين القديم والجديد رَحْبَة ، يرى المُواقف فيها فى مواجهته ، الباب الأصلى القديم للجامع ، بتجويفه العلوى المُحَنّى بمقرنصات مُرَكّبة ذوات دوال ؛ وعلى يسار هذا الباب الأثرى ، مئذنة الجامع ، وهى من

---

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٦ (ذكر الجوامع) .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٤٣ .

* سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢١١ .

أعلى مآذن القاهرة وأفخمها [1] . ولا يزال هذا الجامع عامراً بإقامة الشعائر الدينية ويُعرف بجامع مصطفى باشا فاضل ، من وقت أن جدّدته الأميرة والدته ، وعلى الأخص لأنه يجاور سراى مصطفى باشا المذكور ، التى فيها الآن المدرسة الخديوية ؛ ومئذنته القديمة تُعَدّ من مفاخر العمارة الإسلامية فى مصر [2] .

قصر بشتاك : سنة ٧٣٥ ـ ٧٤٠هـ ، أثر رقم ٣٤ ، بشارع بين القصرين (لمعز لدين الله حالياً) ، يحى الجمالية ، ويُدخَلّ إليه من درب قرمز ، المتفرع من شارع بين القصرين . قال عنه المقريزى : « هذا القصر هو الآن تجاه الدار البيسرية ، وهو من جُملة القصر الكبير الشرقى الذى كان مسكناً للخلفاء الفاطميين ؛ ويُسلك إليه من الباب الذى كان يُعرَفّ فى أيام عمارة القصر الكبير فى زمن الخلفاء بباب البحر ، وهو يُعرَفّ اليوم بباب قصر بشتاك ، تجاه المدرسة الكاملية ... ؛ [و] هذا القصر من أعظم مبانى القاهرة ، فإن إرتفاعه فى الهواء أربعون ذراعاً ، ونزول أساسه فى الأرض مثل ذلك ، والماء يجرى بأعلاه ؛ وله شبابيك من حديد تُشرف على شارع القاهرة (شارع بين القصرين = المعز لدين الله حالياً) ، ويُنظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين ؛ وهو مُشرِق جليل ، مع حُسن بنائه وتأنُّق زخرفته ، والمُبالغة فى تزويقه وترخيمه ...؛ فصار قصر بشتاك وقصر بيسرى وما بينهما من الشارع ، يقال له بين القصرين ، ومن لا علم له يظن أنما قيل لهذا الشارع بين القصرين ، لأجل قصر بيسرى وقصر بشتاك ، وليس هذا بصحيح ، وإنما قيل له بين القصرين قبل ذلك ، من حين بُنِيَتّ القاهرة ، فإنه كان بين القصرين . القصر [الفاطمى] الكبير

(١) راجع النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٩ : ٢٠٨ ، الهامش رقم (١) .
(٢) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢٠٦ ـ ٢١٣ ، لوحة ١٧١ ـ ١٧٨ ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٤٣ ـ ١٤٤ ، ٢ : الصور من رقم ٨٥ ـ ٨٦ .

الشرقى ، والقصر [الفاطمى] الصغير الغربى ؛ و ... أُكمِلَ بشتاك هذا القصر، والحوانيت التى أسفله ، والخان المجاور له ، فى سنة ٧٣٨هـ [1] . ويقول محمد ومزى : أنه مع مضىّ أكثر من ستة قرون على هذا القصر ، فإنه لا يزال قائماً ، يُشرف على شارع المُعزّ لدين الله (شارع بين القصرين) بالقاهرة ، وكان بابه القديم ، مكان باب البحر . أحد أبواب القصر الكبير الشرقى ـ ، وموضعه اليوم ، مدخل حارة بيت القاضى و تجاه جامع (مدرسة) الملك الكامل بشارع المُعزّ للدين الله ؛ أما الباب الحالى للقصر ، فهو على يمين الداخل بدرب قرمز ؛ ومما يلفت النظر فى هذا القصر ، إرتفاعه ، والقاعة الكبيرة التى فى الدور الأول ... ، وهى من أكبر وأفخم القاعات القديمة فى القاهرة» [2] . وقد عدّ علماء الآثار الإسلامية قصر بشتاك ، فخر المُنشآت المدنية فى القرن الثامن الهجرى [3] .

حمّام بشتاك : بقى منه مدخله ، ويُؤرّخ قبل سنة ٧٤٢ هـ، وهو الأثر

(١) المقريزى : الخطط ٣ : ١١٣ ، ذكر القصور (قصر بشتاك) . وقد حقق حسن عبد الوهاب ؛ أنه قد حل فى قسم من أرض القصر الكبير الشرقى القديم : المدرسة والقبة الصالحة (السلطان الصالح نجم الدين أيوب) ، والمدرسة الظاهرية القديمة (السلطان الظاهر بيبرس) ، وسبيل محمد على ، وسوق السلاح القديم ، وقصر بشتاك ؛ وحل فى قسم من أرض القصر الصغير الغربى : مدرسة وقبة وبيمارستان قلاوون ، ومدرسة ابنه الناصر محمد ، والمدرسة الظاهرية (السلطان الظاهر برقوق) ، ومدرسة الحديث الكاملية (السلطان الكامل الأيوبى) . وأفاد أن شارع بين القصرين كان شارعاً متسعاً فى العصر الفاطمى ، تعرض فيه الجند فى الدولة الفاطمية ؛ وأن قصر بيسر قد ضاع . راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٩٢ هامش (١) .
(٢) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٩ : ١٤٩ ، هامش (٣) .
(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ٣ : ١٤٤ ؛ وراجع صورة واجهة هذا القصر عند كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر الطبعه الثانية ١٩٨٣م ، شكل ١٣٦ .

رقم ٢٤٤ ، بشارع حمام بشتاك ، المُتفرّع من شارع سوق السلاح من جهة ميدان صلاح الدين ، ويقع الحمام فى وسط الميدان الذى يعرف الآن بميدان اليكنية . قال ابو المحاسن بن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة : « أن الأمير سيف الدين بن بشتاك ، وهو صاحب القصر بين القصرين ، والحمّام بالقرب من سويقة العزى » . وعلق محمد رمزى بقوله : إن المقريزى لم يذكر حمام الأمير بشتاك الناصرى فى خططه ، وهو لا يزال قائماً بشارع سوق السلاح ، الذى كان يُسمّى سويقة العزى ، على رأس عطفة حمام بشتاك بالقاهرة ، وهو من الحمّامات الكبيرة ، ووجهته مكسُوّة برخام جميل مُلوّن ، وعليه إسمه [١] . مكتوب على جزء من الشريط الكتابى التأسيسى فى أعلى مدخله ، وهو لا يزال يستخدم كحمام إلى اليوم . ويرى علماء الآثار أنّ صناعة الرخام فى باب هذا الحمام ، لا نظير لها ولا ثانى لها فى باب آخر [٢] .

خانقاة بشتاك : قال عنها المقريزى : « هذه الخانقاه خارج القاهرة ، على جانب الخليج [المصرى = شارع بور سعيد حالياً] من البَرّ الشرقى ، تجاه جامع بشتاك ، وكان فتحها أول ذى الحجّة سنة ٧٣٦ هـ » [٣] ؛ وهذه الخانقاه إندثرت ، ومكانها اليوم سبيل الأميرة ألفت هانم قادن ، والدة مصطفى باشا فاضل ، أنشأته فى سنة ١٢٨٠ هـ ، بشارع درب الجماميز بالقاهرة ، تجاه جامع بشتاك [٤] .

(١) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٠ : ٧٥ حاشيه (٢) .
(٢) حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ص ١٥ ؛ تاريخ المساجد ٣ : ١٤٤ ؛ وراجع صوره واجهة هذا الحمام فى اللوحات الملحقة بكتاب بين الآثار الإسلامية .
(٣) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٧٩ ، ذكر الخوانق (خانقاه بشتاك) .
(٤) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٩ : ٢٠٨ ، هامش (٢) .

أما أهم آثار الأمير قوصون ، المتبقية إلى اليوم بمدينة القاهرة ، فهى : جامع وخانقاه وقصر ووكالة .

جامع قوصون : هكذا سماه المقريزى ، وقال : « هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ، إبتداء عمارته الأمير قوصون فى سنة ٧٣٠ هـ ... وتولى بناءه شاد العمائر ، واستعمل فيه الأسرى ، وكان حضر من بلاد توريزبَنَاء ، فبنى مئذنتى هذا الجامع ، على مثال المئذنة التى عملها خواجا على شاه وزير السلطان أبى سعيد [سلطان مملكة المغول الإسلامية فى بلاد إيران وكانت عاصمتها مدينة توريز أو تبريز] ، فى جامعة بمدينة توريز ؛ وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٧٣٠ هـ ، وخطب يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى ، بحضور السلطان ؛ ولما إنقضت صلاة الجمعة ، أركبه الملك الناصر بغله ، بخلعة سنية [١] . وقد أفاد حسن عبد الوهاب ، أن جامع قوصون الذى بشارع محمد على [القلعة] ، لم يبق فيه من الجامع القديم ، الا الباب البحرى ؛ كذلك بقى أحد أبواب الجامع ، وهذا الباب بشارع السروجية ، يتوصل منه إلى حارة خلف المسجد الجديد ، توصل إلى شارع محمد على ، تعرف بعطفة المحكمة ، وهو من الأبواب الفخمة [٢] ؛ وقد نُقش على الباب بشارع السروجية ، اسم المُنشئ ، وكذلك تاريخ الإنشاء سنة ٧٣٠ هـ . ويذكر محمد رمزى ، أن الجامع الحالى يشغل مكان الجامع القديم بحدوده ، وان البوابة التى بشارع السروجية ، لم تكن واقعة ضمن حوائط الجامع الأصلى ، بل كانت بعيدة عنه بمسافة ثمانين متراً كما هى الآن ،

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٣ ـ ١٠٥ (ذكر الجوامع) .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٣٩ ـ ١٤٢ ، ٢ صورة رقم ٨١ ـ ٨٤ .

وكان الغرض من إنشائها هو تقريب الجامع لسكان الشارع الأعظم * ، وتسهيل وصولهم إليه أوقات الصلاة، وكانت هذه البوّابة على رأس دهليز يوصل إلى الجامع ، هذا الدهليز مكانة اليوم عطفة الحكمة ؛ [1] . قلت : ولا زال هذا الباب يحتفظ بمقر نصابه وألوانه الحمراء ، وهو الأثر رقم ٢٢٤ ، وهو فى مواجهة مدرسة وقبة جانم البهلوان المنشأة سنة ٨٨٣ هـ ، الواقعة بشارع السروجية . أما بقايا الجامع ، فهى الأثر رقم ٢٠٢ .

خانقاه قوصون : هكذا سماها المقريزى ، وقال : هذه الخانقاه فى شمالى القرافة ، مما يلى قلعة الجبل، تجاه جامع قوصون (الذى كان بقرافة باب الوزير) ؛ أنشأها الأمير سيف الدين قوصون ، وكملت عمارتها فى سنة ٧٣٦ هـ؛ وقرّر فى مشيختها الشيخ شمس الدين أبا الثناء محمود بن أبى القاسم أحمد الأصفهانى ، ورتب معلوماً سنياً من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وسائر ما يحتاج إليه ، حتى جامكية غلام بغلته ؛ واستقر ذلك فى الوقف من بعده ، لكل من ولى المشيخة بها ؛ وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية ، ورتب لهم الطعام واللحم والخبز فى كل يوم ، وفى الشهر المعلوم من الدراهم ومن

* المقصود بالشارع الأعظم ، الشارع الذى كان يقطع مدينه القاهرة الفاطمية القديمه ، بدء من باب الفتوح شمالاً وحتى باب زويله جنوباً ، أى أنه يشمل حالياً ، بدء من باب الفتوح ، شوارع : المعز لدين الله . ثم الغوريه ثم يمتد خارج باب زويله ويشمل شارع قصبة رضوان ثم الخيامية ثم المغربلين ثم السروجيه والسيوفيه والركبية والخليفة والأشرف ؛ حتى ينتهى الشارع الأعظم عند جامع السيدة نفيسة رضى الله عنها (ميدان السيده نفيسة حالياً) بالقاهرة ، راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ٩٥ حاشية (٣) و ١١ : ٤٩ حاشية (٤) . قلت : ويقطعه اليوم شارع محمد على ، حيث ينتهى شارع السروجيه ، ويبتدئ شارع الحلميه الذى يليه شارع السيوفيه .

(١) راجع محمد رمزى ، هوامشه على كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٠ : ٢٠٧ حاشيه(٢) ؛ وراجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٨٩ ـ ١٩٦ ، لوحه ١٥٨ ـ ١٦٦.

الحلوى والزيت والصابون ؛ وما زالت على ذلك إلى أن كانت المِحَنَ من سنة ٨٠٦ هـ ، فبطل الطعام والخبز منها ، وصار يُصرف لِمُستحقيها مال من نقد مصر ، وتلاشى أمرها ، من بعد ما كانت من أعظم جهات البر وأكثرها نفعاً ؛ [1] . وتقع هذه الخانقاه اليوم ، بقرافة باب الوزير ، فى شمال القرافة ، مما يلى قلعة الجبل ؛ تجاه جامع قوصون الذى كان بهذه القرافة ، وجدّده مسيحة باشا والى مصر العثمانى سنة ٩٨٤ هـ ، فنسب إليه ، وعُرف بجامع المسيحة ؛ ولا تزال بعض آثار هذه الخانقاه قائمة [2] ، واهم هذه الآثار ، القبة التى ترجع إلى سنة ٧٣٦ هـ ، وهى الأثر رقم ٢٩١ ، والمنارة وهى الأثر رقم ٢٩٠ ، وترجع إلى نفس التاريخ، [3] وهى المنارة المعروفة بالمنارة الكبيرة أو الوسطى ، الواقعة غربى مقام الشيخ جلال الدين السيوطى ، بشارع جلال الدين السيوطى ، خارج باب القرافة ، بقسم الخليفة بالقاهرة [4] .

قصر قوصون : ذكره المقريزى عندما عدد آثار قوصون بدياو مصر ، وسماه : « داره التى [بعيدان] الرميلة ، تحت القلعة ، تجاه باب السلسلة [5] ، ثم تكلم عنه بالتفصيل ، عند ذكره للقصور ، وسماه اصطبل قوصون ، وذكر أنه : « بجوار مدرسة السلطان حسن ، وله بابان ، باب من الشارع بجوار حدوة البقر ، وبابه الآخر تجاه باب السلسلة ، الذى يتوصل منه إلى الإصطبل السلطانى وقلعة الجبل ؛ انشأه الأمير علم الدين سنجر الجمقدار ، فأخذه منه الأمير سيف

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٨٩ (ذكر الخوانق) .
(٢) سعاد ماهر : مساجد مصر ١٩٣ .
(٣) أنظر صوره هذه المناره الجميله ، عند حسن عبد الوهاب : التأثيرات العثمانية بين آثار سوريا ومصر طبع القاهرة ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م ، لوحه ٥٨ .
(٤) أنظر محمد رمزى : النجوم الزاهر لابى المحاسن ٩ : ٢٠٧ حاشيه (١) .
(٥) انظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٥ (ذكر جامع قوصون) .

الدين قوصون ، وصرف له ثمنه من بيت المال ؛ فزاد فيه قوصون ... وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارته ... فبنى فيه كثيراً ، وأدخل فيه عدّة عمائر ، ما بين دور واصطبلات ، فجاء قصراً عظيماً إلى الغاية ، وسكنه الأمير قوصون مدّة حياة الملك الناصر ... ؛ وما برح مسكناً لأكابر الأمراء ... ؛ ثم أُصلح ، وهو الآن من أجلّ دور القاهرة » [1] . ولا تزال بقايا ومدخل هذا القصر موجودة إلى الأن ، وهى الأثر رقم ٢٢٦ ، ويؤرخ بحوالى سنة ٧٣٨ ، ويعرف أيضاً بقصر الأمير يشبك بن مهدى . وعن هذا الأثر يقول حسن عبد الوهاب : « اذا ما استعرضنا الواجهة القبلية لمدرسة السلطان حسن ، أو اتجهنا إلى الميدان من هذا الطريق ، تطالعنا بقايا قصر الأمير قوصون الساقى المعروف بقصر الأمير يشبك ، وقد كان من أفخم قصور دولة المماليك البحرية ... ؛ ولما آل القصر إلى الأمير يشبك بن مهدى فى سنة ٨٨٠ هـ ، زاد فيه زيادات ، وكتب اسمه ولقبه على جانبى مدخله ، كما نقش رنكه على جانبيه . وتنحصر أهمية تلك البقايا فى مدخله الرئيسى ، المشتمل على مقرنصات بلغت غاية الدقة ، فقد كُسِىَ الباب بالرخام ، وحوى اسم الناصر محمد بن قلاون سلطان وقته ، واسم صانعين عملا فى هذا القصر ، هما : محمد بن أحمد ، وأحمد زغلش الشامى ، ...ووجود أسماء الصناع على الآثار نادر ، ويزيد فى أهمية العثور على اسم هذا الصانع الشامى ، ما يُدعّم وحدة الفن بين مصر وسوريا منذ أقدم العصور » [2] .

وكالة قوصون : تؤرخ بقبل سنة ٧٤٢ هـ ، وهى سنة وفاة قوصون ؛ وهى الأثر رقم ١١ ، بشارع الجمالية ، بحى الجمالية ، على يمين القادم من

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ١١٦ – ١١٨ (ذكر اصطبل قوصون) – (باب ذكر القصور) .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٣٥ ـ ٣٦ .

باب النصر ؛ ذكرها المقريزى بنفس هذا الإسم ، وقال : هذه الوكالة فى معنى الفنادق والخانات ، وموضعها فيما بين الجامع الحاكمى * ، ودار سعيد السُعَداء** ... ؛ جعلها الأمير قوصون فندقاً كبيراً إلى الغاية ، وبدائره عدّة مخازن ... ؛ وقد أدركنا هذه الوكالة ، وإنّ رؤيتها من داخلها لتدهش ، لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع ، وازدحام الناس ، وشدة أصوات العتّالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها ؛ ثُمّ تلاشى أمرها ، مُنذ خُرِّبَتْ الشام فى سنة ٨٠٣ هـ ، على يَدَ تيمورلنك ؛ وفيها إلى الآن بقية » [1] ؛ ويقول عنها حسن عبد الوهاب : وكالة الأمير قوصون فى شارع باب النصر ، وكانت بمثابة فُندُق يشمل على ٣٦٠ بيتاً ، ويسكنها نحو أربعة آلاف نفس ؛ وقد تخرّبَتْ الوكالة ، وبقى مدخلها المكسو بالرخام ، وعليها رنك مُنشئها [2] ، ونقوش كتابية بها إسم الأمير قوصون .

أما جامع قوصون الذى كان بقرافة باب الوزير ، والذى ذكره المقريزى أيضاً فى كتابه الخطط ، عند ذكره للجوامع [3] ، بعد أن ذكر جامع قوصون الذى خارج باب زويلة [4] ويقصد به جامعة بشارع محمد على (القلعة) اليوم ؛ فيقول عنه المقريزى : « هذا الجامع داخل باب القرافة ، تجاه خانقاة قوصون ،

* هو جامع الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وواجهته وبابه الرئيسى بشارع المعز لدين الله ، من ناحيه باب الفتوح .
** هى خانقاه سعيد السعداء ، التى أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وتعرف اليوم بجامع المطهر ، وتقع بشارع الجماليه ، على يمين القادم من باب النصر بعد مروره بوكالة قوصون ، ثم بمدرسة الأمير قراسنقر ، ثم بخانقاه السلطان بيبرس الجاشنكير (أحمد) .
(١) أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ١٥١ (ذكر الخانات والفنادق) .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ص ١٥ .
(٣) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٣٢ .
(٤) أنظر نفس المصدر ٤ : ١٠٣ ـ ١٠٥ .

الدين قوصون ، وصرف له ثمنه من بيت المال ؛ فزاد فيه قوصون ... وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارته ... فبنى فيه كثيراً ، وأدخل فيه عدّة عمائر، ما بين دور واصطبلات ، فجاء قصراً عظيماً إلى الغاية ، وسكنه الأمير قوصون مدّة حياةالملك الناصر ... ؛ وما برح مسكناً لأكابر الأمراء ... ؛ ثم أصلح، وهو الآن من أجلّ دور القاهرة » [1] . ولا تزال بقايا ومدخل هذا القصر موجودة إلى الآن ، وهى الأثر رقم ٢٢٦ ، ويؤرخ بحوالى سنة ٧٣٨ ، ويعرف أيضاً بقصر الأمير يشبك بن مهدى . وعن هذا الأثر يقول حسن عبد الوهاب : « إذا ما استعرضنا الواجهة القبلية لمدرسة السلطان حسن ، أو اتجهنا إلى الميدان من هذا الطريق ، تطالعنا بقايا قصرالأمير قوصون الساقى المعروف بقصر الأمير يشبك ، وقد كان من أفخم قصور دولة المماليك البحرية ... ؛ ولما آل القصر إلى الأمير يشبك بن مهدى فى سنة ٨٨٠ هـ ، زاد فيه زيادات ، وكتب اسمه ولقبه على جانبى مدخله ، كما نقش رنكه على جانبيه . وتنحصر أهمية تلك البقايا فى مدخله الرئيسى ، المشتمل على مقرنصات بلغت غاية الدقّة ، فقد كسى الباب بالرخام ، وحوى اسم الناصر محمد بن قلاون سلطان وقته ، واسم صانعين عملا فى هذا القصر ، هما : محمد بن أحمد ، وأحمد زغلش الشامى ، ...ووجود أسماء الصناع على الآثارنادر ، ويزيد فى أهمية العثور على اسم هذا الصانع الشامى ، ما يدعّم وحدة الفن بين مصر وسوريا منذ أقدم العصور» [2] .

وكالة قوصون : تؤرخ بقبيل سنة ٧٤٢ هـ ، وهى سنة وفاة قوصون ؛ وهى الأثر رقم ١١ ، بشارع الجمالية ، بحى الجمالية ، على يمين القادم من

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٣: ١١٦ – ١١٨ (ذكر اصطبل قوصون) – (باب ذكر القصور) .

(٢) راجع حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٣٥ ـ ٣٦ .

باب النصر ؛ ذكرها المقريزى بنفس هذا الإسم ، وقال : هذه الوكالة فى معنى الفنادق والخانات ، وموضعها فيما بين الجامع الحاكمى * ، ودار سعيد السعداء** ... ؛ جعلها الأمير قوصون فندقاً كبيراً إلى الغاية ، وبداثره عدّة مخازن ... أصناف البضائع ونقلها لمن يبتاعها ؛ ثم تلاشى أمرها ، منذ خربت الشام سنة ٨٠٣ هـ ، على يدّ تيمورلنك ؛ وفيها إلى الآن بقية » [1] ؛ ويقول عنها حسن عبد الوهاب : وكالة الأمير قوصون فى شارع باب النصر ، وكانت بمثابة فندق يشمل على ٣٦٠ بيتاً ، ويسكنها نحو أربعة آلاف نفس ؛ وقد تخرّبت الوكالة ، ويقى مدخلها المكسو بالرخام ، وعليها رنك منشئها [2] ، ونقوش كتابية بها إسم الأمير قوصون .

أما جامع قوصون الذى كان بقرافة باب الوزير ، والذى ذكره المقريزى أيضاً فى كتابه الخطط ، عند ذكره للجوامع [3] ، بعد أن ذكر جامع قوصون الذى خارج باب زويلة [4] ويقصد به جامعة بشارع محمد على (القلعة) اليوم ؛ فيقول عنه المقريزى : « هذا الجامع داخل باب القرافة ، تجاه خانقاة قوصون ،

* هو جامع الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وواجهته وبابه الرئيسى بشارع المعز لدين الله ، من ناحيه باب الفتوح .

** هى خانقاه سعيد السعداء ، التى أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وتعرف اليوم بجامع المطهر ، وتقع بشارع الجماليه ، على يمين القادم من باب النصر بعد مروره بوكالة قوصون ، ثم بمدرسة الأمير قراسنقر ، ثم بخانقاه السلطان بيبرس الجاشنكير (أحمد) .

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ١٥١ (ذكر الخانات والفنادق) .

(٢) راجع حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ص ١٥ .

(٣) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٣٢ .

(٤) أنظر نفس المصدر ٤ : ١٠٣ ـ ١٠٥ .

أنشأه الأميرسيف الدين قوصون ، وعَمَّرَ بجانبه حماماً ، فَعَمَرَتْ تلك الجهة من القرافة ، بجماعة الخانقاه والجامع ؛ وهو باق إلى يومنا » [1] ، وقد حقق محمد رمزى، أن هذا الجامع يقع خارج باب القرافة ، تجاه خانقاة قوصون ، وليس داخل باب القرافة كما ذكر المقريزى [2] ؛ وقال أنه تبين له بعد المعاينة أنه بما أن هذا الجامع يقع تجاه خانقاه قوصون ، وأن هذه الخانقاه لا تزال بعض آثارها قائمة ، ويقع تجاهها الأن الجامع المعروف بجامع المسيحية ، فإن جامع المسيحية هو ذاته جامع قوصون ، الذى جدده مسيح باشا والى مصر العثمانى سنة ٩٨٤ هـ ، فنُسب إليه ؛ كما يعرف أيضاً بجامع القرافى ، نسبة إلى الشيخ نور الدين القرافى المدفون فيه ، وهو بخارج القرافة ، بقسم الخليفة ، بشارع المسيحية ، جنوب سجن المنشية . [3]

وقد عَدَّد المقريزى آثار قوصون بديار مصر ، وذكر فى آخرها حكر قوصون[4] ؛ ثم تكلم عنه بالتفصيل عند ذكره للأحكار التى فى غربى الخليج[5] ؛ يعنى الخليج المصرى ، ومكانه اليوم شارع بور سعيد .

*

ومن الجوامع والمساجد التى ترجع إلى عصر السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون ، والتى تبارى فى إنشائها أمراء كثيرون من رجال دولته ، ولا تزال باقية إلى اليوم ، الجوامع والمساجد الآتية :

(١) نفس المصدر ٣ : ١٣٢ .
(٢) راجع هوامش محمد رمزى على كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٩ : ٢٠٧ حاشيه(١) .
(٣) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٧ حاشيه (١) ؛ راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٩٣ .
(٤) انظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٥ .
(٥) أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ١٨٧ .

مسجد أحمد كوهية : (قاعه)، حوالى سنة ٧١٠ هـ ، أثر رقم ٥٢١ .

جامع الأمير حسين : سنة ٧١٩ هـ ، أثر رقم ٢٣٣ ، بحى المَنَاصِرَة ، بباب الخلق ، خلف دار الكتب المصرية القديمة ، بين شارع بور سعيد وشارع محمد على (القلعة) ، فى منتصف المسافة بين حى الموسكى وحى الدرب الأحمر . هكذا سماه المقريزى ، وقال : « هذا الجامع كان موضوعه بستاناً بجوار غيط العِدّة ، أنشأه الأمير حسين بن أبى بكر اسماعيل بن حيدر بك مِشرِف الرومى ؛ قدم مع أبيه من بلاد الروم إلى ديار مصر فى سنة ٦٧٥ هـ ، وتخصص بالأمير حسام الدين لاجين المنصورى قبل سلطنته ، فكانت له منه مكانة مكينة ؛ وصار أمير شكار ؛ وكان فيه بِرّ ، وله صدقة ، وعنده تَفَقُّد لأصحابه ؛ وتوفى فى ٧ محرم سنة ٧٢٩ هـ ، ودفن بهذا الجامع » [1] وهذا الجامع مقام الشعائر إلى اليوم ، وجرى فيه عملية ترميم وإصلاح .

جامع الأمير أُلْمَاس : سنة ٧٣٠ هـ ، أثر رقم ١٣٠ ، بشارع الحلْمِيّة ، بحى الدرب الأحمر ، بالقرب من شارع الْماس المتفرع من شارع الحلَمِيّة . هكذا سماه المقريزى ،وقال : « هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ، بناه الأمير سيف الدين أُلْماس الحاجب ، وكمل فى سنة ٧٣٠ هـ ؛ وكان أُلْمَاس أحد مماليك الناصر محمد بن قلاون ، فرقّاه إلى أن صار من أكبر الأُمراء ... ، [و] عظمت منزلة الماس ، وصار فى منزلة النيابة [نيابة السلطنة] ، إلا أنه لم

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٢ ـ ١٠٣ (ذكر الجوامع) . ويقول محمد رمزى : لم يذكر المقريزى تاريخ إنشائه ، وبالمعاينة ، تبين لى أنه أنشئ فى سنة ٧١٩هـ ، كما هو مبين فى لوح من الرخام ، مثبت فى التجويف العلوى لباب الجامع ؛ وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية ، بحارة الأمير حسين ، مِن جهة ميدان باب الخلق بالقاهرة ، ومئذنته الأصلية هدمت لخلل طرأ عليها ، ثم جُدِّدَتْ فى سنة ٨٦٦هـ : راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ٦٢ حاشية (٣) ؛ وعن دار الأمير حسين ، وقنطرته ، وخوخته ، بالقاهرة ؛ راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ٦٢ حاشيه (٣) و ٩ : ٦٣ حاشيه(١) و (٢) .

يُسَمّ بالنائب ، ويركب الأمراء الأكابر والأصاغر فى خدمته ، ويجلس فى باب القلعة من قلعة الجبل ، فى منزله النائب ، والحجّاب وقوف بين يديه ... ؛ [توفى] سنة ٧٣٤ هـ ... وحمل من القلعة إلى جامعة فدفن به ... ؛ وبهذا الجامع رخام كثير ، نقله من جزائر البحر وبلاد الشام والروم »[1] والوجهة البحرية لهذا الجامع ، تشمل على المناوة والقبّة[2] . والمناس كلمة تركية ، تعنى : خالد[3] .

جامع شرف الدين : سنة ٧١٧ ـ ٧٣٨ هـ ، أثر رقم ١٧٦ ، بالحمزاوى بحى الدرب الأحمر .

جامع الخطيرى : مئذنته وبقاياه ، سنة ٧٣٧ هـ ، أثر رقم ٣٤١ ، بساحل بولاق . هكذا سماه المقريزى ، وقال : « هذا الجامع موضعه الآن بناحية بولاق ، خارج القاهرة ... ، [بناه] الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى ، وسمّاه جامع التوبة ، وبالغ فى عمارته ، وتأنق فى رخامه ، فجاء من أجلّ جوامع مصر وأحسنها ؛ وعمل له منبراً من الرخام فى غاية الحسن ، وركب فيه عدّة شبابيك من حديد تشرف على النيل الأعظم ؛ وجعل فيه خزانة كتب جليلة نفيسة ، ورتّب فيه درساً للفقهاء الشافعية ، ووقف عليه عدّة أوقاف ؛ وكان جملة ما أنفق على هذا الجامع أربعمائة ألف درهم نقره ؛ وكملت عمارته سنة ٧٣٧ هـ » . ثم ترجم المقريزى لمنشئ هذا الجامع ، فقال : « أيدمر الخطيرى الأمير عز الدين ، مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيرى الأمير مسعود بن خطير ، انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فرقاه حتى صار أحد

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٣ (ذكر الجوامع) .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٣٦ ـ ١٣٨ ، ٢٠٠ : الصورة رقم ٧٥ ـ ٨٠ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٧٤ ـ ١٧٥ ، لوحه ١٣٤ ـ ١٤٨ ؛ محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٦ حاشيه (٣) .
(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٣٦ .

أمراء الألوف .. مات سنة ٧٣٧ هـ ، ودفن بتربته خارج باب النصر » ثم علل لنا المقريزى سبب إهمال هذا الجامع وتخرّبه ، نتيجة لإنحسار ماء النيل عنه ، بقوله : « ولم يزل هذا الجامع مجمعاً يقصده سائر الناس للتنزه فيه على النيل ، ويرغب كل أحد فى السكنى بجواره ، وبلغت الأماكن التى بجواره من الأسواق والدور الغاية فى العمارة ، حتى صار ذلك الخطّ أعمر أخطاط مصر وأحسنها ؛ فلما كانت سنة ٨٠٦ هـ ، إنحسر ماء النيل عمّا تجاه جامع الخطيرى ، وصار رملة لا يعلوها الماء إلى فى أيام الزيادة (الفيضان) ، وتكاثر الرمل تحت شبابيك الجامع ، وقربت من الأرض ، بعد ما كان الماء تحته لا يكاد يدرك قراره ؛ وهو الآن عامر ، إلا أن الإجتماعات التى كانت فيه قبل انحسار النيل عمّا قبالته قلّت ، وانضع حال ما يجاوره من السوق والدور ، ولله عاقبة الأمور »[1] . ومنبر هذا المسجد من أقدم ما عرف من المنابر الرخامية ، وبقاياه محفوظة بمتحف الفن الإسلامى[2] .

جامع الماردانى : سنة ٧٣٩ هـ ـ ٧٤٠ هـ ، أثر رقم ١٢٠ ، بشارع التبّانه ، بحى الدّرب الأحمر . هكذا سماه المقريزى ،وقال : هذا الجامع بجوار خطّ التبّانة خارج باب زويله ، [بدىء فى بنائه] فى سنة ٧٣٨ هـ ؛ [و]

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١١١ ـ ١١٢ (ذكر الجوامع) .
(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٥٥ وتحدث محمد رمزى عن الجامع الذى كانت آثاره وبقايا مئذنته وبعض اعمدته موجوده إلى عصره ، راجع محمد رمزى : النجوم ٨ : ٢٢٣ حاشيه (٢) و٩ : ١٨٦ حاشيه (١) ؛ وترجم ابو المحاسن للأمير أيدمر الخطيرى أنظر ابو المحاسن : النجوم ٩ : ٣١٢ ؛ أقول : وهذا الجامع أعيد بناءه من جديد منذ عدة سنوات ، بجهود أهل بولاق وتجار منطقة الخطيرى ، على مساحه صغيرة ، أقل من مساحته الأصلية ، بعمارة حديثة جيدة ، ويقع الآن ، داخل حارة الخطيرى بآخر شارع ٢٦ يوليه ، على يمين المتجه إلى شاطئ النيل ، بعد إجتياز شارع بولاق الجديد على اليمين ، وجامع ابو العلا على الشمال .

بلغ مصروفه زيادة على ثلثمائة ألف درهم [٣٠٠,٠٠٠] ، عنها [أى ما يساوى] نحو خمسة عشر ألف [١٥,٠٠٠] دينار ، سوى ما حُمل إليه من الأخشاب والرخام وغيره من جهة السلطنة ، وأُخذ ما كان فى جامع راشدة من المُمدّ فعُملت فيه ، وجاء من أحسن الجوامع ، وأول خطبة أُقيمت فيه فى يوم الجمعة ١٤ رمضان سنة ٧٤٠ هـ ، وخطب فيه الشيخ ركن الدين عمر بن إبراهيم الجعبرى ، ولم يتناول معلوماً » . ثم ترجم المقريزى لمنشئ هذا الجامع ، فقال : « الطنبغا المارداني السافى أمّره الملك الناصر محمد بن قلاوون وقدّمه وزوّجه ابنته » ؛ ثم أفاد أنه تولى نيابة حماة سنة ٧٤٣ هـ ، ثم نُقل إلى نيابة حلب ، وتوفى سنة ٧٤٤ هـ ، ثم قال : « وكان شاباً طويلاً رقيقاً ، حلو الصورة ، لطيفاً كريماً ، صائب الحدس عاقلا » [١] .

وقد قام ببناء جامع المردانى ، ابن السيوفى رئيس المهندسين فى أيام الناصر محمد بن قلاوون ؛ فيقول المقريزى عند ذكره للمدرسة الأقبغاوية ولمئذنتها : « وهى أول مئذنة عُملت بديار مصر من الحجر بعد المنصورية ، وإنما كانت قبل ذلك تبنى بالآجر ، بناها هى والمدرسة المعلم ابن السيوفى ، رئيس المهندسين فى الأيام الناصرية ؛ هو الذى تولّى بناء جامع المارداني خارج باب زويلة ، وبنى مئذنته أيضاً » [٢] . ولا يزال جامع المارداني باقياً عامراً إلى الآن ، بمنارته ومحرابه ومنبره وإيواناته وأبوابه ، وهو من المساجد الضخمة ؛ وقد قامت لجنة حفظ الآثار ، حين أصلحت جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة ، بعمل منبر خشبى مقتبساً من جامع المارداني المعاصر له ، فجاء تحفة فنية [٣] وبعدّ

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٥ (ذكر الجوامع) .
(٢) أنظر المقريزى : الخطط : ٢٢٤ (ذكر المدارس ـ المدرسة الأقبغاوية) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٩ .
(٣) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٤٧ ـ ١٥١ ، ٢ : ٦٢ ـ ٦٤ ، صوره رقم ٨٧ ـ ٩١ ؛ بين الآثار الإسلامية ص ١٤ ؛ جامع السلطان حسن وما حوله ص ٨٢ ؛ وراجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ١١٢ حاشيه (٣) .

محراب جامع المارداني ، من أروع الأمثلة الوجودة بالقاهرة ، فقد زُخرف تجويفه بمجموعة كبيرة من زخارف الفسيفساء الرخامية والصدفية الدقيقة ، الجميلة التنسيق والترتيب [١] .

جامع الست مسكة : سنة ٧٤٠ هـ ، أثر رقم ٢٥٢ ، بسوق مسكه ، بحى الحنفى ، بالقرب من شارع مجلس الأُمّة ، وميدان السيدة زينب . ذكره المقريزى مرّة بذا الإسم ، ثم قال : « هذا الجامع بالقرب من قنطرة آق سنقر على الخليج الكبير ، خارج القاهرة ؛ أنشأته الستّ مسكه جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأُقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة ١٠ جمادى الآخر سنة ٧٤١هـ »[٢] . ثم ذكر المقريزى جامعاً آخر باسم (جامع الست حَدَق) ، وقال عنه : « هذا الجامع بخطّ المريس ، فى جانب الخليج الكبير ، ما يلى الغرب ، بالقرب من قنطرة السدّ ، التى كانت خارج مدينة مصر أنشأته الستّ حَدَق ، دادة الملك محمد بن قلاوون ، وأُقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة ٢٠ جمادى الآخر سنة ٧٣٧ هـ » [٣] . وعند ذكر الأحكار ؛ ذكر المقريزى حكر الست حدق ، ثم حكر الست مسكة ، وأفاد أن كل منهما عُمّرت جامعاً فى حكرها ؛ ثم ترجم لهما ترجمة واحدة ، قرّن فيها بينهما ، وذكر أنهما كانتا من جوارى السلطان الناصر محمد بن قلاوون ؛ فقال « وكانت حدق ومسكة من جوارى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، نشأتا فى داره ، وصار اقهر مانتين لبيت السلطان ، يُقتدى برأيهما فى عمل الأعراس السلطانية ، والمهمات الجليلة التى تعمل فى الأعياد والمواسم ، وترتيب شؤون الحريم السلطانى ، وتربية أولا السلطان ؛ وطال عمرهما ، وصار لهما من الأموال الكثيرة والسعادات العظيمة ، ما يجلّ وصفه ؛ وصنعا براً ومعروفاً كبيراً ، واشتهر

(١) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢١٤ ـ ٢٢١ ، لوحه ١٧٩ ـ ١٨٤ .
(٢) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٣٣ (ذكر الجوامع) ؛ أبو المحاسن : النجوم ٩ : ١٩٦ ـ ١٩٧ .
(٣) أنظر نفس المصدر ٤ : ١٢٢ (ذكر الجوامع) .

وبعد صيتهما ، وانتشر ذكرهما »[1] .

وقد حقّق الدكتور أحمد عبد الرازق أن حَدَقَ ومسكة ، إسمان لإمرأة واحدة؛ وذلك بد أن تتبع تراجمهما ، فضلاً عن دلائل وقرائن أخرى[2] . وما يزال أحد بابى جامع الست مسكة ، وهو الباب الموجود بالجهة الجنوبية للجامع ، يحتفظ بالكتابات التى نقشت عليه منذ إنشائه ، وهى مكتوبة فى لوحة تأسيسية فوق الباب ، ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمرت بإنشا هذا الجامع المبارك ، الفقيرة إلى الله تعالى ، الحجّة إلى بيت الله ، الزائرة قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام ، الست الرفيعة مسكة ، سنة ستّ وأربعين وسبعمائة [٧٤٦هـ] . ويحيط بالجامع من الخارج شريط حجرى منقوش فيه بالخط الثلث المملوكى ، سورة ياسين[3] . وهذا التاريخ التأسيسى للجامع ، يؤكد أنه انشىء سنة ٧٤٦ هـ ، لا سنة ٧٤٠ كما هو وارد فى قائمة آثار مدينة القاهرة ، ولا سنة ٧٤١ أو ٧٣٧ ، كما حدّد المقريزى تاريخ إنشاء جامعى مسكة وحدق.

ولهذا الجامع منبر خشبى جميل يرجع إلى عصر انشائه[4] .

*

(١) أنظر نفس المصدر ٣ : ١٨٩ (ذكر الأحكار التى فى غربى الخليج) .

(٢) راجع مقال للدكتور أحمد عبد الرازق ، باللغه الفرنسية ، نشره فى اوائل السبعينيات فى مجله Annales islamologiques ، عن منشئين نسائيتين من العصر المماليكى ؛ وكانت هذه الدراسة بالأصل ملحقة برسالته للدكتوراه عن المرأه فى العصر المملوكى ، التى أجيزت من جامعة السربون .

(٣) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ١ : ٢٢٢ ـ ٢٢٨ ؛ محمد رمزى : النجوم ٩ : ١٩٦ حاشيه (٣) .

(٤) راجع حسن عبد الوهاب : التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر ، طبع القاهره ، ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م ، (لوحه ٤١ .) .

ومن المدارس والخوانق ، التى ترجع إلى عصر السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون ، وتبارى فى إنشائها أمراء كثيرون من رجال دولته : **مدرسة وقبة سنقر السعدى** : سنة ٧١٥ ـ ٧٢١ هـ ، أثر رقم ٢٦٣ ، بشارع الحلمية ، بحى الدرب الأحمر ، من جهة شارع السيوفية بحى الخليفة ، وهى مدرسة ضخمة تتميز بقبتها ومأذنتها ، وعرفت فى العصر العثمانى بإسم حسن صدقة؛[1] وتعد قبة ضريح الأمير سنقر السعدى ، أجمل مثال موجود للقبة الحافظة لجمال شكلها[2] كما تعد مئذنة المدرسة من المآذن الجميلة[3] .

مسجد آل ملك الجوكندار : سنة ٧١٩ ، أثر رقم ٢٤ ، بشارع أم الغلام ، الذى يبدأ من شارع قصر الشوق ، وينتهى عند ميدان المشهد الحسينى ، ويتقاطع

(١) اعتماداً على قائمة آثار مدينة القاهره ، طبع مصلحة المساحة سنة ١٩٥٠م ، ونقلاً عن اللوحه الخشبية الصفراء الخاصة بمصلحة الآثار ، الموضوعه على واجهة هذا الأثر .

(٢) راجع كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٦ ، ويقول أن هذه القبة حافظة لجمال شكلها ، ومنطقة الإنتقال من المربع إلى الدائرة ، بما فيها من مقرنصات داخليه ، وبما فيها من نقوش جصية خارج وداخل القبّة ، تشهد بذلك .

(٣) حسن عبد الوهاب : التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر ، طبع القاهرة ، ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢) ، لوحه ٥٧ ، وهو يرجع تاريخ المئذنة إلى سنة ٧٢١ هـ .
وقد سمى المقريزى هذه المدرسة (المدرسة السعدية) ، وقال عنها : « هذه المدرسة خارج القاهرة ، بقرب حدرة البقر ، على الشارع المسلوك فيه ... إلى الصليبة ، وهى فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل ... ؛ وهى ... فى ظهر بيت قوصون ، المقابل لباب السلسله ، من قلعة الجبل ؛ بناها الأمير شمس الدين سنقر السعدى ، نقيب المماليك السلطانية ، فى سنة ٧١٥هـ ، وبنى بها أيضاً رباطاً للنساء؛ وكان شديد الرغبة فى العمائر ، محباً للزراعة ، كثير المال ، ظاهر الغنى ؛ وهو الذى عمّر القرية التى تعرف اليوم بالتحريرية ، من أعمال الغربية ، وكانت إقطاعه ؛ ثم أنه أخرج من مصر ، بسبب نزاع وقع بينه وبين الأمير قوصون فى أرض أخذها منه ، فسار إلى طرابلس ، ومات بها فى سنة ٧٢٨هـ » ؛ أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ؛ وراجع حسن عبد الوهاب : دور كفالة المرأة فى الإسلام (مقال) .

معه شارع الجعدية ؛ بالقرب من ميدان المشهد الحسيني . سماه المقريزى : (المدرسة الملكية) ؛ وقال « هذه المدرسة بخط المشهد الحسيني من القاهرة ، بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار ، تجاه داره ، وعمل فيها درساً للفقهاء الشافعية ، وخزانة كتب معتبرة، وجعل لها عدّة أوقاف ؛ وهي إلى الآن من المدارس المشهورة ، وموضعها من جملة رحبة قصر الشوك » [1] وكان المقريزى قد ذكر عند ذكر الجوامع (جامع آل ملك) ، وقال : « هذا الجامع في الحسينية ، خارج باب النصر ، أنشأه الأمير سيف الدين الحاج آل ملك ، وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة ٩ جمادى الأولى سنة ٧٣٢ هـ ، وهو من الجوامع المليحة . » . ثم ترجم المقريزى للأمير سيف الدين آل ملك ، وأفاد أنه من مماليك الملك المنصور قلاوون ، وصار من كبار الأمراء المشايخ رؤس المشورة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وتوفى سنة ٧٤٧ هـ ؛ ثم قال : «وعمر هذا الجامع ، ودار مليحة عند المشهد الحسيني من القاهرة ، ومدرسة بالقرب منها » [2] . فتبين من ذلك أن هذا الأثر في الأصل مدرسة . ولا تزال هذه المدرسة باقية عامرة الشعائر إلى اليوم ، باسم جامع آل ملك الجوكندار ، مكتوب على جانبي بابها بالخط النسخ، بعد البسملة : « أنشأ هذا المسجد المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى ، آل ملك الجوكندار الناصرى ، الراجى عفو الله تعالى ومغفرته ، بتاريخ سنة ٧١٩ هـ على صاحبها السلام » [3] .

(١) أنظر المقريزى : ٤ : ٢٣٧ (ذكر المدارس) ؛ ٣ : ٧٥ ـ ٧٦ (ذكر رحبة قصر الشوك) .
(٢) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٨ ـ ١٠٩ . وقد ترجم له أبو المحاسن بن تغرى بردى ، ثم قال : « وكان خيّراً ديّناً عفيفاً مُثرياً ، كان يقول : كل أمير لا يقيم رمحه ، ويسكّ الذهب حتى يساوى السنان ، ما هو أمير » أنظر ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٧٥ ـ ١٧٦ .
(٣) راجع محمد رمزى: النجوم الزاهر لابى المحاسن ١٠ : ١٧٦ حاشية و ٩ : ٢٠٨ حاشية (٣)

المدرسة والخانقاه المهمندارية : سنة ٧٢٥ هـ ، أثر رقم ١١٥ ، بشارع التبّانه ، بين جامع المارداني ، وحارة اليانسية ، بحي الدرب الأحمر . ذكرها المقريزى عند ذكر المدارس ، باسم المدرسة المهمندارية ، وقال : « هذه المدرسة خارج باب زويلة ، فيما بين جامع الصالح [طلائع بن رزيك الوزير الفاطمي] ، وقلعة الجبل ، يُعرَفُ خطها اليوم بخطّ جامع المارداني ، خارج الدَّرب الأحمر،... على يمنةَ من سلك من الدرب الأحمر ، طالباً جامع المارداني ، ولها باب آخر من حارة اليانسية ؛ بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى ، المهمندار ونقيب الجيوش ، في سنة ٧٢٥ هـ ؛ وجعلها مدرسة وخانقاه ، وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية ؛ وبنى إلى جانبها القيسارية والربع الموجودين الآن » [1] . ثم ذكرها مرّة أخرى عند ذكر الخوانق ، باسم الخانقاة المهمندارية، وقال : « هذه الخانقاه خارج باب زويلة ، فيما بين رأس حارة اليانسية ، وجامع المارداني » [2] . وهذه المدرسة الخانقاة ، لا تزال موجودة إلى الآن [3] .

مدرسة وخانقاة مغلطاى الجمالى : سنة ٧٣٠ هـ ، أثر رقم ٢٦ ، بشارع قصر الشوك ، بحي الجمالية . سماهاالمقريزى المدرسة الجمالية ، وقال : « هذه المدرسة بجوار درب راشد من القاهرة ، على باب الزُّقاق المعرف قديماً بدرب سيف الدولة ؛ بناها الأمير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى ، وجعلها مدرسة للحنفية ، وخانقاة للصوفية ، وولى تدريسها ومشيخة التصوف بها الشيخ علاء الدين على بن عثمان التركمانى الحنفى ، وتداولها ابنه قاضى القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى الحنفى ، وابنه قاضى القضاة صدر الدين

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٤٨ (المدرسة المهندارية) .
(٢) أنظر نفس المصدر ٤ : ٢٧٩ (الخانقاه المهندارية) .
(٣) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٨٥ ـ ١٨٨ ، لوحه ١٥٤ ـ ١٥٧ .

محمد بن عبد الله بن على التركمانى الحنفى ... ؛ وكان شأن هذه المدرسة كبيراً ، يسكنها أكابر فقهاء الحنفية ، وتُعدّ من أجل مدارس القاهرة ، ولها عدّة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية ... ؛ وكان بناؤها فى سنة ٧٣٠ هـ » . ثم ترجم المقريزى لمنشئها ، فقال : « مغلطاى بن عبد الله الجمالى ، الأمير علاء الدين ، عُرف بخَرَز - وهى بالتركية عبارة عن الديك بالعربية - ؛ إشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونقله وهو شاب من الجامكية (أى المُرتّب النقدى الشّهرى) إلى الإمرة على إقطاع ... ؛ وجعله استاداراً ... سنة ٧٢٣ هـ ، ثُمّ أضاف إليه الوزارة سنة ٧٢٤ هـ ... ؛ وتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، ودُفن بهذه الخانقاة » [1] . ثم ذكرها المقريزى عند ذكر الخوانق ، وقال : « هذه الخانقاة بالقرب من درب راشد ، يُسلك إليها من رحبه باب العيد ، بناها الأمير مغلطاى الجمالى سنة ٧٨٠ هـ (كذا والصواب ٧٣٠ هـ) [2] . ولا تزال هذه المدرسة والخانقاه ، موجودة بحى الجمالية [3] .

المدرسة الأقبغاوية : سنة ٧٤٠ هـ ، أثر رقم ٩٧ ، داخل الجامع الأزهر . هكذا سماها المقريزى ، وقال : « هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر ، على يسرة من يدخل إليه من بابه الكبير البحرى ، وهى تُشرف بشبابيك على الجامع ،

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٣٧ ـ ٢٤٠ (المدرسة الجمالية) .
(٢) نفس المصدر ٤ : ٢٧٩ (الخانقاه الجماليه) .
(٣) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٨٠ ـ ١٨٤ ، لوحه ١٤٩ ـ ١٥٣ ، قلت : ويجب التفريق بين هذه المدرسة ، ومدرسة الأمير جمال الدين يوسف الاستادار برحبة باب العيد من القاهرة أيضاً ، بشارع الجمالية ، بحى الجمالية ، على مدخل شارع السمكشية ، المتفرع من شارع الجمالية ، أثر رقم ٣٥ ، سنة ٨١١ هـ ، وهى من آثار دولة المماليك الجراكسة ، وقد سماها المقريزى (مدرسة الأمير جمال الدين الاستادار) ، أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٥٢ ـ ٢٥٦ ، وهى باقيه إلى اليوم .

مُركّبة فى جداره ، فصارت تجاه المدرسة الطيبرسية التى أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد ، استادار الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، وجعل بجوارها قُبّة ، ومنارة من حجارة منحوته ؛ وهى أوّل مئذنة عُملت بديار مصر من الحَجَر ، بعد المنصورية ، وإنما كانت قبل ذلك تُبنى بالآجر ؛ بناها والمدرسة ، المعلم ابن السيوفى ، رئيس المُهندسين فى الأيّام الناصرية ؛ وهوالذى تولّى بناء جامع المارداني ، خارج باب زويله ، وبنى المئذنة أيضاً [1] . ثم ترجم المقريزى لمنشئها ، فقال : « أقبغا عبد الواحد الأمير علاء الدين ، أحضره إلى القاهرة التاجر عبد الواحد بن بدّال ، فاشتراه منه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولقّبه باسم تاجره الذى أحضره ؛ فحظى عنده ، وعمله شادّ العمائر ، فنهض بها نهضة أعجب بها السلطان ، وعظّمه حتى عمّله استادار السلطان بعد الأمير مغلطاى الجمالى سنة ٧٣٢ ... ، وتوفى سنة ٧٤٤ هـ » [2] . ويصفها حسن عبد الوهاب فيقول : « يقابل القادم إلى الجامع الأزهر ، بابان كبيران أنشأهما الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١٧٥٣م ؛ فإذا اجتزنا أحدهما ، نجد على اليمين المدرسة الطيبرسية ، التى أنشأها الأمير طيبرس العلائى سنة ٧٠٩هـ .. ؛ وأمام المدرسة الطيبرسية ، المدرسة الأقبغاوية ، التى أنشأها الأمير أقبغا عبد الواحد سنة ٧٤٠ هـ ، وبها مكتبة الأزهر المنشأة سنة ١٨٩٦ م ، وباق من تفاصيل تلك المدرسة : واجهتها مع مدخلها ، والمنارة ، ومحاريبها الدقيقة بفسفسائها المُذهّبة » [3] . ومكتوب على بابها تاريخ البدء فى عمارتها بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ . أمر بإنشاء هذه المدرسة

(١) (٢) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٢٤ ـ ٢٢٨ (المدرسة الأقبغاوية) ؛ وأنظر أبو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٩ : ١٤٣ ـ ١٤٤ .
(٣) راجع حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ١٥ ـ ١٦ .

المباركة ، المُقرّ الأشرف العالى السيفى أقبغا الأوحدى ، أستادالآدر العالية الملكى الناصرى ، وكان إبتداء العمل المبارك فى شهور سنة تسع وثلاثين وسبعمائة [٧٣٩هـ] . ومكتوب بداخل القُبّة والمنارة تاريخ الفراغ منهما سنة ٧٤٠ هـ (١) . ويقول محمد رمزى ، أن المقريزى ذكر أن منارة هذه المدرسة ، هى ثانى منارة بُنيت بالحجر فى مصر ، بعد منارة المدرسة المنصورية ؛ والصواب أنه بنى قبلها بالحجر ، منارات أخرى ، نذكر منها الجامع الطولونى ، وجامع الحاكم (٢)

*

كذلك فقد وصل إلينا من عصر السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون ، عَدَدٌ من القباب ، حوتْ قبور منشئيها ، لعل بعضها كان جزء من مدارس أو خوانق ؛ مثل : **قُبّة صفى الدين جوهر** ، سنة ٧١٤ هـ ، أثر رقم ٢٧٠ ، بشارع الرُّكْبيّة ، بحى الخليفة ، وهو إمتداد شارع السيوفية ، بعد تقاطعه بشارع الصليبة ، وجميع هذه الشوارع بحى الخليفة ؛ **قُبّة سنجر المُظفّر** ، سنة ٧٢٢ هـ ، أثر رقم ٢٦١ ، بشارع السيوفية بحى الخليفة ، وهو إمتداد شارع الحلمية

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٥٨ . ولما أنشئت مكتبة الجامع الأزهر سنة ١٨٩٦م وأختيرت المدرسة الأقبغاويه محلاً لها ، جمعت فيها الكتب المبعثره فى أروقه الأزهر ، المتوارثه فيه من العصور السابقة ، ثم اهديت اليها المكتبات الخاصة لبعض الباشوات وعلماء الأزهر ، وبلغت مجلداتها نحو مائة ألف مجلد ، بينها نوادر إنفردت بها عن كثير من المكتبات ، كما يوجد بها مصاحف وربعات ملوكية ، إحداها باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، مودعة فى صندوق خاص بها ، مُكفّت بالفضة ، مكتوب عليه إسم صانعه ، بما نصّه : « من صنعة أحمد بن أبارة الموصلى فى شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائه [٧٢٧ هـ] » ؛ راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٦١ ـ ٦٣ .

(٢) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهره لابن تغرى بردى ٩ : ١٤٣ ، حاشية (١) .

بحى الدرب الأحمر (١) ، وبحُرّف العامة ، إسم شارع المُظَفّر ، الذى يُطلق على إسم الشارع المتفرع من شارع السيوفية ، الذى تقع هذه القُبّة على ناصيته ، إلى « المُدفّر » ؛ **قُبّة القماوى** ، حوالى سنة ٧٣٠ هـ ، أثر رقم ١٢٨ ، بحى الدرب الأحمر ؛ **قُبّة أبو اليوسفين** ، حوالى سنة ٧٣٠ هـ ، أثر رقم ٢٣٤ ، بشارع التبّانة ، وهو إمتداد شارع الدرب الأحمر ، وبآخر شارع التبّانة ، شارع باب الوزير بحى الدرب الأحمر ؛ : وبسميها العامّة ، أبو سيفين .

ومن أشهر هذه القباب ، **قُبّة الأمير طَشْتَمُر ، المعروف بحُمُّص أخضر** ، حوالى سنة ٧٣٥ هـ ، أثر رقم ٩٢ ؛ وهذه التربة أنشأها الأمير طشتمر حُمُص أخضر ، فى شهر ربيع الأول سة ٧٣٥ هـ ، ولا تزال موجودة ، يعلوها قُبّة ، بشارع العفيفى ، بحيّانة المجاورين ، شرقى القاهرة (٢) . وقد ترجم أبو المحاسن ، لهذا الأمير ، فى وفيات سنة ٧٤٣ هـ ، فقال : سيف الدين طَشْتَمر ابن عبد الله الساقى الناصرى المعروف بحمص أخضر كان أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون وخواصّه ، رقاه وأمّره ، وولاه نيابة صفد ، ثم نقله إلى نيابه حلب فى سنة ٧٤١ هـ ، فدام بحلب حتى خرج منها إلى [قتال الروم] ، إلى أن قدم الديار المصرية ، صحبة الأمراء الشاميين ، وولاه الملك الناصر أحمد نيابة السلطنة . وهو صاحب الدار العظيمة ، والربع الذى بجانبها بحذره البقر ، خارج القاهرة ؛ والجامع بالصحراء ؛ والمئذنة المُحلّزون ، والجامعين بالزريبة ؛ والربع الذى بالحريريين داخل القاهرة . وكان شجاعاً كريماً ، كثير الإنعام والصدقات . توفى بالكرك (٣) . وأفاد المقريزى ، عند ذكره لخانقاه أُمّ أنوك ، التى أنشأتها ـ قبل

(١) إمتا نسنا هنا ، باللوحة الصفراء ، لمصلحة الآثار المصرية ، المثبته على واجهة هذا الأثر .

(٢) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهره ٩ : ١٨٧ حاشيه (٤) .

(٣) أنظر ابو المحاسن : النجوم الزاهره ١٠ : ١٠١ ـ ١٠٢ .

سنة ٧٤٩ هـ الخاتون ضفاى، الخوندة الكبرى زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، و أم إبنه الأمير أنوك ، أن هذه الخانقاه كانت خارج باب البرقية بالصحراء ، تجاه تربة الأمير طَشْتَر الساقى [1] ؛ وهذه الخانقاه لا تزال باقية، وهى الأثر رقم ٨١ . ويلاحظ علماء الآثار ، أن تكسية رقاب القباب بالقاشانى، ظهرت بمصر فى أول القرن الثامن الهجرى فى قبة سبيل الناصر محمد بن قلاوون ؛ وفى قباب : طشتمر حمص أخضر، وأم أنوك ، وأصلم السلحدار ، وابن غراب ، ثم تطورت إلى تكسية القبة كلها بالقاشانى [2] .

وكانت دار الأمير طشتمر حمص أخضر ، تُعَدّ من أعظم قصور الأمراء فى العصر المماليكى ؛ إذ يقول ابو المحاسن ، عند تقصّيه لعمائر السلطان الناصر محمد : «وعَمَّر الملك الناصر لمماليكه ، عدّة قصور ، خارج القاهرة وبها ؛ منها قصر الأمير طقتمر الدمشقى بحدرة البقر ، وبلغ مصروفه ثمانمائة ألف (٨٠٠,٠٠٠) درهم ؛ فلما مات طُقْتَمُر ، أنعم به على الأمير طَشْتَمُر حُمْص أخضر ، فزاد فى عمارته» [3] ؛ وذكر المقريزى هذه الدار ، عند ذكره للقصور، وسماها (دار البقر) ، ثم قال : هذه الدار خارج القاهرة ، فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل ، بالخط الذى يُقال له اليوم حدرة البقر ؛ كانت داراً للأبقار التى برسم السواقى السلطانية ؛ ثم أن الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأها داراً وإسطبلاً ، ثم عُرفت بدار الأمير طاش تمر حُمْص أخضر ؛ وهذه الدار باقية إلى يومنا هذا ، ينزلها أمراء الدولة [4] ، وبركة الفيل ، موقعها الآن خطّ الحلمية

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٣ : ٢٩٠ .
(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٣١٧ .
(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٨٨ .
(٤) انظر المقريزى : الخطط ٣ : ١٠٩ ـ ١١٠ (ذكر القصور) .
(٥) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ١٢١ حاشيه (٣) ، و١٠ : ٤٥ حاشيه (٦) .

الجديدة [5] ؛ وقد إندثرت دار طشتمر ، وكان مكانها عند مدخل شارع المُدَفّر ، المتفرع من شارع الحلمية [1] .

ومن القباب الأثرية ، التى ترجع أيضاً إلى عصر السلطنة الثالثة للناصر محمد ، قُبة القاصد ، حوالى سنة ٧٣٥ هـ ، أثر رقم ٢٠ ، بشارع الجمالية ، من ناحية باب النصر ، بحى الجمالية ؛ وتُعرَفُ عند العامة ، بقُبّة سيدى أحمد القاصد ؛ وقد أفاد المقريزى ومحمد رمزى ، أن القُبّة ، قد بَقِيَت من المدرسة التى كانت تُعرف بالمدرسة القاصدية ؛ فيقول المقريزى : كان باب النصر أولاً، دون موضعه اليوم ؛ وأدركتُ قطعة من أحد جانبيه ، كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى ، بحيث تكون الرحبة ، التى فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابى جامع الحاكم القِبْلِيَّتين ، خارج القاهرة ؛ ولما تقلّدَ أمير الجيوش بدر الجمالى وزارة المستنصر ، نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر ، إلى حيث هو الآن[1] . وقد لاحظ علماء الآثار أن قُبّة المدرسة القاصدية ، هى أصغر قُبّة فى الآثار الإسلامية بمصر ، تليها قُبّة المدرسة الجوهرية المُلحقة بالأزهر، والمُنشأة سنة ٨٤٤ ؛ وان بمدخلها رُخام أسود له بريق كالمرآة ، وُجِدَ شبيه له ، بمدخل جامع الأمير شيخو الناصرى بالصليبة ، ثم بمدخل مدرسة السلطان حسن [2] .

(١) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ١٢١ حاشيه (١) ؛ وعن تحديد المكان الذى كان به جامع طشتمر بالصحراء ، راجع محمد رمزى : النجوم ١٠ : ١٠٣ ، حاشيه (٤) ؛ وعن مكان جامعه بزريبة قرصون ، راجع محمد رمزى : النجوم ١٠ : ١٠٣ ، حاشيه (٣) ؛ وعن مكان ربعه بسوق الحريريين ، راجع محمد رمزى : النجوم ١٠ : ١٠٢ ، حاشيه (٤) .
(٢) أنظر المقريزى : الخطط ٢ : ٢١٠ ـ ٢١١ (باب النصر) ؛ محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٣٠ حاشيه (٣) .
(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٥٨ و ١٥٨ .

وقد إستقصى المؤرخ ابو المحاسن بن تغرى ، فى ترجمته المطولة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، عمائره التى استجدها واستجدها امراؤه أيام دولته ، فى الديار المصرية والديار الشامية ؛ ولقد حقق العلاّمة محمد رمزى فى حواشيه ، العامر منها والمندثر [1] ؛ قال ابو المحاسن : إستجدّ فى أيامه عمائر كثيرة ، وعُمِرت فى أيامه بالديار المصرية ، عدّة جوامع ، تقام فيها الخُطَبُ ، زيادة على ثلاثين جامعاً [2] ثم عدّد اسماءها واسماء منشئيها وحدّد أماكنها [3] ثم قال:

---

(١) أنظر أبو المحاسن : النجوم ٩ : ١٧٨ ـ ٢١٠ ؛ وراجع فى هوامشه ، الحواشى القيّمة للعلاّمة محمد رمزى .

(٢) ابو المحاسن : النجوم ٩ : ١٧٨ .

(٣) نفس المصدر ٩ : ١٧٨ ـ ١٩٠ ومن هذه المساجد والجوامع التى لاتزال باقية إلى اليوم بعد أن جُدّدت ، وأغلبها ذكره المقريزى فى خططه ، وحدد مواضعه اليوم محمد رمزى ، نذكر جامع بالمشهد النفيسى : (انظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٢) الذى ذكر أن الملك الناصر محمد هو الذى أمر بإنشائه والصرف عليه من إيراد المشهد النفيسى ونزوره ، وهو لا يزال عامراً بإقامة الشعائر الدينية بميدان السيدة نفيسة بحى الخليفة ، وبداخله ضريح السيدة نفيسة رضى الله عنها ؛ وقد جدد ديوان الأوقاف بناء الجامع وقبة الضريح فى سنة ١٣١٤ هـ (راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ١٩٩ حاشية (٣) و ٦ : ٣٧٨ حاشيه (٢) . و جامع السيدة تذكار باى خاتون بنت الملك الظاهر بيبرس : الذى أنشأه الطواشى مثقال الخادم ، خادم السيدة تذكار ، من ماله الخاص ؛ ورغم ذلك فقد نسب هذا الجامع إليها ؛ ومكانه اليوم جامع الجزيرة الحالى ؛ وقد تجدّد عدّة مرات ، آخرها بأمر الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٨ هـ ؛ وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية ، وواقع على النيل ، فى حديقة النهر ، بأرض الجزيرة الكبيره (جزيره الزمالك أو جزيرة المعرض أو جزيره السباق ، وهى نفسها جزيرة أروى قديماً) ، بالقاهرة (راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة : ٩ : ٢٠٦ و ٩ : ١٢٦ حاشيه (٣) و ١٠ : ١٢٩ حاشيه (١) و (٢) . وجامع الأمير كواى المنصورى : (أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٣٢) أنشئ سنة ٧٠١ هـ ، بآخر الحسينية ، ويعرف اليوم بإسم جامع الكومى ، ويقع بشارع الوبليه الصغرى ، بقسم الوايلى بالقاهرة (راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٠ حاشيه (١) . ومسجد الأمير بكتوت الخازندار : لم يذكره المقريزى فى خططه ، ذكر ابو المحاسن أنه خارج باب زويله ، وحدد محمد رمزى موقعه اليوم بشارع الأنصارى ، على رأس حارة الكرشاتى ببولاق (راجع أبو المحاسن : النجوم ٩ : ٢١٧ ـ ٢١٩ ـ ترجمة بكتوت) ومحمد رمزى : النجوم ٩ : =

«واتصلت العمائر [فى ضواحى القاهر الواقعة على طول شاطىء النيل المتّصل بمصر ، تلالاً ورمالاً وحلفاء ، فصار لا يُرى قَفْر زراع ، إلا وفيه بناء ؛ كل ذلك من محبّة السلطان للتعمير ؛ فصار كل أحد فى أيامه يفعل ذلك ويتقرّب إلى خاطره بهذا الشأن؛ وصار لهم أيضاً غيّة فى ذلك ، كما قيل : الناس على دين ملوكهم ؛ بل قيل إنه كان إذا سمع بأحد قد أنشأ عمارة بمكان، شكره فى الملأ ، وأمدّه فى الباطن بالمال والآلات وغيرها ؛ فعمّرت مصر فى أيامه ، وصارت أضعاف ما كانت » [1] . « وعمّر أيامه الأمراء عدّة دور وقصور ؛ منها دار الأمير أيدُ غمش ، وقصر بشتاك ، وغيره » [2] « وكان الملك الناصر له عناية

= ٢١٩ حاشيه (٥) . و جامع كريم الدين : ذكره المقريزى فى خططه ضمن الجوامع التى ذكرها إجمالاً ، أنشأه كريم الدين ابن عبدالكريم القبطى ، ناظر الخاص حوالى سنة ٧٢٠ هـ ، وجدده الخديوى اسماعيل سنة ١٢٨٥هـ ، بخط قصر الدوبارة بالقاهرة (أنظر محمد رمزى : النجوم٩ : ٢٠٠ حاشية (٢) . وجامع الأمير آقسنقر شاد العمائر : أنشئ سنة ٧٢٥هـ ، ولايزال موجوداً بشارع المدبح ، بخط حارة الستابين بحى السيده زينب ، ويعرف الآن بجامع ابو طبل (راجع محمد رمزى : النجوم ٩ : ٢٠٤ حاشيه (٢) و (٣) و٩ : ٣٢٢ ؛ وثلاثة جوامع بناها الفخر ناظر الجيوش : ذكرها المقريزى فى خططه لمجدعا بشارع جزيرة بدران بقسم روض الفرج بالقاهرة ، والآخر ببولاق وهو المعروف اليوم بجامع سيدى ابو العلا ، جدد سنة ٨٩٠هـ ، والثالث بجزيرة الروضه ، جدده السلطان قايتباى سنة ٨٨٦ هـ .. الخ راجع محمد رمزى : النجوم ٩ : ٢٠١ حاشيه (٣) و ٣٠٢ حاشيه (١) و ٣ . وجامع الأمير بدر الدين التركمانى : تكلم عنه المقريزى فى خططه ، وهو لايزال عامراً بإقامة الشعائر الدينيه ، بدرب التركمانى المتفرع من باب البحر بالقاهره ، وكان إنشاءه حوالى سنة ٧٣٨ راجع رمزى : النجوم ٩ : ١٩٩. وجامع المظفر : بسويقه الجميزه من الحسينية أنشئ حوالى سنة ٧٣٠ هـ ٧٤٠هـ وهو عامر الشعائر إلى اليوم ويعرف بجامع سيدى البيومى بالحسينيه بحى باب الشعريه راجع رمزى : النجوم ٩ : ٢٠٩ ، حاشيه ٦ .. الخ .

(١) ابو المحاسن : النجوم ٩ : ١٨٣ ـ ١٨٥ .

(٢) ـ نفس المصدر ٩ : ١٩٠ ـ ١٩١ .

كبيرة ببلاد الجيزة ، حتى أنه عمل على كل بلد جسراً [1] وقنطرة ، وكانت قبل ذلك أكثرها بلاد تَشْرَقُ لعلوّها » [1] ، واستجدّت فى أيام الملك الناصر ، عدّة أراضى بالشرقية ، ونواحى فُوّة وغيرها ، أُقطعتَ للأجناد ، وكانت قبل ذلك بسنين كثيرة، خراباً لا يُنتفَعُ بها» [1] «وعلى هذا زادت الديار المصرية فى أيامه مقدار النصف» [2] ؛ «وكان غالب عمائرها بالحجارة،خوفاً من الحريق» [3]

كذلك إختتم المؤرخ ابن أيبك الدوادر سيرته للملك الناصر محمد ، التى عنوانها بـ (الدُرّ الفاخر فى سيرة الملك الناصر) ، بفصلين هامين عن الجوامع والعمائروالمنشآت الدينية والإجتماعية التى شيّدها وعمّرها ، سواء بالديار المصرية، أو بالديار الشامية ، أو التى شيّدها وعمّرها رجال دولته وأعيان عصره بمصر والشام؛ وذلك بعد أن مهّد إبن ايبك الدوادر لهذين الفصلين ، بالآية القرآنية التى تذكر أن بناء المساجد وعمارتها بالصلاة والعبادة وذكر الله ، امرٌ قد أذن به الله سبحانه وتعالى ، حين مكّن للمسلمين ولدولة الإسلام فى الأرض ﴿ فى بيوت أذن الله فيها ان ترفعَ ، ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ [4] وفى هذا تنبيه من هذا المؤرخ ، إلى إهتمام سلاطين المماليك بصفة عامة ، والملك الناصر محمد بن قلاوون بصفة خاصة ، بعمارة الجوامع والمساجد والمدارس ، وغيرهامن المنشآت الدينية والإجتماعية ثم عنون الفصل الأول بعنوان (ذكر عدّة ما إستُجدّ من الجوامع المعمورة بذكر الله تعالى فى أيام مولانا السلطان)[5] وعنون الفصل الثانى بعنوان : (ذكر المستجد أيضاً من الجوامع المباركة بالمماليك الشامية) ،[6] وأفاد فى الفصل الأول ، أن الجوامع الكثيرة

(١) أبو المحاسن : النجوم ٩ : ١٩٠ – ١٩١ .
(٢) نفس المصدر ٩ : ١٨٩ . (٣) نفس المصدر ٩ : ١٨١ .
(٤) ابن أيبك الدوادار : الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانز روبرت روبمر ، سلسلة مصادر تاريخ مصر الإسلامية ، يصدرها المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة ، جزاء ، قسم ٩ سكينة الخنجى ، القاهرة ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠م ، ص ٣٨٨ ؛
(٥) ابن أيبك: الدر الفاخر ص ٣٨٨ ـ ٣٩٠. (٦) أنظر نفس المصدر ص ٣٩٠ ـ ٣٩١

جداً التى عدّدها وأنشأها الناصر محمد ، تشمل جميع أرجاء مدينة الفسطاط ومدينة القاهرة وضواحيها ، وسائر الأعمال والولايات والأقاليم المصرية ، فى الوجهين القبلى والبحرى ؛ فقال : « فهؤلاء الجوامع المباركة المستجدة فى أيام دولة مولانا السلطان عزّ نصره بالديار المصرية ، بمصر والقاهرة وضواحيهما ؛ خارجاً عمّا تجدّدت فى سائر الأعمال المصرية قبليها وبحريها ، لم نذكرها ؛ وهم عدّة سبعة وعشرين عطية ... ؛ وذلك خارجاً عن الخطب القديمة المستقرة بالجوامع المتقدمة بالديار المصرية » [1] ثم عدّد إبن ايبك فى الفصل الثانى الجوامع التى إستجدها نواب وولاة وأمراءواعيان دولة الملك الناصر، بالقدس والرملة وغزّة وصفَدَ دمشق وطرابلس [2] ؛ وأردف ذلك بقوله : « وأماالخوانق والرباطات والزوايا وكذلك المساجد ، فلا تُحصى كثرة ؛ وجميع هذه الأماكن مشحونة بالأئمة والخطباء ، والفقهاء ، والمدرّسين والمحدّثين والطلبة ، والمؤذنين والقوّام ، والفقراء والمساكين ؛ وكُلّ من هؤلاء ، خلا المُقرّر من سائر ما يحتاج إليه ، مما أُوقف عليهم من البلاد والضياع والأملاك والحوانيت ؛ ولهذه الأوقاف مباشرين وعُمّال وغير ذلك » [3] .

والجدير بالذكر ، أن بعض آثار وعمائر السلطان الناصر محمد ابن قلاون ، وآثار وعمائر نوّابه وولاته على المدن الفلسطينية ، وفى طليعتها القدس والخليل وغزّة ، لا تزال بعضها باقيه إلى الآن ؛ مثل عمارة الملك الناصر لمسجد قبّة الصخرة بالقدس ؛ ومثل الجامع لذى أنشأه بغزّه الأمير علم الدين سنجر

(١) نفس المصدر ص ٣٩٠ .
(٢) نفس المصدر ص ٣٩٠ ـ ٣٩١ .
(٣) نفس المصدر ص ٣٩١ .

الجاولى[1] ، ونائب السلطنة بفلسطين ، وناظر الحرمين الشيفين بها (القدس والخليل) ، ووالى غزّة ،ولا زال هذاالجامع قائماً بغزة إلى اليوم[2] ؛ كما وصلنا خبر الجامع الذى أقامه هذا الأمير بمدينة الخليل ونص فى نقوشه على أنه قد أنشأه من خالص ماله ، ولم ينفق عليه من مال الحرمين الشريفين[3] .

*

ووصل إلينا من **عصر السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون** ـ الذى ولى العرش ولم يكمل له من العمر ثمان سنين ، وخلفه الأمراء فكانت مدته خمسة أشهر ـ ، **القبّة التى دفن فيها هذا السلطان** سنة ٧٤٦ هـ ؛ وتوجد هذ القبّة ، على يسار الداخل من الباب العمومى الغربى ، لجامع الأمير أق سنقر الناصرى ، الكائن بشارع باب الوزير ، بحى الدرب الأحمر ، بالقاهرة ، وتاريخ هذ القبة يرجع إلى قبيل بناء هذا

---

(١) قال ابو المحاسن فى وفيات سنة ٧٤٥ هـ : « توفى الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، أحد أعيان الأمراء بالديار المصرية ... وهو صاحب الجامع بغزّة والخليل عليه السلام ... ، وكان فاضلاً فقيهاً ، وله مصنفات فى الفقه وغيره » ابو المحاسن : النجوم ١٠ : ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، ١١٠ .

(٢) راجع حسن روحى : المختصر فى جغرافية فلسطين ص ١٠٥ ؛ محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠ : ١١٠ حاشيه (١) .

(٣) وصفه المؤرخ مجير الدين الحنبلى ، فى كتابة الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ، فقال : « والذى عمّر هذا المسجد ، الأمير ابو سعيد سنجر الجاولى ، نائب الحرمين الشريفين (القدس والخليل) ونائب السلطنة ، فعرف هذا المسجد بالجاولية ، وهو من العجائب ، قطع فى الجبل ، ويقال أنه كان مقبرة يهود على هذا الجبل ، فقطعه الجاولى وجوّفه ، وبنى السقف عليه والقبّة ، وهو مرتفع على إثنتى عشرة سارية قائمه فى وسطه ، طوله من القبلة بشام ٤٣ ذراعاً ، وعرضه شرقاً بغرب ٢٥ ذراعاً ، وكان الإبتداء فى عمارته فى ربيع الآخر سنة ٧١٨هـ ، وانتهت العمارة فى ربيع الآخر سنة ٧٢٠هـ ، فى دولة الناصر محمد بن قلاوون ؛ ومكتوب على حائطه ، إن سنجر عمل ذلك من خالص ماله ، ولم ينفق عليه شيئاً من مال الحرمين الشريفين » . الحنبلى : الأنس الجليل ٢ : ٥٨ ؛ محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠ : ١١٠ ، حاشية (٢) .

الجامع ، الذى بُدئ فى بنائه فى سنة ٧٤٧ هـ ، وتمّت عمارته فى سنة ٧٤٧هـ[1] ؛ وبهذه القبة كتابات باسم وألقاب السلطان كجك . مؤرخة بشهر جمادى الأول سنة ٧٤٦ هـ ، وبها زخارف جصيّة[2]

*

ورغم قصر **عصر السلطان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون** (حكم من سنة ٧٤٣ هـ ٧٤٦ هـ ، أى ثلاث سنوات) ؛ فلقد وصل إلينا منه خمس عمائر ، هى : جامع الطواشى جوهر السحرتى اللالا الصالحى ، وخانقاه وقبة خوند طغاى زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وأم إبنه أنوك ، وجامع الأمير بهاء الدين أصلم السلحدار الناصرى ، والمدرسة البقرية المنسوبة لمنشئها القاضى شمس الدين شاكر القبطى المصرى المعروف بابن البقرى ناظر الذخيرة ، والمدرسة البيدمرية المنسوبة إلى الأمير سيف الدين بيدمر البدرى الناصرى ، وتعرف بجامع أيدمر البهلوان .

جامع الطواشى : هكذا سماه المقريزى ، وقال : « هذا الجامع خارج القاهرة ، فيما بين باب الشعرية وباب البحر ؛ أنشأه الطواشى جوهر السحرتى اللالا ، وهو من خدّام الملك الناصر محمد ، ثم تأمر فى ١٩ رجب سنة ٧٤٥ هـ »[3] ؛ ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشائه ؛ وذكر ابو المحاسن هذا الجامع ، بتقدير أنه من منشآت عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون[4] ؛ فى حين أنه ثابت فى اللوحة الرخام المثبته بأعلى هذا الجامع ، أن الطواشى جوهر السحرتى

---

(١) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٧٩ حاشيه (١) .

(٢) حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ص ٢٩ ؛ تاريخ المساجد ١ : ١٥٣ ؛ وراجع ما تقدم ص ١٢٩ .

(٣) المقريزى : الخطط ٤ : ١٣١ .

(٤) ابو المحاسن : النجوم ٩ : ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

اللالا الصالحى ، أنشأه فى سنة ٧٤٣ هـ ، فى عهد الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، أى بعد وفاة الناصر بسنتين ؛ ولا يزال هذا الجامع موجوداً ، وعامراً بإقامة الشعائر الدينية ، باسم جامع الطواشى ، بشارع الطواشى ، بقسم باب الشعرية بالقاهرة [1] ؛ وهو غير مسجّل فى قائمة آثار مدينة القاهرة ، المطبوعة سنة ١٩٥٠ م ؛ ويقع اليوم بشارع الصيان ، المتفرع من ميدان باب الشعرية ، بعد تفرع شارع سكة سوق الظلط ، وعلى يمين بابه ، لوحة رخامية حديثة ، تفيد أنه هدم وأُعيد بنائه من جديد ، وسمى جامع بدر ، نسبة إلى مهندسه الذى أعاد بنائه سنة ١٩٩٤ م ، وهو بناء حديث فخم ، على مساحة كبيرة ، لعلها نفس مساحة الجامع القديم ، وعلى الجانب الأيسر للمدخل ، أحتفظ باللوحة الرخامية التأسيسية القديمة التى تحمل اسم منشئه الأول الطواشى جوهر اللالا السحرتى ، واسم السلطان الصالح إسماعيل .

خانقاه وقبة خوند أم أنوك : إنشئت سنة ٧٤٥ هـ ، على التحقيق وأُرِّخَتْ فى قائمة آثار مدينة القاهرة بقبل سنة ٧٤٩ هـ ، وهى الأثر رقم ٨١ . قال عنها المقريزى : « هذه الخانقاه خارج باب البرقية بالصحراء ، التى أنشأتها الخاتون طغاى ، تجاه تُربة الأمير طاشتمر الساقى ، فجاءت من أجَلّ المبانى وجعلت بها صوفية وقرّاء ، وأوقفت عليها الأوقاف الكثيرة ، وقرّرت لكل جارية من جواريها مرتباً يقوم بها » [2] ثم ترجم المقريزى لمنشئه هذه الخانقاه فقال : « طغاى الخوندة الكبرى : زوجة السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، وأُمّ إبنه أنوك ؛ كانت من جُملة إمائه فأعتقها وتزوجها ، ويقال أنها أُخت الأمير أقبغا عبد الواحد ؛ وكانت بديعة الحُسن ، باهرة الجمال ، رأت من السعادة مالم يره

(١) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٩ حاشيه (٨) .
(٢) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٩٠ ـ ٢٩١ (خانقاه أُمّ أنوك) .

غيرها من نساء ملوك الترك بمصر ... ؛ ولم يدم السلطان على محبة إمرأة سواها ، وصارت خوندة ، بعد ابنه نوكاى وأكبر نسائه ... وحجّ بها القاضى كريم الدين الكبير ، واحتفى بأمرها ... ؛ فلما مات السلطان الملك الناصر ، إستمرت عظمتها من بعده ، إلى أن ماتت فى شوال سنة ٧٤٩ هـ ... ؛ وكانت عفيفة طاهرة ، كثيرة الخير والصدقات والمعروف ؛ جهّزت سائر جواريها ، وجعلت على قبر إبنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قُرّاء ، ووقفت على ذلك وقفاً ، وجلت من جملته خُبزاً يُفرّق على الفقراء ؛ ودُفنت بهذه الخانقاه ، وهى من أعمر الأماكن إلى يومنا هذا » [1] . ولا تزال هذه الخانقاة موجودة ، وبها قبة ، تحتها تربة خوند طغاى ، التى أنشأت هذه الخانقاة حول سنة ٧٤٥ هـ ، أى بعد وفاة زوجها الملك الناصر ؛ وهذه التربة كائنة على ناصية شارعَىْ : خوند طغاى ، والسلطان أحمد ، بجبّانة المجاورين ، شرقى القاهرة ، وكانت المنطقة التى تعرف الآن بقرافة المجاورين ، شرقى تل قطع المرأة بالقاهرة ، تعرف فى العصر المماليكى بالروضة ، وبها الآن من المبانى الشهيرة : جامع وضريح الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وتربة الأميرة خوند طلباى ، التى أُنشئت سنة ٧٦٥ هـ ، وهى الأثر رقم ٨٠ ـ ، وغير ذلك من مقابر الصالحين [2] . ولا توجد لهذه الخانقاه واجهة ، فقد إندثر معظمها ، ولم يبق إلا الضلع الشرقى الذى يبلغ طوله ٢٦ متراً وعليها نقوش تحوى آيات من سورة يس ، وبالقبّة آية قوله تعالى : ﴿إنّ المُتّقين فى جنّاتٍ وعيون﴾ [3] .

(١) نفس المصدر ٤ : ٢٩٠ ـ ٢٩١ .
(٢) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١١ : ٧ ، حاشية (٣) و (٤) ، ٩ : ١٨٧ حاشية (٣) .
(٣) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ، ولوحه ٢٠٣ ـ ٢٠٧ .

جامع أصلم السلحدار : سنة ٧٤٥ ـ ٧٤٦ هـ ، أثر رقم ١١٢ ، بدرب شغلان ، عند تلاقيه بشارع النبوية ، بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة . قال عنه المقريزى : « هذا الجامع داخل الباب المعروف ، أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلحدار فى سنة ٧٤٦ هـ ؛ كان أحد مماليك الملك المنصور قلاوون الألفى ، وترقّى فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فأصبح أمير مئة مُقدَّم ألف... وكان أحد مشايخ [المشهورة] ، ويجلس رأس الحلقة ؛ ويجيد رمى النشاب ؛ مع سلامة صدر وخير ، إلى أن مات سنة ٧٤٧ هـ ؛ وأنشأ بجوار هذا الجامع داراً سنية ، وحوض ماء للسبيل ؛ ولهذا الجامع درس ، وله أوقاف ؛ وهو من أحسن الجوامع » [١] . وترجم ابو المحاسن لمنشئه، وسماه الأمير بهاء الدين أصلم من عبد الله الناصرى ، وقال : أحد أمراء الألوف بالديار المصرية ؛ وإليه ينسب جامع أصلم خارج القاهرة بسوق الغنم ؛ وكان أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون، وكان من خواص الملك الناصر محمد ... ؛ وكان من أعيان الأمراء ، وتولىّ عدّة ولايات بالبلاد الشامية وغيرها ؛ طالت أيامه فى السعادة والإمرة ، حتى صار من أمراء المشورة ؛ وتوفى سنة ٧٤٧ هـ » [٢] . وقد تابع على مبارك فى خططه أبا المحاسن ، وذكر جامع أصلم خارج ابواب القاهرة [٣] ؛ ولكن حقق محمد رمزى صحة قول المقريزى ، أنه داخل القاهرة وليس خارجها ؛ وأفاد أنه على شكل المدارس بأربعة إيوانات صغيرة ، وعلى بابه إسم منشئه ، وتاريخ إنشائه ؛ وتُسمّيه العامّة جامع أصيلان ، وهو عامر بالشعائر الدينية ؛ ولا يزال يوجد امام بابه رحبة صيرة ، من بقايا سوق الغنم الذى كان فى تلك الجهة [٤] . ويُلاحظ علماء الآثار أن الباب العمومى لهذا الجامع المكسو

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٦ (جامع أصلم) .
(٢) أنظر ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٣) راجع على مبارك : الخطط التوفيقية ٤ : ٥٩ .
(٤) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠ : ٨ حاشيه (١) و ١٠ : ١٧٤ حاشية (١) .

بالرخام المُلوّن المُلبّس بطريقة فنية ، إقتُبِسَ فى الباب العمومى لمدرسة وخانقاة الظاهر برقوق المنشأ سنة ٧٨٨هـ[١] ؛ وفضلاً عن ذلك ، فهو عامر بفنون العمارة والزخرفة ، ويعدّ من الآثار المغبونة . [٢] .

المدرسة البقرية : ذكرت فى قائمة الآثار سنة ١٩٥٠ م ، على أنها أنشئت قبل سنة ٧٧٦ هـ ؟ ! ، وهى الأثر رقم ١٨ ؛ وثابت من نقوشها أنها أُنشئت سنة ٧٤٦ هـ ، وتُعرَف اليوم بإسم جامع البقرى ، بحارة العطوف ، المتفرعة من شارع باب النصر ، وهو عامر بالشعائر الدينية [٣] قال عنها المقريزى: « هذه المدرسة فى الذقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكمى المجاور للمنبر ، ويتوصل من هذا الذقاق إلى ناحية العُطوف ؛ بناها الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل ـ تصغير غزال ـ المعروف بابن البقرى ، أحد مسالة القيط ، وناظر الذخيرة فى أيام الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون ؛ وهو خال الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله ابن البقرى ، وأصله من قرية تعرف بدار البقر ، بإحدى قُرى الغربية ، نشأ على دين النصارى ، وعَرَفَ الحساب ، وباشر الخراج؛ إلى أن أقدمه الأمير شرف الدين بن الأزكشى استادار السلطان ومشير الدولة فى أيام الناصر حسن ، فأسلم على يديه ، وخاطبه بالقاضى شمس الدين ، وخلع عليه، واستقر به فى نظر الذخيرة السلطانية ـ وكان نظرها حينئذ من الرتب الجليلة ـ، وأضاف إليه نظر الأوقاف والأملاك السلطانية ، ورتبة مستوفياً بمدرسة الناصر حسن ؛ فشكرتْ طريقته ، وحُمِدتْ سيرته ، وأظهر سيادة وحشمه ،

(١) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٩٢ ـ ١٩٥ ؛ حسن عبد الوهاب : التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر ، اللوحة ٣١ و ٣٢ .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : سلسلة مقالات عن الآثار المغبونة بمصر ، مثل : رباط أحمد ابن سليمان الرفاعى ، ومدرسة ابى بكر مزهر ، وجامع أصلم .
(٣) راجع محمد رمزى : النجوم ١١ : ١٢٨ ، حاشيه (١) .

وقرّب أهل العلم من الفقهاء ، وتفضّل بأنواع من البرّ ؛ وأنشأ هذه المدرسة فى أبدع قالب ، وأبهج ترتيب ، وجعل بها درساً للفقهاء الشافعية ، وقرّر فى تدريسها شيخنا سراج الدين عمر بن على المعروف بابن المُلَقِّن الشافعى ، ورتّب بها ميعاداً وجعل شيخه صاحبنا الشيخ كمال الدين بن موسى الدميرى الشافعى؛ وجعل إمام الصلوات بها المُقرئ الفاضل زين الدين أبا بكر بن الشهاب أحمد النحوى ، وكان الناس يرحلون إليه فى شهر رمضان ، لسماع قراءته فى صلاة التراويح ، لشجا صوته ، وطيب نغمته ، وحسن أدائه ، ومعرفته بالقراآت السبع والعشر والشواذ ؛ ولم يزل ابن البقرى على حال السيادة والكرامة ، إلى أن مرض مرض موته ، فأبعد عنه من يلوذ به من النصارى ، وأحضر الكمال الدميرى وغيره من أهل الخير، فماتوا عنده ؛ حتى مات وهو يشهد شهادة الإسلام فى سنة ٧٧٦ هـ ، ودُفن بمدرسته هذه ، وقبره بها تحت قبّة فى غاية الحسن ... ؛ ثم إستُجدّ فى هذه المدرسة منبر ، وأُقيمت بها الجمعة فى ٩ جمادى الأولى سنة ٨٢٤ هـ ، بإشارة علم الدين داود الكوبر كاتب السرّ » [1] . فسنة ٧٧٦ هـ هى سنة وفاة منشئ هذه المدرسة ، أما سنة إنشائها فهى سنة ٧٤٦ هـ.

المدرسة البيدرية أو البيدَمرية : أُنشئت قبيل سنة ٧٤٨ هـ ، وهو تاريخ وفاة مُنشئها الأمير سيف الدين بيدُمر البدرى ، وتعرف اليوم بجامع أيدمر البهلوان، وهى الأثر رقم ٢٢ ، بشارع أم الغلام على رأس حارة الجمدية ، بقسم الجمالية بالقاهرة ، ذكرها المقريزى فى الخطط ، باسم المدرسة البيدرية ، وقال :

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٣٦ (المدرسة البقرية) ؛ وانظر ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ١٢٨ ، وفيات سنة ٧٧٥هـ ؛ وافاد محمد رمزى ، أن بلدة دار البقر ، التى ينسب إليها صاحب هذه المدرسة ، هى القريتان التى تسمى إحداهما (بالجابرية) والأخرى (بالعامرية) ، من قرى مركز المحلة الكبرى بمديرية الغربية بمصر ؛ راجع النجوم الزاهرة ١١ : ١٢٨ حاشيه (١) .

« إنها برحبة الأيدمرى ، بالقرب من باب قصر الشوك ، فيما بينه وبين المشهد الحسينى ، بناها الأمير بيدر الأيدمرى » [1] . ولما تكلم عن رحبة البدرى ، قال : « هذه الرحبة يُدخل إليها من رحبة الأيدمرى ، وهى من جملة القصر (الفاطمى) الكبير ، عُرفت بالأمير بيدمر البدرى ، صاحب المدرسة البيدرية »[2] ؛ وترجم ابو المحاسن لمؤسسها ، فقال : « فى سنة ٧٤٨ هـ ، توفى الأمير سيف الدين بيدُمر البدرى . .. بغزة ؛ وهو أيضاً أحد المماليك الناصرية ، وترقى إلى أن ولى نيابة حلب ... ؛ وإليه تنسب المدرسة البيدَمرية قريباً من مشهد الحسين رضى الله عنه » [3] ؛ فالمقريزى نسب المدرسة إلى لقب مؤسسها ، أما ابو المحاسن فنسبها إلى إسمه [4] .

ويرجع إلى هذا العصر ايضاً ، بوابة قصر الأمير منجك السلحدار ، سنة ٧٤٧ هـ ، ٧٤٨ هـ ، أثر رقم ٢٤٧ ، بشارع سوق السلاح ، من ناحية ميدان صلاح الدين ، تحت قلعة الجبل فى مواجهة مسجد السلطان حسن [5] .

*

كذلك فإن **عصر السلطان المُظفر حاجى بن محمد بن قلاوون** ، الذى حكم سنة احدة فقط ، من سنة ٧٤٧ ـ ٧٤٨ هـ ؛ ينسب إليه أربعة آثار هامة ، هى : جامع أقسنقر ، وجامع الإسماعيلى ، ومدرسة قطلوبغا الذهبى ،

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٣٧ .
(٢) المقريزى : الخطط ٣ : ٧٦ .
(٣) ابو المحاسن : النجوم ١٠ : ١٨٠ .
(٤) محمد رمزى : النجوم ١٠ : ١٨٠ حاشيه (٤) .
(٥) سيأتى الحديث عنها مفصلاً ، ضمن بقيه آثار منجك ، فى عصر السلطنه الأولى للملك الناصر حسن بن قلاوون .

وجامع شيخو .

جامع أقسنقر الناصرى : سنة ٧٤٧ ـ ٧٤٨ هـ ، أثر رقم ١٢٣ ، وعرف فى العصر العثمانى بأغا مستحفظان ، ويشتهر بإسم الجامع الازرق بشارع التبانة يحى الدرب الأحمر ؛ قال عنه المقريزى : « هذا الجامع قريب من قلعة الجبل ، فيما بين باب الوزير والتبّانة ... ؛ أنشأه الأمير آق سنقر الناصرى ، وبناه بالحَجَـرّ ، وجعل سقوفه عقوداً من حجارة ، ورَخّمه ؛ واهتم فى بنائه اهتماماً زائداً ، حتى كان يقعد على عمارته بنفسه ، ويشيل التراب مع الفعلة بيده ، ويتأخر عن غذائه اشتغالا بذلك ؛ وأنشأ بجانبه مكتباً لإقراء أيتام المسلمين القرآن ، وحانوتاً لسقى الناس الماء العذب ... ، وجعل عليه ضيعة من قرى حلب ، تغل ، فى السنة مائة وخمسين الف درهم فضة ، عنها (تساوى) نحو سبعة آلاف دينار ؛ وقرّر فيه درسا فيه عدّة من الفقهاء ، وولىّ الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان الشافعى خطابته ، وأقام له سائر ما يحتاج إليه من أرباب الوظائف ؛ وبنى بجواره مكاناً ليُدفن فى ، ونقل إليه إبنه فدفنه هناك ؛ وهذا الجامع من أجلّ جوامع مصر » [1] . وقال عنه محمد رمزى : لم يذكر المقريزى تاريخ إنشـائه ، فى حين أنه ثابت بالنقش على أبوابه ، أن الأمـير آق سنقر الناصرى بدأ فى بنائه فى سنة ٧٤٧ هـ ، وأتم عمارته فى سنة ٧٤٨ هـ ؛ وقد سمّاه منشئة جامع النور ، كما ورد فى كتاب وقفه ، وفيما هو ثابت بالنقش فى اللوحة المثبتة على الجزء الذى خصّص لقبره فى عمارة إبراهيم أغا . وفى سنة ١٠٦١ هـ و ١٠٦٢ هـ ، أحدث إبراهيم أغا مستحفظان عمارة كبيرة بهذا الجامع ، عندما كان ناظراً عليه ، فغيّر فى عقود السقف التى كانت من الحجر ، واستبدل ما اختل منها بسقوف من الخشب ، وكسا الحائط الشرقى الذى فيه

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٠٧ ـ ١٠٨ (جامع أقسنقر) .

المحراب إلى السقف بالقاشانى الأزرق الجميل . ويوجد على يمين الداخل ، بمؤخرة الإيوان القبلى ، حجرة أنشأها إبراهيم أغا المذكور ، وكسا جدرانها بالقاشانى حتى السقف ، ويتوسطها قبر من الرخام ، أنشأه فى حياته سنة ١٠٦٤ هـ ثم دفن فيه بعد موته ؛ لذلك عرف هذا الجامع باسم ابراهيم أغا مستحفظان من ذلك الوقت ؛ ويُعرَف على ألسنة العامة ، وخاصة عند الزائرين الأجانب ، بالجامع الأزرق ، نسبة إلى مجموعة القاشانى العظيمة ذات اللون الأزرق ، الموجودة فيه .وفى سنة ١٣٠٧ هـ ، قامت إدارة حفظ الآثار العربية ، بإجراء عمارة بهذا الجامع ، فأصلحت العقود والقاشانى والمنبر الرخامى ورخام المحراب ، وأعادت بناء الدورة الثالثة للمئذنة بعد سقوطها ، وكشفت وجهات الجامع من الأبنية التى تحجبها حتى ظهر بمظهره الجميل . ومما يلفت النظر بهذا الجامع ، منبره الرخامى المزخرف بالنقوش ، ومئذنته التى تسترعى الأنظار بحسن رسمها ، وتناسق أجزائها . وقد لاحظت بعض أغلاط تاريخية فى كتب الخطط ، خاصة بهذا الجامع ، أهمها أن المقريزى لما أراد الترجمة لمنشئه ، أتى بترجمة آق سنقر السلرى المتوفى سنة ٧٤٤ هـ ، فى حين أن منشىء الجامع هو آق سنقر الناصرى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ » [1] ؛ ولهذا الجامع محراب من الرخام الدقيق ، يجاوره منبر من أجمل المنابر الرخامية ، كما أن مئذنته الإسطوانية من أرشق المنارات [2] .

جامع الإسماعيلى : سنة ٧٤٨ هـ ، أثر رقم ٢٥٣ ، بشارع الناصرية قال

(١) راجع محمد رمزى : النجوم ١ : ١٧٩ حاشيه (١) .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ٢٩ ؛ بين الآثار الإسلامية ص ١٥ ـ ١٦ ؛ تاريخ المساجد ١ : ١٥٢ ـ ١٥٥ ، ٢ : الصور رقم ٩٢ ـ ٩٧ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢٣٥ ـ ٢٤١ ولوحه ١٩٨ ـ ٢٠٢ .

عنه المقريزى : « أنشأه الأمير أرغون الإسماعيلى ، على البركة الناصرية ، فى شعبان سنة ٧٤٨ هـ » [١] . وهو الأمير أرغون الإسماعيلى الكاملى ، نائب مدينة حلب ودمشق ، وكان أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم آل إلى ابنه الملك الصالح إسماعيل ، فنُسِبَ إليه [٢] . وأفاد المقريزى أن حى الناصرية، نسبة إلى الميدان الناصرى ، الذى أنشأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٤ هـ [٣] ؛ وشارع الناصرية ، هو الذى يصل اليوم بين شارع مجلس الأمة ، وميدان السيدة زينب ، ويشغل حى الناصرية اليوم ، المساحة ما بين ميدان السيدة زينب وميدان لاظوغلى ، ويقع جامع أرغون شاه الإسماعيلى ، عند تقاطع شارع أرغون الإسماعيلى وشارع الناصرية [٤] . وثمة نقوش تاريخية تأسيسية بهذا الجامع ، على المنبر ، وعلى الباب فى الجهة الجنوبية لجدار القبلة مؤرخة سنة ٧٤٨ هـ ، نصها : « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ، الفقير إلى الله تعالى أرغون الإسماعيلى ، وكان الفراغ من ذلك فى شهر شعبان سنة ٧٤٨هـ » [٥] .

مدرسة قطلوبغا الذهبى : سنة ٧٤٨ هـ ، أثر رقم ٢٤٢ ، بسويقة العزّى (شارع سوق السلاح حالياً) بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة .

جامع شيخو : سنة ٧٥٠ هـ أو ٧٤٨ على التحقيق ، أثر رقم ١٤٧ ، بشارع الأمير شيخو ، الذى يصل شارع الصليبة الكائن بحى الخليفة ، بميدان

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ١٣٥ .
(٢) سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢٢٩ .
(٣) انظر المقريزى : الخطط ٣ : ٢٦٨ ؛ وراجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ١٩٤ ، حاشيه (١) و (٢) و٩ : ١٩٥ حاشيه (١) و (٢) .
(٤) معاينه شخصية .
(٥) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢٢٩ ـ ٢٣٤ ، ولوحه ١٩٤ ـ ١٩٧ .

صلاح الدين أو ميدان الرميلة ، أو ميدان المنشية ، الكائن تحت قلعة .

قال عنه المقريزى : أنشأه الأمير الكبير سيف الدين شيخو الناصرى ، رأس نوبة الأمراء فى سنة ٧٥٦ هـ ، ووفق بالناس فى العمل فيه ، وأعطاهم أجورهم، وجعل فيه خطبة ، وعشرين صوفياً ، وأقام الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الرومى الحنفى شيخهم ؛ ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع ، نقل حصور الأكمل والصوفية إليها ، وزاد عدتهم ؛ وهذا الجامع من أجلّ جوامع ديار مصر» [١] . أما ابو المحاسن ، فقد خالف المقريزى فى تاريخ إنشاء هذا الجامع ، فقال : « وفى هذه الأيام من سنة ٧٥٣ هـ ، رتّب الأمير شيخون فى الجامع الذى أنشأه ، العلامة أكمل الدين محمد الرومى الحنفى مدرساً ، وجعل خطيبه جمال الدين خليل بن عثمان الرومى الحنفى ، وجعل به درساً للملكية إيضاً ، وولى تدريسه نور الدين السخاوى المالكى ، وقرّر له ثلثمائة درهم كل شهر ؛ ورتّب به قرّاء ومؤذنين ، وغير ذلك من أرباب الوظائف ، وقرر لهم معاليم بلغت فى الشهر ثلاثة آلاف درهم . قلت : ذلك قبل أن يبنى الخانقاه تجاه الجامع المذكور » [٢] . وقد حقق محمد رمزى تاريخ إنشاء شيخولجامعه وخانقاته ، بقوله : « إن ما ذكره المقريزى من أن هذا الجامع أُنشئ فى سنة ٧٥٦ هـ ، لا يتفق والواقع ، فإن هذا التاريخ هو تاريخ بناء خانقاه شيخون ، الواقعة تجاه هذا الجامع ، وقول المقريزى : من أجل جوامع ديار مصر ، ينطبق كذلك على الخانقاه ، وليس على الجامع المذكور . وأما هذا الجامع ، فإنه أُنشئ فى سنة ٧٥٠ هـ ، ويؤيد ذلك أنه يوجد فى نهاية طراز الواجهة العمومية للمسجد ، كتابة مذكور فيها : (وكان الفراغ من ذلك الجامع ، فى شهر رمضان المعظم

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١١٣ ـ ١١٥ (جامع شيخو) .
(٢) ابو المحاسن : النجوم ١٠ : ٢٦٩ .

سنة خمسين وسبعمائة) . وفى سنة ٧٥٣ هـ ، رتّبَ فيه شيخون المدرسين كما ذكر أبو المحاسن بن تغرى بردى . وهذا الجامع لا يزال باقياً إلى اليوم ، تُقام فيه الشعائر الدينية ، ويعرف بجامع شيخون البحرى ، لوقوعه تجاه الخانقاه ، التى تُعرف اليوم بجامع شيخون القبلى ، ويفصل بينهما شارع شيخون ، بقسم الخليفة بالقاهرة » [1] . أما حسن عبد الوهاب ، فقد رجح نسبه جامع شيخون لعصر سلطنة المظفر حاجى ؛ فيقول : هذا الجامع أول منشآت الأمير شيخو فى هذه المنطقة ، وتاريخ البدء فيه غير معلوم ، وُجد نقش نص أن تاريخ الفراغ منه فى شهور رمضان سنة ٧٥٠ هـ ، وإنى ارجح أن البدء فى العمارة كان عام ٧٤٨ هـ ، فى آخر دولة الملك المظفر حاجى ، ويُعزّز هذا الرأى عندى ، وجود إسم الملك المُظفر ، على شباك من النحاس المُكفّت بالذهب والفضة . ويتميز هذا الأثر بمئذنتيه الشاهقتين [2] .

آثار الأمير شيخو : أفاد المقريزى أن نجم هذا الأمير بدأ يلمع فى سلطنة المظفر حاجى ، لذا سوف نترجم له ، ونتكلم عن بقية آثاره فى سياق واحد هنا. هو الأمير الكبير سيف الدين شيخو ، أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، حظى عند الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاوون ، وزادت وجاهته ... ؛ ثم أنه استقر فى أول دولة الملك الناصر حسن أحد أمراء المشهورة ، وفى آخر الأمر كانت القصص تُقرأ عليه بحضرة السلطان فى أيام الخدمة ، وصار زمام الدولة بيده فساسها أحسن سياسة .... ؛ وزادت عظمته ، وكثرت أمواله وأملاكه ومستأجراته ، حتى كاد يكاثر أموال البحر بما ملك ، وقيل له قارون عصره وعزيز

(١) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠ : ٢٦٩ حاشيه (١) .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٥٦ ـ ١٥٩ و ٢ : صوره رقم ٩٨ ـ ١٠١ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢٤٧ ـ ٢٥٨ ولوحة ٢٠٨ ـ ٢٢٤ و ٢٤١ .

مصره .... ؛ وجامعه هذا وخانقاهه التى بخط الصليبة ، لم يُعمّر مثلهما قبلهما، ولا عُمل فى الدولة التركية مثل أوقافهما ، وحُسن ترتيب المعاليم بهما ... ؛ مات ليلة الجمعة ١٦ ذى القعدة سنة ٧٥٨ هـ ، ودفن بالخانقاه الشيخونية ، وقبره بها يُقرأ عنده القرآن دائماً » [1] .

خانقاه وقُبة شيخو : سنة ٧٥٦ هـ ، أثر رقم ١٥٢ قال المقريزى « أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمرى فى سنة ٧٥٦ ... ؛ ورتّب بها دروساً عدّة ، منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة ، وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ، ودرساً للحديث النبوى ، ودرساً لإقراء القرآن بالروايات السبع ؛ وجعل لكل درس مدرساً ، وعنده جماعة من الطلبة ، وشرط عليهم حضور الدرس ، وحضور وظيفة التصوف ؛ وأقام شيخنا أكمل الدين محمد بن محمود فى مشيخة الخانقاة ومدرس الحنفية ، وجعل إليه النظر فى أوقاف الخانقاة؛ وقرّر فى تدريس الشافعية ، الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى ؛ وفى تدريس المالكية ، الشيخ خليلاً ، وهو متجند الشكل ، وله إقطاع فى الحلقة؛ وفى تدريس الحنابلة قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى ؛ ورتّب لكل من الطلبة فى اليوم ، الطعام واللحم والخبز ؛ وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون ؛ ووقف عليها الأوقاف الجليلة ، فعظم قدرها ، واشتهر فى الأقطار ذكرها ، وتخرج بها كثير من أهل العلم ، وأربت فى العمارة على كل وقف فى ديار مصر » [2] . وقال محمد رمزى عن هذه الخانقاه : إن الخانقاه كلمة فارسية ، معناها البيت ، ثم أُطلقت على المكان الذى يختلى فيه الصوفية للعبادة ، ثم على الملجأ ، أو مطعم الفقراء ؛ وكانت هذه الخانقاة فوق ذلك معهداً علمياً

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ١١٣ ـ ١١٥ (جامع شيخو) .
(٢) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٨٣ (خانقاه شيخو) ؛ وانظر ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ، حيث يذكر أن هذه الخانقاه كملت سنة ٧٥٥ هـ .

دينياً ؛ ولا تزال موجودة إلى اليوم ، إلا أنها مُخصَّصة للصلاة فقط ، باسم جامع شيخو القبلى ، تجاه جامعة البحرى ، وهما واقعان بشارع شيخون ، بقسم الخليفة بالقاهرة ؛ ومبنى الدور العلوى الذى كان مخصصاً لسُكنى الطلبة ، لا يزال موجوداً ايضا ، داخل الجامع المذكور ، إلا أنه غير مستعمل [1] . وكل خانقاه ، تشمل عادة على مسجد جامع للصلاة ، وعلى خلاوى ودور لسكنى الصوفية ؛ وتعد خانقاه شيخو من أكبر وأكمل الخوانق فى القاهرة ، فمسجدها الجامع لايزال عامراً بإقامة الشعائر الدينية ؛ والخلاوى ، ويعلوها مساكن الطلبة دورين ، لا تزال باقية ؛ تُشرف بشكلها المدرسى الجميل ، على صحن الجامع ، ولكنها مُعطلة الآن من السكنى والتدريس ؛ وفى هذه الخانقاة ، قبر منشئها رحمة الله [2] ؛ وهى من الآثار العظيمة الجميلة [3] .

سبيل شيخو: سنة ٧٥٥ هـ ، أثرقم ١٤٤ بسكة الحطابة بحى القلعة ، وهى الموصلة بين قلعة الجبل وجامع الرفاعى ، بميدان صلاح الدين . وصفه حسن عبد الوهاب ، بأنه سبيل جميل ، نادر المثال ، محفور فى الصخر [4] . ومن هذه المنشآت الخيرية الباقية لشيخو : السبيل والخانقاه والجامع ، تتكون مجموعة أثرية عظيمة ، أكسبت شارع الصليبة بحى الخليفة روعة وعظمة [5] .

ربع وحمّام شيخو : قال المقريزى عن خانقاه شيخو : « كانت مساحة أرضها زيادة على فدّان ، فاختط فيها الخانقاه ، وحمّامين ، وعدّة حوانيت ،

(١) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٧ : ١٣١ حاشيه (٦) و٩ : ٩٥ حاشيه (١) .
(٢) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠ : ٣٠٣ حاشيه (٢) و ١٢ : ٦٣ حاشيه (١) .
(٣) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢٥٩ ـ ٢٦٦ ولوحه ٢٢٥ ـ ٢٣٤ و ٢٣٦ ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٥٦ .
(٤) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٥٦ .
(٥) نفس المرجع والمكان .

يعلوها بيوت لسُكنى العامّة » [1] . وقال محمد رمزى : الربع : بفتح الرّاء المُشدّدة ، هو عِدّة مساكن عُلوية ، تحتها حوانيت (دكاكين) ووكائل للتجارة ، وكل ربع يتصل مباشرة بسلم داخل وجهة البناء المُشرفة على الطريق العام ، وبواسطته يصعد السكان إلى الربع ، المُخصصة لسُكنى العامة ، بالأجرة الشهرية ، ومن المعاينة ، تبين لى أن هذا الربع ، كان واقعاً بجوار الخانقاه من الجهة الغربية ، وقد هُدم وزال أثره ، وجُعل بابه الذى كان بشارع شيخون ، دُكاناً ضمن الدكاكين التى تجددت فى مكان الحوانيت القديمة ، التى كانت أسفل الربع المذكور . وبمعاينة هذين الحمّامين ، تبيّن لى أنهما كانا متجاورين ، ولهما مستوقد واحد ، وكان أحدهما خاص للرجال ، والثانى خاص للنساء ؛ وأن حمّام الرجال لا يزال باقياً وعامراً إلى اليوم ، ويُعرف بحمام الصليبة ، لقربه منها ؛ ويقع بابه بين الدكاكين الواقعة غربى الخانقاه ، بشارع شيخون ، ويُستعمل الآن للرجال والنساء ، فتكل جنس ساعات معينة لاستحمامه ؛ وأما حمام النساء ، فقد كان بابه بشارع الرُكبية ، وقد هُدم بسبب توسيع شارع الركبية ، ومابقى من أرضية ، أُقيم عليه الدكاكين القائمة الآن ، بأول شارع الركبية ، على يسار الداخل فيه ، من جهة الصليبة [2] .

*

ويُنسب إلى **عصر السلطنة الأولى للسلطان الناصرحسن بن محمد بن قلاوون** (الذى استمر من سنة ٧٤٨ ـ ٧٥٢ هـ ، أى أربع سنوات) خمسة آثار ، هى قُبّة ومدرسة خوندتتر الحجازية ؛ وجامع الأمير مُنجك السلحدار ، وبقايا

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٨٣ .
(٢) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠ : ٣٠٣ حاشيه (١) و (٣) و ١٠ : ٣٠٤ حاشيه (١) .

المدرسة الخروبية [1] ، سنة ٧٥٠ هـ ، أثر رقم ٥٢٣ ؛ وقُبة أولاد الأسياد ، منتصف القرن الثامن الهجرى ، أثر رقم ٢١٥ ؛ رقاعة مُحبّ الدين ، سنة ٧٥١هـ ، أثر رقم ٥٠ .

مدرسة وقُبّة خوند تتر الحجازية : سنة ٧٤٨ هـ و ٧٦١ هـ ، أثر رقم ٣٦ ، بعطفة القصّاصين ، من شارع حبس الرحبة ، بقسم الجمالية . قال المقريزى : أنشأتها الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ، ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وزوجة الأمير بكتمر الحجازى ويه عُرفت ؛ وجعلت بهذه المدرسة درساً للفقهاء الشافعية ، قرّرتْ فيه شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البقينى ، ودرساً للفقهاء المالكية ؛ وجعلت بها منبراً يُخطب عليه يوم الجمعة ، ورتّبتْ لها إماماً راتباً يقيم بالناس الصلوات الخمس ؛ وجعلت بها خزانة كتب ؛ وأنشأت بجوارها قُبّة من داخلها لتُدفَنَ تحتها ، ورتّبتْ بشباك هذه القُبّة عدّة قُرّاء ، يتناوبون قراءة القرآن الكريم ليلاً ونهاراً ، وأنشأت به مناراً عالياً من حجارة ، ليُؤذَّن عليه . وجلت بجوار المدرسة مكتباً للسبيل ، فيه عدّة من أيتام المسلمين ، ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم ؛ ويجرى عليهم فى كل يوم ، لكل منهم ، من الخبز النقى خمسة أرغفه ، ومبلغ من الفلوس ، ويُقام لكل منهم بكسوتى الشتاء والصيف ؛ وجعلت على هذه الجهات عدّة أوقاف جليلة ، يصرف منها لأرباب الوظائف المعاليم السنية ؛ وكان يُفرّق فيهم فى كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكنانك ، وفى عيد الأضحى اللحم ، وفى شهر

(١) سماها المقريزى : الخانقاه الخروبية ، وأفاد أنها بساحل الجيزة ، تجاه المقياس ؛ كانت منظرة من أعظم الدود وأحسنها ، أنشأها زكى الدين ابو بكر بن على الخروبى كبير التجار ، وتوارثها اولاده ، فلما نزل بها السلطان المؤيد شيخ سنة ٨٢٢هـ ، جعلها خانقاه ، بعد أن اشتراها من أصحابها ، انظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٩٢ .

رمضان يُطبخ لهم الطعام ... وكان إنشاؤها سنة ٧٦١ هـ .... ؛ وهى من أبهج مدارس القاهرة إلى الآن » [1] ؛ وهى لا تزال قائمة إلى اليوم ، وتعرف بجامع الحجازية [2] .

جامع مُنجك اليوسفى : سنة ٧٥٠ هـ ، أثر رقم ١٣٨ ، بسكة الحطابه ، بقلعة الجبل . قال عنه المقريزى : « هذا الجامع يعرف موضعه بالثغرة ، تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير ، أنشأه الأمير سيف الدين منجك اليوسفى ، فى مُدّة وزارته بديار مصر فى سنة ٧٥١ هـ ؛ رصنع فيه صهريجاً ، فصار يُعرف إلى اليوم بصهريج * منجك ؛ ورتب فيه صوفية ، وقرّر لهم فى كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً ، وفى كل شهر معلوماً ؛ وجعل فيه منبراً ، ورتب فيه خطيباً يصلى بالناس فيه الجمعة ، وجعل على هذا الموضع عِدّة أوقاف » [3] .

ويقول محمد رمزى : إن هذا الجامع لا يزال قائماً عامراً بإقامة الشعائر الدينية فيه ، ويسميه العامة جامع المنشكية ، وهو داخل درب المنشكية ، المتفرع من شارع باب الوداع ، بحرى قلعة الجبل بالقاهرة . والظاهر أن الأمير منجك بدأ فى عمارة هذا الجامع فى سنة ٧٥٠ هـ ، بدليل إثبات هذا التاريخ على باب المنبر ، ثم أتمّ عمارته فى سنة ٧٥١ هـ ، كما ذكر المقريزى ؛ ومئذنة هذا المسجد ، من المآذن التى تسترعى الأنظار بزخارفها وجمال شكلها ، وكان الجزء العلوى منها قد تهدّم ، فأعادت إدارة حفظ الآثار العربية بناءه فى سنة ١٩٤١م ، فعادت المأذنة كما كانت ؛ وبهذا الجامع منبر جميل دقيق الصنع ،

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ (المدرسة الحجازية) .
(٢) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٣٨ ، حاشيه (١) .
(٣) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٢٤ ـ ١٣٠ (جامع منجك) .
* أفاد محمد رمزى أن المقصود بالصهريج هنا ، خزان للمياه .

قامت إدارة حفظ الآثار بإصلاح ما تلف من حشواته الدقيقة فى سنة ١٩٤٤ م ، فعاد للمنبر رونقه الجميل [١] .

خانقاه منجك : قال محمد رمزى : إن الخانقاه قد خُرِّبت ، ولم يبق من مبانيها الا المئذنة ، التى لا تزال قائمة وحدها إلى اليوم ، أمام باب الجامع [٢] .

قصر منجك : سنة ٧٤٧ ـ ٧٤٨ هـ ، أثر رقم ٢٤٧ . ترجم ابو المحاسن لصاحب هذه الآثار ، فقال : الأمير الكبير سيف الدين مَنْجَك بن عبد الله اليوسفى الناصرى ، أتابك العساكر ، ونائب السلطنة الشريفة بالديار المصرية ؛ وكان إبتداء أمره وظهور إسمه من سلطنة الملك الناصر أحمد بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، وهلُمَّ جرًّا إلى يومنا هذا ، حتى أنه لم يذكر سلطانٌ بعد موت محمد بن قلاوون ، إلا ومنجك هذا له فيه أمر وذكر وواقعة ، وقد طالت أيامه فى السعادة ، على أنه قاسى فيها خطوباً ... ؛ وأمّا ما عمّره من المساجد والجوامع والمآثر ، فقد ذكرنا ذلك كله فى ترجمته فى المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، فلينظر هناك ؛ توفى سنة ٧٧٦ هـ ، بداره من القاهرة ،بالقرب من سويقة العزّى ، الملاصقة لمدرسة السلطان حسن ، ودفن بتربته التى أنشأها عند جامعة وخانقاته ، خارج باب الوزير ، بالقرب من قلعة الجبل ؛ وكانت جنازته مشهوده ،وكان عمره يوم مات ، بضعاً وستين سنة [٣] و أفاد المقريزى أن منجك استقر وزيراً واستاداراً سنة ٧٤٨هـ فى سلطنة الناصر حسن [٤] ، واختتم

(١) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهره ١٠ : ٢٦٣ حاشيه (٢) .

(٢) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهره ١١ : ١٣٣ حاشيه (٥) ، و ١٠ : ٢٦٣ حاشيه (٢) .

(٣) أنظر ابو المحاسن : النجوم ١١ : ١٣٣ ـ ١٣٤ ؛ وذكر محمد رمزى أن ترجمته فى المنهل الصافى كلها محاسن ؛ قلت : وكذلك يستفاد ممن ترجمته فى خطط المقريزى ٤ : ١٢٤ ـ ١٣٠ ، أنه كان من المصلحين .

ترجمته بقوله : وله سوى الجامع المذكور من الآثار بديار مصر ، خان منجك فى القاهرة ودار منجك برأس سويقة العزّى بالقرب من مدرسة السلطان حسن ؛ وله بالبلاد الشامية عدّة آثار ، من خانات وغيرها ، رحمه الله » [١] وسويقه العزى وتعرف اليوم بشارع سوق السلاح ، ويقع قصر منجك بأول هذا الشارع ، من جهة شارع محمد على (ميدان صلاح الدين) ؛ وقد خُرِّبت هذ الدر ، ولم يبق منها إلى اليوم إلا بوابتها التى من الحجر ، وبداخلها رنك (شعار) منشئها ، (السيف) منقوش فى الحجر ، ثم بقايا من عقود الدار ، من الجانب البحرى للبوّابة ، ومكتوب حول القبو المغطى للمدخل ، إسم المنشئ وألقابه [٢] .

*

ويقى من عصر سلطنة **الملك الصالح صالح بن محمد ابن قلاوون**(حكم من سنة ٧٥٢ ـ ٧٥٥ هـ) ، أثر واحد هو :

قصر الأمير طاز : سنة ٧٥٣ هـ ، أثر رقم ٢٦٧ ، بشارع السيوفية الكائن بحى الخليفة ، وهو امتداد شارع الحلمية الكائن بحى الدرب الأحمر ، وهذا القصر لصق قبة وخانقاه الأمير أيدكين البندقدارى ؛ سماه المقريزى (دار طاز) ، وقال عنها : « أنشأها الأمير سيف الدين طاز فى سنة ٧٥٣ هـ ... ، وتولى الأمير مُنجك عمارتها ، وصار يقف عليها بنفسه حتى كملت ، فجاءت

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ١٣٠ .

(٢) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١١ : ١٣٣ ، حاشيه (٤) ؛ حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٥٧ ؛ ولازال ضهريج منجك الذى بجامعه قائماً إلى اليوم ، راجع محمد رمزى : النجوم الزاهره ١٠ : ٢١٧ حاشية (٢) ؛ وعن مكان تربه منجك ، التى لا تزال باقيه إلى اليوم ، وفيها قبر صاحبها ، بجوار جامعه راجع محمد رمزى : النجوم ١١ : ١٣٣ حاشيه (٥) .

قصراً مُشيداً ، واصطبلاً كبيراً ، وهي باقية إلى يومنا هذا ، يسكنها الأُمراء ؛ وفي يوم السبت ١٧ جمادى الآخر سنة ٧٥٤ هـ عمل الأمير طاز في هذه الدار وليمة عظيمة ، حضرها السلطان الملك الصالح صالح ، وجميع الأُمراء ؛ فلما كان وقت انصرافهم ، قدّم الأمير طاز للسلطان أربعة أفراس بسروج ذهب وكنابيش ذهب ، وقدّم للأمير سنجر فرسين كذلك ، وللأمير صرغتمش فرسين ، ولكل واحد من أُمراء الألوف فرساً كذلك ؛ ولم يُعْهَدْ قبل هذا ، أن أحداً من ملوك الأتراك ، نزل إلى بيت أمير ، قبل الصالح هذا ، وكان يوماً مذكوراً » [1] .

ثم ترجم المقريزي لمنشئ هذه الدار ، فقال : الأمير سيف الدين ، أمير مجلس ، اشتهر ذكره في أيام الملك الصالح إسماعيل ، ولم يزل أميراً إلى أن خلع الملك الكامل شعبان ، وأقيم المظفر حاجي ؛ وهو أحد الأمراء الستة أرباب الحلّ والعقد ؛ فلما خلع الملك المظفر ، وأقيم الملك الناصر حسن ، زادت وجاهته وحرمته » [2] . وقد أفاد المقريزي أن الأمير طاز قد وُلّي نيابة حلب سنة ٧٥٥ هـ ، في أول السلطنة الثانية للناصر حسن ، ولم يذكر تاريخ وفاته ؛ ويقول محمد رمزي عن هذه الدار : هي لا تزال باقية إلى اليوم ، وتعرف باسم مدرسة السيوفية ، وبها اليوم من مبانيها الأصلية ، بابها الكبير بشارع السيوفية ، وبابها الشرقي الصغير بدرب الشيخ خليل (حارة الميضة) ، بدهليزه وحواصله السفلية ، وبها بالدور العلوي قاعة كبيرة مزخرفة ، تشرف بوجهتها البحرية على حوش الدار ، وبجوارها قاعة صغيرة ؛ كذلك بالدور الثالث قاعة صغيرة من البناء

(١) أنظر المقريزي : الخطط ٣ : ١١٩ (دار طاز) ؛ ابو المحاسن : النجوم ١٠ : ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ؛ حيث يذكر أن طاز شرع في عمارة قصره واصطبله سنة ٧٥٣هـ ، وتولى عمارته الأمير منجك ، وحمل إليه الأمراء وغيرهم من الرخام وآلات العمارة شيئاً كثيراً .

(٢) نفس المصدر ٣ : ١١٩ .

الأصلي لهذه الدار [1] .

*

وتميز **عصر السلطنة الثانية للملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاون** (٧٥٥ ـ ٧٦٢ هـ) ، بإنشاء أضخم وأهم أثر أُنشئ في العصر المماليكي قاطبة ، وفي تاريخ مصر الإسلامية كلها ، وهو مدرسة وجامع السلطان حسن ؛ كذلك يرجع إلى هذا العصر المدرسة الصرغمشية ، وهي من آثار العصر المماليكي الهامة ؛ ومسجد وخانقاه نظام الدين ، سنة ٧٥٧ هـ ، وهو الأثر رقم ١٤٠ ، بسكة الحطّابة ، بالقرب من قلعة الجبل ؛ وقُبة تنكزبغا ، حوالي سنة ٧٦٠ هـ ، أثر رقم ٢٩٨ ، بالقرافة القبلية ؛ ومدرسة بشير أغا الجمدار [2] ، حوالي سنة ٧٦١ هـ ، أثر رقم ٢٦٩ ، بشارع نور الظلام ، بمنطقة الحوض المرصود ، بحي طالون ، بالقرب من الحلمية ، بين قسم السيدة زينب وقسم الدرب الأحمر .

(١) محمد رمزي : النجوم الزاهرة ١٠ : ٢٦٥ حاشيه (١) ؛ حيث يُضيف أنه في سنة ١٠٨٨ هـ ، أجرى الأمير علي أغا دار السعادة عمارة كبرى في هذه الدار ؛ وفي زمن محمد علي جعلت مخزناً للمهمات الحربية ، وفي سنة ١٨٧٢ هـ ، صدرت إرادة سنية من الخديوي اسماعيل بفتح مدرسة للبنات ، فاستؤجرت هذه الدار ، وجعلت لهذه المدرسة ، التي عرفت بمدرسة البنات بالسيوفية ، وبدأت الدراسة بها سنة ١٨٧٣م ، وهي أول مدرسة فتحت بمصر لتعليم البنات ، ولما نقلت هذه المدرسة من هذه الدار إلى شارع المبتديان ، سميت بمدرسة السنية ، ولاتزال قائمة إلى اليوم بهذا الإسم ؛ وتشغله اليوم مدرسة الحلمية الثانوية للبنين من سنة ١٩٣٤م . وأفاد محمد رمزي ، أنه لايزال متبقياً إلى اليوم في نهاية الوجهة البحرية لقصر طاز من الجهة القبلية السبيل ومكتب تعليم الأيتام القرآن ، الذي زاده الأمير علي أغادار السعادة عند عمارته لهذا القصر .

(٢) ذكرها المقريزي في الخطط ٤ : ٢٤٨ باسم المدرسة البشرية ، أنشأها الأمير سعد الدين بشير الجمدار الناصري سنة ٧٦١ هـ .

جامع ومدرسة السلطان حسن : سنة ٧٥٧ هـ ـ ٧٦٤ هـ ، أثر رقم ١٣٣ ، بآخر شارع محمد على (القلعة) . من ناحية ميدان صلاح الدين ، تجاه باب العزب من قلعة الجبل . قال عنه المقريزى : « هذا الجامع يعرف بمدرسة السلطان حسن ... ؛ إبتدأ السلطان فى عمارته فى سنة ٧٥٧ هـ ، وأرسع دوره ، وعمله فى أكبر قالب ، وأحسن هندام ، وأضخم شكل ؛ فلا يعرف فى بلاد الإسلام ، معبد من معابد المسلمين ، يحاكى هذا الجامع ؛ أقامت العمارة فيه مدّة ثلاث سنين ، لا تبطل يوماً واحداً ؛ وأرصد لمصروفها فى كل يوم ، عشرون ألف درهم ، عنها (أى تساوى) نحو ألف مثقال ذهباً . ولقد أخبرنى الطواشى مُقبل الشامى ، أنه سمع السلطان حسناً يقول : أنصرف على القالب ، الذى بنى عليه عقد الإيوان الكبير ، مائة ألف درهم نقره ؛ وهذا القالب عارمى على الكيمان ، بعد فراغ العقد المذكور . قال : سمعت السلطان يقول : لولا أن يقال : ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لشركت بناء هذا الجامع ، من كثرة ما صُرف عليه . وفى هذا الجامع عجائب من البنيان ، منها : أن ذراع إيوانه الكبير ، خمسة وستون ذراعاً فى مثلها ، ويُقال أنه أكبر من إيوان كسرى الذى بالمدائن من العراق بخمسة أذرع ؛ ومنها القُبّة العظيمة ، التى لم يُبنَ بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها ؛ ومنها المنبر الرخام الذى لا نظير له ؛ ومنها البوابة العظيمة ؛ ومنها المدارس الأربع التى بدور قاعة الجامع ؛ إلى غير ذلك » [1] . ويقول عنه المؤرخ ابن تغرى بردى : « إن هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها ، من عجائب الدنيا ، وهى أحسن بناء بُنى فى الإسلام » [2] .

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١١٧ ـ ١٢٠ (جامع الملك الناصر حسن) .
(٢) أنظر ابو المحاسن : النجوم الزاهره ٩ : ١٢٣ و ١٠ : ٣١٥ و ١٢ : ٣٠٤ .

ويرى حسن عبد الوهاب أنه إن حقّ لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها ، فإن لمصر الإسلامية أن تتيه عجباً بمدرسة السلطان حسن ، التى لا يعدلها بناء آخر فى الشرق بأجمعه ؛ فقد جُمعَتْ شتى الفنون فيها [1] ؛ ووصفها محمد رمزى بأنها وأفخم مساجد مصر طُرّاً [2] ، وانها امتازت بضخامة عقد إيوانها الشرقى ، الذى لا نظير له فى العمارة الإسلامية ؛ وأنها من مفاخر العمارة الإسلامية [3] .

وقدم لنا محمد رمزى ،وصفاً أثرياً معمارياً دقيقاً ، لهذا الأثر الإسلامى العظيم ، أوضح دلالاته الحضارية ؛ قال فيه : « هو أضخم مساجد مصر عمارة وأعلاها بنياناً ، وأكثرها فخامة ، وأحسنها شكلاً ، وأجمعها لمحاسن العمارة ، وأدلها على عظم الهمّة ، وغاية العناية التى بُذلَتْ فى إنشائه ؛ طوله ١٥٠ متراً ، وعرضه ٦٨ متراً ، ومساحته ٧٩٠٦ متر مربع ، وارتفاعه عند بابه ٣٧,٧٠ متراً؛ وعلى جوانب صحن الجامع أربعة إيوانات ، مُعدّة لإقامة الشعائر الدينية ؛ وفى كل زاوية من زواياه ، باب يوصّل إلى إحدى المدارس الأربع ، التى شيدها منشئ الجامع ، ليُدرس فى كل مدرسة منها ، مذهب من المذاهب الأربعة؛وإيوانه الشرقى من أكبر الإيوانات ، سقفه معقود عقد ستينياً ، فوق نصف الدائرة ، وهو أكبر عقد بُنى على إيوان بمصر ؛ والثلاثة الإيوانات الأخرى ، سقف كل واحد منها ، على شكل نصف إسطوانه من الحجر ، ومساحتها متقاربة ؛ وفى وسط الإيوان الشرقى ، محراب جميل ؛ وعلى يمينه منبر من الرخام الأبيض ؛ وبجانبى القبلة التى فى الوجهة الشرقية ، بابان يوصلان إلى القُبّة العظيمة ،

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٦٦ ؛ ومحمد رمزى : النجوم ١٢ : ٣٠٤ حاشيه (٢) .
(٢) محمد رمزى : النجوم ١٠ ٣١٥ حاشيه (١)
(٣) محمد رمزى : النجوم ١٢ ٣٠٤ حاشيه (٢)

مساحتها ٧٥١ متراً مربعاً ، وارتفاع جدرانها ٢٠ر٣٠ متراً إلى ميدأ القبة ، التى تبلغ ذروتها ٤٨ متراً ؛ وبالجانب القبلى الشرقى ، المنارتان العظيمتان ، التى يبلغ ارتفاع كبراهما ٦٠ر٨١ متراً . وبالجملة ، فإن هذا الجامع من أحسن الآثار العربية ؛ فإن جميع الزخارف ، وآثار الصناعة ، التى فى داخل المسجد وخارجه ، تسترعى النظر ؛ وخاصة باب الدخول العام ، وهو أفخم مدخل فى آثار مصر ، والوجهة القبلية الشرقية التى تعلوها المنارتان ، والرفرف الكبير المركب من ستة مداميك مقرنصات ، والعلو الشامخ فى سائر الواجهات ، مع ما فيها من نوافذ على ثمانى طبقات ؛ وهو من أهم الجوامع التى يعنى بزيارتها السائحون [1] .

وكان البدء فى إنشاء هذه المدرسة سنة ٧٥٧ هـ وصُرف عليها بسخاء عظيم ، واحتفل باقتتاحها قبل الفراغ من بنائها ، وذلك فى سنة ٧٦٠ هـ ؛ ورغم أن الأمير يشبر الجمدار ، قام بأعمال تكملية فى المدرسة ، بعد وفاة السلطان حسن سنة ٧٦٢ هـ ، فإن الكثير من رخامها وزخارفها لم يتم إلى الآن، كما يبدو فى المدخل العام . وبوسط القبّة قبر ، دُفن فيه الشهاب أحمد بن السلطان حسن المتوفى سنة ٧٨٨ هـ ؛ أما السلطان حسن ، فلم يُدفن بها ، ولم يُعرف له قبر [2] . وروى الإسحاقى فى تاريخه ، أنه لما دخل السلطان سليم الأول العثمانى مصر ، وزار المدارس والمساجد ، قال عن مدرسة السلطان حسن : هذا حصار عظيم ، وقال عن مدرسة السلطان المؤيد شيخ المحمودى : هذه عمارة

(١) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ١٢٣ حاشية (١) ؛ وقارن أيضاً حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص٨ .

(٢) راجع تاريخها بإسهاب عند حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وماحوله ص٨ ـ ٢٤ و تاريخ المساجد الأثرية ١ : ١٦٥ ـ ١٨١ ؛ وراجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٢ : ٣٠٤ حاشيه (٢) ؛ وانظر السخاوى : التبر المسبوك ص٢٥١ .

المنوك ، وعن مدرسة الغورى : هذه قاعة تاجر [1] . وظلت مدرسة السلطان حسن مدرسة لطلاب العلم ، لعهد صاحب واقعة الشاركسة ، أى حوالى سنة ١١٢٣ هـ [2] .

أما عن نظام المدارس التى إشتملت عليها هذه المدرسة العظيمة ؛ فقد قرّر السلطان حسن قبل وفاته لهذه المدارس مُدرّسين ومراقبين ، وعيّن لهم المرتبات ؛ وقرر لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخاً ومائة طالب ، من كل فرقة خمسة وعشرون متقدماً وثلاثة معيدون ؛ وعين مدرساً لتفسير القرآن ، وعين معه ثلاثين طالباً عهد إلى بعضهم أن يقوموا بالملاحظة ؛ وعين مدرساً للحديث النبوى وثلاثين طالباً يحضرون يومياً ، عهد إلى بعضهم أن يقوموا بوظيفة النقيب ، والبعض الآخر يقوم بوظيفة داع للسلطان عقب الدرس .وعيّن بالإيوان القبلى شيخاً عالماً مُفتياً ورتّب معه مقرئاً جيداً للقراءة على أن يحضر أربعة أيام من كل أسبوع ، منها يوم الجمعة ، فيقرأ المقرئ ما تيسر من القرآن وما تيسر من الحديث الشريف ؛ وعين مدرساً حافظاً لكتاب الله عالماً بالقراءات السبع ، ليجلس كل يوم ما بين صلاة الصبح والزوال بالإيوان القبلى ، وقارئاً آخر يجلس معه ليلقن القرآن لمن يحضر عنده ؛ ثم عيّن اثنين لمراقبة الحضور والغياب ، أحدهما بالليل والآخر بالنهار ؛ وأعدّ مكتبة عيّن لها أميناً ؛ والحق بالمدرسة مكتبين بمدرسيهما، لتعليم الأيتام القرآن والخط ، وقرر لهم الكسوة والطعام؛ فكان إذا أتمّ اليتيم القرآن حفظاً ، يُعطى خمسين درهماً ويمنح مؤدبه خمسين درهماً مكافأة له . وعيّن طبيبين مسلمين ، أحدهماباطنى والآخر للعيون ، يحضر كل منهما كل يوم بالمسجد ليداوى من يحتاج إلى علاج من الموظفين والطلبة ، ورتب طبيبا ثالثاً

(١) الإسحاقى : تاريخ الإسحاقى ، طبع حجر ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .
(٢) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٠ : ٣١٥ حاشيه (١) .

جراحاً . وقد أرصد فى وقفيته مرتبات الأساتذة والطلبة والموظفين ، وقيمة ما يصرف لهم من المأكل كل ليلة جمعة ، وما يصرف لهم فى الأعياد [1] . وهكذا كانت هذه المدارس ، كخلية نحل ، زاخرة بالعلم والفضل .

وقد عُنى المؤرخون والرحالة والأثريون ، بوصف هذه المدرسة ، والإشادة بروعة عمارتها وجمال زخرفها وفخامتها منذ العصر المماليكى ، وحتى عصرنا الحديث [2] ؛ كذلك أشاد المؤرخون بسيرة منشئها السلطان حسن ؛ فيقول عنه المقريزى : كان ملكاً حازماً شجاعاً ، صاحب حرمة وافره ، وكلمة نافذة ، ودين متين ، وكان أشقر أنمش ، لم يكن قبله ولا بعده فى الدولة التركية مثله ؛ توفى وله من العمر بضع وعشرين سنة [3] ؛ وكان مجمعاً على الإشتغال بالعلم ، وكتب بخطه نسخة من كتاب دلائل النبوة للبيهقى [4] .

مدرسة صرغتمش : سنة ٧٥٧ هـ ، أثر رقم ٢١٨ ، بشارع الخضيرى ، بمنطقة قلعة الكبش ، الواقعة بين حى السيدة زينب وحى الخليفة ، وهذه المدرسة لصق الجامع الطولونى . ذكر المقريزى أن منشئها هو الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى رأس نوبة النوب ، ابتدأ فى بنائها فى شهر رمضان سنة ٧٥٦ هـ ، وانتهت فى جمادى الأولى سنة ٧٥٧ هـ ؛ وقد جاءت من

(١) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص ٢١ ـ ٢٢ .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٦٥ ـ ١٨١ و٢ : صورة ١٠٦ ـ ١١٤ ؛ بين الآثار الإسلامية ص١٦ ـ ١٧ ؛ الآثار الإسلامية بمصر ص٨ ـ ٩ ؛ جامع السلطان حسن وما حوله ص٧ ـ ٢٤ ؛ محمود أحمد : بيان تاريخى عن مسجد السلطان حسن ، وشرح ميزاته الفنية ، مطبعة وزارة الأوقاف ، ١٩٣٥م ، ٩ لوحات ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢٧٦ ـ ٢٩٠ ، لوحه ٢٤٣ ـ ٢٥٣ .
(٣) المقريزى : الخطط ٤ : ١٢٠ .
(٤) نفس المصدر ٤ : ١١٩ ، ١٥ ـ ١٧ .

أبدع المبانى وأجلها ، وأحسنها قالباً ، وأبهجها منظراً ؛ فركب الأمير صرغتمش فى يوم الثلاثاء تاسعة ، وحضر إليه الأمير سيف الدين شيخو العمرى مُدبِّر الدولة ، والأمير طاشتمر القاسمى حاجب الحُجّاب ، والأمير توقتاى الدوادار ، وعامة أمراء الدولة وقضاة القضاة الأربعة ومشايخ العلم ؛ ورتب مدرس الفقه بها قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر العميد بن العميد أمير غازى الإقفانى ، فألقى القوام الدرس ؛ ثم مُدّ سماط جليل ، بالهمة المملوكية ، وملئت البركة التى بها سكراً قد أُذيب بالماء ، فأكل الناس وشربوا ، وأبيح ما بقى من ذلك للعامة فانتهبوه . وجعل الأمير صرغتمش هذه المدرسة وقفاً على الفقهاء الحنفية الآفاقية (أى القادمين من شتى الآفاق) ، ورتب بها درساً للحديث النبوى ، وأجرى لهم جميعاً المعاليم ، من وقف رتبه لهم ؛ وقال أدباء العصر فيها شعراً كثيراً [1] ؛ وكانت هذه المدرسة معقلاً لعلماء الحنفية ، فى القرنين الثامن والتاسع الهجرى [2] . وهى لا تزال باقية ببديع مبانيها ، ومذكور على كتفى باب هذه المدرسة ، أن بناءها تم فى ربيع الآخر سنة ٧٥٧ هـ ، وقال المقريزى إنه تم فى جمادى الأولى سنة ٧٥٧ هـ ، والفرق بسيط لأن الشهرين متصل بعضهما ببعض . وقد قامت إدارة حفظ الآثار الإسلامية ، بإجراء عدّة ترميمات وإصلاحات عظيمة ، فيما تهدم من بناء هذه المدرسة ؛ منها إعادة مئذنتها إلى حالتها الأولى ، وبناء القبة التى فوق الإيوان الشرقى الذى به المحراب ، طبق طرازها الأصلى ؛ وبهذه المدرسة قبر منشئها ، تحت القبة الثانية الغربية ، وعليه تركيبة من الرخام ، مزخرفة بنقوش فارسية [3] ؛ وهى تتميز بمقارنها الرشيقة ،

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٣٥٦ ـ ٣٥٨ . (المدرسة الصرغتمشية) .
(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٦١ .
(٣) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١ : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

وقيتها الفارسية [1] . ومؤسسها الأمير سيف الدين صرغمتش الناصرى ، من مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، عينه جمدداراً ، وفى دولة الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاوون بدأ نجمه يتلألأ ، وظل يترقى حتى عين أميراً للطبلخانة ، وفى سنة ٧٥٢ هـ رقى إلى رأس نوبة كبير ، ثم زاد نفوذه وتصرفه فى دولة الصالح صالح ، وانفرد بتدبير شئون الدولة بعد الأمير شيخو ؛ وكان أميراً حازماً ، يقرأ القرآن الكريم ، ويشارك فى الفقه على مذهب الحنفيـــة ، ويشدو طرفاً من النحو ، ويشتغل بالعلم [2] .

*

ووصل إلينا من **عصر سلطنة الملك المنصور محمد بن حاجى بن محمد بن قلاوون** (٧٦٢ هـ ـ ٧٦٤ هـ) ، الذى استمر نحو سنتين ، أثران ، وهما : **مدرسة الأمير سابق الدين مثقال** ، سنة ٧٦٣ هـ ، أثر رقم ٤٥ ، بدرب قرمز ، المتفرع من شارع بين القصرين (المعز لدين الله) بحى الجمالية؛ وقبة الأمير تنكز بغا سنة ٧٦٤ هـ ، أثر رقم ٨٥ ، بالقرافة القبلية بصحراء السيوطى [3] . ولقد أرخ المقريزى للأثر الأول منها ، وسماه المدرسة السابقية ، وقال : بناها الطواشى سابق الدين مثقال الأنوكى ، مقدم المماليك السلطانية الأشرفية ، وجعل بها درساً للفقهاء الشافعية ، وقرر فى تدريسه شيخنا شيخ الشيوخ سراج الدين عمر بن على الأنصارى المعروف بابن الملقن الشافعى ،

(١) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٦٠ ـ ١٦٤ و٢ : صورة رقم ١٠٢ ـ ١٠٥ ؛ الآثار الإسلامية بمصر ص٥ ـ ٦ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢٦٧ ـ ٢٧٥ ولوحه ٢٣٥ ـ ٢٤٠ .

(٢) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ؛ حسن عبد الوهاب المساجد ١ : ١٦٠ .

(٣) حسن عبد الوهاب : التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر لوحه ٦٩ .

وجعل فيها تصدير قراءات ، وخزانة كتب ، وكتاباً يقرأ فيه أيتام المسلمين ، وحوض ماء للسبيل . ثم ذكر وفاه منشئها سنة ٧٧٦ هـ [1] ، وقد وصف علماء الآثار هذه المدرسة ، من الناحية الأثرية والمعمارية [2] .

*

وشأن عصر السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، فى العناية بالعمارة والعلم ؛ تمييز أيضاً عصر ابن أخيه ، **السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون** ، (من سنة ٧٦٤ ـ ٧٧٨ هـ = حكم ١٤ سنة) ، الذى أنشئت فيه عدّة مدارس كبيرة هامة ، إحداها مدرسة عظيمة اندثرت وزال أثرها للأسف الشديد ، — وهى المدرسة التى أنشأها السلطان شعبان نفسه ، بمنطقة الصوه بقلعة الجبل ، وضاهى بها المؤرخ ابو المحاسن بن تغرى بردى ، مدرسة عمه السلطان حسن ، واحتفظ لنا المقريزى ببيان واف عن ذخائر كتبها ، التى آلت فيما بعد إلى المدرسة التى أنشأها الأمير جمال الدين الإستادار سنة ٨١٠ هـ ، وهى لا تزال باقية إلى يوم الناس هذا بحى الجمالية ، ونقل إليها خزانة كتب مدرسة الملك الأشرف شعبان التى كانت بالصُرّة بقلعة الجبل [3] ، ثم آل عدد كبير من نوادر هذه المكتبة الفريدة النفيسة إلى دار الكتب المصرية فى عهدنا الحديث [4] . وينسب إلى عصر سلطنة الأشرف شعبان ، ثمانية آثار، أربع مدارس ، وثلاث قباب ، وقاعة ؛ وهى على النحو التالى : **مدرسة خشقدم الأحمدى** ، سنة ٧٦٨ ـ ٧٧٨ هـ ، أثر رقم ١٥٣ ، بشارع الصليبة ، بحى الخليفة ؛ **مدرسة أم السلطان شعبان** (السيدة

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٤٠ (المدرسة السابقية) .

(٢) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٣٢١ ـ ٣٢٨ ولوحه ٢٧١ ـ ٢٧٤ .

(٣) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٥٢ ـ ٢٥٦ (مدرسة الأمير جمال الدين الاستادار) .

(٤) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٢ ـ ١٨٧ .

خوند بركة) ، سنة ٧٧٠ هـ أثر رقم ١٢٥ ، بشارع الشبانة ، بحى الدرب الأحمر ؛ ومدرسة الأمير أسنبغا ، سنة ٧٧٢ هـ ، أثر رقم ١٨٥ ، بشارع درب سعادة ، بقسم الدربالأحمر ، بالقرب من ميدان باب الخلق ، بين شارع بور سعيد وشارع الأزهر ، وتعرف اليوم بمسجد أسنبغا ، وبحرفه العامة إلى سنبو أغا، وقد سماها المقريزى (المدرسة البوبكرية) ، ونسبها إلى منشئها الأمير سيف الدين أسنبغا بن الأمير سيف الدين بكتمر اليوبكرى الناصرى [1] ؛ ومدرسة ألجاى اليوسفى ، سنة ٧٧٤ هـ ، أثر رقم ١٣١ ، بشارع سوق السلاح ، من ناحية ميدان صلاح الدين ؛ وقُبّة الأميرة خوند طلبية ، سنة ٧٦٥ هـ ، أثر رقم ٨٠ ، بالمنطقة التى تعرف الآن بقرافة المجاورين ، شرقى تل قطع المرأة بالقاهرة، وتجاه تربة خوند طغاى أم أنوك ، ويفصل بينهما شارع خوند طغاى [2] ؛ وهى السيدة خوند طولبية بنت عبد الله الناصرية التترية ، زوجة السلطان الناصر حسن، ثم من بعده زوجة مملوكه يلبُغا العُمرى الخاصكى ، وصفها ابو المحاسن بأنها كانت من أجمل نساء عصرها ، وأرخ وفاتها بسنة ٧٦٥ هـ [3] ؛ **وتربة الأمير طيبغا الطويل** ، قبل سنة ٧٦٨ هـ ، أثر رقم ٣٧٢ ؛ **وقبة أقسنقر** ، سنة ٧٧١ هـ ، أثر رقم ٣١٠ ، بقنطرة أقسنقر ، فى مواجهة الحبانية ، بشارع بور سعيد ، عند محطة ترام أقسنقر، التى تصل بين الحبانية وميدان السيدة زينب[4] ؛ **قاعة شاكر بن الغنام** ، سنة ٧٧٤ هـ ، أثر رقم ٩٦ .

---

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ (المدرسة اليوبكرية) ؛ وراجع عن وصفها الأثرى ، سعاد ماهر : مساجد مصر ٤ : ٢٣ ـ ٣٠ وشكل ١ ولوحه ٤ ـ ١٦ ؛ حسن عبد الوهاب : التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر لوحه ٦٠ .

(٢) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١١ : ٦ حاشيه (٢) و ١١ : ٨٤ حاشيه(١) .

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٨٤ .

(٤) وحقق محمد رمزى أن مكان قنطرة آق سنقر اليوم ، بشارع الخليج المصرى (بور سعيد حالياً) تجاه مدخل شارع قنطرة سنقر ، الموصل إلى شارع درب الحجر ، بالقاهرة ، وكانت هذه القنطره باقيه إلى سنة ١٨٩٨م راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٩ حاشيه (٤) .

مدرسة أم السلطان شعبان : قال عنهاالمقريزى : « أنشأتها الستّ الجليلة الكبرى بركة ، أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين ، سنة ٧٧١ هـ ، وعملت بها درساً للشافعية ، ودرساً للحنفية ، وعلى بابها حوض ماء للسبيل ، وهى من المدارس الجليلة ، وفيها دفن ابنها الملك الأشرف[1] ؛ ثم ترجم المقريزى لمنشئتها ، فقال : (بركة) الست الجليلة خوند أم الملك الأشرف شعبان بن حسين ، كانت أمَة مُولّده ، فلما أقيم ابنها فى مملكة مصر ، عظم شأنها ، وحجّت فى سنة ٧٧٠ هـ ، بتجمل كثير ، وبرج زائد ... ، فلما عادت فى سنة ٧٧١ هـ ، خرج السلطان بعساكره إلى لقائها ، وسار إلى البويب فى ١٦ محرم ؛ وتزوجت بالأمير الكبير الجاى اليوسفى ، وبها طال واستطال ؛ ماتت فى سنة ٧٧٤ هـ ، وكانت خيّرة عفيفة ، لها بر كثير ، ومعروف معروف ، تحدث الناس بحجتها عدّة سنين لما كان لها من الأفعال الجميلة فى تلك المشاهد الكريمة ، وكان لها إعتقاد فى أهل الخير ، ومحبة فى الصالحين ، قبرها موجود بقبة هذه المدرسة ؛ وأسف السلطان على فقدها ، ورجد وجداً كبيراً لكثرة حُبّه لها [2] ؛ وتتميز هذه المدرسة بمنارتها وقبتيها وجمال محرابها ومنبرها ، وحفلت بشتى الصناعات ، وسقوفها مُلوّنة مُذهّبة ، وأرضياتها مفروشة بالرخام [3] ؛ وهى تعرف بين العامة بإسم جامع أم السلطان . وقد ذكر ابن إياس أن السلطان شعبان لم يُدفن فى القبة التى دفنت فيها والدته بمدرستها ، وأنه دفن بقبة أخرى تقع تجاهها ، ورجح محمد رمزى ، أنها الآن

---

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٤٩ ـ ٢٥٠ (مدرسة أم السلطان) .

(٢) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٥٠ .

(٣) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٢ ـ ١٨٧ ٢ : ٧٩ ـ ٨٠ ، صوره رقم ١١٥ ـ ١١٩ ؛ بين الآثار الإسلامية ص١٧ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢٩٨ـ ٣٠٧ ولوحه ٢٥٧ ـ ٢٦٢ .

بقايا قبة قديمة ، بجوار زاوية الهنود ، بشارع باب الوزير [1] .

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر ، فالجدير بالذكر هنا ، خبر المدرسة العظيمة التي بناها السلطان الأشرف شعبان ، في رأس الصوه [2] تجاه الطبلخاناه بقلعة الجبل ، وعُرفت بإسم المدرسة الأشرفية ، وكملت سنة ٧٧٧ هـ ؛ فيقول عنها المؤرخ ابن إياس : قرّر حضور الطلبة لتلقي الدروس بعد العصر ، وجعل بها مكاناً للصوفية . « وكانت هذه المدرسة من محاسن الدنيا في البناء والزخرفة ، وقد هُدمتْ في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق » [3] . وعن بقايا وزخائرومكتبة هذه المدرسة ، يقول المقريزي عند ذكره لمدرسة جمال الدين الاستادار الباقية إلى اليوم بشارع الجمالية ، عند مدخل حارة التمبكشية ، بحي الجمالية : « وابتدأ بشق الأساس سنة ٨١٠ هـ ، وجمع لها الآلات من الأحجار والأخشاب والرخام وغير ذلك ؛ وكان بمدرسة الملك الأشرف شعبان التي كانت بالصوّة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل ، بقية من داخلها ، فيها شبابيك من نحاس مُكفّت بالذهب والفضة ، وابواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المُكفّت ، ومن المصاحف والكتب في الحديث والفقه وغيرها من أنواع العلوم جملة ؛ فأشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجي بن الأشرف ، بمبلغ ستمائة دينار ، وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك ، ونقلها إلى داره ؛ وكان مما فيها عشرة مصاحف ، طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة ، في عرض

(١) راجع محمد رمزي : النجوم ١١ : ٥٩ حاشيه (١) .

(٢) الصوّة : إسم يطلق على المنطقة الجبلية ، الواقعة في الجهة الشمالية من قلعة القاهرة ، فيما بين القلعة وجامع الرفاعي (محمد رمزي : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٨٦ حاشيه (٣)؛ وهي بقية النشز الذي بنيت عليه القلعة (محمد رمزي : النجوم الزاهرة ١٢ : ٣٠٠ حاشيه (٣) عن باب سر القلعة .

(٣) إبن إياس : تاريخ مصر ج١ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

يقرب من ذلك ، أحدها بخط ياقوت ، وآخر بخطّ ابن البواب ، وباقيها بخطوط منسوبة ، ولها جلود في غاية الحسن ، معمولة في أكياس الحرير الأطلس ؛ ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال ، جميعها مكتوب في أوله ، الإشهاد على الملك الأشرف بوقف ذلك ومقرّه في مدرسته » [1] . وقد أفاد حسن عبد الوهاب أن بعض هذه المصاحف والكتب قد آلت إلى دار الكتب المصرية بالقاهرة [2] ؛ ومما ذُكر يتبين أن مدرسة الأشرف شعبان كانت من أفخر المدارس ، وكان بها مكتبة من أكمل المكتبات الذاخرة بالكتب النفيسة ، إلا أنه للأسف لم تطل مدة بقاء هذه المدرسة فأندثرت ، وأقيم في مكانها المارستان المؤيدي (الذي أنشأه السلطان المؤيد شيخ سنة ٨٢١ هـ) ، الذي جعل مسجداً جامعاً ، لا يزال باقياً بسكة الكومي ، المتفرعة من شارع المحجر ، بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة [3]

مدرسة ألجاي اليوسفي : قال عنها المقريزي : « أنشأها الأمير الكبير سيف الدين ألجاي في سنة ٧٦٨ هـ ، وجعل بها درساً للفقهاء الشافعية ، ودرساً للفقهاء الحنفية ، وخزانة كتب ، وأقام بها منبراً يخطب عليه يوم الجمعة ، وهي من المدارس المعتبرة الجليلة ، ودرّس بها شيخنا جلال الدين البناني الحنفي ، وكانت سكنه » [4] ثم ترجم المقريزي لمنشئها ، فأفاد أن اسمه الجاي بن عبد الله اليوسفي ، وأنه تنقل في الخدم حتى صار من جُملة الأمراء بديار مصر ، وأعطاه الملك الأشرف شعبان إمرة مائة وتقدمة ألف ، وجعل أمير سلاح براتي ، ثم أمير سلاح أتابك العساكر ، وناظر المارستان المنصوري سنة ٧٧٤ هـ ، وتزوج

(١) المقريزي : الخطط ٤ : ٢٥٢ ، و ٤ : ٢٦٣ (المارستان المؤيدي) .

(٢) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٢ ـ ١٨٧ .

(٣) محمد رمزي : النجوم الزاهرة ١١ : ٦٧ حاشيه (١) و ١٢ : ٢٨٧ حاشيه (١) .

(٤) المقريزي : الخطط ٤ : ٢٤٩ (مدرسة ألجاي) .

يخوند بركة أم السلطان شعبان ، فعظم قدره ، واشتهر ذكره ، وتحكم فى الدولة تحكماً زائداً ؛ توفى سنة ٧٧٥ هـ ، ودفن بمدرسته ؛ وكان معروفاً بالإقدام والشجاعة[١] . ولقد جمعت الواجهة الغربية لهذه المدرسة أهم تفاصيلها من مدخل رئيسى وقُبّة ومئارة ؛ وامتازت القُبة بأنها مضلعة تضليعاً حلزونياً يُعَدّ الأول من نوعه ، يليها فى هذا الطراز قُبّة مسجد أيتمش البجاسى ، وهى شاهقة الإرتفاع ؛ وتقوم المئارة على يمين الباب ، وهى مئارة شاهقة رشيقة [٢] .

رباط المشتهى : بجزيرة الروضةمطل على النيل ، هكذا وصفه المقريزى فى الخطط عند ذكره للأربطة وذكر أشعار لعلماء مصرفى وصف هذا الرباط والإشادة بشيخه صاحب الكرامات [٣] ؛ وقد ترجم له ابو المحاسن فقال : وفى سنة ٧٧٤ هـ ، توفى الشيخ العارف بالله تعالى ، المعتقَد المُسَلَّك ، بهاء الدين الكَازْرونى ، بزاوية المُشتهى بالرُّوضة ؛ وكان رحمة الله تعالى رجلاً صالحاً مُعْتَقَداً ، وللناس فيه مَحَبَّة زائدة ، واعتقاد عظيم ؛ [٤] .. والرباط دار يسكنها أهل الطريقة من الصوفية لعبادة الله تعالى ؛ وهذه الزاوية أو الرباط ، أنشأها بهاء الدين الكازرونى فى سنة ٧٦٥ هـ ، بجزيرة الروضة ، وقد زارها على مبارك ووصفها فى خططه ، وقال محمد رمزى أن آثار هذا الرباط كانت لاتزال باقية إلى أيامه ، باسم زاوية الكازرونى ، جددها والدة الخديوى إسماعيل فى سنة

(١) نفس المصدر والمكان .
(٢) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨٨ ـ ١٩١و٢ : الصور رقم ١٢٠ ـ ١٢٢ ؛ جامع السلطان حسن وما حوله ص٥٧ ـ ٦٠ ؛ التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر لوحه ٥٩ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٣١٣ ـ ٣٢٠ ولوحه ٢٦٣ ـ ٢٧٠ .
(٣) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٩٥ (رباط المشتهى) .
(٤) أبو المحاسن : النجوم ١١ : ١٢٥ .

١٢٨٦ هـ ، وهى قائمة الشعائر بشارع الكازرونى ، بجزيرة الروضة بالقاهرة [١] أما الآن فقد أزيل الرباط ، وأقيمت مكانه مدرسة تعرف بمدرسة الأشرف[٢] .

*

ويرجع إلى عصر سلطنة الملك المنصور على بن شعبان (٧٧٨ هـ ـ ٧٨٣هـ = حكم ٥ سنوات) ثلاث قباب ؛ هى : قبة رجب الشيرازى : سنة ٧٨١ هـ ، أثر رقم ٤٧٦ ، بقلعة الجبل أمام دار المحفوظات القديمة ، أنشأها الأمير برقوق ، برسم الشيخ حاجى رجب الشيرازى الحيدرى ؛ وهى غريبة فى طرازها [٣] . **وقُبّة الأمير يونس الدوادار** : قبل سنة ٧٨٣ هـ ، أثر رقم ١٣٩ ، بالحطابه بقلعة الجبل [٤] . **وقبة يونس الدوادار (أنس)** : سنة ٧٨٣ ـ ٧٨٤هـ ، بالقرافة ؛ وهى بالأصل خانقاه ، أنشأها الأمير يونس النوروزى الدوادار ، كان من مماليك الأمير سيف الدين جرجى الإدريسى أحد الأمراء الناصرية وأحد عتقائه ، فترقى فى الخدم من آخر ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، إلى أن قام الأمير برقوق ، وجعله داوداره لما تسلطن ، فسلك فى رياسته طريقة جليلة ، ولزم حالة جميلة من كثرة الصيام والصلاة ، وإقامة الناموس الملوكى ، وشدّة المهابة والإعراض عن اللعب ، ومحبة الفقراء ، وحضور السماع والشغف به ، وإكرام الفقهاء وأهل العلم ؛ وجعل بجانب هذه الخانقاة

(١) محمد رمزى : النجوم الزاهره ١١ : ١٢٥ حاشيه (١) .
(٢) راجع سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٣٠٨ ـ ٣١٢ .
(٣) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص٧٥ .
(٤) سيرد الحديث عنها ، عند الحديث عن القبه التاليه لها ، وكلتاهما لأمير واحد هو الأمير يونس الدوادار .

مكتباً يقرأ فيه أيتام المسلمين كتاب الله تعالى ؛ وبنى بها صهريجاً ينقل إليه ماء النيل ؛ وتوفى سنة ٧٩١ هـ ، ولم يُعْرَف له قبر ، بعد ما أعدّ لنفسه عدة مدافن، في غير ما مدينة من مصر والشام [١] . وخانقاه يونس الدوادار، هي اللبنة الأولى فى علاقة الملك الظاهر برقوق بتلك المنطقة التى صارت تعرف بعد ذلك بمقابر المماليك لكثرة من دفن بها من ملوك وأمراء المماليك ؛ ذلك أنه لما توفى آنص أو أنس والده سنة ٧٨٣ هـ ؛ وكان برقوق وقتئذ أميراً ، دُفن فى قبة خانقاه يونس الدوادار وكتب عليها : « لما كان بتاريخ يوم السبت ١٨ شوال سنة ٧٨٣ هـ ، توفى المرحوم الشرفى أنس تغمده الله برحمته ، والد المقر الشرفى العالى السيفى برقوق أتابك العساكر ، عزّ نصرة » وبسبب هذه الكتابة عرفت القبة بأنس وسُجِّلت ضمن الآثار بهذا الإسم ، إلى أن صُوِّبت التسمية ، وأطلقت عليها اسم منشئها يونس الدوادار ؛ لأن بقية المؤرخين ذكروا أنه لما توفى والد برقوق دُفن فى قبة يونس الدوادار ، وأن الظاهر برقوق لما أتم بناء مدرسته بالنحاسين نقل رفاة والده إلى قبتها ، هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى فإن تفاصيلها المعمارية تضعها ضمن منشآت المماليك البحرية ؛ وهى الباقية من الخانقاه ، وقاعدتها مبنية بالحجر ، أما القبّة فقد بُنيت من الآجر ، وهى مضلعة من الخارج ، والتضليع مُفرَّغ من الداخل ، وكانت رقبتها مكسوة بنقوش وكتابات جصية ؛ وبها محراب رفيع ، له طاقية مقرنصة من الجص . ومن عجب أن الأمير يونس أنشأ هذه القبة ، وقبّة أخرى نادرة بالحطابة ، ولم يُقدَّر له أن يُدفن فى إحداهما ؛ وبسبب دفن الأمير آنس [ابو برقوق] فى هذه القبة ، وقع إختيار السلطان الظاهر برقوق ، مؤسس دولة المماليك الجراكسة ، على المساحة

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٩١ (خانقاه يونس) .

التى تشغلها خانقاته وخانقاه ابنه السلطان الناصر فرج بن برقوق ، وأنشأ بها عدّة قبور له ولأسرته ولمماليكه ، ولجماعة من العلماء و الصالحين ممن كان يعتقد فيهم أو أوصى أن يدفن تحت أقدامهم [١]

*

وينسب إلى **عصر سلطنة الأمير الصالح حاجى بن شعبان** (٧٨٣ ـ ٧٨٤ هـ = حكم سنة واحدة) ، بصفة خاصة ، وإلى نهاية عصر دولة المماليك البحرية بصفة عامة ، سبعة آثار هى : **بوابة درب اللبان** : القرن الثامن الهجرى ، أثر رقم ٣٢٥ ، بالحجر بالقلعة ، بالقرب من شارع سوق السلاح وميدان صلاح الدين ، خلف جامع الرفاعى ؛ وهذه البوابة ملاصقة لباب تكية تقى الدين البساطى التى ترجع إلى سنة ٨٤٧ هـ فى عصر دولة المماليك الجراكسة، ولعل هذه البوابة مخلّفة من أحد الدور المملوكية التى كانت فى تلك المنطقة ؛ وهو باب جميل ، به تطعيم بالرخام ، وعقوده متنوعة وظريفة ونادرة [٢] . **وقبة بحرى تنكزبغا** : القرن الثامن الهجرى ، أثر رقم ٢٩٩ . **وقبة الوزير** : القرن الثامن الهجرى ، أثر رقم ٨٤ . **وبقايا ربع طغج** القرن الثامن الهجرى بشارع السيوفية ، بحى الخليفة. **والمئذنة القبلية** : القرن الثامن

(١) راجع حسن عبد الوهاب : خانقاه فرج بن برقوق وما حولها ، مستخرج من كتاب المؤتمر الثالث للآثار العربية ، المعقد فى مدينة فاس فى المدة من ٨ ـ ١٠ نوفمبر ، ١٩٥٩ ، ص ٢٨٣ ـ ٣٠٥ + ٣٠ لوحه ، طبع القاهرة ، ١٩٦١م ، مطابع جريدة الصباح بالقاهرة ، ص١ ـ ٢٣ + ٣٠ لوحه ، ص٤ ـ ٥ ، ولوحه ٣ ؛ الآثار الإسلامية بمصر ص ٢٢ ـ ٢٥ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٠٣ ؛ محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٠٣ حاشيه (٣) .

(٢) حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ص٥٠ ـ ٥٢ (وفى هذه الصفحة صورة لباب درب اللبان) .

الهجرى، أثر رقم ٢٩٣ . **ومدافن السادات المالكية** ، القرن الثامن الهجرى . **وقبة ومنارة وبقايا التربة السلطانية أو تربة خوند سمرا** : القرن الثامن الهجرى ، اثر رقم ٢٨٨ و ٢٨٩ ؛ وهذا الأثر الأخير ، يُعَدّ من أهم الآثار بالقرافة الصغرى، تحت القلعة والمعروفة بقرافة الإمام الشافعى ؛ وتدل بقاياه الممثلة فى قبته ومنارته ، على أنه من أهم الآثار المنشأة فى دولة المماليك البحرية، وأنه وقعت عليه تأثيرات فارسية وخاصة قبته ، وقد هدم حسين باشا المعمار إحدى هاتين القبتين للوقوف على تصميمها ؛ وموقعها تجاه بقايا مسجد قوصون، يتوسطها قبر الإمام السيوطى ؛ وخوند سمرا ، هى زوجة السلطان الأشرف شعبان وأم ولده أحمد ؛ ولخلو هذه التربة من النصوص التاريخية ، واستناداً إلى تفاصيلها المعمارية ، توضع ضمن منشآت النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى [1]

*

وقد استخلص لنا الأثرى الشهير حسن عبد الوهاب الخصائص المميزة للعمارة والفنون فى عصر دولة المماليك البحرية ، مما يعين على تمييز آثار هذه الدولة ، عند رؤيتها وتأملها ؛ فيقول : « لم تلبث العمارة فى هذا العصر أن تَمَصَّرَتَ ، وأخذت طابعاً خاصاً ، ميّزها عن شتى الفنون ؛ حيث تركزت قواعدها ، وتَرَقَّت أبنيتها ؛ وظهر تحسن كبير فى القبة والمنارة ، وتنوّعت أشكالها؛ وتهذبت صناعة النجارة ، والتطعيم فى الخشب ؛ وظهرت صناعة جديدة ، وهى تلوين الجصّ المنقوش ، وتغطيته بزجاج رقيق ؛ كما إستُحْدِثَتْ تأثيرات أندلسية فى صناعة الجص التى بلغت أوجها ، وأخرى فارسية على

(١) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١٢ : ٢٧٦ حاشيه (١) .

القباب والمنارات وبعض الزخارف ؛ وظهرت لأول مرّة كتابة التاريخ بالأرقام الهندية ، وتطعيم الخشب بالنحاس ؛ وارتفعت صناعة الزجاج بالمينا ، وإتُخِذَتْ منها مشكاوات لإضاءة المساجد ؛ وشاع إنشاء الخوانق والربط ؛ وظهرت بواكير الكسباء بالقاشانى فى قمم المنارات ورقاب القباب ؛ وظهر المنبر الرخامى بجوار المنبر الخشبى ، وازدهرت صناعة الرخام ، ووجدت منه نماذج دقيقة جداً مع الصدف وأخرى مُطَعَّمه ؛ وانتشر إنشاء الحمامات العامة والفنادق والوكالات ؛ واستعمل الحجر فى بناء القباب والمنارات ؛ وارتقى تصميم وجهات المساجد والمدارس ؛ وانتشر الخط الكوفى المربع ، وانتشرت الأبواب النحاسية ، مع تنويع أشكالها وتكفيتها بالذهب والفضة ؛ كما انتشرت الثريات النحاسية ، وارتقت صناعتها » [1] .

*

آثار عصر دولة المماليك الجراكسة ٧٨٤ هـ ـ ٩٢٣ هـ :

إذا أطلقنا على العمارة فى دولة المماليك البحرية العصر الذهبى ؛ فجدير بعصر المماليك البحرية أن يُطلق عليه العصر الماسى ؛ فقد أُخِذَت العمارة زُخرفها وازّينت ، وظهرت فيه عمائر للملوك مصر وأمرائها ، بلغت القِمّة فى دقّة الزُخرف وجمال التناسب [2] ؛ ويبلغ عدد الآثار التى ترجع إلى عصر دولة المماليك الجراكسة بمدينة القاهرة ، ١٣٢ أثراً ، سنكتفى بذكر أشهرها ؛ وهى :

مدرسة وخانقاه السلطان الظاهر برقوق : بشارع النحاسين (المعز لدين الله) ؛ سماها المقريزى (الخانقاه الظاهرية) ، وقال : « هذه الخانقاه بخط بين

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٨ ـ ١٩ .
(٢) حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ص ١٧ .

القصرين ، فيما بين المدرسة الناصرية [الناصر محمد بن قلاوون] ، ودارالحديث الكاملية [السلطان الكامل الأيوبى] ؛ أنشأها الملك الظاهر برقوق فى سنة ٧٨٦ هـ » [١] ثم ذكر المقريزى إسم هذه الخانقاه ، عند تعداده لجوامع مصر [٢] . وقال أبو المحاسن ، عند حصره لعمائر السلطان برقوق : « أنشأ بالقاهرة مدرسته التى لم يعمّر مثلها بين القصرين ، ورتّب لها صوفية بعد العصر كل يوم ، وجعل بها سبعة دروس لأهل العلم على المذاهب الأربعة ، أعظمهم بالإيوان القبلى الحنفى ، ثم درساً للتفسير ، ودرساً للحديث ، ودرساً للقراءات ؛ وأجرى على الجميع فى كل يوم الخبز ولحم الضأن المطبوخ ، وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون والدراهم ؛ ووقف على ذلك الأوقاف الجليلة من الأراضى والدور ونحوها . [٣] وأفاد محمد رمزى ، أن السلطان برقوق أتمّ بناء هذه المدرسة فى ربيع الأول سنة ٧٨٨ هـ ، كما هو ثابت بالنقش فى عصابة ممتدة بأعلى حائط وجهه المدرسة ، ثم تكرر إثبات هذا التاريخ فى عدّة مواضع منها ، وأن هذه المدرسة التى يقال لها اليوم جامع السلطان برقوق ، لا تزال عامرة بالشعائر الدينية ؛ وأن هذا الجامع من أجمل وابدع مساجد القاهرة فى البناء والزخرفة [٤] . والمدرسة البرقوقية هذه ، تسترعى النظر بجمال واجهتها ، ومنارتها الشاهقة ، وبابها النحاسى المطعّم بالفضة ، وشبابيكها الخشبية ، وسقفها النادر المحلّى بالنقوش المذهبة [٥] .

(١) المقريزى : الخطط ٤ : ٢٧٩ ؛ وأنظر أيضاً أبو المحاسن : النجوم ١١ : ٢٤٠ .

(٢) نفس المصدر ٤ : ٤ .

(٣) أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ : ١١٣ ـ ١١٥ ، حوادث سنة ٧٩٢ هـ (ترجمة الملك الظاهر برقوق) .

(٤) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ١١ : ٢٤٠ حاشية (٢) .

(٥) راجع حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص٢٠ ؛ بين الآثار الإسلامية ص ١٧ ؛ تاريخ المساجد ١ : ١٩٢ ـ ١٩٧ ، ٢ : الصورة رقم ١٢٥ ـ ١٣١ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٤ : ٣٧ ـ ٤٤ لوحه ١٩ ـ ٢٤ ؛ محمود باشا أحمد (مدير إدارة حفظ الآثار العربية سابقا) : الدليل الموجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ، طبع سنة ١٩٣٨ م .

خانقاه السلطان فرج بن برقوق : بصحراء قايتباى ، بدأ فى إنشائها سنة ٨٠١ هـ والفراغ منها سنة ٨١٣ هـ ، وهى أهم العمائر المماليكية الكثيرة فى هذه المنطقة ، التى عُرِفَتْ خطأً بمقبور الخلفاء ،والحقيقة أنها قبور الملوك والمماليك البحرية والجراكسة ؛ وقد شادوها عنواناً لمجدهم ، ودليلاً على مناصرتهم للفنون . وهى جديرة بأن تُسمى مدينة القباب ، فقد إنتشرت فى أرجائها مجموعة قيمة من القباب ، تنوعت أشكالها ، لم يجتمع مثلها فى صعيد واحد مثل ما اجتمعت فيها . وكانت هذه المنطقة فيما بين العباسية والقلعة ، ميداناً للعب الكرة (البولو) ؛ ولم تنشأ بها هذه المبانى إلا إبتداء من منتصف القرن الـ ٩ وفى القرن الـ ١٠ الهجرى ؛ ثم غلب عليها إسم السلطان قايتباى ، لوجود منشآت كثيرة له بها ؛ ولوجود هذ المجموعة فى صعيد واحد ، كانت موضع تنافس بين مهندسيها ، فأبدعوا وأجادوا [١] .

وهذه الخانقاه ، مميزة من منشآت تلك المنطقة ، بضخامتها وبمنارتيها الرشيقتين ، وقبتيها الكبيرتين ؛ فهى أكبر بناء أثرى وأكبر مؤسسة دينية فى قرافات مصر ، فهى تشمل من الأراض ما مساحته ٧٥٠٠ متراً ، وحوت من المميزات المعمارية ما لم يوجد فى غيرها ؛ أنشئت لتخدم أغراضاً هامة : مسجد لإقامة الشعائر ، وخانقاة لإقامة الصوفية ، ومدافن للظاهر برقوق وأفراد أسرته ، ومدرسة لتلقى العلوم . وقد إشتملت على مدخلين جميلين ، يجاور كل

(١) راجع محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٧ : ٢٦١ حاشيه (٤) (الجبل الأحمر) ؛ ٩ : ١٨٥ حاشيه (٥) (تربة الملك الظاهر برقوق أو المدرسة الناصرية) ؛ ١٢ : ١٣٠ (٣) ؛ حاشيه حسن عبد الوهاب : خانقاه فرج بن برقوق وما حولها ، مستخرج من كتاب المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية ، المنعقد فى مدينة فاس فى المدة من ٨ ـ ١٨ نوفمبر ، ١٩٥٩م ، ص٢٨٣ ـ ٣٠٥ + ٣٠ لوحه ؛ وطبع القاهرة ، ١٩٦١م ، مطابع جريدة الصباح ، ص ١ـ٣ + ٣٠ لوحه ، وخاصة ص١ـ٤ ؛ حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ٢٢ ـ ٢٣ .

منهما سبيل يعلوه كتاب لتعليم الأطفال ؛ وعلى منارتين رشيقتين ، وقبتين كبيرتين ، بينهما قبة فوق المحراب ؛ وفى كلا الطرقتين المؤديتين إلى داخلها ، وحول صحنها ، حجرات للصوفية . وقد إمتازت قبابها بضخامتها وبنقوشها ، كما امتازت منارتيها برشاقتهما وارتفاعهما ؛ وعلى فتحتى القبتين ، حجابين من الخشب المعشق بأشكال هندسية . وقد دفن فى القبة الشمالية الظاهر برقوق وأولاده الذكور ومن دفن معهم من العلماء والصالحين ، وفى القبة الجنوبية أفراد أسرته من النساء [1] وبالإيوان الشرقى من خانقاه فرج بن برقوق ، منبر حجرى نادر ، أمر بعمله السلطان قايتباى سنة ٨٨٨ هـ ، وقد نقشت جميع أجزائه نقشاً دقيقاً جميلاً ، وهو لا نظير له فى الآثار الإسلامية [2] . وقد نجح مهندس الناصر فرج فى إنشاء تلك المجموعة على تلك المساحة ، وكان جريئا فى تشييدها على سطح الأرض بغير أساس ، إعتماداً على تحجُّر الطبقة الرملية هناك ؛ ونهج فى تصميمها نهجاً خالف فيه بناء مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق بالنحاسين من كافة التفاصيل ؛ مما لا يدع مجالاً للشك فى أن المهندسن غير المهندس [3] . وقد نشر حسن عبد الوهاب نصوص جميع النقوش الموجودة بالمدرسة والخانقاه الناصرية ، وهى تحدد تاريخ البدء والانتهاء من بنائها ، كما احتوت على جميع ألقاب الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج ، وعلى الألقاب التى حملتها نساء أسرتهم [4] .

---

(١) راجع محمد رمزى : النجوم ٩ : ١٨٥ حاشيه (٥) ؛ حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ٢٣ ـ ٢٤ ؛ بين الآثار الإسلامية ص ١٨ ؛ خانقاه فرج بن برقوق ص٦ ـ ٧ ؛ كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ص ٤٥ ـ ٤٦ ؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٤ : ٥٩ ـ ٦٨ .

(٢) حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ٢٤ ؛ خانقاه فرج بن برقوق ص١١ ، حيث يصف زخارف المنبر ، ويورد نص نقش السلطان قايتباى عليه ويحوى القبه ؛ وراجع صورة هذا المنبر فى نفس المرجع الأخير لوحه ١٠ .

(٣) حسن عبد الوهاب : خانقاه فرج بن برقوق ص٧ .

(٤) راجع نفس المرجع ص ٨ ـ وما بعدها .

زاوية فرج برقوق : بميدان باب زويلة [1] ، بشارع تحت الربع (أحمد ماهر حالياً) ، وهى تجاه جامع الصالح طلائع بن رزيك ، أنشئت سنة ٨١١هـ ، وهى تُعدّ نموزجاً كاملاً للزاوية ، كإحدى المنشآت الدينية بمصر ؛ وتقوم هيئة الآثار فى يومنا هذا سنة ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م ، بمشروع لترميم وعمارة هذه الزاوية .

جامع السلطان المؤيد شيخ : بشارع السكرية (المعز لدين الله حالياً) ، وهو لصق باب زويلة ، أحد أبواب القاهرة الفاطمية القديمة ، أُنشىء سنة ٨١٨هـ ، وهو فخر المساجد فى دولة المماليك الجراكسة [2] ؛ سماه المقريزى الجامع المؤيدى ، وقال : « أنشأه السلطان الملك المؤيد ابو النصر شيخ المحمودى الظاهـرى ؛ فهو الجامع الجامع لمحاسن البنيان ، الشاهد بفخامة أركانه وضخامه بنيانها أن منشئه سيد ملوك الزمان ، يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وإيوان كسرى أنوشروان ، ويستصغر من تأمل بديع إسطوانه الخورنق وقصر غمدان ... ؛ وأول ما إبتدى به فى أمر هذا الجامع ... فى رابع شهر ربيع الأول سنة ٨١٨ هـ ... ، وفى خامس صفر سنة ٨١٩ هـ وقع الشروع فى البناء... ، فاستمر العمل إلى يوم الخميس ١٧ ربيع الأول ، فأشهد عليه السلطان أنه وقف هذا مسجداً لله تعالى ، ووقف عليه عدّة مواضع بديار مصر وبلاد الشام ، وتردد ركوب السلطان إلى هذه العمارة عدّة مرات ... ؛ وفى الخميس ١٧ شوال سنة ٨١٩ هـ ، نُقل باب مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاون والتنور

---

(١) حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ٢٨ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٧ ؛ بين الآثار الإسلامية ص ١٨ ـ ١٩ ؛ تاريخ المساجد ١ : ٢٠٧ ـ ٢١٤ و ٢ : الصورة رقم ١٤١ ـ ١٤٨ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٤ : ٩٥ ـ ١٠١ ، لوحه ٣٧ .

النحاس المُكفَّت إلى هذه العمارة ، وقد إشتراهما السلطان بخمسمائة دينار ... ، وانعقدت جُملة ما صرف فى هذه العمارة إلى سلخ ذى الحجة سنة ٨١٩ هـ ، على أربعين ألف دينار ، ثم نزل السلطان فى عشرى المحرم إلى هذه العمارة ، ودخل خزانة الكتب التى عملت هناك ، وقد حُمل إليها كتب كثيرة فى أنواع العلوم كانت بقلعة الجبل ، وقدم له ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها ألف دينار ، فأقر ذلك بالخزانة ، وأنعم على ابن البارزى بأن يكون خطيباً وخازن الكتب ، هو ومن بعده من زريته ... ؛ وفى يوم الجمعة ثانى جمادى الأولى أقيمت الجمعة به ، ولم يكمل منه سوى الإيوان القبلى ، وخطب وصلى بالناس عز الدين عبد السلام المقدسى ، أحد نواب القضاه الشافعية ، نيابة عن ابن البارزى كاتب السر ... وفى ثالث جمادى الأولى سنة ٨٢٢ هـ ، إستقر الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر فى تدريس الشافعية ؛ والشيخ يحى بن محمد ابن أحمد العجيسى البجائى المغربى فى دريس المالكية ؛ وعز الدين عبد العزيز على بن الفخر البغدادى ، فى تدريس الحنابلة ؛ وخُلع عليهم فى حضرة السلطان . فدرس ابن حجر بالمحراب فى يوم الخميس ثالث عشره ؛ ونزل السلطان ، وأقبل ليحضر عنده وهو فى إلقاء الدرس ، ومنعه من القيام له ، فلم يقم ، واستمر فيما هو بصدده ، وجلس السلطان عنده ملياً [1] .

ووصف السخاوى المؤرخ الجامع المؤيدى بقوله : « قيل أنه لم يعمر فى الإسلام أكثر منه زخرفة ولا أحسن ترخيماً بعد الجامع الأموى » [2] . ويقع جامع الملك المؤيد شيخ ، داخل باب زويلة الفاطمى ، ملتصقاً به ، ومن زاويته

(١) أنظر المقريزى : الخطط ٤ : ١٣٦ ـ ١٤٠ (الجامع المؤيدى) .
(٢) أنظر السخاوى : الضوء اللامع ٣ : ٣٠٨ ـ ٣١١ (ترجمة الملك المؤيد شيخ) .

الجنوبية ، ويفتح مدخله الرئيسى الجنوبى الشرقى ، على شارع السكرية (شارع المعز لدين الله) ، ويُعدّ أفخرَ آثار المماليك الجراكسة ؛ وترتكز مئذنتا الجامع على برجى باب زويلة الفاطمى ، وهما مئذنتان متماثلتان فى الشكل والزخرف ، مختلفتان فى الحجم ؛ وقد إلتمس مهندس المئذنتين محمد بن القزاز نموزج عمله ـ على ما يبدو ـ من منارة مسجد الطنبغا المارداني سنة ٧٤٠ هـ وغيره ، فزاد فى تعديل نسبها الهندسية ، ثم أثرى سطوحها بالنحوت البارزة المتناسقة ؛ وإن توزيع مدفنين ، يكتنفان رواق القبلة ، واحد لدفن السلطان ، والثانى مقابل له لدفن أسرته ، مستمد من مخطط خانقاه برقوق ، التى سبقت بناء جامع المؤيد بوقت قصير ، وإن المحاكاه لم تقتصر على المخطط فحسب ، بل تجاوزته إلى شكل القُبّة وزخارفها ونوافذها وأفاريزها [1] . وتعلو باب زويلة الآن منارتا جامع المؤيد ، وهما منارتان من أرشق المنارات ، وللجامع مدخل شاهق كُسى بالرخام ، وله مصاريع مُغشّاه بالنحاس المفرغ بأشكال زخرفية من أكبر وأجمل المصاريع ، منقولة إليه من مسجد السلطان حسن ، وداخله يعمره الزخارف [2] .

مدرسة السلطان الأشرف برسباى : بشارع الأشرفية ، (شارع المعز لدين الله) ، بعد تقاطعه مع شارع الموسكى ، وقبل تقاطعه مع شارع الأزهر ؛ أنشأها الملك الأشرف برسباى الدقماقى ، وانتهت عمارتها سنة ٨٢٩ هـ . وتتميز هذه المدرسة بضخامتها ، وبقبتها ؛ وينتهى طرف الوجهه الشرقية للمدرسة ، بسبيل يعلوه كُتّاب . وكان الأشرف ملكاً جليلا مبجلا متديناً ، يحب العلماء

(١) راجع إبراهيم شبوح : من روائع العمارة بالقاهرة المملوكية ، جامع الملك المؤيد ، سنة ٨١٨ ـ ٨٢٢ هـ ، القبة القاهرة سنة ١٩٦٩ م (مستخرج) .
(٢) حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ٢٧ ـ ٢٨ ؛ بين الآثار الإسلامية ص ١٨ ـ ١٩ .

ويقربهم، كما كان يُحب أعمال البر ومنح الصدقات ، وفتحت فى أيامه بلاد كثيرة ، كما فُتحت قبرص وأُسر ملكها سنة ٨٢٩ هـ ؛ وقد بقى من آثاره الكثيرة التى أنشأها بمصر : الخانقاه والتربه بصحراء قايتباى ، والمسجد بخانقاه سرياقوس ، ثم هذه المدرسة [١] . ولقد تصدف فتح الملك الأشرف لقبرص سنة ٨٢٩ هـ ، وجئ ملكها أسيراً إلى القاهرة ، فأمر بتعليق خوذته على باب هذه المدرسة ، وقد بقيت حتى رآها الإسحاقى المؤرخ فى القرن الـ ١١ الهجرى[٢] .

خانقاه الأشرف برسباى : بالقرافة الشرقية المعروفة بصحراء قايتباى ، أنشأها سنة ٨٣٥ هـ ، وألحق بها مصلّى ، وقُبّة له ؛ وهذه الخانقه والتربة ، ثانى منشآت الملك الأشرف برسباى ؛ وإذا إعتبرنا أن خانقاه فرج بن برقوق القريبة منها ، أكبر بناية أُنشئت بالقرافات ، فإن هذه المجموعة تعتبر الثانية فى السعة ، فقد أنشأها لتؤدى عدّة أغراض : فالخانقاه لإقامة الصوفية ، ثم حوش كبير فيه قبور وبقايا قُبة وقبة كاملة لأخيه الأمير يشبك وأقاربه وبعض العلماء ، ومصلّى لإقامة الشعائر الدينية ، ثم قُبّة حجرية عظيمة تجلّت فيها عظمة القباب المملوكية وزخارفها ؛ ويجمع المجموعة وجهة كبيرة بنيت بالحجارة ، تنتهى من الطرف القبلى بالخانقاه ، وهى تشمل مساحة كبيرة ، تخرّبتْ ولم يبق منها إلا وجهتها؛ وامتازت بفخامة قبتها بنقوشها من الخارج ، وبدقة صناعة الرخام فى محرابها ووزرتها [٣] .

مسجد الأشرف برسباى : ببلدة الخانكة ، التابعة لمركز شبين القناطر ،

(١) راجع عن هذه المدرسة حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٢١ ـ ٢٢٤ و ٢ : الصور من رقم ١٥٥ ـ ١٦٠ ؛ بين الآثار الإسلامية ص ١٩ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٤ : ١٠٢ ـ ١١٧ ولوحه ٣٨ ـ ٤٧ .

(٢) أنظر الإسحاقى : أخبار الأول ص ١٢٣ .

(٣) راجع عن هذه الخانقاه حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٢٥ ـ ٢٢٨ و ٢ : الصور من رقم ١٦١ ـ ١٦٧ ؛ خانقاه فرج بن برقوق وما حولها ص٢٢ ؛ بين الآثار الإسلامية ص ١٩ ؛ الآثار الإسلامية بمصر ص ٢٥ .

بصديرية القليوبية ؛ كان البدء فى إنشاء هذا المسجد وملحقاته سنة ٨٣١ هـ ، وأنشأ بجواره مقعداً وخاناً وبستاناً فى الجهة البحرية منه ، ودورة للمياه وساقية وحوضاً لشرب الدواب فى الجهة القبلية ، وكان الفراغ من بناء هذه المجموعة فى سنة ٨٤١ هـ ؛ ولم يبق منها الآن سوى المسجد وملحقاته ، وبقايا الحوض ، ودوره المياه . ولهذا المسجد أربع وجهات ، وأهمها الوجهة الشرقية، وهى الرئيسية ، وبطرفها البحرى الباب العمومى ، وسبيل تعلوه حُجرة كُتّاب[١] .

مسجد السلطان الأشرف قايتباى : بالقرافة الشرقية المعروفة بصحراء قايتباى ، وهو دُرّة بين آثار تلك المنطقة ، بل بين آثار مصر ، ويقع جنوب خانقاه فرج بن برقوق ، وفيما بينهما مجموعة من القباب والمساجد المنشأة فى القرنين التاسع والعاشر الهجريين [٢] . أنشأه الملك الأشرف ابو النصر قايتباى المحمودى سنة ٨٧٩ هـ ، وهو يكون مجموعة من مدرسة وملحقاتها وقبة وسبيل وكتاب؛ وهى مَحَطّ رحال زائرى مصر ، لأنها جمعت أرقى التفاصيل المعمارية التى وجدتْ فى دولة المماليك الجراكسة [٣] ؛ ومسجد قايتباى تحفة رائعة يستهوى القادم عليه بجمال مئارته الرشيقة ، وبنقوش قبته البديعة ، وتناسب أجزائه ، وأبدع مهندسه فى إبراز محاسن العمارة الإسلامية وجمعها فيه ؛ وتحت قبته الشاهقة ، دُفن السلطان قايتباى ، وفى هذه القُبة أُودع كرسى المُصحف ، وهو من أجمل الكراسى المُخصصة لوضع مُصحف القُرآن عليها [٤] وتُعدّ قبة هذا

(١) راجع عن هذا المسجد : حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٢٥ ـ ٢٢٨ ، و ٢ : الصور من رقم ١٦١ ـ ١٦٧ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٤ : ١٢٦ ـ ١٣٣ ولوحه ٦١ ـ ٧٣ .

(٢) حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ٢٤ ـ ٢٥ ؛ خانقاه فرج ابن برقوق وما حولها ص ٢٢ .

(٣) حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ص١٩ ـ ٢٠ .

(٤) راجع حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص ٢٤ ـ ٢٥ ؛ تاريخ المساجد ١ : ٢٥٠ ـ ٢٥٧ و٢ : الصور من رقم ١٨٦ ـ ١٩١ .

المسجد ، المثل الأعلى لزخرفة القباب المملوكية [1] . كما تُعَدّ مئذنته من أجمل المآذن المصرية ، المعروفة بنسبها الجميلة ، وجمال زخرفتها [2] .

قلعة السلطان الأشرف قايتباى بمدينة الأسكندرية : أُنشئت هذه القلعة على أساس منارة الإسكندرية القديمة ، وقد أنشأها الملك الأشرف قايتباى بين سنتى ٨٨٢ و ٨٨٤ هـ ؛ واشتملت على مسجد ، بقيت منارته إلى ما بعد الإحتلال الفرنسى لمصر ، وكان لحوادث الإسكندرية ، وخاصة سنة ١٨٨٢م ، أسوأ الأثر فى تخريب هذه القلعة وهدم أبراجها ، وقسم كبير من واجهاتها ؛ وبقيت متخرّبة ، إلى أن عُنيت إدارة حفظ الآثار العربية فى السنين الأخيرة بإصلاحها . وقد أُصلحت أبراجها ، وما يعلوها من أبنية ، بعد إعادتها لحالتها الأصلية ، وهى تبدو لزائر الإسكندرية من كل جهة [3] .

قلعة السلطان الأشرف قايتباى بمدينة رشيد : بُنيت فى وقت متزامن مع تاريخ بناء قلعته بمدينة الأسكندرية ، [4] لمواجهة الخطر البرتغالى الأسبانى البحرى . وكان حجر رشيد ، الذى أدى إكتشافه إلى فك رموز الكتابة الهيروغليفية الفرعونية المصرية القديمة ، زمن الحملة الفرنسية على مصر ، أحد أحجار جدران هذه القلعة .

أهم آثار السلطان قايتباى : أقام قايتباى كثيراً من المنشآت المعمارية ، من مساجد ومدارس ووكالات ومنازل وأسبلة وقناطر للمياه ؛ كما عُنى بالعمارة

(١) حسن عبد الوهاب : خانقاه فرج بن برقوق وما حولها ص٢٢ .
(٢) راجع كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ص٤٧ ـ ٤٨ .
(٣) كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ص ٤٨ ؛ وراجع حسن عبد الوهاب : الإسكندرية فى العصر الإسلامى ، مقال مجلة الكاتب ؛ قلعة قايتباى ، مقال ؛ سيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية فى العصر الإسلامى .
(٤) راجع حسن عبد الوهاب : قلعة قايتباى بمدينة رشيد وآثار مدينة رشيد ، مقال .

الحربية وبالحصون ، فأنشأ قلعة بالأسكندرية ، وأخرى برشيد ، وقد توفى سنة ٩٠١ هـ ؛ وينسب إليه ما يزيد عن سبعين أثراً إسلامياً ، ما بين إنشاء وتجديد . وينسب لقايتباى آثار أخرى ، من أهمها مسجده ومدرسته ، المجاور لمسجد سلار وسنجر الجاولى بمنطقة قلعة الكبش بالسيدة زينب ويعرف بمسجد الرحبة [1] ؛ وقد أنشأ قايتباى عدّة أسبلة ، أحدها فى شارع الصليبة بحى الخليفة ، والآخر بشارع الطبلية (محمد عبده حالياً) بجوار الجامع الأزهر [2] ، والثالث بالنصرية كما أنشأ أيضاً عدة وكالات ، إحداهما بشارع الطبلية أيضا (محمد عبده حالياً) [3] ، كما قام بعدّة إضافات وتجديدات وعمارات بجامع الأزهر [4] فضلاً عن جامعة بجزيرة الروضة [5] ، وباب قرافة الإمام الشافعى ، الواقع فى نهاية شارع السيدة عائشة ، ويقال له باب قايتباى ، لأن السلطان قايتباى جدده سنة ٨٨٩ هـ ، كما هو ثابت عليه ، أو باب السيدة عائشة ، لقربه من جامعها [6] ، ووكالته بباب النصر ، وهى الأثر رقم ٩ ، أُنشئت سنة ٨٨٥ هـ ، ومنزل بسكة المارداني ، وهو الأثر رقم ٢٢٨ ، أُنشئ سنة ٨٩٠ هـ [7] .

(١) راجع كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ص٤٧ ـ ٤٨ .
(٢) راجع حسنى محمد نويصر : مجموعة أسبلة السلطان قايتباى بالقاهرة ، رسالة ماجستير ، أجيزت بجامعة القاهرة سنة ١٩٧٠م .
(٣) رأيتها .
(٤) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ص٥٥ .
(٥) راجع حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ٢٧٣ ـ ٢٧٥ ، ٢ : الصور من رقم ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
(٦) محمد رمزى : النجوم الزاهرة ٩ : ١١١ حاشيه (٢) .
(٧) راجع قائمة مصلحة المساحه عن آثار القاهرة ، سنة ١٩٥٠م ، تحت إسم (قايتباى) ، فقيها تحديد لجميع أماكن آثار قايتباى بالقاهره وتواريخها ؛ وراجع حسنى محمد نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة ، رسالة دكتوراه أجيزت من جامعة القاهرة سنة ١٩٩٣م ؛ دراسات فى عمائر الخواكسة فى مصر ، اصدار مطبعة كلية الزراعة جامعة القاهرة ، ١٩٩٣ .

مسجد السلطان الأشرف قانصوة الغورى : بشارع المعز لدين الله بالغورية ، من ناحية شارع الأزهر ؛ أنشأه السلطان الغورية سنة ٩٠٩ ـ ٩١٠ هـ ؛ وهذه المجموعة الأثرية التى تقع إلى يمين الداخل إلى شارع لورية من جهة شارع الأزهر ، تتكون من مسجد وضريح وسبيل وكتاب ؛ وإلى اليسار من هذه المجموعة ، في الجهة المقابلة من الشارع توجد مدرسة الغورى [1] . ولا شك أن هذا المسجد يعتبر تحفة هذا العصر ، فقد عنى به عناية بالغة ، كما أفرط فى زخرفته إفراطاً أخرجه من وقار المساجد إلى بهرجة القاعات ، وأنشأ مهندسه تجاهه مدرسة وقبة وسبيلاً وكتاباً ، اتفقت معه طولاً وعرضاً وزخرفاً ، فهيّأ لمن يعبر بينهما فرصة المتعة بجوفّى يملاء النفس روعة وجلالاً [2] .

أهم آثار السلطان الغورى : قام فى عهده بعدة أعمال معمارية ، فقد أصلح قلعة الجبل ، وأبراج الأسكندرية ؛ كما غير مأخذ الماء الموصل إلى القلعة ، فأنشأ السواقى على النيل وما يتصل بها من قناطر المياه ، حتى تلاقت مع المجراه القديمة ؛ وجدد خان الخليلى ، ولاتزال بعض البوابات الحجرية التى أنشأها الغورى باقية إلى اليوم ؛ وقد أصلح الغورى قبة الإمام الشافعى ، ومسجد الإمام الليث ؛ وأنشأ منارة للجامع الأزهر ـ هى ذات الرأس المذدوجه ـ ؛ كما أنشأ أيضاً عدداً من القصور والوكالات والخانات ؛ وعمّر المساجد ؛ ومن أهم أعماله المجموعة المعمارية المعروفة باسمه ، والتى تتكون من وكالة ـ بشارع الطبلية (محمد عبده) وقبة ؛ ثم مسجده المعروف بالغورية عند تقاطعه مع شارع الأزهر ، وانتهى من العمل فيها فى سنة ٩٠٩ ـ ٩١٠ هـ ؛ وتمتاز

(١) كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ص٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) حسن عبد الوهاب : بين الآثار الإسلامية ص ٢٠ ـ ٢١ ؛ تاريخ المساجد ١ : ٢٩١ ـ ٢٩٤ ، والصور واللوحات فى الجزء الثانى .

شكل مئذنته بقمتها المكونة من رأسين مربعين ، أو أربعة رؤوس مربعة [1] .

خصائص العمارة الإسلامية بمصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة:

يقول الأثرى الشهير حسن عبد الوهاب : « إذا أطلقنا على عصر العمارة فى دولة المماليك البحرية العصر الذهبى ، فجدير بهذا العصر أن يطلق عليه العصر الماسى ؛ فبعد أن تطورت العمارة فى دولة المماليك البحرية وتركزت ، تم تمصيرها فى هذه الدولة ، وأخذت زخرفتها وأزّيّنت ؛ وتغلب تصميم المدرسة على المسجد وازدادت المنارة رشاقة وجمالاً ، كما حليت القبة من خارجها بنقوش هندسية وأخرى مورقه ، وأصبح الغالب على بنائها الحجر بدل الطوب ، أو الطوب والحجر معاً ، حتى أصبحت مصر جديرة بأن يطلق عليها إسم مدينة القباب والمنارات ؛ واضطرد التقدم فى صناعة النجارة ، وأدخل على تطعيمها نوع جديد و الزرنشان ؛ وصناعة الرخام ، وإن كانت قد تقدمت تقدماً عظيماً فى عصر المماليك البحرية ، فإنها ظلّت على تقدمها ، وتخطّى جمالها من الوزرات إلى الأرضيات ؛ وكذلك إرتفعت صناعة النجارة فى السقوف ؛ وتطورت المقرنصات ونقشتّ ؛ . وشاع الزخرف فى الواجهات ، وفى صنج العقود الداخلية ؛ وصغر حجم المدرسة دون أن تفقد شيئاً من مميزاتها الكثيرة ، وغطيت صحونها بسقوف جميلة ؛ وانتشرت المحاريب الحجرية ، ونقشتّ وطعمّت بالرخام . واستاز هذا العصر أيضاً بمميزات معمارية ، مثل تعدد المنارات والقباب فى مسجد واحد ، وجعل السبيل والكتّاب وحدة معمارية ، وكثرة إنشاء الأحواض لشرب الدواب ؛ ومع تقدم التفاصيل المعمارية ، فقد تأخرت الزخارف الجصية ، ولكنها عوّضتّ بتقدم بالغ فى صناعة الشبابيك الجصية ، والتوفيق فى إختيار لونها » [2] .

(١) كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ص٤٩ ـ ٥٠ ؛ حسن عبد الوهاب : الآثار الإسلامية بمصر ص١٧ ـ ١٨ ولوحه ١٥ ؛ تاريخ المساجد ١ : ٢٩١ ـ ٢٩٤ .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد ١ : ١٩ ـ ٢٠ .

الفصل الرابع

المسكوكات

عُثِرَ بالفيوم فى سنة ١٩٥٠ ، أثناء قيام العمال بشق الترع ، على مجموعة كبيرة من العملات الفضية ، التى ترجع الى العصر الايوبى ، وعصر الملك المعز أيبك ، أول سلاطين المماليك ؛ ولقد قام بنشر الجزء الأكبر من هذه المجموعة ، ومقارنتها بالعملات الأيوبية المعروفة من قبل فى المجموعات والمتاحف العالمية ، بول بالوج Paul Balog ، وهو أشهر من تولى دراسة العملات والمسكوكات الأيوبية . وقد لاحظ بالوج ، أن هذه المجموعة لا تحتوى على أى نقود تسبق عصر الملك الكامل ، واحتوت على نقود من عصر إبنه العادل الثانى ، ومن عهد الصالح أيوب ، والصالح إسماعيل ، والمعظم توراتشاه ، والملك الناصر يوسف الثانى [١] ، بالإضافة إلى نقود صليبية ذات رموز عربية إسلامية ، وأخرى ذات رموز عربية مسيحية . وظلت مجموعة المسكوكات الأيوبية بمتحف الفن الإسلامى قليلة ، إلى أن عثر على مجموعة أخرى ، داخل جرّة مليئة بالدنانير الذهبية الأيوبية ، كانت مدفونة فى أسفل مئذنة مسجد كافور الزمام ، وهو أحد المساجد المملوكية، المؤسسة على رقعة بقايا عمائر أيوبية ، ويقع هذا المسجد بحارة الديلم ، التابعة لقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ؛ وبلغت هذه المجموعة ٤٥٥ ديناراً أيوبياً ، وردّت إلى متحف الفن الاسلامى سنة ١٩٦٣ م ، وتم تسجيلها بالارقام ٢٢٩٦١ ـ ٢٢٩٩٦ ، وقام عبد الرحمن فهمى ، بنشر ما

(١) انظر Paul Balog : Etudes Numismatiques de L'Egypte Musulmane, La Trouvaille de Fayoum, Dirhems Ayoubites, du Premier Roi Mamelouk Aybek et d'Imitation Arabe des croises, Extrait du Bulletin de l'institut d'Egypte T. XXXIV, Session, 1951 - 1952 .

ضُرِبَ منها فى مصر ، فى ذيل تحقيقه لكتاب كشف الأسرار العلمية فى دار الضرب المصرية ، لابن بعره الذهبى ، متولى دار الضرب الأيوبية فى عهد السلطان الكامل [١] . كذلك حُفظت كميات من العملات الذهبية والفضية والنحاسية الأيوبية ، إلى جانب كمية كبيرة من صُنج السكة الزجاجية التى ترجع إلى هذا العصر ، فى أشهر المتاحف الأوربية [٢] والأمريكية [٣] ؛ كما احتفظ بول بالوج فى مجموعته الخاصة بمجموعة قيمة جدا من العُمْلات والصُنج الأيوبية ، توفّر على نشرها ودراستها . والملاحظ أن ما وصلنا من العملات الأيوبية ، من الفترة التى تسبق إصلاح الملك الكامل للعُمْلة فى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م قليلة ، لأنه عَمَدَ إلى توحيد وزنها وعيارها وأمر الناس بإستبدال ماعداها ؛ كما أنّ العُمْلات الخاصة بعهود الملك العادل الثانى والمعظم توراتشاه وشجرة الدُرّ والاشرف موسى الطفل ، آخر من احتفظ باسم السلطنة من البيت الأيوبى ، نادرة ، لضيق الفترة الزمنية التى حكموها وتقلب الأوضاع السياسية ، فى عهود هؤلاء السلاطين .

(١) انظر منصور بن بعره الذهبى : كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمى ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ٤٢ هامش ١ و ص ٤١ ، وص ٩٧ـ ١٢٣ ، ولوحة ١ لوحة ٢٥ .

(٢) انظر بصفة خاصة الكتالوجات الخاصة بالمكتبةالأهلية بباريس ومكتبة المتحف البريطانى
Lavoix (Henri) Catalogues des Monnaies Musulmanes de la bibliotheque National . 3 vols (Paris 1987 - 1856)
Lane - Poole : Catalogue of the oriental coins in the British Museum (London 1875 - 1890) .

(٣) انظر Paul Bulog : The Ayyubide jeton, Atti Del Terzo Concresso Di Studi Arabe E Slamici, Instituo Universitario orientale, Napoli, 1967. P. 121 - 125 .

ولقد امدتنا المسكوكات الأيوبية ، فى دراستنا للنظم السياسية والادارية لهذا العصر، بمادة فريدة ، لم نجد لها نظيرا فى المصادر القلمية ؛ اذ أوضحت هذه المسكوكات أهم المظاهر الرسمية لانتهاء حكم الخلافة الفاطمية وسقوطها بمصر، وانضواء مصر فى أطار التبعية الشرعية للخلافة العباسية ؛ وقد تجلى هذا التغيير السياسى والشرعى لمصر ، فى ظهور البرتوكلات الخليفتية على جميع العملات الأيوبية ، مكتوبة على ثلاثة أسطر وأحيانا أربعة أسطر فى وجه العملة ، وتحتوى على أسم الخليفة وكنيته ولقبه [1] ، فى حين اكتفت بعض الصنج الزجاجية باثبات الإسم الشخصى للخليفة مثل « أحمد » ، للدلالة على الخليفة الناصر لدين الله العباسى ؛ ولما كانت هذه الصنج الزجاجية ـ على عكس العملات الأيوبية ـ خالية من اسم وألقاب سلاطين بنى أيوب ، فلقد ظل الإعتقاد سائدا أنها عباسية ، إلى أن أكدت أبحاث بالوج أنها صنعت فى العصر الأيوبى[2] . كذلك تمخض عن هذا التغيير السياسى والشرعى لوضع مصر فى العصر الأيوبى ، ظهور الصيغ السنّية على العملة ، واختفاء الصيغ الفاطمية « على ولى الله » ، وان بقيت بعض بقايا الشعارات والصيغ الشيعية على بعض العملات الايوبية النادرة [3] ، وهذا تفسيره فى أغلب الظن ان عمال دور الضرب بمصر ، كانت العبارات والتعابير الإسماعيلية قد ظلت عالقة بأذهانهم لطول عهدهم بنقشها على السكة فى العصر الفاطمى ، فلم يستطيعوا أن

(١) انظر : P. Balog : The Ayyubide Jeton, P. 121 - 125 .

(٢) انظر P. Balog : Etudes Numimatiques de L'Egypte Musulmane, La Trouvaille du Fayoum, Dirhems Ayoubites.., B. I. E. 1951 - 1952 , P. 54 .

(٣) انظر: P. Balog : The Ayyoubide Jeton ..., P. 121 , 123 .

(٤) انظر : P. Balog : Monnaies islamiques rares fatimides et ayoubites. B.I.E., XXXVI 2,P. 327 - 346 (resume arabe, P. 752), Le Caire, 1955.

يتخلصوا منها أو أن ينسوها بسهولة ، شأنهم فى هذا شأن الشعراء المصريين فى العصر الأيوبى ، الذين مدحوا خلفاء بنى العباس وسلاطين بنى أيوب ، بعبارات وتعابير وصور شعرية ، اسماعيلية صرفة [1] .

وبالنسبة لنظام السلطنة الأيوبية ، فإن عدم وصول أى عُملة من عصر صلاح الدين ، عليها إسم نور الدين زنكى ، أو إسم إبنه الملك الصالح إسماعيل، إبان حكم صلاح الدين لمصر ، على أساس أنه نائبا عن السلطنة الزنكية بها ، رغم أن كتب الحوليات قد أكدت أنه خُطِبَ لكل من نور الدين وابنه على منابر مصر ، وسُكَّ اسمهما على السكة [2] ؛ يؤكد أن الدولة الأيوبية قد ألغت هذه العملة من التعامل وسحبتها من الأسواق ، بعد أن نجح صلاح الدين فى ضم بلاد الشام ، وأعلن إستقلاله بسلطنة مصر ، وما ليس التقليد الخليفى العباسى ، ان أسبغ على سلطنته الشرعية بأن قلده بلاد مصر والشام واليمن[3] . وقد لاحظ بالوج أن الأيوبيين لم يثبتوا لقب « سلطان » على عملاتهم ، إلا منذ

(١) انظر محمد كامل حسين : دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين ، دار الفكر العربى ١٩٥٧ م ، ص ٣٥ ـ ٤٩ .

(٢) يقول المقريزى فى حوادث سنة ٥٦٧ هـ ، وقُرِئت السكة باسم المستضئ بأمر الله ، وباسم الملك العادل نور الدين ، فنُقش إسم كل منهما فى وجه ، وذلك فى سابع شهر ربيع الآخر ، (السلوك ، ١ : ٤٥ س ١ ـ ٣) ويقول المقريزى فى حوادث ٥٦٩ هـ ، وفيها مات السلطان العادل نور الدين محمود ابن زنكى .. وقد خطب له بالشام ومصر والحرمين واليمن ، وقام من بعده ابنه الصالح إسماعيل ، فخطب له السلطان صلاح الدين ، وضرب السكة باسمه ، (المقريزى ، جـ ١ : ٥٥ س ٨ ـ ١١) ؛ وانظر المقريزى : كتاب النقود الإسلامية ، المسمى بشذور العقود فى ذكر النقود ، الطبعة الخامسة تحقيق محمد السيد على بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م، ص ٢٨ . .

(٣) انظر القلقشندى : مآثر الإنافة ، ج٣ : ٨٦ ـ ٩٩ ، صبح الأعشى : ١٠ : ١٤٥ ـ ١٥٧ .

عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب [1] ؛ أغلب الظن لأنه عند قيام صلاح الدين بالسلطنة سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧٦ م ، لم يشمل نفوذه بلاد الشرق الإسلامى كله ، شأن سلاطين البويهيين أو السلاجقة من قبل ؛ وذلك لوجود بقايا سلاطين سلاجقة العجم بعراق العجم ، وسلاطين سلاجقة الروم بآسيا الصغرى ، وشاهانات الدولة الخوارزمشاهية بخوارزم [2] .

كذلك أمدتنا المسكوكات ، بمعلومات فريدة عن نظام ولاية العهد ، فرغم أن نقوش قلعة الجبل [3] ، والمصادر القلمية [4] ، قد أكدت أن الملك العادل كان ولى عهد أخيه صلاح الدين ، فى أول عهده بالسلطنة ؛ الا أن المسكوكات قد أكدت أنه قبيل وفاة صلاح الدين ، وبالتحديد فى سنتى ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ، ٥٨٨ هـ ، ١١٩٢ م ، سمح صلاح الدين لإبنه العزيز بضرب إسمه مستقلا على العملة المصرية [5] ، الأمر الذى يوحى بأن صلاح الدين بعد أن كبّر أولاده أراد أن يكسبهم الشرعية لولاية عهده ، ويمهّد الأذهان لقبول هذا الوضع ، وفى نفس الوقت يضع حدا لطموحات أخيه الملك العادل . ومن ناحية أخرى أكدت المسكوكات حرص الملك العادل الأول ، بعد استيلائه على السلطنة ، على نقش إسم الملك

(١) P. Balog : La trouvaille du Fayyoum., B. I. E, 1951 - 1952, P. 54 .

(٢) انظر بعده

(٣) انظر : Van Berchem : Materiaux, P. 81, No. 49.

(٤) انظر ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ و ٧٨ ، الذى يذكر أنه كان يذكر إسم الملك العادل على المنابر ، بعد اسم الخليفة العباسى ، واسم السلطان صلاح الدين ، على اساس أنه ولى عهد أخيه صلاح الدين .

(٥) انظر عبد الرحمن فهمى ، ملاحق كتاب كشف الأسرار العلمية لابن بحره الذهبى ، ص ١٠٩ .

الكامل ، أكبر أولاده وولى عهده على السكة [1] ؛ وذلك للتنافس والصراع الأسرى الذى قام بين الفرع الصلاحى والفرع العادلى على السلطنة ، وبين اولاد العادل فيما بينهم على ولاية عهد أبيهم [2] .

كما أفادت المسكوكات أيضا أنه منذ وفاه الملك العادل ، لم يثبت أحد من سلاطين بنى أيوب ، إسم ولى عهده على العملة [3] ؛ ومرد ذلك تذبذب هؤلاء السلاطين فى تحديد أولياء عهودهم ، نتيجة لكثرة أولادهم وتعدد زوجاتهم وأمهات أولادهم ، وتدخل أمهات الأولاد فى التأثير على السلاطين عند إختيار أو إقصاء أحد أبنائه عن ولاية عهده ؛ وأوضح مثل لهذا إقصاء الملك الكامل إبنه الأكبر الصالح نجم الدين أيوب من ولاية عهده ، واستبداله بابنه الملك العادل ، الذى كانت أمه أثيره لديه [4] . وأمدتنا المسكوكات أيضا بمعلومات عن الصراع الأسرى بين الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وعمه الملك الصالح إسماعيل [5] ؛ كما ساعدتنا على التأكد من تواريخ إعتلاء الملوك الأيوبيين لعرشهم ، والإضطرابات والتقلبات السياسية التى إنتابت الدولة الأيوبية فى نهاية عهدها ، خاصة النقود الأيوبية الخاصة بعهد تورنشاه [6] ،

(١) نفس المرجع ، ص ١١٣ ، وجاء مركز ظهر الدينار العادلى منذ سنة ٥٩٦هـ على النحو التالى « الملك العادل أبو بكر محمد بن ايوب ، وولى عهد محمد الملك الكامل » .

(٢) انظر بعده .

(٣) راجع عبد الرحمن فهمى : ملاحق كتاب كشف الاسرار العلمية ص ١٢٣ ـ ١٣٣ .

(٤) انظر المقريزى : الخطط

المقريزى : السلوك ، ج١ : قسم ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٥) انظر - P. Balog : La Trouvaille du Fayyoum ..., B. I. E., 1951 - 1952, P. 18 .

(٦) انظر عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، المكتبة الثقافية رقم ١٠٣ ، فبراير ١٩٦٤ ، ص ٧٦ ـ ٧٧ وانظر P. Balog : La Trouvaille du Fayyoum, ... P. 39 .

وشجرةالدر [1] ، والطفل الأيوبي الاشرف موسى [2] ، وفترة وصاية المعز أيبك عليه ، ثم حكمه باسم الملك الصالح أستاذه ، وأثبات أسم الملك الصالح على السكة ، وتحته اسم أيبك ، ويفصل بين الأسمين علامة (V) [3] .

وأخيرا أوضحت العملة الأيوبية التي سكها بنى أيوب بالشام [4] والجزيرة الفراتية بالعراق [5] . واليمن [6] ؛ طبيعة علاقة التبعية او الاستقلال بين السلطان

---

(١) عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٢) P. Balog : Deux dinars inedits du dernier Roi ayoubite d'Egypte Al Malek Al Achraf Abou'L Fath Moussa . B. I. E. XXXI, P. 187 - 190 (resume arab., P. 460) Le Caire, 1949 .

(٣) P. Balog : La Trouvaille du Fayyoum ., P. 43 .

(٤) انظر : Ibid : 19, 21, 22, 29, 31, 33, 37, 38.

فهو يفيد أن سلاطين بنى أيوب ، قد ضربوا بعض عملاتهم فى دور الضرب بالشام مثل دمشق وحماه. وعن العملات الأيوبية لملوك الشام انظر : Lavoix: Catalogue, Vol. 3.

(٥) انظر البحث الفريد لأحمد توحيد بك ، عن نقود أيوبى حصن كيفا ، وهى من بلاد الجزيرة الفراتية ، وهم آخر فرع من الأسرة المالكة الأيوبية ، بقى بعد زوال ملك بنى أيوب من مصر والشام .

A. Tewhid : Monnaies des Eyoubites de Hisn - Keifa, Extr. des Mem du Congre internat. de Numismatique .. etc, Bruscelles, 1910 .

(٦) انظر G. G. Mile : The Ayyubid of the Yemen and their coinage, Num. Chron . 5 ser, 19 (1939) , P. I; 62 - 94 .

ولقد وُصِفَ فى هذا المقال ٧٧ درهما من مقتنيات الجمعية الأمريكية للسكوكات منها ٨ للناصر أيوب و ٥٣ للمسعود يوسف و ١٦ من الفترة المتأخرة للحكم الايوبى باليمن؛ وانظر أيضا P. Balog: Dirhems Ayoubites inedits du Yemen, B. I. E. 36 (1953 - 54) pp. 347 - 355 .

P. Baloge : Dinars of Muazzam Shams al-Din Turansah and al-Aziz Tugthegen, Ayyubid princes of the Yemen, Amerc, Num. Soc, Museum, notes 9, (1960), PP. 237 -240 .

الأيوبى بمصر ، وبقية ملوك بنى أيوب فى أرجاء دولته ، وذلك من واقع البروتوكولات الملكية المنقوشة على مسكوكاتهم .

وفيما يتعلق بنظام الوزارة فى العصر الأيوبى ، فقد أكدت المسكوكات الأيوبية ، أن جميع وزراء بنى أيوب كانوا من وزراء الأقلام ، أى وزراء التنفيذ ، لأن أحد منهم لم يسك إسمه على العملة ؛ كما فعل بعض وزراء السيوف من وزراء التفويض ، فى النصف الثانى من العصر الفاطمى منذ عصر بدر الجمالى ؛ إذا أننا لم نجد إسم أى وزير أيوبى على المسكوكات الأيوبية .

وبخصوص النظم والأوضاع الإدارية ، أمدتنا العملة بأسماء دور الضرب فى أرجاء الدولة الأيوبية ، سواء فى مصر (القاهرة ـ الاسكندرية) [1] أو الشام والجزيرة الفراتية ؛ كما أوضحت تحول مصر فى زمن بنى أيوب من نظام المعدن الفردى Monometalisme الى نظام المعدنين Bimetallic System ؛ بمعنى أن قاعدة النقد Etalom Monetaire أصبحت الذهب والفضه ، بعد ان كانت قبل الفتح الصربى وبعده هى الذهب فقط ؛ اذ أنه رغم المحاسبة على أساس النقود الذهبية ، أصبحت الدراهم وحدة للتعامل فى الأسواق ، كعملة قانونية لم يكن بد من التعامل بها ؛ بحيث كانت مرتبات الجند وميزانية الدولة تُقَدَّر بالدنانير الذهبية ، فى حين تسدد المصروفات بالدراهم الفضية ، كما كان خراج الأرض وأثمان المشتريات تقدر بالدنانير ، وتسدد بالدراهم [2] .

---

(١) انظر مقدمة عبد الرحمن فهمى لكتاب كشف الأسرار العلمية لابن بحرة الدهنى ، ص ٢٩ الى ص ٣٢ .

(٢) صور المقريزى ازمة الذهب التى ألمت بمصر فى مستهل العصر الأيوبى ، تصويراً رائعا بقوله فى حوادث سنة ٥٦٧ هـ ، وفيها عمّت بلوى الشاقة بأهل مصر ، لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا ، وعدما فلم يوجدا ، ولهج الناس بما عمّهم من ذلك ، وصاروا اذا قبل دينار احمر فكأنما ذكرت حرمة الفجور له ، وان حصل فى يده فكأنما =

كما أطلعتنا العملة الأيوبية ، على آثار الإصلاح الذى قام به الملك الكامل محمد فى سنة ٦٢٢ / هـ ١٢٢٥ م للعملة ، الذى أصدر عملة فضية جيدة عرفت « بالنقره » و « الكاملية » . بحيث ألغى الكامل ، التعامل بأغلب العملات الأيوبية السابقة على عصره ، خاصة العملة الناصرية « الذى كثرت فيها نسبة النحاس حتى عُرفت بالزيوف » ولقد بقيت العملة الكاملية مستخدمة

= جاءت بشارة الجنة له . ومقدار ما يُحْنَس أنه خرج من القصر الفاطمى ، مابين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وطيوس وأثاث وقماش وسلاح ، مالا يفى به ملك الأكاسره ، ولا تتصوره الخواطر ، ولا تشتمل على مثله الممالك ، ولا يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق فى الآخرة » انظر المقريزى : السلوك ، جـ ١ : ٤٦ ـ ٤٧ ، وانظر المقريزى : شذور العقود ، نشرة الاب انستاس مارى الكرملى فى كتابه النقود العربية وعلم النميات ، ص ٥٩ ـ ٦٠ . وعن اعتماد الدولة على الدراهم الفضية فى التعامل فى العصر الأيوبى ، يقول المقريزى أيضا : « وصارت المبيعات الجليلة تُباع وتُقوّم بها ، وإليها تنسب اثمان المبيعات عامة وقيم الأعمال ، وبها يؤخذ خراج الأرضين وأجرة المساكن وغير ذلك » انظر المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمّة ، تشر مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ص ٦٦ . وأغلب الظن أن تكاليف الجهاد وإعداد الجيوش لقتال الصليبيين ، كان أهم عامل فى أزمة الذهب التى عانتها مصر فى عهد الأيوبيين ، اذ اضطر سلاطين بنى أيوب ، وخاصة فى عهد صلاح الدين ، إلى الإستدانه وطلب المعاونة بالمال ، سواء من الخلافة السياسية أو من الخلافة الروحية بالمغرب ، (انظر بعده) وقارن أيضا تفسيرات أخرى لأزمة الذهب فى العصر الأيوبى عند كل من :

R. Ehrenkrentz : The Crisis of the dinar in the time of Saladin, J.A.O.S, 1956. PP. 178-184.

R. Ehrenkrentz : The Standand of fineness of gold coins circulating in Egypt at the times of the crusades, J.A.O.S. 74 (1954) P.P. 162 - 166 .

وهو يحاول فى هذين المقالين الإستدلال على الأوضاع الإقتصادية بمصر الأيوبية عن طريق دراسة عُملة .

Michel de Bouard : Evolution Monetaire de L'Egypte Medieveale . L'Egypte Contemporaine , 30, 1939, PP. 427 - 459 .

حتى العصر المماليكى بشهادة المقريزى [١] ؛ ولعل هذا هو السبب فى قلة النقود الأيوبية التى ترجع الى العهد السابق لإصلاح الكامل للعملة [٢] . والواقع أن إصلاحات الملك الكامل للسكة ، جاءت من الشمول ، بحيث أعاد ترتيب دار الضرب المصرية بصفة عامة فى عصره ونظام الإدارة والعمل بها ؛ وقد أوكل الكامل بهذه المهمة الى أحد كبار موظفيه ، الذى اعتمد فى إصلاحاته على ماكان قد استقر من قبل فى دار الضرب المصرية على عهد الخليفة الفاطمى الآمر بأمر الله ، وقد نص على هذا ابن بعره الذهبى الكاملى فى مؤلفه عن دار الضرب المصرية فى العصر الأيوبى [٣] . ولقد أتاحت العملة الأيوبية [٤] ، بالإضافة إلى كتاب ابن بعره [٥] ، فرصة لعلماء النُميّات لدراسة طريقة سك العملة فى مصر الإسلامية.

---

(١) انظر المقريزى : النقود الإسلامية ص ٢٩ ـ ٣٠ ؛ وراجع : عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(٢) لاحظ هذه الملحوظة ، بالوج ، انظر :

P. Balog : La Trouvaille.., P. 17 - 18 .

(٣) انظر منصور ابن بعره الذهبى الكاملى : كتاب كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٤) انظر أبحاث :

Paul Balog : Etudes Numismatiques de L'Egpte Musulmane, Fatimites, Ayoubites, Premiers Mamloukes, Leurs Techniques Monetaires Extrait du. B.I.E.T. XXXV. Sessions 1952 - 1953, PP. 401, Le Caire, 1954.

P. Balog : Etude numismatiques L'Egypte musulmane, Periode fatimides et ayoubites, nouvelles observation sur la technique de monnayage, B.I.E., XXXIII, P. 1-42,Cairo, 1952.

(٥) انظر :

R. Ehrenkrentz : administation of the Ayyubide mint in Cairo., Bulleting of the School of Oriental and African Studies Vol. XVI. London 1954.

R. Ehrekrentz : Contributions to the Knowledge of the Fiscal Administration of Egypt in the middle of Ages, Bulletin of the Scool of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 16. Part, 3, 1954.

عبد الرحمن فهمى : بمقدمة كشف الأسرار العلمية لابن بعرة ، ص ٧ ـ ٢٨ ، وهو =

وفى إعتقدنا أن إقدام الجمهوريات الإيطالية والكيانات السياسية اللاتينية بالشام على تزييف العملات الفاطمية ثم الأيوبية ، أو سك عملات لاتينية عربية ذات خصائص إسلامية أو مسيحية [1] ، ليؤكد إزدهار التجارة فى مصر الأيوبيـــة ، كما يشير إلى مدى تأثر الصليبيين بصفة عامة بالثقافة العربية الإسلامية فى هذا العصر . ولا شك أن وجود العملات المشرقية والمغربية وبعض العملات الإيطالية بمصر ، فى ذلك الوقت ، كما ذكر ابن بـــسره [2] ، يؤكد هذا الرواج التجارى بالعصر الأيوبى ، ناهيك عن وثائق المعاهدات التجارية مع الجمهوريات الإيطالية التى سبق الحديث عنها بالتفصيل [3] .

وأيضا ساعدتنا العملة الأيوبية فى دراسة تاريخ وتطور الخط العربى ؛ اذ لاحظ المتخصصون إستمرار إستخدام الخط الكوفى ، على العملات الأيوبية ،

= يقارن بين كتاب ابن بعرة ، وكتاب الدوحة المشتبكة ، لضوابط دار السكة ، لأبى الحسن على بن يوسف الحكيم ، من علماء القرن الثامن الهجرى ، وهو مغربى ممن عاش أبان حكم أسرة بنى مرين ، وقد نشر هذا الكتاب الدكتور حسن مؤنس بصحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، م ٦ ، سنة ١٩٥٨ ، من ٦٣ ـ ٢٠٤ .

(١) عن هذه العملات اللاتينية التى حاولت تزييف العملة الأيوبية ، أو ذات الخصائص العربية والرموز الاسلامية أو المسيحية ، انظر: عبد الرحمن فهمى: النقود العربية ص ٧٨ ـ ٨٣ ؛

- P. Balog : La Trouvaille du Fayoum, Dirhems ayoubites.., et d'imitation arabe des croises B.I.E, 1953, P. 45-15.
- R. Ehrenkrentz : Arabic Dinars Struck by the Crusaders, J.E.S.H.O, V, VII, 1964, Part II.
- R. Ehrenkrentz : Byzantine Tetartera and Islamic Dinars, J.E.S.H.O. V. VII, 1964, Part II.
- R. Ehrekrentz : The Standard of fineness of western and Eastern Diners before the crusaders, JESHO, V, VI, 1963, Part I.

(٢) انظر ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ص ٥٨ ـ ٦٠ .

(٣) انظر قبله .

المضروبة بدار الضرب بالاسكندرية ، حتى عصر الملك الكامل محمد [1] .

كذلك أمدتنا العملة بطريقة التعامل والتبادل التجارى بالأسواق ، بحيث أكدت قطع العملة وأجزائها [2] ، حقيقة رددتها المصادر الكتابية ؛ وهى أن النقود كان يتعامل بها بالوزن وليس بالعد [3] ؛ كما أفادتنا صنج الوزن الزجاجية الأيوبية ، التى قام بجمعها ودراستها Balog ، وعددها ١٣٩ قطعة ؛ بأن هذه الصنج الزجاجية ، كانت تُستَخدَم فى العصر الفاطمى والأيوبى ، كعملة ، وليس للتأكد من وزن العُمْلَة ؛ وذلك لسببين : أولهما لكثرة هذه الصنج بحيث تخرج عن كونها لمجرد التأكد من وزن العُمْلَه ، وثانيهما عدم وجود عُمْلات مساوية لهذه الصنج [4] .

*

(١) عبد الرحمن فهمى : مقدمة كشف الاسرار العلمية ص ٣١ .

(٢) انظر :

Paul Balog : Fatimites, Ayyoubites, Premiers Mamelouks, Leurs Techniques Monetaires, B.I.E. T. XXXV, Sessions 1952 - 1953, PL. I, FL II, PL. III, PL. IV, PL V, PL. VI.

(٣) انظر جوانقيل : مير القديس لويس ، ترجمة حسن حبشى ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٤ ص ١٦ ـ ١٧ ؛ النابلسى : لمع القرائن المضية ، تحقيق كلود كاهين ، ص ؛ والعماد الأصفهانى : الفتح القسى ص ٥٢٧ ص ١٩ حيث يقول « والمال موزون موفور» وجاء فى كتاب الخطط للمقريزى جـ ١ ، ص ١٤٨ على لسان الخليفة عمر بن الخطاب « أيها الناس قد جاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلنا لكم كيلا ، وأن شئتم عددنا لكم عدا » (ص ١٣ ـ ١٤) .

(٤) انظر بالتفصيل : Paul Balog : The Ayyubide jeton, Atti Del Tezzo Con-cresso Di Studi Arabi Eslamici, Instituto Univeristario Orientale, Nopoli, 1967, PP. 121 - 125 .

المسكوكات فى العصر المماليكى

أفاد المقريزى أن العملة والنقود الأيوبية ، إستمر التعامل بها فى العصر المماليكى بمصر والشام ؛ إذ أقرّ سلاطين المماليك نقد سلاطين بنى أيوب على حاله ، وأجازوا التعامل به ؛ كما أبقوا سائر شعارهم ، ورسومهم ، وصيغهم المكتوبة على نقودهم ، لأن سلاطين المماليك ، إقتدوا بسلاطين بنى أيوب فى جميع أحوالهم ؛ لأنهم كانوا يفخرون بالإنتماء إليهم ، فهم مماليكهم وتلامذتهم ، وترابيهم الذين ربّوا على أيديهم ، وتحت إشراقهم وعنايتهم . فيقول المقريزى : « لما استبد السلطان صلاح الدين ، بعد موت الملك العادل نور الدين ؛ أمر فى شوال سنة ٥٨٣هـ [وهى السنة التى إسترد فيها صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيين] ، بأن تبطل نقود مصر ، وضرب الدينار ذهبًا مصريًا ؛ وأبطل الدرهم الأسوء ، وضرب الدراهم الناصرية ، وجعلها من فضّة خالصة ، ومن نحاس نصفين بالسواء . فاستمر ذلك بمصر والشام ؛ إلى أن أبطل الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل ابى محمد بن أيوب الدرهم الناصرى ، وأمر فى ذى القعدة من سنة ٦٢٢هـ ، بضرب دراهم مستديرة ؛ وتقدم أن لا يتعامل بالدراهم المصرية العتق ، وهى التى تعرف فى مصر والاسكندرية بالورق [وفى نسخة خطية أخرى : بالزيوف] ؛ وجعل الدرهم الكاملى ثلاثة أثلاث : ثلثيه من فضّة خالصة ، وثلثه من نحاس ؛ فاستمر ذلك بمصر والشام مدّة فى أيام ملوك بنى أيوب . فلما انقرضوا ، وقامت مماليكهم الأتراك من بعدهم ، أبقوا سائر شعارهم ، واقتدوا بهم فى جميع أحوالهم ، وأقرّوا نقدهم على حاله ؛ من أجل أنهم كانوا يفخرون بالإنتماء إليهم ؛ حتّى أنّى شاهدت المراسيم التى كانت تصدر عن الملك المنصور قلاوون ، وفيها بعد البسملة (الملكى الصالحى) ، وتحت ذلك بخطه (قلاوون) » [1].

*

(١) المقريزى : النقود الإسلامية ، المسمى بشذور العقود فى ذكر النقود ، الطبعة الخامسة ، =

ولقد أرّخت النقود الأيوبية والمماليكية ، لمرحلة وفترة الإنتقال ، بين العصر الأيوبى والعصر المماليكى ؛ على نحو ما أطلعتنا عليه نقود ترنشاه ، ونقود شجرة الدر ، ونقود عزّ الدين أيبك . وتعتبر نقود تُرنشاه ، من أندر العملات الأيوبية ؛ ذلك لأنه لم يحكم مصر غير واحد وستين يومًا ، انتهت فى مايو سنة ١٢٥٠م (٦٤٨هـ) ؛ وقد رددت المراجع التاريخية كلها إسم ترنشاه فى كلمتين (توران شاه) ؛ بينما ورد اسمه على النقود ، وهى الوثيقة الرسمية ، (ترنشاه) ؛ وسجل معه اسم آخر خلفاء العباسيين فى بغداد ، وهو المستعصم بالله ؛ كما فعل ابوه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، على هذا النحو : فى وجه العمله ، ثلاثة أسطر ، وهى : الملك المعظم ، غياث الدنيا وا، لدين ترنشاه بن محمد ؛ وفى ظهر العمله ، أربعة أسطر ، هى : الإمام ، المستعصم ، بالله أبو أحمد ، أمير المؤمنين ؛ [1] وإلى السلطان الملك المعظم توراتشاه ، آخر سلاطين الأيوبيين فى مصر ، يرجع فضل القضاء على الصليبيين فى موقعة المنصورة ، وأسر ملكهم لويس التاسع ملك فرنسا .

كذلك تُعَدّ نقود شجرة الدُّر ، التى ضربتها سنة ٦٤٨هـ من أندر النقود الإسلامية فى العالم ؛ ولا يوجد منها غير دينار واحد بالمتحف البريطانى ، وآخر بإحدى المجموعات الخاصة بالقاهرة ، مع أربعة دراهم أخرى من الفضّة ، أما نقودها النحاسية فلم يصل إلينا منها قطعة واحدة . ولقد خُطب لشجرة الدُّر بالسلطنة بالقاهرة ومصر وسائر الديار المصرية ، ونُقش لقبها الذى تلقبت به (والدة خليل) ـ وهو ولدها الذى انجبته من زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب ـ على النقود ، مصحوبًا باسم الخليفة العباسى المستعصم بالله ، ولم تنقش

= تحقيق محمد السيد على بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م ، من ٢٩ ـ ٣٠ .

(١) عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية من ٧٦ ـ ٧٧ .

اسمها صراحة على الدنانير والدراهم التي ضربتها ، ويظهر على دنانيرها كتابات بالخط النسخي ، نصها : (هامش الوجه) لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليُظهره على الدين كله . (مركز الوجه) ، أربعة أسطر هي : المؤمنين ، المستعصمية الصالحية ، ملكة المسلمين والدة ، الملك المنصور ، أمير . (هامش الظهر) بسم الله الرحمن الرحيم . ضُرِبَ هذا الدينار بالقاهرة سنة ثمان وأربعين وستمائة . (مركز الظهر) . ثلاثة أسطر ، وهي : الإمام المُستعصم، بالله أبو أحمد عبد الله ، أمير المؤمنين [1] . ولكن ما لبث المماليك أن خلعوا شجرة الدُرّ من السلطنة ، بعد شهرين فقط من توليتها ، بعد أن جاءهم كتاب الخليفة المُستعصم العباسي ، ينعي عليهم إقامة إمرأة في السلطنة؛ إذ ورد فيه : «إن كانت الرجال قد عدمت عندكم ، فأعلمونا حتّى نُسيِّر إليكم رجلاً» . والواقع الذي صرّح به مؤرخو العصر الأيوبي ، أن المماليك أقَرّوا بسلطنة شجرة الدُرّ ، إبقاءً على عَرْش بني أيوب ، بعد أن قُتل السلطان تورنشاه ، الوارث الشرعي له ، وعُدم بين أبناء البيت الأيوبي ، من يستحق ميراث عرش الملك الصالح نجم الدين أيوب ؛ فأقروا سلطنة شجرة الدُرّ ، لأنها أم خليل ، ولد الملك الصالح الذي مات طفلاً ، وزوجة الملك الصالح ؛ وكأنهم بذلك قد أبقوا السلطنة في بيت بني أيوب .

ويتضح من نقود الملك عز الدين أيبك ، زوج شجرة الدر ، وأول سلاطين المماليك بمصر ، التي ضربها سنة ٦٥٢هـ، أنه لم يسجِّل عليها اسم الطفل الأيوبي الأشرف موسى ، الذي جاء به إلى العرش إرضاء للأيوبيين في سوريا والكرك ؛ بل قبل أيبك أن يحكم البلاد باسم سيده الملك الصالح نجم الدين ؛ فسجل اسمه على النقود منذ سنة ٦٥٢هـ ، مصحوبا باسم الملك الصالح تقديراً

(١) عبد الرحمن فهمي محمد : النقود العربية ص ٨٥ ـ ٨٦ .

للوفاء له ، ولا يفصل بين الإسمين غير شارة في هيئة الرقم ٧ ، ربما للدلالة على أحد الرتوك (الشارات) التركمانية للمعز أيبك ؛ وذلك في ثلاثة أسطر ، على هذا النحو : الملك الصالح ، نجم الدين أيوب ؛ ٧ ، أيبك [1] . فكأن المماليك قد استقروا على عرش مصر ، ونالوا السلطنة بوصفهم مماليك سلاطين بني أيوب ، ومواليهم المُنتسبين إليهم ؛ اعتماداً على القاعدة الفقهية الإسلامية في عِتق العبيد والمماليك ، وهي « الولاء لمن أعتق » . كما جاء في حديث رسول الله ﷺ الوارد في كتب الصحاح ؛ وذلك بعد أن عُدِم في البيت الأيوبي بمصر ، من تتوفّر فيه الشروط العشرة التي إشترطها فقهاء الإسلام فيمن يتولى الإمامة أو الخلافة أو الإمارة ، ومنها الذكوره والرجوله والبلوغ ؛ ويجب أن نأخذ في الإعتبار هنا ، أن أمراء المماليك حين وليوا السلطنة بمصر ، كانوا أحراراً معتقين ، ولم يكونوا عبيداً أرقاء ؛ ذلك لأن سلاطين المماليك كانوا يعتقون مماليكهم ، عند تخرجهم من المدارس الحربية التي أُعدّت لتربيتهم على الإسلام والثقافة العربية ، وهي « الطباق السلطانية » ؛ قبل أن يمنحوهم شرف الجندية ، وقبل أن يرقوهم إلى رُتب الإمارة [2] . وقد أجمع فقهاء الإسلام أن الحرية والإسلام ، من أهم شروط الجندية في الإسلام ، ومن أهم شروط الإمارة والسلطنة [3] .

وبعد وفاة السلطان عز الدين أيبك ، حاول الأمراء الموالين له ، أن يجعلوا سلطنة مصر ، ميراثاً لإبنه علي ؛ فولّوه السلطنة وله من العمر ١١ سنة ، ولقبوه بالملك المنصور نور الدين؛ فضرب الملك المنصور علي بن أيبك النقود باسمه سنة

(١) عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ص ٨٧ .

(٢) انظر المقريزي : الخطط ٣ : ٣٤٧ ـ ٣٥٠ (ذكر الطباق بساحة الإيوان بالقلعة) ، ٣ : ٣٥٠ ـ ٣٥٦ (ذكر جيوش الدولة التركية) .

(٣) انظر على سبيل المثال، ابن جماعة: تدبير أهل الإسلام في تحرير الأحكام ، (الإمامه ـ الإمارة).

٦٥٥هـ ، مصحوباً كذلك باسم الخليفة العباسى المُستعصم بالله [١] . وكان من الطبيعى ، أن لا يستقرّ عرش هذا السلطان الجديد ، نظراً لأنه ليس سليل بيت ملك عريق ، كم أن أباه لم يكن فى الواقع الوارث الشرعى لمُلك بنى أيوب ؛ فضلاً عن أن سنه وتجربته وإمكانياته ، لم يكفلوا له الصدارة والتقدم بين أمراء المماليك ، الذين كانوا لجهلهم بأنسابهم وأحسابهم ، لايُقيمون وزناً ، ولا يعترفون بالفضل ، فيما بينهم البعض ، إلا لمن أثبت جدارته منهم ، بشجاعته وإقدامه وفضله وقوة شخصيته ، وتمرسه بالإمارة والسياسة ؛ وما لبث الأمير قُطُز ، أن تغلب على الدولة والحُكم ، وقبض على الملك الطفل المنصور على بن أيبك ، وتولى السلطنة سنة ٦٥٧هـ .

وتفردت نقود السلطان الملك المُظفر قُطز ، بأنه لم يذكر اسم الخليفة العباسى عليها ؛ نظراً للفاجعة التى ألمت بديار الإسلام حين إجتاحت شعبه من المغول ، بقيادة هولاكو خان حفيد جنكزخان بغداد عاصمة دولة الخلافة العباسية وخربها ، وقتلت الخليفة العباسى سنة ٦٥٦هـ ؛ وبذلك خلت ديار الإسلام من وظيفة الخلافة ، وارثة النبوة فى رعاية شئون الدنيا والدين ، ومصدر السلطات الشرعية فى دولة الإسلام [٢] ؛ لذلك فقد سجل السلطان قطز اسمه « الملك المظفر سيف الدنيا والدين قطز » ، على نقوده الذهبية والفضية بمفرده [٣] ، بعد أن ظفر على المغول وهزمهم فى معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ .

*

(١) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٨٨ .

(٢) انظر الماوردى : الأحكام السلطانية ؛ ابن أبى يعلى : الأحكام السلطانية ؛ الجوينى : غياث الأمم ؛ ابن جماعة : تدبير أهل الإسلام (باب الخلافة) .

(٣) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٨٨ .

وكان لزاماً على سلاطين المماليك ـ الذين رَبّاهم الإسلام وحَرّرهم وعلّمهم وفقّههم فى الدين ، فأضحوا من أشدّ المُتمسكين به ، المُتحمسين له ديناً ودوله ـ ؛ كان لزاماً على سلاطين وأمراء المماليك ، ـ خاصة بعد انتصارهم الساحق على المغول فى معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ ، مُحاربين فى ذلك أهليهم [١] وأبناء عمومتهم من قبائل القفجاق المغولية ، كما لاحظ القلقشندى ، إقتصاصاً منهم لتخريبهم بغداد عاصمة دولة الخلافة العباسية ، وقتلهم الخليفة العباسى سنة ٦٥٧هـ ـ ؛ أن يُحيوا من جديد دولة الخلافة العباسية ، بنقلهم مقرّها إلى القاهرة ، عاصمة دولة سلاطين بنى أيوب ، أعظم سلاطين الإسلام آنذاك ؛ حفاظاً على وحدة العالم الإسلامى ، واستمراراً لما خَصّ الله به دين الإسلام ، بكونه ديناً ودولة ودعوة عالمية [٢] ، وإبقاءً على خطة ووظيفة الخلافة الإسلامية ، متمثلة فى الخليفة العباسى ، مصدراً للسلطات الدينية والشرعية والسياسية فى ديار الإسلام ؛ لقول رسول الله ﷺ : « الخلافة فى قريش ما بَقِيَ » ، وهو ما أجمع عليه فُقهاء الإسلام [٣] . ولقد سَجّلت نقود السلطان المماليكى الظاهر بيبرس ، إحياء هذا السلطان العظيم لدولة الخلافة

(١) يقول القلقشندى عند حديثه عن الأتراك القفجاق ، وذلك إبان حديثه عن جلب الملك الصالح نجم الدين أيوب ، آخر سلاطين الأيوبيين العظام بمصر لهم : « تحمد الإسلام مواقفهم فى حماية الدين ، حتى أنهم جاهدوا فى الله أهليهم » انظر القلقشندى صبح الأعشى ٤ : ٤٥٨ س ١٠ ؛ وراجع أحمد فؤاد سيد : ملاحظات جديدة حول ظهور المماليك ، مقال بكتاب دراسات عربية وإسلامية مُهداه إلى أبى فهر محمود شاكر ، بمناسبة بلوغه السبعين ، القاهرة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م ، ص ٣٩ ـ ٨٠ ، وخاصة ص ٧٨ .

(٢) راجع أحمد فؤاد سيد : تاريخ الدعوة الإسلامية فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين نشر مكتبة الخانكى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ، ص ٤١١ ـ ٤٢١ .

(٣) انظر الماوردى : الأحكام السلطانية ؛ ابن أبى يعلى : الأحكام السلطانية ؛ الجوينى : غياث الأمم ؛ ابن جماعة : تدبير أهل الإسلام ، (الأبواب الخاصة بالخلافة أو الإمامة) ، وانظر أيضاً كتب الصحاح والسُنن ، وكتب المقالات والفرق الإسلامية ، (الأبواب الخاصة بالخلافة أو الإمامة) .

العباسية ، ونقله لمقرها من بغداد إلى القاهرة ، وذلك سنة ٦٥٩هـ [١].

وقد صاحب إحياء السلطان الظاهر بيبرس ـ الذى يُعدّ المؤسس الحقيقى لدولة المماليك البحرية ـ للخلافة العباسية بمصر ، ونقش اسم الخليفة العباسى المصرى على عُملة الظاهر بيبرس ، مقترناً باسم الظاهر بيبرس ولقبه الجديد «قسيم أمير المؤمنين» [٢] ؛ إصلاحًا للعملة بمصر والشام ، بحيث ظلت الدراهم الظاهرية التى ضربها بيبرس ، متداولة بين الناس بمصر والشام ، هى والدراهم الكاملية التى ضربها من قبل السلطان الكامل الأيوبى ، حتى أول العهد بقيام دولة المماليك الجراكسة بمصر ؛ فيقول المقريزى : « فلما ولى المَلك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى ، وكان من أعظم ملوك الإسلام ، وممّن يُتعيّن على كل ملك معرفة سيرته ؛ ضرب دراهم ظاهرية ، وجعل كل مائة درهم ، من سبعين درهمًا فضة خالصة ، وثلاثين نحاسًا ؛ وجعل ركنه على الدرهم ، وهو صورة سبع ؛ فلم تزل الدراهم الكاملية والظاهرية بديار مصر وبلاد الشام ، إلى أن فَسَدَتْ فى سنة ٧٨١هـ ، بدخول الدراهم الحموية ، فكثر تعنّت الناس فيها ؛ وكان ذلك فى إمارة الملك الظاهر برقوق ، قبل سلطنته » [٣].

ولقد بايع السلطان الظاهر بيبرس إثنين من خلفاء بنى عباس بمصر على التوالى ، هما المستنصر بالله والحاكم بأمر الله ، ونقش إسمهما على عُملته ؛ وكان أول الخلفاء العباسيين الذين بايعهم بيبرس بالقاهرة ، هو أبو القاسم أحمد، الذى لُقّبه باسم (المستنصر بالله) ؛ فدعى له على المنابر والسلطان من بعده ، ونُقش اسمه على العُملة ، مصحوباً باسم الظاهر بيبرس ولقبه الجديد

(١) انظر المقريزى : الخطط ٣ : ٣٩٣ .

(٢) عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية ص ٨٨ ـ ٩٠ .

(٣) المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣٠ ـ ٣١ .

«قسيم أمير المؤمنين» ؛ ولا خلاف فى كتابة الدنانير والدراهم ، فى غير ترتيب الكلمات فى السطور المنقوشة بالخط النسخى المملوكى ؛ على هذا النحو : (الوجه) ، خمسة أسطر ، هى : الصالحى ، السلطان الملك ، الظاهر ركن الدنيا والدين ، بيبرس قسيم أمير المؤمنين ، (رنك السبع) ؛ (الظهر) ، أربعة أسطر ، هى : الإمام المستنصر ، أبو القسم أحمد بن ، الإمام الظاهر أمير ، المؤمنين [١]. وبعد مقتل الخليفة أبى القاسم ، أثناء محاولته استرجاع سلطان الخلافة العباسية فى بغداد ، بايع بيبرس عباسياً آخر بالخلافة ، هو أبو العباس أحمد ، الذى تلقب باسم (الحاكم بأمر الله) ؛ وخُطب له كذلك على المنابر بمصر ودمشق ومكة والمدينة والقُدس ، ونُقش اسمه مع اسم الظاهر بيبرس ورنكه [٢].

وظلت نقود مصر فى العصر المماليكى ، تحمل أسماء السلطان صحبة اسم الخليفة العباسى المُقيم بالقاهرة ؛ حتى إذا استقر نفوذ سلاطين المماليك فى البلاد نهائياً ، لم يعودوا يعنون بنقش أسماء الخلفاء العباسيين المعاصرين على نقودهم ؛ إذ أصبح الغالب فى عهد أسرة قلاوون ، هو أن يحمل وجه العُملة اسم السلطان ، وتاريخ مكان الضرب بالخط النسخى المملوكى ؛ بينما يحمل الوجه الثانى عبارة نصها : (لا إله إلا الله محمد ـ رسول الله أرسله بالهدى ـ ودين الحق ليُظهره على ـ الدين كله) أو عبارة (الله ـ وما النصر إلا من عند ـ الله لا إله إلا الله محمد ـ رسول الله أرسله ـ بالهُدى ودين ـ الحق) [٣] ؛ وهما عبارتان شديدتا الشبه بالعبارات والصيغ الدينية ، التى كانت تُكتب على النقود العباسية ، وتفيد نهوض دولة الخلافة العباسية ، بتطبيق شريعة الإسلام فى الأرضين ، وبلاغ دعوة الإسلام إلى ممالك وشعوب العالم ، والنهوض بفريضة

(١) عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(٢) نفس المرجع ص ٩٠ .

(٣) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٠ ـ ٩١ .

الجهاد فى سبيل الله ، ونشر دينه ، وحماية دولته ؛ فكأن سلاطين المماليك ، بصك هذه العبارات على نقودهم ، أرادوا الإيحاء بأنهم قد ورثوا خلفاء بنى العباس ، فى النهوض بمهام الخلافة ، فى رعاية شؤن الدين والدنيا ، فى ديار الإسلام ودولته [1] .

*

وبقيت النقود المماليكية ، تتألف كغيرها من النقود الإسلامية ، من دنانير الذهب ، ودراهم الفضة ، والفلوس النحاس ؛ ولقد أفرد القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى ، باباً عنونه بـ (ذكر ترتيب أحوال الديار المصرية) ، وقسمه عدّة فصول : الأول منها ، فى ذكر معاملات الديار المصرية ، وجعله على ثلاثة أقسام : القسم الأول فى الأثمان ، وهى على ثلاثة أنواع : النوع الأول الدنانير المسكوكة ، والنوع الثانى الدراهم النقرة ، والنوع الثالث : الفلوس . والقسم الثانى : فى المثمنات وهى على ثلاثة أنواع : النوع الأول الموزونات ، والنوع الثانى المكيلات ، والنوع الثالث المقيسات . والقسم الثالث فى الأسعار [2] . وهو بذلك يشير ، إلى أن كل من النقود ، التى عبّر عنها بالأثمان ، والموازين

---

١) أمدنا القلقشندى بمعلومة طريفة ، تتعلق بسك خلفاء بنى العباس بمصر اسمهم على النقود فى العصر المماليكى ؛ وهى أن الخليفة العباسى الإمام المستعين بالله ابو الفضل العباسى ، حين استبد بالأمر بعد السلطان الناصر فرج بن برقوق ، ضرب دنانير ذهبية ، مما يتعامل بها بالعدد لا بالوزن ، على نظير دنانير السلطان الناصر فرج ، ولم يتغير فيها غير السكة ، باعتبار إتقانها من اسم السلطان إلى اسم أمير المؤمنين ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٨ ، وكان ذلك سنة ٨١٥هـ . وعن إرتباط العملة بمصر الإسلامية ، منذ الفتح الإسلامى لها بعملة الخلافة الإسلامية ، حتى ظهور الدول المستقلة بها ، الدولة الطولونية ، ثم الإخشيدية ، ثم قيام دولة الخلافة الفاطمية بمصر ، يقول المقريزى : « إن مصر لم تزل منذ فُتحت دار إمارة ، وسكتها إنما هى سكة الخلافة من بنى أمية ثم من بنى العباس ، إلا أن الأمير أبا العباس أحمد بن طولون رحمه الله ضرب بمصر دنانير ، عُرفت بالأحمدية » المقريزى : النقود الإسلامية ص ٢٣ .

٢) انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٦ ـ ٤٤٤ .

والمكاييل ووحدات القياس ، التى عبّر عنها بالمثمنات ؛ وأسعار السلع المختلفة المطروحة فى الأسواق ، التى عبر عنها بالأسعار ؛ هى الأركان الثلاثة ، التى تستقر بها ، وترتكز عليها ، الحالة الاقتصادية والتجارية فى البلاد ؛ إذا ما إلتزم فى تحديد ومراقبة هذه الأركان الثلاثة ، أحكام الشريعة الإسلامية ، وما يرتبط بها من مكارم الأخلاق ، وتقوى الله فى السرّ والعلن ، ومحاسبة الضمير ؛ حتى يستقر الاقتصاد فى البلاد الإسلامية ، على أسس ومفاهيم ومعايير أخلاقية ، بعيدة عن التلاعب والغش والتدليس والإفساد فى الأرض ؛ وهو أمر أفاضت فى شرحه وبيانه كتب أحكام الحسبة على الأسواق ، التى ألفيت فى العصرين الأيوبى والمماليكى ، ويأتى فى طليعتها مؤلفات الشيزرى وابن تيمية وابن الأخوة وابن بسام التنيسى وغيرهم .

ونبهنا القلقشندى إلى أن النقود المتداولة بمصر فى العصر المماليكى ، ثلاثة أنواع ؛ النوع الأول : الدنانير المسكوكة فيما يضرب بالديار المصرية ، أو ما يأتى إليها من المسكوكات فى غيرها من الممالك ، وهى ضربان : الضرب الأول ، ما يعامل به وزناً ، كالذهب المصرى ، وما فى معناه ؛ والضرب الثانى : ما يتعامل به معادّة [1] . والنوع الثانى : الدراهم النقرة [2] . والنوع الثالث : الفلوس المطبوعة وغير المطبوعة [3] .

*

وهنا نلاحظ تقلب واضطراب النظام النقدى ، فى عصور الإنتقال بين سقوط الدول وقيامها ؛ على نحو ما حدث بين سقوط الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية بمصر [4] ؛ ثم سقوط الدولة الأيوبية ، وقيام دولة المماليك

---

(١) انظر نفس المصدر ٣ : ٤٣٦ ـ ٤٣٩ .

(٢) انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٩ .

(٣) نفس المصدر ٣ : ٤٣٩ أيضاً .

(٤) انظر المقريزى: النقود الإسلامية ص ٢٨ـ٢٩ ، حيث يذكر نصاً طريفاً عن تصوير كيف عمّت =

البحرية[1] ؛ ثم سقوط دولة المماليك البحرية ، وقيام دولة المماليك الجراكسة [2] ، ثم سقوط دولة المماليك الجراكسة ، ودخول مصر فى حوزة دولة الخلافة العثمانية [3] .

ومن ناحية أخرى ؛ نلاحظ أن عدداً كبيراً من سلاطين المماليك ، الذين تميزت عصور سلطنتهم بطول المُدة ، واستقرار الأحوال السياسية ؛ قد عُنيوا باصلاح العُملة ، وإصدار عُملات جديدة ، سواء كانت عُملات ذهبية أو فضية أو نحاسية ؛ على نحو ما فعله السلاطين : بيبرس الأول [4] ، وكتبغا [5] ، والناصر محمد ابن قلاوون [6] ، والناصر حسن بن قلاوون[7] ، والأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون [8] ، فى عصر دولة المماليك البحرية ؛ وما فعله السلاطين : برقوق [9] ، وفرج بن

= بلوى المصارف [يعنى النظام النقدى اللعين] بمصر ، فى سنة ٥٦٩هـ ؛ ثم يقول المقريزى فى آخر هذا النص : « نقلت هذا بنصه عن خطّ القاضى الفاضل عبد الرحيم رحمه الله » ؛ يعنى كتاب المبادرات أو المتجددات ، للقاضى الفاضل ، رئيس ديوان الإنشاء الفاطمى ، ثم وزير صلاح الدين الأيوبى ؛ وراجع ما تقدم .

(١) انظر المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣٠ ـ ٣١ ؛ وراجع عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية ص ٨٤ ـ ٨٨ .

(٢) انظر المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣٢ وص ٣٩ ؛ وراجع عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية ص ٩٢ ـ ٩٥ .

(٣) راجع عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية ص ١٠٩

(٤) انظر المقريزى : النقود الإسلامية ٣٠ ـ ٣١ ؛ وكان هذا سنة ٦٥٩ هـ .

(٥) راجع عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ؛ وكان هذا سنة ٦٩٥ هـ .

(٦) راجع نفس المرجع ص ١٠٦ .

(٧) انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٤٤ وراجع نفس المرجع ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ؛ وكان هذا سنة ٧٥٩ هـ

(٨) انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٦ ـ ٤٣٧ ، وكان ذلك سنة ٧٧٠هـ .

(٩) انظر المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣١ و ص ٣٩ ؛ عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٣ ـ ٩٤ و ١٠٧ ـ ١٠٩ ؛ وكان ذلك سنة ٧٨٩هـ .

برقوق [1] ، والمؤيد شيخ [2] ، وبرسباى [3] ، وجقمق [4] ، وقايتباى [5] ، فى عصر دولة المماليك الجراكسة ؛ وقد حازت بعض هذه الإصلاحات إعجاب ورضى المؤرخين ؛ فى حين تعرضت بعض هذه المحاولات إلى نقد وتفنيد ومعارضة من قبل هؤلاء المؤرخين ؛ وهو ما ينسحب على محاولات كتبغا وبرقوق وفرج بن برقوق .

والجدير بالذكر هنا ، أن كتاب شذور العقود فى ذكر النقود ، الذى ألفه المقريزى ، واشتهر باسم كتاب النقود الإسلامية ، ويُعَدّ من أهم وأوفى مصادر التاريخ الإسلامى فى هذا الموضوع ؛ أفاد المقريزى فى خاتمته ، أنه ألفه فى الأصل للسلطان المؤيد شيخ المحمودى (حكم من سنة ٨١٥ ـ ٨٢٤هـ) ، وأهداه لخزانة كتبه الملكية ، بإيعاز من هذا السلطان [6] ؛ واقترح فى آخره مشروعاً لإصلاح العملة [7] بديار مصر والشام ، قدّمه للسلطان المؤيد سلطان عصره ؛ ثم أعاد المقريزى النظر فى هذا الكتاب ، وأضاف إليه ونقّحه سنة ٨٤١هـ [8] ، وهى تصادف آخر سنة فى حكم السلطان الأشرف برسباى ؛ وهو أيضاً من سلاطين المماليك الذين عُنيوا باصلاح العُملة .

(١) انظر المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣١ و ص ٤١ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ؛ وراجع عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٨ و ١٠٨ ؛ وكان ذلك سنة ٨٠٧ و ٨١٠ هـ .

(٢) انظر المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣٢ ـ ٣٦ ؛ وراجع عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٤ ؛ وكان ذلك سنة ٨١٨ هـ .

(٣) راجع عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٩ ـ ١٠٠ ؛ وكان ذلك سنة ٨٢٩ هـ .

(٤) نفس المرجع ص ١٠٠ .

(٥) نفس المرجع ص ٩٤ ؛ وكان ذلك سنة ٨٩٢هـ .

(٦) انظر المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣٢ ـ ٣٦ .

(٧) انظر مضمون هذا المشروع ، عند المقريزى : النقود الإسلامية ص ٤٠ .

(٨) انظر نفس المصدر ص ٤١ .

وقد مدح المقريزى الدراهم المؤيدية ، التى ضربها السلطان المؤيد شيخ المحمودى من الفضة الخالصة وعَدَّدَ فضائلها ووصفها بأنها مُطابقة للدراهم الشرعية ، كما وردت فى سُنّة رسول الله ﷺ حين فرضه ﷺ لفريضة الزكاة ؛ وكما ضربها الخلفاء الراشدون ، الذين وصف المقريزى نقودهم فى مُستهل كتابة عن النقود الإسلامية ؛ وكما ضربها الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، الذى وصف المقريزى أيضاً نقوده بعد إصلاحه وإستكماله تعريب النقود الإسلامية كلها سنة ٧٧ هـ ، وأشاد بفضائل نقوده ، ومطابقتها للشريعة الإسلامية ، وسنة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ؛ ونبّه المقريزى إلى الأسباب التى أدّت إلى فساد العُملة بمصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، بدء من عصر السلطان الظاهر برقوق ، مؤسس هذه الدولة .

فيقول المقريزى : « لما تسلطن [الظاهر برقوق] ، وأقام الأمير محمود بن على أُستادارا ، أكثر من ضرب الفلوس ، وأبطل ضرب الدرهم ، فتناقصت حتى صارت عرضًا يُنادَى عليه فى الأسواق بحراج [بمزاد] . وغلبت الفلوس إلى أن قدم الملك المؤيد شيخ عز نصره من دمشق فى رمضان سنة ٨١٧هـ ، فوصل مع العسكر وأتباعهم شىء كثير من الدراهم البندقية [المضروبة بجمهورية البندقية الإيطالية التجارية] ، والدراهم النوروزية [التى ضربها الأمير نوروز الحافظى نائب السلطنة بدمشق] ، فتعامل الناس بها ، وحسن موقعها لبُعد العهد بالدراهم . فلما ضرب مولانا السلطان الملك المُؤيد ابو نصر شيخ عزّ نصره الدراهم المُؤيدية فى شوال منها ، نُودى فى القاهرة بالمُعاملة بها فى يوم السبت ٢٤ صفر سنة ٨١٨هـ ، فتعامل بها الناس . وقد تقدم أن الدراهم التى عملها عبد الملك بن مروان كان فيها ثلاث فضائل ؛ وأنا أقول : أن فى ضرب مولانا السلطان المؤيد الدراهم المؤيدية بست فضائل : موافقة سُنّة رسول الله ﷺ فى فريضة الزكاة ، فإنه عليه السلام إنما فرضها من الفضة الخالصة لا من المغشوشة ؛ والثانية : إتباع سبيل المؤمنين ، ذلك أنه اقتدى فى عملها خالصة بالخلفاء الراشدين ، وقد تقدم بيان ذلك فلا حاجة إلى إعادته ؛ الثالثة : أنه لم يتبع سبيل المُفسدين ، الذين نهى الله تعالى عن اتباعهم بقوله عز وجل : ﴿ وأصلح ولا تتبع سبيل المُفسدين ﴾ ، وبيان ذلك أنّ الدراهم لم تُغَش ، إلا عند تَقَلُّب المارقين ، الذين اتبعوا أهواء قوم قد ضلوا ، كما مرّ آنفاً ؛ الرابعة : أنه نكب عن الشره فى الدنيا ، وذلك أن الدراهم لم تُغَشّ ، إلا للرغبة فى الإزدياد منها ؛ الخامسة : أنه أزال الغش ، وكفى بقوله عليه السلام : مَنّ غَشّنا فليس منا ؛ والسادسة : أنه فَعَلَ ما فيه نصح الله ورسوله ، وقد علم قوله عليه السلام : (الدين النصيحة) ـ الحديث » [1] .

*

ولقد أوضح لنا القلقشندى ؛ فى الفصل الذى أفرده للحديث عن أنواع النقود المتداولة فى العصر المماليكى [2] ، ثم فى الفصل الذى أفرده للحديث عن دار ضرب النقود فى ذلك العصر ـ ؛ الأوزان الشرعية للدنانير الذهبية والدراهم الفضية ، كما أقرتها الشريعة الإسلامية ؛ وناقش مدى مُطابقة الدنانير الذهبية والدراهم الفضية التى ضربها سلاطين المماليك للأوزان الشرعية ، وأطلعنا على عدّة محاولات قام بها سلاطين مصر فى العصر المماليكى فى هذا الشأن ، ووصف لنا طُرُزَ عدّة للعُملات الذهبية والفضية والنُحاسية التى تم ضربها والتداول بها فى العصر المماليكى حتى زمانه ؛ وهو أمر يُفيد علماء الآثار والنُمّيات فى التعَرّف على النقود المماليكية وتميزها عند العثور عليها ، وفى دراستها من الناحية التاريخية والأثرية من جهة ، ومن الناحية الاقتصادية والمعدنية من جهة أخرى .

---

(١) انظر : المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣٢ ـ ٣٦ .

(٢) انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٦ ـ ٤٤٤ .

فبالنسبة للدنانير المسكوكة : التى كان يُتعامل بها فى مصر فى العصر المماليكى ، سواء التى ضُربَتْ بالديار المصرية ، أو التى كانت تأتى إليها من المسكوك فى غيرها من الممالك ؛ فكانت كما يذكر القلقشندى على ضربين: الضرب الأول ، ما يتعامل به وزناً ، كالذهب المصرى ، وما فى معناه ؛ والضرب الثانى ، ما يتعامل به مُعادّة ـ أى بالعداد ـ ، وهى دنانير يؤتى بها من البلاد الإفرنجية والروم ، معلومة الأوزان [1].

فبخصوص الضرب الأول من الدنانير ، وهو ما يُتعامل به وزناً ؛ فيخبرنا القلقشندى ، أن العبرة فى وزنها بالمثاقيل ؛ وضابطها أن كل سبعة مثاقيل ، زنتها عشرة دراهم ؛ والمثقال معتبر بأربعة وعشرين [٢٤] قيراطاً ؛ والمثقال ، لم يتغير وزنه فى جاهلية ولا إسلام [2].

ويلاحظ عالم النُمَيات المصرى عبد الرحمن فهمى ، أن الذهب ظل حتى أوائل عصر المماليك ، أى فى عهد البحرية، هو قاعدة النقد ، وعلى أساسه قُدِّرَتْ وحدات النقود الأخرى ؛ إلا أنه خضع لتغيرات متعددة ، من حيث العيار والوزن والحجم ، فضلاً عن تحديد سعره فى ضوء العرض والطلب [3].

وعن المحاولة التى قام بها السلطان الأشرف شعبان فى دولة المماليك البحرية ، لسك الدنانير ، بعد سنة ٧٧٠هـ ؛ يقول القلقشندى : « وقد كان الأمير صلاح الدين بن عرّام ، فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين ، بعد السبعين والسبعمائة ؛ ضرب بالإسكندرية ، وهو نائب السلطنة بها يومئذ ، دنانير زِنَة كل دينار منها ، مثقال ؛ على أحد الوجهين : « محمد رسول الله » وعلى الوجه الآخر « ضرب بالإسكندرية فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين ، عز نصره » ؛

(١) انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٦ ـ ٤٣٨ .
(٢) نفس المصدر ٣ : ٤٣٦ .
(٣) عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية ص ٩١ ـ ٩٢ .

ثم أمسك عن ذلك ، فلم تكثر هذه الدنانير ولم تشتهر » [1].

وعن المحاولة التى قام بها السلطان الناصر فرج بن برقوق ٨٠١ ـ ٨١٥ هـ فى دولة المماليك الجراكسة ، لسك الدنانير ، وتطرق الفساد إلى هذه العُملة بسبب نقص وإضطراب وزنها ؛ يقول القلقشندى : « ثم ضرب الأمير يلبغا السالمى أستادار العالية فى الدولة الناصرية فرج بن برقوق ، دنانير زنة كل واحد منها مثقال ؛ فى وسط سكته دائرة فيها مكتوب « فرج » ؛ وربما كان منها ما زنته مثقال ونصف ، أو مثقالان ؛ وربما نصف مثقال ، أو رُبع مثقال ؛ إلا أن الغالب فيها نقص أوزانها ، وكأنهم جعلوا نقصها ، فى نظير كُلفه ضربها » [2].

أما بخصوص الضرب الثانى من الدنانير ، وهى التى يُتعامل بها مُعادّة ، أى بالعدد وليس بالوزن ؛ فهو ينسحب على الدنانير التى كانت تُضرب فى دور الضرب الأوربية ، مثل فرنسا والبندقية ؛ وعلى الدنانير الناصرية ، التى ضربها السلطان الناصر فرج بن برقوق على زنة الدنانير الفرنسية والبندقية ؛ وعلى الدنانير الظاهرية التى ضربها السلطان الظاهر جقمق ، على زنة الدنانير الفرنسية والبندقية أيضاً .

وأمدنا القلقشندى ، بوصف للدنانير الفرنسية والبندقية ، يفهم منه أن هذه الدنانير الأجنبية الأوربية، قد تميزت بثبات الوزن ، وحرصت هذه الدول الأجنبية النصرانية ، على أن تحمل هذه العملات صور ملوكهم وصور القديسين الذين قاموا بنشر الديانة المسيحية ، فى اعتقاد أهل النصرانية ، حتى عُرفت هذه الدنانير بمصر بالمشخّصه ، لحملها صور الأشخاص ؛ فيقول القلقشندى «وهى دنانير يؤتى بها من البلاد الإفرنجية والروم، معلومة الأوزان ؛ كل دينار منها معتبر

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٧ ؛ وراجع عبد الرحمن فهمى ٩٨ ـ ٩٩ ؛ وأفاد عبد الرحمن فهمى أن وزن المثقال (٤٫٢٥ جرام) .

بتسعةعشر قيراطاً ونصف [١٩٫٥] قيراط من المصرى ... ، وهذه الدنانير مُشَخَّصة ، على أحد وجهيها صورة الملك الذى تُضرب فى زمنه ، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحواريين * اللذين بعث بهما المسيح على السلام إلى رومية . ويُعَبَّرعنها بالإفْرَنْتِيَّة ، جمع إفْرَنتِىّ ، وأصله إفْرِنسى ـ بسين مهملة بدل التاء المثناه ـ ، نسبه إلى إفرنسه ، مدينة مدنهم ، وربما قيل إفرنجة ، وإليها تُنسب طائفة الفرنج ، وهى مقر الفرنسيس ملكهم . ويُعبَّر عنها أيضاً بالدوكات، وهذا الاسم فى الحقيقة لا يُطلق إلا إذا كان ضرب البُندقية من الفرنجية ؛ وذلك أن الملك إسمه عندهم دوق ، وكأن الألف والتاء فى الآخر ، قائمان مقام ياء النسب » [١] .

ولقد أفادنا عبد الرحمن فهمى ، إعتماداً على المقريزى فى كتابه السلوك فى معرفة دول الملوك ، وابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ؛ أن الدوكات قد كثُر تداولها فى مصر ، منذ سنة ٨٠٠هـ ـ أى فى عصر السلطان فرج بن برقوق ـ ، وتمتعت بسعر قانونى ، وأصبحت هى النقد المرغوب فيه فى التجارة الدولية ، لوزنها الثابت ؛ وأن الهجوم النقدى للدوكات الذهبية على الدنانير الذهبية المماليكية ، قد أزعج السلطان فرج بن برقوق ، مما جعله يُجرِّب سنة ٨٠٣هـ ، ضرب دنانير بوزن مثقال تماماً (٤٫٢٥ جرام) ، كى يتلافى الإلتجاء لوزن العملة عند الدفع ، وأشرف على هذا النوع من النقود وزيره [استاداره] يلبغا السالمى [٢] ـ وهو ما تقدم ذكره نقلاً عن القلقشندى . كما أفادنا عبد الرحمن فهمى أيضاً ، أن سلاطين المماليك الجراكسة قد

(*) لم يكن بولس من الحواريين ، والسند بينه وبين المسيح مُنقطع ، وهو الذى بَدَّل دين النصرانية ، وقال بألوهية المسيح ، راجع ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ محمد ابو زهرة : محاضرات فى تاريخ النصرانية .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٧ .

(٢) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٥ ـ ٩٨ .

أصدروا عدّة أوامر لسحب النقود الإيطالية من ضرب البندقية وفلورنسا [وكانت نقود فلورنسه تُعرف بالفلورين] من التعامل [١] .

ويُستدل من وصف القلقشندى للدنانير الذهبية المعدودة الثابتة الوزن ، التى ضربها السلطان الناصر فرج بن برقوق ، على وزن الدنانير الفرنسية والبندقية والفلورنسية ؛ أنه قد هدف من هذا إلى ثلاثة أهداف : أولها تنحية هذه العملات الأجنبية من التعامل فى محال التجارة الدولية بثغور وموانئ مصر ، وفى طليعتها ثغر وميناء الإسكندرية بطبيعة الحال ؛ وثانيها إحلال العملات المصرية المضروبة بمصر محلها ، وكسب الثقة فيها وترغيب الناس فى التعامل بها ؛ وثالثها ضرب هذه الدنانير الإسلامية ، بشعار الإسلام ، وبالعبارات الإسلامية ، وأهمها شهادة الإسلام المعلنة للتوحيد بالله سبحانه وتعالى دون شرك به ، والإقرار بنبوة نبى الإسلام خاتم الأنبياء والمرسلين : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ؛ وهذا الهدف الأخير ، كان من أهم أهداف إصلاح وتعريب العملة الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين ، وفى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان [٢] ؛ وسيصبح هذا الهدف أيضاً من أهم أهداف ضرب الدنانير المعدودة ، فى عهد سلطنة السلطان الأشرف برسباى ، والسلطان الظاهر جقمق .

فيصف القلقشندى الدنانير المعدودة التى ضربها الناصر فرج بقوله : « ثم ضرب الناصر فرج بن برقوق دنانير على زِنَة الدنانير الإفرنتية المتقدمة الذكر ؛ فى أحد الوجهين : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، وفى الآخر اسم السلطان ، وفى وسطه مُستطيل على خطّين ؛ وعُرِفَتْ بالناصرية ، وكثُر وجدانها ، وصار بها أكثر المُعاملات ؛ إلا أنهم ينقصونها فى الأثمان عن الدنانير الإفرنتية عشرة

(١) نفس المرجع ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٢) انظر عن عملة الخلفاء الراشدين ، وعملة الخليفة عبد الله بن الزبير ، وعملة الخليفة عبد الملك ابن مروان البلاذرى : فتوح البلدان ص٥٧١ ـ ٥٧٨ ؛ المقريزى: النقود الإسلامية ص ١ ـ ٢٣ .

دراهم . ثم ضرب على نظيرها الإمام المُستعين بالله أبو الفضل العباس ؛ حين استبد بالأمر بعد الناصر فرج [محرم ـ شعبان سنة ٨١٥هـ] ، ولم يتغيّر فيها غير السكة ، بإعتبار انتقالها من اسم السلطان ، إلى اسم أمير المؤمنين [الخليفة العباسي بمصر] » [1] .

ويحدثنا عبد الرحمن فهمي عن جهود السلطانين : الأشرف برسباى ، والظاهر جقمق ، على التوالى ؛ لتمصير دنانير البندقية ، بضربها بدور الضرب المصرية ، وسك العبارات الإسلامية عليها ، وعدم سك صور ملوك وقدّيسى الديانة النصرانية عليها ؛ فيقول : ولإعادة الثقة إلى الدنانير المماليكية ، لجأ السلطان برسباى [حكم من ٨٢٥ ـ ٨٤١هـ] إلى تشجيع البندقة على سك نقودهم الأفرنتية فى دار السك السلطانية بالقاهرة ، كتمصير للنقود الإيطالية الرائجة فى الأسواق ؛ وقد نجح فى ذلك ، فضُربت الدنانير الأشرفية بنفس وزن الأفرنتى (٣,٤٥ جرام) ؛ وأصدار أمره فى سنة ٨٢٩هـ ، بابطال التعامل بالدنانير المُشخصة من الدوكات ، « بسبب صور الكفار عليها » ، وإحلال الأفلورية الأشرفية ضرب القاهرة محلها ؛ والحق أن برسباى قام فيما بين ٨٢٩هـ و ٨٣١هـ ، بمجهودات موفقة لإصلاح النقود الذهبية العربية ؛ لذلك كانت معاملته كما يقول إبن إياس : « من أحسن المعاملات ، من أجود الذهب والفضة ، ولا سيما الأشرفية البرسبيهيه ، فإنها من خالص الذهب ، وإلى الآن يرغب إليها الناس فى المعاملات » . وقد سار جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٦ هـ) على سياسة برسباى فى تمصير الدنانير الأفلورية ؛ حتى أننا نقرأ فى بعض وثائق العصر المماليكى ، إشارات كثيرة إلى هذا النوع من الدنانير الظاهرية ، المنسوبة إلى

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٧ ـ ٤٣٨ .

الظاهر جقمق ، المسكوكة من « الذهب العين المصرى المختوم الظاهرى » ، الذى يزن من ٣,٤٠ جرام إلى ٣,٤٣ جرام [1] .

ولَفَتَنَا القلقشندى إلى ظاهرة هامة بالنسبة للنظام النقدى فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، وهى تذبذب سعر الذهب وسعر صرف الدنانير الذهبية بمصر ؛ فيقول : « ثم صرف الذهب بالديار المصرية لا يثبت على حالة ، بل يعلو تارة ، ويهبط أُخرى ، بحسب ما تقتضيه الحال ؛ وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصرى فيما أدركناه ، فى التسعين والسبعمائة [٧٩٠هـ] وما حولها عشرون [٢٠] درهماً ، والإفرنتي سبعة عشر [١٧] درهماً وما قارب ذلك ؛ أما الآن ، فقد زاد وخرج عن الحدّ ، خصوصاً فى سنة ٨١٣ هـ ؛ وإن كان فى الدولة الظاهرية [يعنى السلطان الظاهر جقمق على الأرجح] ، قد بلغ المصرى ٢٨ درهماً ونصف ، فيما رأيته فى بعض التواريخ » [2] .

والواقع أنه قد تضافرت أسباب وعوامل عديدة ، أدّت إلى تناقص الذهب بمصر ، منذ نهاية العصر الفاطمى ، وحتى نهاية العصر المماليكى ؛ منها نضوب مناجم الذهب فى وادى العلاقى بالصحراء الشرقية ، ولم يعد للحكومة المصرية أى إشراف رسمى على ما يُستخرج منها ، بل ترك أمرها للأفراد يجمعون منها ما يمكنهم جمعه ، ويصدرونه إلى خارج البلاد كما يذكر الإدريسى سنة ٥٤٥هـ؛ وكادت أن تنضب مناجم الذهب بمصر كلها ، ولم يعوضها تبر السودان وبلاد التكرور ؛ كذلك قلت ثمرة البحث عن المطالب والكنوز بين محتويات المقابر الفرعونية [3] ؛ وبسقوط دولة الخلافة الفاطمية ٥٦٩هـ ، تفرق

(١) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٩ ـ ١٠٠ . وهنا نلاحظ أن مشكلة ضرب الدنانير التى واجهها سلاطين الجراكسة ، كانت نقص معدن الذهب ، لا عجز دور الضرب المصرية عن صنع وضرب الدنانير ثابت الوزن كاملة الإستدارة كما حاول بعض المستشرقين الإيهام بذلك .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٨ .

(٣) راجع عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٧١ و ١٠١ .

مخزون خزانة هذه الدولة العظمى ، ومخزون الدواوين الفاطمية ، التى كانت موجودة بالقصر الفاطمى الكبير الشرقى ، مقر الحكومة الفاطمية بمصر [1] ؛ وكانت دولة الخلافة الفاطمية ـ كما ألمح المقريزى ـ تُعَدّ من أعظم دول الإسلام ، ومن أعظم الدول التى عرفها التاريخ [2] . كذلك سبق سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية ، تقلب الأوضاع السياسية والاقتصادية بمصر ، بسبب تقلب وزراء السيوف ، وتنافسهم على السلطة ، وتعرض مصر لأخطار الغزو الصليبى مرتين على التوالى [3] . ثم تحملت مصر منذ نهاية العصر الفاطمى وفى العصر الأيوبى مصاريفاً باهظة واعباءً اقتصادية ضخمة ، للنهوض بفريضة الجهاد فى مواجهة الحركة الصليبية [4] التى تزعمها ملوك أوربا ، تظاهرهم البابوية الكاثوليكية فى روما ؛ ثم تحملت فى عصر المماليك البحرية ، أعباء استئصال الوجود الصليبى من بلاد الشام ، وصَدّ الخطر المغولى عن ديار الإسلام ؛ هذا فضلاً عن هبوط الصادرات المصرية بشكل ملحوظ .

ومن ناحية أخرى ، يبدو أن التجار الإيطاليين ، قد أساءوا إستخدام التسهيلات الجمركية التى منحتها لهم الدولة الأيوبية ثم الدولة المماليكية فى موانئ مصر والشام ، بموجب المعاهدات المشروطة بين الجمهوريات الإيطالية وسلاطين بنى أيوب ثم سلاطين المماليك [5] ؛ إذ نشط الصليبيون فى تهريب الذهب إلى البندقية ومرسليا وبرشلونة نشاطاً زائداً ، وبذلك قلّتْ كميات الذهب

(١) انظر المقريزى : النقود الإسلامية ص ٢٨ ـ ٢٩ ؛ سيده كاشف : دراسات فى النقود الإسلامية ، الجلة التاريخية المصرية ١٩٦٤م ـ ١٩٦٥م ، ص ٥٩ ـ ١١٠ ، وخاصة ص ٩٢ وما بعدها .

(٢) انظر المقريزى النقود الإسلامية ص ٢٨ ـ ٢٩ ؛ وانظر المقريزى : الخطط ٢ : ١٥٧ ـ ٣٩٤ ؛ وانظر المقريزى : إتعاظ الحنفاء فى أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الدين الشيال .

(٣) سيده كاشف : دراسات فى النقود الإسلامية ص ٩٢ وما بعدها .

(٤) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٧٢ .

(٥) راجع ما تقدم ، فصل الوثائق ، الحديث عن وثائق الأرشيفات الإيطالية .

فى الأسواق العربية بشكل ملحوظ [1] ؛ وهُرّبت كميات كبيرة من الذهب من أسواق الشرق إلى إيطاليا ، لتزويد دور السك فيها بالمعادن اللازمة لضرب الدوكات والفلورين [2] .

ولكن مما لا شك فيه ، أن اكتشاف البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح ، وتحويلهم التجارة العالمية إليه ؛ قد حرم مصر من تجارة الترانزيت بين الشرق والغرب ، التى كانت تمر عن طريق ميناء القلزم (السويس) ؛ كان بمثابة الضربة القاسمة للاقتصاد المصرى فى عصر دولة المماليك الجراكسة ؛ هذا فضلاً عن ضعف الأسطول التجارى والحربى لمصر والشام فى أواخر عصر دولة المماليك الجراكسة ، نتيجة لظهور القوى البحرية والتجارية الصليبية ، الممثلة فى البرتغاليين والأسبان والإنجليز والإيطاليين والهولنديين . وقد أدى تناقص الدنانير الذهبية ، إلى شيوع نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية فى القرن التاسع الهجرى ومطلع القرن العاشر الهجرى فى آخر عصر دولة المماليك الجراكسة [3] .

*

وبالنسبة للدراهم الفضة التى ضُربت فى العصر المماليكى ، فلقد تقدم ذكر الدراهم الظاهرية [4] ، التى ضربها السلطان الظاهر بيبرس فى عصر دولة المماليك البحرية ؛ والدراهم المؤيديه [5] التى ضربها السلطان المؤيد شيخ فى عصر دولة المماليك الجراكسة ؛ وقد عدّ القلقشندى الدراهم النقرة ، النوع الثانى من النقود المتداولة فى العصر المماليكى ، وأفاد أن تسمية الدراهم النقره تنسحب على

(١) عبد الرحمن فهمى ، النقود العربية ص ٧٢ .

(٢) راجع نفس المرجع ص ٩٥ ـ ٩٧ .

(٣) نفس المرجع ص ١٠٢ ـ ١٠٤ .

(٤) عنها انظر المقريزى ، النقود الإسلامية ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٥) عنها انظر المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣٢ ـ ٣٦ .

الدراهم الجيدة ، التى تزيد فيها نسبة الفضة ، عن نسبة النحاس ، بحيث تكون الفضة فيها بنسبة ٢/٣ ، والنحاس فيها بنسبة ١/٣ ؛ فيقول القلقشندى : «وأصل موضوعها (أى الدراهم النقرة) ؛ أن يكون ثلثاها من فضة ، وثلثاها من نحاس ، وتطبع وتدور بالسكة السلطانية ، على نحو ما تقدم فى الدنانير ؛ ويكون منها دراهم صحاح ، وقراضات مكسورة .. ؛ أما الدراهم السوداء ، فأسماء على غير مسميات ، كالدنانير الجيشية ؛ وكل درهم منها ، معتبر فى العُرف بثلث درهم نقره ... » [1].

ويلاحظ عبد الرحمن فهمى ، أن لفظ « درهم » استعمل فى العصر المماليكى ، ليعبر أحياناً عن المدلول الأصلى للفظ ، وهو النقود الفضية ، وأحياناً أخرى للدلالة على النقود النحاسية وزناً أو عدداً ؛ وليس من المحتم أن يلتزم لفظ « درهم » وزناً محدداً شرعياً للنقد الفضة أو النحاس ، ولكنه إستعمل ليشير إلى وحدة نقدية مختلفة القيمة كما كان الحال فى النقود الإسمية ، التى أطلق عليها « درهم معاملة » ؛ ورغم أنه حتى نهاية القرن ٨ هـ ، ظل ضرب النقود أساساً بالذهب والفضة ، واحتفظت النقود الفضية بنسبة ثابتة من معدن الفضة النقى (٢/٣ أى ٩٨٣ر١ جرام) ، وتراوح صرف الدينار الذهب من عشرين إلى ثلاثين درهماً ؛ إلا أنه فى نهاية هذا القرن وأوائل القرن ٩ هـ ، حدث إنهيار اقتصادى ، وأخذنا نسمع عن الدراهم الحموية الرديئة ، التى تزيد نسبة النحاس فى معدنها ، ومنذ سنة ٨٠٠هـ ، صار الدرهم لا يحوى أكثر من ١/٣ (ثلث) معدنه فضه ، وانقطع ضرب الدراهم النقرة [2].

وقد رصد المقريزى ظاهرة طغيان العملة النحاسية على العملة الفضية فى

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٤٣ .

(٢) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٢ ـ ٩٣ .

عصر دولة المماليك الجراكسة بقوله : « لما كانت أيام محمود بن على ، استدار الملك الظاهر برقوق رحمه الله ، استكثر من الفلوس ؛ وصارت الفرنج تحمل النحاس الأحمر رغبة فى فائدته ؛ واستمر الضرب فى الفلوس عدّة أعوام ؛ والفرنج تأخذ ما بمصر من الدراهم إلى بلادهم ؛ وأهل البلد تسبكها لطلب الفائدة ، حتى عزّت وكادت تنفذ ؛ وراجت الفلوس رواجاً عظيماً ، حتى نسب إليها المبيعات ، وصار يقال كل دينار بكذا من الفلوس [1] » . وشرح عبد الرحمن فهمى هذه الظاهرة فى التعامل النقدى ، بأن التعامل أصبح على قاعدة الذهب والنحاس ، أى الدنانير والفلوس ؛ وليس معنى ذلك أن الدراهم الفضة لم تكن تضرب أصلاً فى عهد المماليك الجراكسة ، بل تقررت قيمها فى حالة سكها بالنسبة للفلوس النحاسية ، التى أصبحت هى قاعدة النقد الرئيسية فى ذلك العصر [2].

وقد ذكر عبد الرحمن فهمى أسماء بعض الدراهم الفضية التى ضُربت فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، وأفاد أن هذه الدراهم صارت يتعامل بها بالوزن لا بالعدد ، حتى عصر السلطان قايتباى الذى أمر بالتعامل بها مُعادّة ، لا وزناً ؛ ومن هذه الدراهم الدراهم الظاهرية ، التى ضربها السلطان برقوق بمصر سنة ٧٨٩هـ ؛ والدراهم النوروزية ، التى ضربها الأمير نوروز نائب السلطنة بدمشق سنة ٨١٥هـ ؛ والدراهم المؤيدة ، التى ضربها السلطان المؤيد شيخ وتداولها الشعب سنة ٨١٨هـ ، وضرب منها أجزاء أهمها النصف المؤيدى ؛ وأصبح من الضرورى على كل من يبيع شيئاً أن يحمل ميزاناً لوزن النقود عند إجراء المبادلة ؛ واستمر انحطاط الفضة وأجزائها وتداولها الناس بالوزن لا بالعدد ؛ حتى تقرر فى

(١) المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣٩ .

(٢) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٣ .

سنة ٨٩٢هـ ، في عهد السلطان قايتباى ، صرف النصف فضة ، بأربعة وعشرين فلساً عدداً [١].

*

وبالنسبة للفلوس النحاسية : التي ضربت في العصر المماليكي ، فقد جعلها القلقشندى النوع الثالث من النقود المتعامل بها في ذلك العصر ، وميّز بين نوعين منها ، المطبوع ، وغير المطبوع ؛ فقال : « فأما المطبوعُ ؛ فكان في الزمن الأول إلى أواخر الدولة الناصرية حسن بن قلاوون [٧٥٥ ـ ٧٦٢هـ]، لطاف ؛ يُعتبر كل ثمانية وأربعين [٤٨] فلساً منها ، بدرهم من النقرة ، على إختلاف السكة فيها ؛ ثم حدث في سنة ٧٥٩هـ ، في سلطنة حسن أيضاً ، فلوس شُهِرَتْ بالجُدد ، جمع جديد ، وزنة كل فلس منها مثقال ، وكل فلس منها قيراط من الدرهم ، مطبوع بالسكة السلطانية ، على ما سيأتي ذكره في الكلام عن دار الضرب إن شاء الله ؛ فما زالت في نهاية الحسن ، وبطل ما عداه من الفلوس ، وهي أكثر ما يتعامل به أهل زماننا ، إلا أنها فسد قانونها ، في تنقيصها في الوزن عن المثقال ، حتى صار فيها ما هو دون الدرهم ، وصار تكويتها غير مستدير ، وكانت توزن بالقبّان ...؛ أما غير المطبوعة ؛ فنحاس مكسر من الأحمر والأصفر ، ويُعبّر عنها بالعتق ، وكانت في الزمن الأول كل زنة رطل منها بالمصرى ، بدرهمين من النُّقرة ؛ فلما عُملت الفلوس الجُدد المتقدمة الذكر ، استقر كل رطل منها بدرهم ونصف ، وهي على ذلك إلى الآن » [٢].

وقد ذكر القلقشندى ـ عند حديثه عن دار ضرب العملة ـ، طريقة سك الفلوس الجدد ، التي ضربها السلطان الناصر حسن بن قلاوون سنة ٧٥٩هـ ؛

(١) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٩٤ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٣٩ ـ ٤٤٤ ؛ ويدرس بقية النص الذى إختصرته ، لأهميته بالنسبة للمتخصصين ، في وزن العُملة .

وهي أن يُسبك النحاس الأحمر حتى يصير كالماء ، ثم يخرج فيُضرب قضباناً ، ثم يقطع قطعاً صغيرة ، ثم تُرصع وتُسك بالسكة السلطانية ، فيُكتب عليها اسم السلطان ولقبه على وجه ، وعلى الوجه الآخر اسم مكان الضرب وتاريخه [١].

وقد رصد عبد الرحمن فهمى ، محاولة لإصلاح العُملة النحاسية ، قام بها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ـ أغلب الظن في عهد سلطنته الثالثة (٧٠٩ ـ ٧٤١ هـ) ـ، لتدارك ما تطرق إلى هذه العُملة من فساد في عهد سلطنة العادل كتبغا ، الذى كان قصير المدة ، مضطرباً (٦٩٤ ـ ٦٩٦هـ) ؛ إذ ضُربت فلوس خفيفة الوزن سنة ٦٩٥هـ، وتقرر لأول مرة أن توزن الفلوس عند التعامل ؛ وكان هذا أول ما عُرف بمصر من وزن الفلوس ، والمعاملة بها وزناً لا عدداً » . وحاول السلطان الناصر محمد بن قلاوون علاج هذا الأمر ، بأن ضرب فلوساً جدداً ، زنة كل فلس منها درهم ، وعلى أحد وجهى الفلس بالخط النسخى المملوكى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، وعلى الوجه الثانى اسم السلطان داخل بقجة مربعة ؛ ونودى في القاهرة أن يكون التعامل بالفلس الذى عليه بقجة ، وأن تُرَدّ الفلوس الخفيفة الوزن إلى دار الضرب [٢].

أما غلبة الفلوس على مصر ، بحيث أصبحت هى النقود القانونية فنسبت إليها المبيعات وقيم الأعمال كلها وقُدّر الدينار الذهبى على أساسها [٣]؛ فقد حَدّد المقريزى ظهور هذه الظاهرة ، في عصر السلطان الظاهر برقوق ، مؤسس دولة المماليك الجراكسة ، واستمرت بعده إلى نهاية عصر هذه الدولة ؛ فيقول المقريزى : « لما تسلطن [الظاهر برقوق] ، وأقام الأمير محمد بن على استداراً، أكثر ضرب الفلوس ، وأبطل الدراهم ، فتناقصت حتى صارت عرضاً يُنادى

(١) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) نفس المرجع ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٣) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ١٠٧ .

عليه فى الأسواق بحراج (أى بالمزايدة) ، وغلبت الفلوس » [1] ؛ ثم يقول فى موضع آخر : « فلما كانت أيام محمد بن على ، أستادار الملك الظاهر برقوق رحمه الله ، إستكثر من الفلوس ؛ وصارت الفرنج تحمل النحاس الأحمر رغبة فى فائدته ؛ واستمر الضرب فى الفلوس عدّة أعوام ؛ والفرنج تأخذ ما بمصر من الدراهم إلى بلادهم ؛ وأهل البلد تسبكها لطلب الفائدة ، حتى عزّت ، وكادت تنفد ؛ وراجت الفلوس رواجاً عظيماً ، حتى نُسب إليها سائر المبيعات ، وصار يُقال كل دينار بكذا من الفلوس » [2].

كذلك حدد المقريزى إختلال النظام النقدى الخاص بالفلوس النحاسية فى عصر المماليك الجراكسة ، بحيث صارت يتعامل بها بالوزن لا بالعدد ، فى عصر السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ ـ ٨١٥ هـ) ؛ فيقول المقريزى : «ولولا خوف الإطالة ، لذكرت ما كان من ضرب الملوك للفلوس ؛ وأنها لم تزل بالعدد، إلى أن أمر الأمير بليغا السالمى رحمه الله أن تكون بالميزان ، وذلك سنة ٨٠٦هـ ؛ وللبلاد قوانين وعوائد ، متى اختلفت ، فَسَدَ نظامها » [3].

وقد نظر المقريزى إلى إختفاء الدراهم كنقد أساسى من مصر ، وغلبة الفلوس بحيث أصبحت النقود القانونية التى قُدّر الدينار الذهبى على أساسها ، على أنه عار ، وناشد السلطان المؤيد شيخ المحمودى (٨١٥ ـ ٨٢٤هـ) ، سلطان عصره الذى ألف له كتابه النقود الإسلامية ، أن يضرب فلوساً جيدة يتعامل بها بالعدد لا بالوزن ، على نحو ما ضرب الدرهم فى عصره ؛ فيقول المقريزى : « والمرجو أن يزيل الله عن بلاد مصر هذا العار ، بحسن السفارة الكريمة ، وأرجو ـ إن شاء الله ـ أن يكون الأمر فيه هيناً ؛ وذلك أن ينظر إلى

(١) المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣١ ـ ٣٢ .
(٢) نفس المصدر ص ٣٩ .
(٣) نفس المصدر ص ٤١ .

النحاس الأحمر القُرص المجلوب من بلاد الفرنج ، كم سعر القنطار منه ؛ ويُضاف إلى ثمن القنطار جُملة ما يُصرف عليه بدار الضرب ، إلى أن يصير فلوساً ؛ فاذا حمل ذلك ، عُرف كم يصرف لكل دينار من الفلوس ، وإذا عُرف كم كل دينار منها ، عُرف كم يصرف لكل دينار من الفلوس ، وإذا عُرف كم كل دينار منها ، عُرف بكم يصرف كل درهم مؤيدى ؛ وفى هذا أمر شريف ، وهو أن من استقرى سير فضلاء الملوك ، فإنه يجدهم يأنفون أن يبقى لغيرهم ذكر ، ويحرصون على تفردهم بالمجد ؛ فإذا ضُربت هذه الفلوس ، صار نقد الناس ما بين درهم مؤيدى ، وفلوس مؤيدية » [1].

والجدير بالإعجاب والتدبّر ، أن كل من المقريزى والقلقشندى وابن إياس قد أكدوا على أن رواج النقود النحاسية وفسادها فى النصف الثانى من عصر دولة المماليك الجراكسة ونهاية عصرها ، هو منذر بخراب ديار الإسلام ؛ وكأنهم كانوا يتنبؤن بقرب سقوط دولة المماليك الجراكسة ؛ وفى هذا فى الواقع ، ما يُفسر حرص سلاطين بنى عثمان الأتراك السُّنيين ، على فتح بلاد الشام ومصر، وضمهما لدولتهم ، وإحياء دولة الخلافة الإسلامية فى عاصمة دولتهم إسلامبول .

فلقد شرح المقريزى فى نص مُطول ، أن الفلوس النحاسية عُملة غير شرعية، ولم تستخدم كنقد أساسى فى التعامل ، فى الدول العظمى قبل الإسلام ولا بعده ؛ وراح يتتبع ذلك ويدلل عليه بالنسبة لجميع عصور الخلافة الإسلامية، فى العصر الراشدى والأموى والعباسى والفاطمى ، وفى جميع الدول الإسلامية الطرفية ، التى قامت فى بلاد المشرق الإسلامى وبلاد المغرب الإسلامى وبلاد الأندلس ؛ ويؤكد على أن الذهب والفضة هما أساس النقد ، فيقول : « وأنه لما كانت فى المبيعات محقرات ، تقل أن تُباع بدرهم أو بجزء منه ؛ إحتاج الناس

(١) المقريزى : النقود الإسلامية ص ٤٠ .

من أجل هذا فى القديم والحديث من الزمان ، إلى شىء سوى الذهب والفضة، يكون بإزاء تلك المحقّرات ؛ ولم يسم أيداً ذلك الشىء الذى جعل للمحقرات نقداً البته ، فيما عرف من أخبار الخليقة ، ولا أقيم قطّ بمنزلة أحد النقدين»[1].

ثم ينبه المقريزى إلى خطورة رواج الفلوس النحاسية بمصر ، فيقول : « أنه حدث من رواجها خراب الإقليم ، وذهاب نعمة أهل مصر ؛ وأن هذا فى الحقيقة كعكس للحقائق ، فإنه الفضة هى نقد شرعى ، لم تزل فى العالم ؛ والفلوس إنما هى أشبه شىء بلا شىء ، فيصير المضاف مضافاً إليه »[2]. ويبين المقريزى رواج الفلوس فى مصر المماليكية كعملة أساسية ، وليس كعملة مساعدة بقوله : « وتالله ، إن هذا شىء يستحيا من ذكره ، لما فيه من عكس الحقائق ؛ إلا أن الناس ، لطول تمرنهم عليه ، ألفوه ؛ إذهمّ أبناء العوائد ؛ وإلا فهو فى غاية القبح ؛ والمرجو أن يزيل الله عن بلاد مصر هذا العار »[3] ؛ ولم يخف على المقريزى هذه الظاهرة الاقتصادية الهامة ، وهى « أن النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة من السوق »[4]. والمقصود بالنقود الرديئة هنا ، النقود التى تقومها الدولة بأكثر من قيمتها فى السوق العالمية كسلعة ؛ أما النقود الجيدة، فهى نقود المعدن المقوّم قانوناً بأقل من قيمته التجارية كسلعة ؛ وهذه القاعدة تعرف عند الاقتصاديين المحدثين « بقانون جريشام » ، نسبة إلى الاقتصادى البريطانى الذى عاش فى القرن السادس عشر م ، أى أ المقريزى قد سبقه فى إيضاحها بمائة سنة تقريباً[5]. وقد استطرد المقريزى فى توضيح أثر الإسراف فى إصدار الفلوس واستخدامها ، موضحاً أثر التضخم ، واقترح حلاً لهذه المشكلة الاقتصادية ، التى نسبيت عن رواج الفلوس بهذا الشكل فى عصر الجراكسة ، العودة للتعامل بالذهب والفضة كأساس للتداول ، أما الفلوس فيجب أن يقتصر صرفها فى « محقرات المبيعات » أى فى الصفقات التجارية البسيطة ، ومن ثم تهبط الأسعار[6].

(١)ـ(٤) انظر المقريزى : النقود الإسلامية ص ٣٦ ـ ٣٩ ، وانظر أيضا المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمّة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجماعة الدين الشيال ، وراجع سيده كاشف : دراسات فى النقود الإسلامية ص ٩٤ ـ ٩٥؛ عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ١٠٧ ـ ١١٠ .

(٥)ـ(٦) راجع عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ١١٠ ـ ١١١ .

ويبدو أن حال الفلوس النحاسية قد إزداد سوءاً فى عصر القلقشندى ، فكتب يقول عن : « غلو النحاس ، وقلة الواصل منه إلى الديار المصرية ؛ وحمل التجّار الفلوس المضروبة من الديار المصرية إلى الحجاز واليمن وغيرها من الأقاليم متّجراً ؛ ويوشك إن دام هذا ، أن تنفد الفلوس من الديار المصرية ، ولا يوجد ما يتعامل به الناس ؟! ... ثم نفدت هذه الفلوس [غير المطبوعة ومن نحاس مكسر] من الديار المصرية ، لغلو النحاس ؛ وصار مهما وجد من النحاس المكسور، خلط بالفلوس الجُدد [التى ضربها السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون سنة ٧٥٩هـ] ، وراجع معها على مثل وزنها »[1].

ولم يطرأ على المركز النقدى للبلاد أى تحسّن ، حتى آخر عصر المماليك ؛ فنرى فى عهد الغورى مثلاً فى صفر سنة ٩٠٧هـ ، أن الأسواق تتعطل من البيع والشراء ، بسبب الفلوس التى ضربها هذا السلطان ، وهى « تخسر فى المعاملة الثلث » . والواقع أن عصر الغورى ، الذى جاء فى ختام عصر الجراكسة، شهد أقصى حدود الإضطراب فى النقود ؛ حتى علّق أحد المؤرخين على نقوده بأنها « أنحس المعاملات ، جميعها زغل ونحاس وغشّ ، لايحل صرفها ولا يجوز فى ملة من الملل ؟!»[2].

نم والحمد لله .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٤٤ .

(٢) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ١٠٩ .

الملاحق

ترجمة ونشر ١٤ وثيقة ايوبية . محفوظة

بالارشيفات الإيطالية : تنشر لأول مرّة :

معاهدة تجارية موقعة

بين

صلاح الدين والبيازنة

بتاريخ ٢٣ سبتمبر - شهر صفر سنة ٥٦٩هـ ، بسم الله الرحمن الرحيم!

هذه نسخة من المعاهدة الموقعة بين ملك بابليون أى صلاح الدين مع قمبون بيزا بواسطة الديرندو ، الذى كان المترجم والرسول من قبل قنصل بيزا ، وهاك شروط المعاهدة من قبل الملك صلاح الدين ، توكلنا على الله .

هذه شروط المعاهدة مترجمة حسب أوامره ، والدليل على هذا مطابقتها للخطاب المرسل من قبله ، أنا الملك صلاح الدين أقول هكذا ، وجميع مملكتى يجب أن تلتزم هذا القول ، وجميع الناس فى مملكتى ، يجب أن يحرصوا على أن لا تخالف أوامرى ، والجميع يجب أن يتبع هذه الأوامر كما وردت فى وثيقتى ، وهذه النسخة يجب ان تكون محفوظة فى دواوينى ، وورقتى الخاصة بخط يدى يجب ان تبقى فى يد البيزيين .

حين كتبت ووضعت قاعدة هذه المعاهدة ، جاء هذا السيد الديرندو إلى بلاطنا المرموق العادل ، وهو جندى ورسول كبير وقنصل من بيزا ، ولقد احضر معه الخطابات من قنصلية بيزا . ولقد سمعنا من فمه ، وعلمنا بواسطة الخطابات ، أن البيازنة يريدون ان يحظوا بمحبتنا ، ويريدون أيضا أن يطيعوا أوامرنا ، وان يحضروا إلى أرضنا كما كانوا قد تعودوا من قبل . ولقد علمنا عن طريق الخطابات وعن طريق الكلمات التى سمعناها من هذا الرسول ، انه قد أرسل من قبل القناصلة ، ومن قبل قمبون بيزا بإكمله ، وان لغة هذا السيد هى لغة البيازنة ، ويده هى يد البيازنة . وكل ما امضيه انا السلطان الملك صلاح الدين معه ، فكأنه قد ابرم مع البيازنة .

وحين علمنا انه حضر باسمكل القمبون ، وممثلا لجميع القناصلة ، فقد احضرناه أمام جميع الناس فى بلاطنا ، ثم سألناه عن السبب الذى من أجله ارسله القمبون والقناصلة ، وما الذى يريده منا حتى حتى نستطيع ان نجيبه بألفاظ تتناسب مع شرفنا وشرفه ، ولقد اجاب بالألفاظ التى سنذكرها فى الدقيقة أيضا الإجابة التى اعطيناها له سترد أيضا فى هذه الوثيقة .

ولقد أكدنا كل هذا بوثيقة يجب على البيازنة ان يحتفظوا بها بين ايديهم ، حتى يقدموها فى الوقت المناسب عند الضرورة ، ولتكن هذه الوثيقة هى الشاهد بيننا وبينهم ، وأيضا شاهدا على كل ما تعاهدنا عليه بيننا ، واذا أخل أحدنا بالمعاهدة ، فيجب الرجوع مرة أخرى إلى نص الوثيقة ، فهى الشاهد بيننا ، اذ قد لا تستقر المعرفة فى الصدد بسبب طوال المدة .

ولهذا السبب فإننا أردنا أن يكون بيننا رسول من قبل قمبون بيزا ، بخصوص التجار الذين يحضرون إلى أرضنا ويصطحبون معهم بضائع ، وهم إلى أن يسددوا الحقوق ، فإن الرسول هو المراقب لهذا . وأيضا فمن دواعى ارسال الرسول الطلب الذى تقدم به البيازنة بخصوص البضائع التى يحضرونها معهم إلى القاهرة ، فمن حقهم شرائها من أى مكان ولكن ليس من حقهم بيعها الا لبلاطنا ، وإن استطاعوا شرائها منا ، وهذه البضائع المعينة ، هى الخشب والحديد والقار ، وكانوا يدفعون من قبل على هذه البضائع نسبة ١٨ ٪ ، ونزولاً على طلبهم ، فسوف يدفعون ١٠ ٪ . أما بالنسبة للحبوب ، فيدفعون ٢٠ ٪ بلا زيادة أو نقصان . وبالنسبة للبضائع الأخرى التى تباع فى الديوان ، فيجب أن يدفعوا الحقوق كما استقرت من قبل .

وبخصوص هذه الأشياء يجب أن نظهر لهم الحب ، ويجب أن نحمى جميع مصالحهم الكبيرة والصغيرة ، ويجب أن لا نجبرهم على تبديد كثير من

أموالهم ، مع اظهار الحمية لهم . وهم ليسوا مجبرين على دفع أى شيء ، لأى موظف من موظفى الديوان ، سواء اذا كان صغيرا أو كبيرا . ولا يجب أن يلحق بهم اى ظلم ، ولا يرغمون على بيع احدى بضائعهم بثمن بخس .

وعند تقييم ما يجب على السفينة من حقوق ، لا يصح الزيادة أو المبالغة ، ولكن تجبى الحقوق فقط ، بحيث لا يطلب منهم أى مطالب غير عادية ، بطريقة غير رسمية . وحين يصلون فى زمن (الشتاء أو الحرب ؟ !) ، فلا يجب أن يأخذوا شراعهم ولا الدفة ، ولا أى شيء آخر من آلات سفنهم ، وليس من حق أحد أن يأخذ من السفينة شيء ، لا حارس الديوان ، ولا المفتشون Cercatores والذين يعملون بـ الـ Varca الا الذين كانوا قد اختيروا عن طريق التجار المسيحيين السابقين ، أو الذين قد اختيروا عن طريق السـ duna .

أما بخصوص الطلبات التى تقدموا بها ، المتعلقة بالقنطار Cantaru الإضافى فلقد تنازلت عنه بسبب طلبات الرسول ، وأيضا لأنهم قد اسرفوا فى مدحنا ، وقد قالوا أننا قد اشعنا العدل فى بلادنا .

ولقد طلبو كذلك أن نسمح لهم بشراء فندق Fundico لهم ، حتى يكونوا احرارا وآمنين ؛ ولقد طلبوا أيضاً ، أن يكون لهم حمام ، ولقد وافقنا ، وسوف يدفع لهم الديوان جميع تكاليف الحمام ، واليوم الذى يريدون الاستحمام فيه ، لا يشاركهم فيه أحد ، وليس عليهم أن يدفعوا أى شيء .

ويكون لهم كنيسة ، Ecclesia مثلما كان لهم من قبل ، وحين يذهبون إلى الكنيسة ، لا يجب مضايقتهم ، لا فى الشارع ، ولا فى الكنيسة ، وفى الكنيسة لا يجب أن يكون هناك أى شيء يشوش عليهم من سماع كلمة الله على حسب شريعتهم .

وقد طلبوا كذلك ، أنهم يريدون فى فندقهم ، ميزان لاستخدامهم الشخصى ، حتى يستطيعوا وزن الأشياء التى يشترونها ويبيعونها . ونحن موافقون على هذا ، لأننا نعلم أنهم لا يبيعون ولا يشترون شيئا الا بالوزن الصحيح ، واذا اشتروا أى شيء من أى مكان ووجدوه غير دقيق الوزن فى ميزانهم ، فلهم الحق فى ارجاعه .

وبخصوص ما تظلموا منه من أن من يتولون الشراء منهم ، نيابة عن البلاط يأخذون من البضاعة أكثر من حقهم ، ويحاولون دائما بخس ثمن البضائع والتقليل من جودتها ، ويغبنون التجار ، الذين حين يتظلمون لا يجدون من يرفع الظلم عنهم . ولقد سمعنا التظلم ، ولقد أمرنا أنه لا بد من دفع كل ثمن السلعة ، دون بخس ، فور شراء السلعة . وكل ما يشتريه مجلسنا لابد من تقدير ثمنه قبل شرائه حتى لا يستطيع التجار التظلم ، وليعطوهم الثمن الحقيقى بلا مساومات . واذا كان الـ Baiuli التابعون لنا ، كانوا يريدون تغيير (ربما مقايضة) أى شيء مع التجار ، لابد أن يكون هذا برغبة التجار وليس غصبا . ولقد أعطيت أوامرى للـ Baiuli التابعين لى على أن لا يأخذوا أى شيء من التجار بدون رغبتهم ، كما لا ينبغى لهم فعل أى شيء قد يسبب تظلم من جانبهم ، على أساس أن الـ Baiuli لهم نفوذ قوى بحيث قد يعجز التجار عن التظلم ، ويضطرون إلى كبت غضبهم على مضض . واشدد أوامرى بأنه يجب معاملة التجار بكثير من العدل فى الماضى والحاضر والمستقبل .

ولقد طلب التجار منى أيضا أن نسحب مراكبهم إلى الشاطىء ، ولقد سألنا الديوان عما يجب أن يدفعه التجار نظير هذا ، ولقد أفاد الديوان أن كل مركب يجب أن تدفع ٢ Lip ؟! ، حتى يتم سحب السفينة ، و٢ Lip لاخذ مقاييس السفينة ، و ٤ Lip على الدقة . ولقد وافقنا على طلبهم ، واعفيناهم من هذه الرسوم ، لأننا نعلم أن هذه الضرائب كانت ثقيلة جدا عليهم ، لأن عليهم فوق ذلك مصاريف أخرى ، وهذا الاستثناء لم نمنحه لأى أحد غيرهم .

ولقد شكى التجار أن الناس يشترون منهم البضائع ويحملونها إلى منازلهم ، ثم يردونها مرة أخرى بعد اتلافها ، محاولين استرداد ثمنها الأصلى . فعندما سمعنا هذا أمرنا الـ (لعلها الوالى الـ Baiuli) التابع لنا ، أن من حق التجار بيع بضائعهم لأناس آخرين ، يراعون العدل فى الشراء ، وهذا الأمر نافذ على جميع رعايا دولتنا من المسلمين أو المسيحيين الخاضعين لقانوننا .

كذلك أشتكى التجار من المفتشين Circatores والمستخدمين Ser-vientes الذين يطالبون بحقوق غير قانونية ، وهؤلاء الناس يسيئون إلى الديوان . ولقد اعطنا الأوامر إلى الـ Mustellis والـ Latestimonia والـ Lumeru والـ Liarcariu والـ Lunadaru ، بحيث لايسمحون بان يقع أى غبن على أى مسيحى ، من واقع سلطتهم ، حتى لا ينتقد بلاطنا بالخارج ، وحتى لا يخشى التجار الأجانب من الأخلاق السيئة فى بلدنا .

ولقد طلبوا أيضا أنه اذا توفى أحد منهم فى بلدنا فعلى زملائه التجار أن يأخذوا ثرواته من النقود والبضائع ويحملونها معهم إلى بلادهم ، لتسليمها إلى أسرة المتوفى . وعلى من يأخذ هذه الثروات أن يكتب كتابا يتعهد فيه بتسليم جميع الأشياء إلى أسرة المتوفى .

ولقد وافقت على هذا الطلب أيضاً، لأن قانوننا يأمر بهذا ، وهذا هو العدل.

ولقد طلبوا أيضا بخصوص اسطولنا Storio الذى يمنعهم من متابعتهم طريقهم وأيضا ياجهم . ولقد سمعنا شكواهم وأعطينا الأوامر إلى الأمير pre-cepta Comitibus وإلى الوالى Adminator Galearum . ولقد سمعت طلبهم وأمرت بالا تهاجم سفنهم ابدا ، ولا يتخذ أى عمل عدائى ضدهم ، بل العكس يقوم الاسطول بحمايتهم .

ولقد طلبوا ايضاً ، أن الذهب والفضة الذى يجلبونه معهم يكونوا غير مرغمين على دفع الحقوق لادخاله إلى البلدة ، بل يدفعون فقط الحقوق على البضائع بعد شرائهم لها ، حتى يخرجونها من البلدة . وعندما سمعنا هذا وتفهمنا أنهم يريدون محبتنا ، ويريدون أيضا أعطاءنا حبهم ، ويريدون اطاعة أوامرنا ، فلقد سمحنا ، ورفعنا جميع المصاعب ، وانهينا جميع المناقشات التى حدثت من قبل .

ولقد أمرناقى جميع أراضينا ، والى جميع Baiuli التابعين لنا ، بأنهم حين يرون خطابنا هذا ، أو يسمعون به ، فيجب عليهم أن يلتزموا بهذا ، واذا حنث أحدهم بهذه الأوامر ، فإن اشخاصهم وثرواتهم تصبح من حق البلاط .

ولقد وعد التجار ، وعاهدوا على اطاعة هذه الأوامر ، بكل دقة ، فى جميع مملكتنا ، ومراعاة هذا أيضا فى البحر والبر ، فى السر والعلانية ، ولا يجب أن يساعدوا أحدا ضد مملكتنا ، ولا يجب أن يلحقوا أى ضرر بأى مدينة أو بأى قرية تابعة لنا ، لا فى الشرق ولا فى الغرب ، ولا يجب أن يحملوا معهم فى البحر أو فى البر ، أى شخص من الممكن أن يلحق الضرر بمملكتنا ، كما لا يجب أن يصطحبوا معهم أى شخص من الممكن أيضاً أن يلحق الضرر بمملكتنا أو يحاول حصارها .

ولا يجب عليهم أن يلحقوا الضرر بأى تاجر مسلم ، أو تقديمه لأى شخص قد يلحق به الضرر ، كما لا يجب عليهم أن يشتروا المسلمين (كرقيق). وإذا ارتحل أحد المسلمين معهم ، فيجب عليهم حمايته كواحد منهم ، ولا يجب عليهم تسليمه لأناس اشرار (قراصنة) .

كما تعاهدنا أيضا على أن يحضروا إلى مملكتنا كل ما هو لازم ، يعنى الاسلحة والحديد والخشب والقار ، وكل ما يوجد فى بلدهم ، وجميع المتاجر التى يتاجرون فيها الينا .

والاتفاق بيننا وبينهم لا بد وأن يكون ثابتا ، لما بيننا من محبة كاملة وسلام ، اذا حنث التجار بهذا الاتفاق ، أو بجزء منه . أو اذا حنثوا فى يمينهم ، وفسخوا هذا الاتفاق . فقد فقدوا هذه الأمتيازات كأنها لم تكن .

وقد قرئ هذا العقد حين اكتماله أمام الرسول (البيزى) الذى فهمه تماماً ، ووافق عليه ، وأخذ الضمانات التى طلبها . ولقد أخذ نسخة من هذا العقد ، كما أعطى الرسول ضمانات من المطران presbyterus ومن الكاهن Archiepiscopus ولقد عمل هذا العقد فى مدينة بابليون ، فى اليوم الخامس من الشهر المسمى عند المسلمين صفر (٢٣ سبتمبر ١١٧٣ م) وقد شهد على هذا ، البطريرك ماركس بطريك الإسكندرية وبابليون (مصر) والنوبة وسبأ (الحبشة) وميخائيل أسقف من برباكانا Barbacana وهومودى Homodei الكاهن الأول بالقاهرة presbiter priori de Cairo .

ولقد كتب هذا العقد بواسطة بولكايرا Bulcaira ابن الكاهن هومودى Homodei .

خطاب من السلطان صلاح الدين
إلي القناصلة والشيوخ البيزيين
مؤرخ سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الملك الكبير ، العادل ، الناصر ، سلطان المسلمين ، ضياء الشريعة ، أمير جيوش المسلمين ، صلاح الدين ، خليل أمير المؤمنين .

أرسل إليكم خطابا لكم وللقناصلة والشيوخ البيزيين ، حفظكم الله على السراط المستقيم ، حتى يستمر حبكم ، وليبقى محفوظا ومكتوبا ، ويحتوى السلم بيننا وبينكم ، وحتى يظل الخير قائما ، ولا تكون هناك عداوة أو تشتعل فتنة بيننا وبينكم .

لذلك نرسل إليكم هذه الرسالة كى نعرفكم بخصوص موضوع رجيرونى جانفنسى Ruggerone Janvensi الذى كان فى أرض مصر ، وهو الذى أعطاه اخونا الأعز شمس الدين (المقصود توراتشاه فاتح اليمن) أمير المحاربين princips Pellantium مقدار ٢٢٥ قنطار من الشبه ، ليبيعها فى بلاد المسيحية لحساب أخى ، ويشترى بثمنها حاجات لا زمة لأخى .

ولقد ظل هذا الـ Ruggerone وفيا دائما لاخى شمس الدين المذكور، وقد قيل لنا أيضا أنه وصل إلى ساحل البروفنسى سليما . لكن سفنكم البيزية الحربية ، قد قبضت عليه ، وارسلته فى بيزا . وبعد هذه الحالة قد علمتم ما حدث ، وأنتم كأناس عقلاء ، أخذتم الشبه ، ووضعتموها فى مكان أمين مستقل ، حتى تعلمونا الحقيقة .

ونحن نمتدحكم لهذا العمل ، لأن تصرفكم هذا كان كأناس متعقلين ، ونح نقول لكم الحقيقة ، ان هذه الشبه التى ذكرناها ، هى ملك لأخينا ، وان R eggeronus المذكور ، هو شخص مخلص جدا لأخينا ، لأن هذا الـ Reggeronus هو من جانبنا (من حزبنا) .

لا بد اذا من اطلاق سراحه وهو واصدقاءه والشبه جميعا ، وارجاعها ليبيعها ومن ثمنها يشترى الاشياء اللازمة لأخى شمس الدين ، كما هو مأمور من قبل أخى . واذا نفذتم ما طلبنا ، فإن جميع الرجال البيزنة الذين يحضرون لدينا (بمصر) ، سيكونوا موضع للتشريف ، وفى امان من قبلنا ، ولن تظهر الفتن بيننا وبينكم بسبب هذه الأشياء . ولكن اذا لم تنفذوا ما طلبناه ، فسوف نقبض على رجالكم ، وسيحدث لهم ما حدث له (أى رجيورنى) من جانبكم .

ونحن نرسل لكم هذا الخطاب عن طريق مبعوثنا اشاجيوم اوبتيمن Achagium Optimen (واضح من هذا الاسم أن صاحبه يونانى) ، وهو محل التعظيم والشهرة لدينا ، وموضع الحب المستمر الدائم منا ، اذ نحن نطلب ان يكون الاشاجيوم Achagium موضع التشريف والحب من قبلكم ، كما كان من قبلنا ، وسوف تكونوا مسئولين عنه أمامنا ، حتى نستطيع ان نعتبركم اصدقاء .

---

* وردت هذه الوثيقة فى كتاب المستشرق الايطالى امارى ، الوثائق العربية فى ارشيف فلورنسا ، ص ٢٦٢ ، رقم ٨ .

خطاب وهو على الأرجح من الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي ابن أخو صلاح الدين الذي تولي نيابة السلطنة بمصر سنة ٥٧٩ هـ

إلي القناصلة ورؤساء البيزيين . مؤرخ سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م

أي قبل توليه نيابة السلطنة بعشر سنوات

« بسم الله الرحمن الرحيم »

عمر بن Sceneste (كذا ولعلها شاهنشاه) ... أمير المؤمنين (كذا) خادم صلاح الدين .

أخبركم أيها القناصلة ورؤساء البيزيين ، ليحفظكم الله ، وليبقيكم . وأقول لكم صادقا ، لماذا نحن ممسكين برجالكم وتجاركم الذين يحضروا عادة إلى مصر . ذلك أننا لما سمعنا بالفعل ، عما وقع لرجيرونى Reggeroin ، وانه قد اسر ، وان الشبه الخاصه بأخى سيدنا (المقصود تورانشاه فاتح اليمن) قد صودرت . فلقد حزننا كثيرا أن يصدر من قبلكم عمل مثل هذا العمل ، الذى نعده بداية لمخالفة تنشأ بين سيدى وبينكم .

ونحن فكرنا اذا فورا ، وامرنا بالقبض على رجالكم ، كرد فعل بديل عن الشبه فقط ، وهكذا فإن كل الضرر الذى وقع على أخى سيدنا ، يكون قد أصلح تماما .

ونحن نعتقد أنه قد يكون من الافضل ، ان نحمى العدل ، وقواعد واسباب السلام الذى استقر بين سيادتنا وبينكم . ومن اجل هذا سنرسل اليكم لطلب

السبه موضوع الحديث ، كي تعيدوها كلها إلى رجيورو Reggero المذكور ، كي يبيع الشبه كما كان مطلوبا منه ، ولكي يشترى الاشياء الضرورية التي طلبها منه أخو سيدى .

ونرجوا أن تنجزوا هذا دون ابطاء وبلا تأجيل ، لأنه اذا لم تنفذوا هذا سوف نصادر من تجارتكم جميع الثروات المساوية لما أخذ من أخي سيدنا ، لأنكم الذين ابتدأتم بالشر ، وعليكم وعلى اولادكم وليس علينا يقع الخطأ .

والذى يقدم لكم هذه الخطابات الذى بين أيديكم يدعى ، اكاكيوس المسمى حسن Acaciusnomie Optiman ، وهو صديقنا وحبيبنا ، وهو يتمتع بالثقة من جانبنا ، ومن جانب سيدنا ، ولقد خولناه إلى شرفكم كي تعاملوه معاملة حسنة ، ونحن نطلب هذا حتى نستطيع اعادة التكريم إلى رجالكم.

وهذه الورقة قد كتبت فى شهر نوفمبر فى سنة ٥٦٠ DLX أو سنة ٥٦٩ DLXIX (؟ !) بالتقويم المحمدى (الهجرى) ١١٣٧ م .

---

* وردت هذه الوثيقة فى كتاب المنشق الايطالى اماري ، الوثائق العربية فى ارشيف فلورنسا ، ص ٢٦٣ ، رقم ٩ .

خطاب من صلاح الدين إلي قناصلة بيزا

مؤرخ في شهر رجب سنة ٥٧٢ هـ ؟ (لعلها ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م)

« بسم الله الرحمن الرحيم »

السيد ، الملك ، الكبير والعادل ، ملك الملوك ، وسيد المسلمين ، ضياء الدنيا كلها ، وضياء الشريعة ، يوسف ، محي ملك امير المؤمنين .

لقد وصل إلينا خطاب من المطران البيزى Archiepiscopi Pisanorum والقناصلة Consulum والكونتات Conitum والشيوخ Veteranorum . ولقد رأينا ، وقرأنا الترجمة التى ترجمت عن لغتكم إلى اللغة العربية ، هذه اللغة التى قد انزلها الله على رسوله ، سيد جميع الانبياء .

ونحن نقول لكم ، ان ما كتبتموه فى هذا الخطاب ، يعنى أنكم تريدون السلام والامن مستمرين واكيدين ، ووجدنا أن هذا حسنا ونحن نعرف أنه الصدق .

ومن الاشياء التى تطلبوها ، ان تجاركم الذين يأتون إلى أرضنا ، نقوم على تأمينهم خلال كل الوقت الذى يعيشون فيه بيننا ، وحتى بعد ان يرحلوا عن ارضنا.

وكل هذه الأشياء التى توجد فى الصفحات المكتوبة قد رأيناها وقرأناها ، مع الاشياء التى أخبرنا بها مبعوثكم بلسانه ، ولقد تفهمنا كل ما قاله ، ولقد اجبناه بجواب منفصل عن كل شيء سأل عنه ، بحيث يستطيع مبعوثكم ان يخبركم بأجابتنا بكلماته الخاصة بوضوح . وانتم تستطيعون ان تعرفوا بطريقة اكثر وضوحا ماذا قصدنا ان نقوله حقيقة ، بلسانه أكثر منه عن طريق خطابنا .

ولقد وثقتم فيه بخصوص الاشياء التى كان من اجلها مبعوثكم الينا ، كذلك فانا وثقنا فيه بخصوص الأشياء التى ارسلته من اجل ان يعرضها عليكم.

ولتعلموا فى الحقيقة ، ان معاملاتكم سوف نحافظ عليها ، وسوف نأمر رئيس اسطولنا Dmino Stoli ورئيس ديواننا Domino nostre duane ان يحافظوا على سلامة رجالكم ، فى أشخاص أشياتهم ، ويعتنوا بهذا .

وامرنا بان رجالكم ، يستطيعو ان يحضروا إلينا ، من أجل البيع أو الشراء ، فى امن تام ، جميع لاشياء التى قد تجلب لهم الربح ، وحين يأتون فليحضروا الينا البضائع المربحة ، مثل الحديد والخشب والقار ، التى توجد عندكم بثمن ارخص منه لدينا ، التى تباع فى ارضنا بأثمان غاليه ، وسيحقق هذا لكم ارباحا كبيرة . وبالنسبة لنا سيكون هذا العمل خدمة كبيرة . وهذا ما تعرفونه جيدا ، وتقومون به فعلا .

وكتبت هذا فى شهر رجب Aragiappo ، سنة ٥٧٢ المحمدية (لعلها ٥٧٣ هـ) Anno quingesimo septugesimo seconds mohomet

الموافق يناير سنة ١١٧٧ م .

---

* وردت هذه الوثيقة فى كتاب المستشرق الايطالى اماري ، الوثائق العربية فى أرشيف فلورنسا ، ص ٢٦١ ، تحت رقم ١٠ .

*** الوثيقة الخامسه ...**

تصريح من السلطان صلاح الدين مؤرخ بسنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م للافراج عن بعض الاسري البيزيين الذين اسرهم الاسطول المصري استجابة لطلب السفير البيزي

« هذا تصريح وامان وانعام من محمد رسول الله ، وجميع رسله ، وجميع المؤمنين به »

لقد تلقينا خطابكم من قبل المطران والشورخ ، حفظهم الله وأنعم عليهم ، هذا التصريح إلى السفير رودلفو كاسترانو Rodolfo Castrato ابقاه الله .

لقد قدمنا إليه التشريفات ، واستقبلنا بحفاوة ، لحبنا لكم ، لكونه قد حضر من قبلكم ، وقدمنا له الخدمات التى فى وسعنا ، وقد كتبنا بخصوصه إلى أمير بحر Admiraglio الاسكندرية .

ولقد كتبنا له توقيعا ، وامر سارى العمل به فى جميع ارجاء مملكتنا وسارى العمل به لدى قبطان Capitano شوانينا Galce (بالايطالية الآن galera) الاسلامية ، وذلك لحماية اصحابكم وتجاركم . فكما وصلوا يستطيعون الرجوع، لقد ابحرروا لكى يأتوا ثم يعودوا (بمعنى أنهم لم يأتوا محاربين) . ولقد كتبنا هذا ليأمنوا فى مجيئهم وايابهم وكذلك لقد أمرنا إلى قبطان شوانينا ان يطيع هذا الأمر .

لقد طالبتم منا بعض الطلبات ، بخصوص العبيد Esclave ، يقول

الشيـــوخ (البيازنة) ، ان شوانينا قد أخذوهم . ولكن شوانينا لا تأخذ اطلاقا رجالا مسالمين ، اذ شوانينا تنهب رجالا فى حالة حرب بيننا . أما الرجال الذين على سلام معنا ، فهى لاتستطيع ان تنهب مراكبهم ، وهم لا يجرؤن على هذا العمل بدون أمر ، وهم لا يستطيعون الخروج عن اوامر السلطان ابتداء الله فوق كيد المعتدى ، وفوق كل من يريد سواءاً بالسلطان .

وقد امر سلطاننا الكبير ، المنصور ، ايمنا العالم ، سلطان المشارقة saresin والمغاربة Mors ، حفظه الله سلطانه ، إلى جميع أرجاء مملكته ، انه اذا وجد فى القاهرة عبيد Esclave بيازنه ، ان يطلق سراحهم ، ويتركوا وجميع اشيائهم ، وسوف نكون فى وعونهم ، وسوف تبلغ بيزا عن طريق خطاباتنا ، كيف صار حالهم .

انكم جميعا يامعشر البيازنة اصدقاءنا ، وليكن فى حسبانكم ان ما اقول هو الحقيقة ، فثقوا بهذا بكل تأكيد ، وان شاء الله سيكون الامر كما كتبنا .

ولقد كتبت هذا لست عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٦٣٢ هـ ؟ (كذا والصواب ٥٧٥ هـ /١١٧٩ م) ، نعمة الله وحده ، وصلى الله على محمد .

ـ ومن جانب ـ الملك العادل ، المنصور ، ناصر القوم المؤمنين ، سيف الدين والدنيا ، سلطان جميع الجيوش الإسلامية ، ادام الله ملكه ـ إلى المطران البيزى ، والشيوخ البيزيين .

---

(١) وردت هذه الوثيقة فى كتاب المستشرق امارى : الوثائق العربيه ... ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، تحت رقم ١١ .

*** الوثيقة السادسة ...**

خطاب أرسله الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب اخو صلاح الدين . مؤرخ بتاريخ شوال سنة ٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م .

إلي المطران وقناصلة بيزا . وكان الملك العادل في هذا التاريخ يتولى نيابة السلطنة بمصر (منذ سنة ٥٧٠ هـ ٥٧٩)

« بسم الله الرحمن الرحيم »

من الملك العادل ، المنصور ، سيف الاسلام ، أمير الجيوش الاسلامية ، أبو بكر محمد بن ايوب ، المخلص لأمير المؤمنين الفارسى (كذا ولعلها العباسى) إلى مطران Archiepiseopo وإلى القناصلة ، وإلى جميع الشيوخ ، ويرجو الله أن يحفظهم فى الامن والطريق المستقيم .

لقد تلقينا الخطاب من قبل مطرانكم وقناصلتكم . الذى قدم الينا عن طريق رسولكم المدعو Buigarini (أى البلغارى الصغير) الذى اخترتموه وارسلتموه لنا وذكرتم أنه رجل نبيل وعاقل .

ولقد استدعينا إلى حضرتنا وسمعنا ما قاله وفهمنا رسالته ، ثم كرمناه . ولقد تفهمنا باهتمام كل ما بلغه لنا . وسمعنا كذلك جميع شكاواه ومنحناه كل ما طلبه ، واصدرنا الأمر إلى جميع نوابنا procuratoribus بمدينة الاسكندرية لكى يعاملوا جميع التجار البيازنه بالعدل والمعاملة الحسنة . وأن يتبعوا معهم جميع المعاهدات والاتفاقات التى انجزناها معهم . ولا يخلون بشىء منها . ولا يسلكوا ابدا مسلكا مخالفا لها .

وسوف ترجع إليكم رسولكم معززاً مكرما ، ونحن مسرورين مما قاله الرسول. ونظيرا لما حظى به من تشريفات ، وما اسديته إليه من خدمات . ننتظر منكم

اعظم الشكر والعرفان .

ومن بين الأشياء التى قالها لنا . قد تناقش معنا كثيرا بخصوص اطلاق سراح البيازنه المسجونين لدينا . ولقد طلب منا الرسول هذا اكثر من مرة . وكرر تذكرتنا بهذا الأمر . ويجب ان تعرفوا الحقيقة وهى اننا لم نأسر اطلاقا اى سفن كان كل من عليها من البيازنه .

ولقد أمرنا اوامر مشددة لاسطولنا " stolo " (كلمة غير لاتينية) وإلى جميع رجال شواتينا الا يلحقوا ابدا أى ضرر باصدقائنا ، وعندما اصدرنا هذه الأوامر كنا نفكر فيكم (يامعشر البيازنة) لاننا نعتبركم انتم اعظم واعز اصدقاءنا، ولكن البيازنه الذين كانوا مع اعدائنا ، واسروا كاعداء ، يجب ان يعاملوا كأعداء ولا يجب تصديق اقوالهم حين يقومون بالشكوى وليس من حقكم ان تطلبوا منا أن نطلق سراح من كان مع اعدائنا .

ولكن من أجل رسالتكم ، وأيضا من اجل اقوال رسولكم الحكيم ومن اجل الذى ذكره لنا من جانبكم ، من أجل كل هذا ولشرفكم ومحبتكم ولمحبة رسولكم ، فقد أمرنا ان نرجع إلى رسولكم ثمان عشر أسيرا كانوا عندنا ، وكنا قد قبضنا عليهم اثناء حربهم فى سفن الاعداء . وكانوا يحاربون بقوة ودافعوا عن أنفسهم باستماته قبل اسرهم .

ونحن ننصحكم لأنكم أصدقاءنا المقربين أن تعطوا الأوامر لرجالكم بألا يبحروا مع هولاء القوم الذين تعرفون أنتم جيداً أنهم اعدائنا . وعلى رجالكم أيضا الا يحاولوا أن يقوموا بالاشتراك مع هؤلاء الأعداء ، لأن اسطولنا " stolo " لا يشبك الا مع سفن الأعداء فقط . فإذا سلك رجالكم هذا المسلك ستستمر المحبة بيننا وبين رجالكم ولن تصبح هناك أى فرصة أمام رجالنا لالحاق الضرر

برجالكم .وهكذا فلن تصبح هناك حاجة من ان تشتكوا إلينا أو نشتكى إليكم .

كتب فى شهر شوال سنة ٥٧٥ DLXXV الحمدية ، والموافق من ٢٩ فبراير إلى ٢٨ مارس (هكذا يقع شهر شوال الهجرى بالسنة لما يوافقه من شهر السنة الاغسطية على أساس أن شهر شوال يؤرخ هنا باليوم) سنة ١١٨٠ م .

---

* وردت هذه الوثيقة فى كتاب المستشرق أمارى : الوثائق العربية فى أرشيف فلورنسا ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ، تحت رقم ١٢ .

* الوثيقة السابعه ...

خطاب موجه من السلطان الملك العادل إلي شيوخ ونبلاء بيزا يفيد قبول مرزكو . قنصلا وسفيرا لبيزا بمصر . والخطاب مؤرخ سنة ٦٠٥ هـ / مايو ١٢٠٨ م

« من جهة الملك ، العادل ، المنتصر ، ناصر الدنيا والدين ، سلطان الاسلام الأعظم ، سيف الدنيا والدين ، حفظه الله ، إلى شيوخ النبلاء والقناصلة ، وشيوخ النبلاء لدياثة المسيحية ، ناصرى عقيدة المسيح ، وعظماء الفرنجة حفظهم الله .

لقد تلقيت رسالتكم المباركة مع القنصل Consolo النبيل ، يحفظكم الله فى خلاصة ونعمته ، أنتم الشيوخ العظماء ، ناصرى عقيدة المسيح ، وكبراء أمه الفرنجة .

لقد قرأنا كتابكم وفهمنا طلبكم ورغبتكم فى ابداء المحبة لنا ، ولقد فهمنا أنكم تريدون الحضور إلى أرضنا والإقامة بها ، وهذا فى حمايتنا وحماية الله ، ولقد اعطينا إليه (أى إلى القنصل) التصريح Salva Condocto Saufcondui بذلك .

ولقد طلب إلينا سفيركم Ambasiadore قبوله ، ولقد اعتمدنا شخصه كموضع للثقة والاطمئنان ، سوف يمنحه السيد السلطان ، حفظه الله ، ما يطلب ، وسوف يكون وجميع من معه فى حماية السلطان حسب العادة ، وسوف يكونوا موضع احترام منا خلال كل المدة التى يمكثونها عندنا ، وسوف

أكتب إلى سفرائكم ما طلبوه (من التصريح لهم بالإقامة) بكل ترحيب منى .

وهذه هى الحقيقة كما كتبتها انا السلطان الأكبر ، حفظه الله ، إلى يد سفرائكم ، قد جاء إلينا السيد مرزوكو Marzuccho (بمعنى مارس الصغير) ، الفارس القوى العظيم المنتصر ، حفظه الله وحماه ، ولقد فهمنا كلامه ، واستقبلناه بحفاوة ، وبذلنا ما طلبه ، ومنحناه كل ما اراد . كما تلقى منا ما طلبه من الكتابات (التوقيعات) التى ارادها ، وودعته .

ويستطيع (السفير السيد مرزوكو) الآن الذهاب إلى الشيوخ النبلاء ، ويستطيع اظهار الأوراق ويصرح لهم بكل ما حدث بيننا ، وسوف تتبع نفس المسلك مع كل من يصل من بلدكم إلينا ، وسوف نمنحه كل ما طلب ، وليحفظنا ويحمينا الله ، أن شاء الله .

وهذا قد كتب فى أوائل اكتوبر ١٢٠٨ م ؟ »

*

[وردت الوثيقة على هيئة ، نقاط وبنود بلغت ٢٩ بندا ، واعرضنا عن الاحتفاظ بهذه البنود ، لأن المترجم اللاتينى ، قد قطع سياق الخطاب بهذه البنود المسطعنه من قبله ، مما قطع سياق المعنى العربى للغة الوثيقة ، وكاد يفسده ، والواقع أن الأب د الذى تولى ترجمه هذه الوثائق لى من اللاتينية ، قد دلل لى فى مواضع كثيرة على فساد الترجمة اللاتينية للعبرات العربية كثيرة التداول حتى الآن ، هذا بالإضافة إلى ركاكة اسلوب المترجم فى اللغة اللاتينية نفسها] .

---

(١) وردت هذه الوثيقة فى كتاب المستشرق امارى : الوثائق العربيه فى أرشيف فلورنسا ، ص ٢٨٢ ، تحت رقم ١١ .

* الوثيقة الثامنه ...

صيغة امان منحه السلطان الملك العادل للتجار البيازنة

سنة ٦٠٥ هـ / ٣ مايو ١٢٠٨ م

« هذا أمان لجميع التجار البيازنة من الملك العادل ، سيف الدنيا ، ملك الملوك ابو بكر بن أيوب ، مطيع الخليفة .

بسم الله ، لقد حدث هذا الأمر الهام الصادر عن الملك العظيم ، السلطان العادل ، حفظه الله ، ويضاعف مجده ، وهذا الأمر لا بد أن يكون أكيدا ، وهو الذى انجزه من أجل تأمين جميع التجار البيازنه ، كى يستطيعوا أن يحضروا إلى جميع أراضى مصر ، تحت حماية الله وحمايتى كما كانت العادة من قبل .

فهم يستطيعون الحضور اذا ودفع الحقوق على الذهب وعلى الفضة وعلى جميع البضائع الأخرى . كما كانت العادة دائما من قبل ، دون أى زيادة على المعتاد . وليكونوا على ثقة تامة وأمان من الله ورسولنا محمد ومنى شخصيا على أشخاصهم وثرواتهم .

وايضا (يأمنوا) عدم ايقاع أى أذى بالأشخاص الذين يأتون بصحبتهم (من غير البيازنه) .

ولهم الا نطبق عليهم اى اجراءات جديدة . وليس من حق أحد أن يأمرهم بأى أمر يخالف أمنهم .

وبعد دخولهم مصر ، لا يصح أن تُطبّق عليهم اجراءات جديدة مخالفة للقاعدة . وكما كان الأمر قد استقر من قبل يستمر كذلك الآن . ويجب أن يستقبلوا هنا فى بلدنا بالتكريم . ويجب أن يكونوا فى حماية يكفلها لهم جميع

رعايانا . ويجب أن يكون التعامل معهم مناسبا فى جميع أمورهم .

وليكن لهم فندقا وكنيسة وحماما ، كما كانت لهم العادة من قبل .

واذا كانت شوانينا تقابل سفنا للبيازنة فى طريقها إلى أراضينا أو خارجه من أراضينا فى أى مكان يجب أن تحميها شوانينا والمحافظة على أشخاصهم وثرواتهم . واذا قابلت شوانينا سفنا للبيازنة لا يجب اطلاقاً أن تنتهز الفرصة لالحاق الخسائر بهم . أو اتخاذ أى اجراء ليس فى صالحهم .

فليلتفت البيازنة تماما لكل ما كتب وليكونوا واثقين فى ذلك . ولتأتوا إلى أراضينا متمتعين بالأمن الكامل لأننى اعطيت أوامرى أن يحترم هذا الأمان .

ولقد وقعت بتوقيعى (علامتى) على هذا الأمان بكل ترحاب . وهذا الأمان قد كتب بتاريخ ٣ مايو (١٢٠٨ م) .

ويجب أن يعطى هذا الأمان لقناصلة البيازنه »

(أمان) .

---

* وردت هذه الوثيقة فى كتاب المستشرق امارى ، الوثائق العربيه ... ، ص٢٨٣ تحت رقم ١٢ .

« الوثيقة التاسعة »

قطعة من خطاب حفظ باصله العربي مرسل من السلطان الملك العادل إلي الشيوخ القناصلة كتب . علي الارجح . في سنة ٦٠٥ هـ . ١٢٠٨ م

« من المولى السلطان الملك العادل ، السيد الأجل الكبير العالم المجاهد المظفر الهمام ، غياث الانام ، سيف الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين ، خلد الله ملكه ...

إلى حضرة الشيوخ القناصلة ، الا جلا [1] المقدمون الاعزا [2] ، الفرسان الابطال الشجعان ، ليوث النصرانية ، عظماء الفرنجة ، حماة دين المعمودية ، أطال الله بقاهم ودام نعمتهم وكرامتهم وكيانهم وكلاهم [3] ...

---

* وردت هذه الوثيقة في كتاب المستشرق امارى : الوثائق العربيه في ارشيف فلورنسا ص ٦٩ ، تحت رقم ١٢ . وهذه في اول وثيقة في المجموعة التي نشرها امارى ، احتفظت بنصها العربيه ولم تترجم إلى اللاتينية او الايطاليه حرصاً على اسلوبها طبق الاصل .

(١) كذا والصواب الأجلاء .

(٢) كذا والصواب الأعزاء .

(٣) كذا والصواب وكلأهم .

« الوثيقة العاشرة »

تظلم مرفوع من تجار ايطاليين من بيزا والبندقية واقريطس للسلطان العادل الايوبي

« بسم الله الرحمن الرحيم » المماليك التجار المظلومون

يصلون الأرض بالمقام المالكي السلطاني العادلي خلد الله أيامه ونشر في اقطار الأرض اعلامه جعل ملايكة السماء بنصره جنوده وملوك الأرض عبيده . ويتهون أنهم قوم مظلومون لأنهم قوم تجارا قلعا [1] من بيروت ، ودخلا محروسة اسكندريه وأخذ منهما الحق كما جرت عادة من تقدمهم وهم في أمان هذه الدولة الرحيمة . وبضعا كما جرت عادة من تقدمهم من التجار وطلبا السفر فمنعا وقيل لهم أنكما من قبرص وليس فيهما أحد من الموضع المذكور الا فيهما بيزانه وبنادقة وآخر بيروت وآخر من اقريطش وآخر من جزيرة بني عمر مرديعه [2] مملوك المولى معز الدين . ولهما اليوم ستة معوقين وكان [3] قد تبضعا بكثرة بضاعتهما سمك بوري وقد تلف ورموه ولم يبقا [4] لهم الا اليسير من مالهم

---

* وردت هذه الوثيقة بنفس نصها العربي الاصلي ، دون ترجمتها إلى اللغة اللاتينية او الايطاليه ، مما يفيد انها حفظت في الارشيفات بنفس النص العربي الاصلي . انظر كتاب المستشرق امارى : الوثائق العربية في ارشيف فلورنسا ، ص ٧٠ ـ ٧١ ، تحت رقم ٢٣ .

(١) كذا والصواب واقلعوا لانه سيتحدث عن تسعة نفر ، او لعل الذي رفع رقعة التظلم كان فقط من جملة هؤلاء التجار التسعة .

(٢) كذا ولعلها ابن عمر بالجزيره الفراتيه .

(٣) كذا والصواب كانا او كانوا .

(٤) كذا والصواب ولم يبق .

ومركبهم على التلاف [1] في البحر . فيطلبون من المراحم السلطانية النظر في أمرهم والرحمة لهم باطلاق سراحهم فهم مساكين ولولا الصدقة عليهم الا كانوا قد تلفوا جوعا . وحوشى [2] عدل هذه الدولة القاهرة من الظلم للتجار[3] . وجمع هم [4] العبيد تسعة نفر فإنهما اقلعا من بيروت ومعهما بعض البضاعة وعبرا على قبرص واشتروا منها باقى بضاعتهم ودخلا الديار المصرية امانين [5] ، إنهم ليس هم من موضع هو غير صلح [6] الا الكل عبيد هذه الدولة وداخلين تحت طاعتها .

والرأى اعلا والحمد لله وحده ...

---

(١) كذا والصواب التلف .

(٢) كذا والصواب وحاشى .

(٣) كذا والصواب من ظلم التجار .

(٤) كذا والصواب وجميعهم .

(٥) كذا والصواب آمنين .

(٦) كذا والجملة كلها تؤكد أن التجار الذين صاغوا الوثيقة قد صاغوا هذه الجملة على النحو الذى يعبر عنها فى اللغات الأوربية ، فليست هذه العبارة وبهذه الصياغة عربية بل هى جملة ايطاليه او لاتينيه كتبت بكلمات عربية . ولا يخفى أن أسلوب الوثيقه يؤكد انه كتب بنفس أسلوب التجار الايطاليين الذين كانوا كلهم ـ او بعضهم وربما الاثنان اللذين رفعا الوثيقة وكلمنا فيها بصيغة المثنى ـ يعرفون اللغة العربية ولكن دون اجادة تامة لهذا فقد نبهنا اعلاه على الأخطاء الاملائيه واللغويه التى وقع فيها هؤلاء التجار الراغبين لرقة التظلم .

* « الوثيقة الحادية عشرة »

خطاب من مطران وقناصلة ونائب كونت بيزا
الي السلطان الملك الكامل الايوبي
يخبروه بارسالهم سفيرا لهم عنده يدعي
رانوسيوم بنيديكتي دي فيرسانيو
والكتاب مؤرخ بسنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م

« بسم الله الرحمن الرحيم »

السيد الأجل الكبير الملك الكامل ابن الملك العادل المظفر ، القادر على العالم كله ، وعلى كل الملوك ، ابن ايوب . حامى الخلافة البغدادية ، سلطان السلاطين ، المنصور الرحيم ، سيد العالم ، سيف الدنيا والدين ، انبل نبلاء الامم.

تحية من لوتاريوس Lottarius المطران Archiepiscopus ومن قناصلة بيزا ، ومن هو بالدوس Hubaldus نائب الكونت Vicecomes ، صاحب السلطة على أهل بيزا ، وأهل الشورى ، وجميع الشيوخ ، وكل الشعب البيزى ، وهم الاصدقاء الخلصين لمعاليه (اى السلطان) ، متمنيين له كل خير ، ليحفظ الله جلالته ، وليعطيه الله من نعمته الهيمنة بالعدل والحق والرحمة على شعبه ، ويسلس له انقياد شعبه له .

فلتعرف بوضوح مملكتكم ، وجلالكم وحكومتكم المظفرة ، والرعية التى تندرج تحت سلطتكم ، اننا وجميع البيزانيون فى جميع مناطق العالم ، نرغب ونتمنى دائما ، ان تمدنا من قبلك برعايتك ، وسوف نبذل من جهتنا جميع المجهودات التى نستطيع أن نفعلها لنوحى لك بهذه الرعاية ، وسوف نمرح

ونمجد اسمك العظيم ، على جميع الارض بكل قوة .

ولقد وجدنا فى زميلنا النبيل جدا ، والمحبوب لدينا جدا ، رانوسيوم بنديكتى دى فيرناسيو Ranuccium Benedicti de Vernaccio القنصل البيزى الجندى القوى ، الجدارة لكى نرسله إلى معاليكم مبعوثا . وقد أوصيناه مع اخلاصنا لكم ، بطيبتكم وشرفكم الكبير ، وحفاوة استقبالكم .

ونرجوا بكل الوسائل الممكنة الراجعة إلى طيبة ارادتكم ، الممتعة لمعاليكم ، ان تستقبلوه بحفاوة وتشريفات ، وتعاملوه بامانه ، ولتسمعوا لكل ما يعرضه بخضوع امام معاليكم بترحاب ، ولتصيخون السمع لما يقول بطريقة رحيمة (مفسحين له صدركم) ، فلتثقون بكل ما يحاكيه لسيادتكم كما لو كنا نحن الذين نحكيه لكم .

وبكل تأكيد نحن نعرف ان كل ما ستفعلونه بالاضافة الى ما سيقوله ، وكل ما سوف تقررون بجلالتكم ، هو (اى السفير) معك وانت (اى السلطان) معه ، سوف يكن بالنسبة لنا ، امرا مقطوعا به وسوف تلتزم به .

ولقد ارسل هذا الخطاب يوم الاحد سنة ١٢١٦ للميلاد . اليوم الرابع من أول شهر ابريل (المقصود تقويم اغسطس) ١٩ مارس ١٢١٥ .

---

* وردت هذه الوثيقة فى كتاب المستشرق امارى ، الوثائق العربيه ... ، ص ٢٨١ ، تحت رقم ٢٣ .

« الوثيقة الثانية عشرة »

خطاب من اسقف بيزا والقناصلة بها الي الملك الكامل

وتاريخه علي الارجح سنة ٦١٢ هـ ١٢١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى السيد الاجل السلطان الكبير الملك الكامل ناصر الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ملك الدنيا والدين ، ابى المعالى محمد بن ابى بكر بن ايوب ، ظهير امير المؤمنين اعز الله انصاره وتضاعف ملكه من احياء [١] وشاكريه ومحبيه لتير اسقف بيزا والقناصلة بها وسير البلد فسكند البسطار بها وجماعة اشياخها يسملون على مجلس المولا [٢] ، ويحيونه بافضل تحية ويرغبون الى الرب سبحانه فى دوام ملكه وحراسة مدته ويعلمونه بانهم لم يزالون [٣] ، محبين فى المولا [٤] ، ومعتقدين فى دولته وساير رعية المولا [٥] يعلمون ذلك وسيظهر ان شاء الله اثار محبتهم واعتقادهم ولا جل ذلك رسلوا [٦] إلى مجلس المولا [٧] رسولهم الفارس الاجل المحترم المختار المرتضى الاعز الاخص المقدم احد القناصلة ببيزا واكبر روسلوها [٨] ، وهو الرنشين دبنديت دلفرناش كبر الله سلامته وأحسن صحابته ، فالغرض من المولا [٩] ، حرس الله مدته تقليد خدماه [١٠] ،

---

* وردت هذه الوثيقة فى كتاب المستشرق امارى ، الوثائق العربيه ... ص ٨١ ـ ٨٢ ، تحت رقم ٢٧ ، باللغة العربية ، أى أن الذى فى الارشيفات الايطاليه هو الاصل العربى وفى هذا ، ما يفيد أن قناصلة بيزا كانوا يرسلون خطابات إلى سلاطين بنى ايوب مكتوبه باللغة العربية كذا ورد بها عدة اخطاء املائيه ولغويه .

(١) كذا والصواب احياه .
(٢) كذا والصواب المولى .
(٣) كذا والصواب لم يزالوا .
(٤) كذا والصواب المولى .
(٥) كذا والصواب المولى .
(٦) كذا والصواب ارسلوا .
(٧) كذا والصواب المولى .
(٨) كذا والصواب رسلها .
(٩) كذا والصواب المولى .
(١٠) كذا ولعل الصواب خدمه .

غاية الامتنان بحفظه ورعايته والنظر منه بعين المبرة والكرامة والصغى [1] لمقالته فكلما[2] يذكره لمولانا عنا كما ان لو ذكرناه مشافهة له بافواهنا [3] وكلما[4] ، يفعله مع المولا [5] ، عنا كما ان نفعله بانفسنا [6] ، بلا شك ولا ريب فيعلم مولانا ذلك ويصغى لمقالتنا تفضلا منه علينا واحسانا إلينا والله تعالى يديم ايام المولا [7] بمنه وكرمه لا رب سواه .

---

(١) كذا والصواب الاصغاء .

(٢) كذا والصواب كل ما .

(٣) صياغة هذه العبارة كأنها باسلوب ايطالي او لاتيني كتبت بكلمات عربيه .

(٤) كذا والصواب كل ما .

(٥) كذا والصواب المولى .

(٦) صياغة هذه العبارة أيضا كأنها باسلوب ايطالي او لاتيني وكتبت بكلمات عربيه .

(٧) كذا والصواب المولى .

*** « الوثيقة الثالثة عشرة »**

نص معاهدة مشروطة

موقعة بين الملك الكامل سلطان مصر والبيازنة

كتبت بدمشق بتاريخ سنة ٦٢٢ هـ / ١٢١٥ ـ ١٢١٦ م

« الملك ، العادل [1] ، سيف الدين ، العالم ، سلطان الترك والعجم . ابو بكر Bubacchara ، ابن ايوب [2] ، (Flio di Aiup) ، خليل امير المؤمنين .

لقد اعطينا الامر الكبير ، مع النصر ، السلطان المهيمن والملك العادل ، وهذا من نعمة الله علينا ، وما نكتبه هو من فضل هذا .

١ ـ يستطيع التجار البيزيون ، ان يذهبوا الى الاسكندرية ، سواء في البر او البحر ، مع امنهم على انفسهم وأموالهم ، تحت حماية الله ورسوله ، عليه الصلاة والسلام (٣) فليأتوا بدون خوف وعلى الرحب والسعة من جانبنا .

٢ ـ واذا ذهب هؤلاء إلى القاهرة ، او اى بلدة من مملكتى ، او بقعة من ارضنا المنصورة فليس ثمة ما يعكر صفوفهم ، مثلما كان الحال ابان العداء بيننا ، خاصة اثناء السنوات الماضية ، وليأمنوا تماما فى الشهور والايام التى يأتون فيها .

٣ ـ وطالما كان السلم مستقر بيننا وبين البيازنة ، يستطيعون الذهاب من عكا الى القاهرة ، ومن القاهرة الى عكا ، وأيضا يستطيع الفرنجة الموجودين بأراضينا فى سوريا و اذا كانوا معنا (من حزبنا) ، يستطيعون أيضا المتاجرة بين عكا والقاهرة .

٤ ـ وبالنسبة للفرنج المتواجدين فى سوريا ، ونحن معهم فى حالة حرب ، فهم لا يستطيعون الدخول الى عكا ، واذا دخلوا فى وقت الحرب ، مع اسلحتهم، فانه فى هذ الحالة يكونوا قد دخلوها بدون اذن .

٥ ـ Etorremogli da lui la gabella della mercatantia di cias-chum cento bisanti , sedici bisanti et di [٤]

٦ ـ وبالنسبة للذب والفضة ، يجب ان يدفع البيازنة عليها ١٠ فى المئة ويجب ان يكون الدفع مقدما شأن الحال المستقره من قبل .

٧ ـ ولا يحق ان يرغموا على بيع شيء من بضائعهم ضد أرادتهم ، اى شيء حتى اذا كانت الشبّه أو اى سلعة أخرى .

٨ ـ وعلى رئيس الفندق البيزى فى الاراضى التى استردها السلطان من الفرنجة ، فهو حر فى سيطرته على أهل قوميته داخل الفندق ، ولكن ليس من حقه ان يدخل فندقه تجار اجانب من قوميات اخرى .

٩ ـ وعليه (رئيس الفندق البيزى) ان يبدأ لمزاولة نشاطه على الفور .

١٠ ـ وله ان يتخذ كنيسة لاداء الصلاة .

١١ ـ وجميع رعاياه من المسيحيين ، اذا حاولوا استرقاقهم فى كنيستهم ، فهذا غير قانوني ، ويجب ان يحرروا .

١٢ ـ وهم (البيزيون) غير مطالبين باداء الـ Tagla (ضريبة) ، وعليهم ان يتخذوا كاهنا منهم لاداء شعائر الصلاوات ، وعليه ان يلتزم بسكنى الفندق مع البيازنة .

١٣ ـ وهو ليس مطالبا بان يدفع اجر خادم الكنيسة ، وهم معفيون من أداء الـ Troboccho (ضريبة) إلى السلطان .

١٤ ـ وعليهم ان يتخذوا كاتبا فى الديوان [٥] Dagana ، يسجل جميع مكاسبهم من متاجرهم المباعة فى الديوان .

١٥ ـ واذا تعاقدوا من جانبهم فى الديوان مع مشترى ، وتم التعاقد ، فليس من حق المشرى فسخ العقد (التراجع فى الشراء) .

١٦ ـ وهم ليسوا مطالبين بدفع الحقوق (الضرائب) ، طالما لم ينتهوا من بيع بضائعهم ولم تزل حت ايديهم .

١٧ ـ ولهم الحق فى اتخاذ حمام .

١٨ ـ ولهم الحق فى دخول اى مدينة دون دفع رسوم .

١٩ ـ وليس هناك ما يدعوا من استئناف عادات جديدة بخصوصهم .

٢٠ ـ وفى حالة شرائهم للسلع ، فلا يجب ان يطلب منهم الثمان مبالغ فيها (غير منطقية) .

٢١ ـ ولا يدفعون التعريف Tariffa (ضريبة) .

٢٢ ـ ولا يدفعون الـ Carati (ضريبة) .

٢٣ ـ ولا يدفعون اجر من يبحث عن السفن [٦] .

٢٤ ـ وفى حالة شرائهم للطعام ، فهم يدفعون اجر الطعام ، وغير مطالبين بدفع اى التزام مالى لمن يتولى توصيله لهم .

٢٥ ـ وهم معفيون من دفع جمرك Gabella على النبيذ الذى يشربونه طوال العام ، مثلما كان الحال من قبل .

٢٦ ـ ولكل فرد من التجار فى الفندق ، ان يكون له سرير ، وان يحتفظ بزجاجة من الجنزبيل [٧] .

٢٧ ـ وكل من يريد ان يعود الى بلده فلا يمنع .

٢٨ ـ (وفي هذه الحالة) لا يدفع شيء لديوان السلطان (كرسم مغادرة) .

٢٩ ـ وهم غير ملتزمين ببيع أسلحتهم لاحد من العرب .

٣٠ ـ ورئيس الرؤساء (او رئيس الحفاظ) لا بد وان يجلس حسب باب البحر امام الـ Fachar (٨) .

٣١ ـ وفي حالة غرق احدى السفن بالقرب من اراضي السلطان ، فان البضائع والتجار يكونوا في امان ، وليس من حق اي تجار عرب ان يستولوا على هذه المتاجر .

٣٢ ـ في حالة ذهاب احد التجار البيازنة الى الاسكندرية ، فعلية ان يحضر شاهدين من التجار المعروفين بالاسكندرية ، ليشهدوا على انه من بيزة ومن ثم تعامله السلطات معاملة البيازنة .

٣٣ ـ واذا وقع الضرر باحد البيازنة ، فعليه أن يتظلم لأمير بحر الاسكندرية Admiaglio d'Alexandrio .

٣٤ ـ واذا لم يستجب امير الاسكندرية لتظلمه ، فعليه ان يرفع شكواه ، دون ان يمانعه امير الاسكندرية الى الباب السلطاني الشريف ، السلطان الأعظم ناصر الدنيا والدين سلطان المسلمين . عز نصره .

٣٥ ـ وفي حالة موت احد البيازنة ، فهم معفون من دفع رسم على دفنه ، ومن حقهم دفنه داخل كنيستهم .

٣٦ ـ ولن نستحدث معهم في هذا الشأن قاعدة جديدة .

٣٧ ـ وبالنسبة لتجار المسلمين المتقلبين بين بلاد البربر Barbaria (٩) وبابل

(مصر) ، ومن بابل الى بربريا ، ومن بربريا ومصر إلى سوريا ، ومن سوريا الى مصر وبرباريا ، سيكونوا جميعهم في امن على انفسهم من جانب البيازنة (١٠) ، في البحر والبر ، طالما كان السلام مستتبا بيننا وبين البيازنة .

٣٨ ـ وكل ما تقدم ساري العمل به ، وفي كل مرة يذهب البيازنة الى ارض المسلمين في جميع ارجاء مملكتنا .

٣٩ ـ واذا لم يلتزم البيازنة من جانبهم بهذا الشرط ، فليس هناك سلام بيننا .

٤٠ ـ واذا كانوا لا يريدون الالتزام من جانبهم بهذا ، ولا يريدون ايضا المجيء إلينا فعليهم اخبارنا بهذا عن طريق رسول ، قبل ميعاد انتهاء المعاهدة بسنة .

٤١ ـ وعلى كل من الامراء Admiral والنواب Naibi الذين يطلعون على هذه الوثيقة ، فعليهم أن ينفذوا ما فيها ، كما أمرنا من شروط ، اعتمادا على علامتنا الشريفة Segno - Saneto على الوثيقة .

٤٢ ـ وهذه النسخة طبقا للأصل ، وقد كتبت سنة ٦٢٢ هـ في دمشق (١٢١٥م ـ ١٢١٦ م) وصلى الله وملائكته على نبينا محمد ﷺ .

*

---

* وردت هذه الوثيقة باللغة الايطالية في كتاب المستشرق اماري : الوثائق العربية ص ٢٥٨ ـ ٢٥٧ ، تحت رقم ٢٤ . وهذه البنود الـ ٤٢ للوثيقة هي نفسها موجوده في ترتيب النص الايطالي ، ولقد رأينا الاحتفاظ بها لدقتها .

(١) ورد هذا اللقب في الوثيقة كصفة وليس كلقب رسمي وعلم على اسم السلطان ، اذ ورد على هذا النحو .

(٢) اسم ابو بكر بن ايوب ، لايسحب الا على الملك العادل الأول ، اخو صلاح الدين ، ولقب العادل لا يسحب إلا على الملك العادل الثاني ابن الملك الكامل ، ولكن كلا الملكين لا يعاصر =

« الوثيقة الرابعة عشر »

نص معاهدة مشروطة بين سلطان مصر والبيازنة

وهي غير مؤرخة ولم يذكر اسم السلطان

وهو على الارجح الصالح نجم الدين ايوب (١)

« هذه ترجمة الرسائل من السلطان لصالح البيازنة على البحر وعلى الارض.

١ ـ فلهم عهد الله القدير ، وعهد من رسوله ، ومني ، على انفسهم ، وعلى اشخاصهم ، وعلى اموالهم ، وبضائعهم ، وكل ممتلكاتهم ، دون المساس بهم ، وليثقوا في هذا كل الثقة .

= حكمهما عهد توقيع الوثيقة ، فهي موقعه سنة ٦٢٢ هـ اي لاحقه لعهد السلطان العادل الأول، وسابقة لعهد السلطان العادل الثاني ، واغلب الظن أن من كتب الوثيقة قد اختلط عليه الأمر، فخلط بين القاب الملك الكامل والقاب ابيه الملك العادل ، وربما ترجمت هذه الوثيقة بعد مدة ليست بالقصيرة من تاريخ كتابتها .

(٣) ترجمت هذه العبارة في الاصل الايطالي بـ « يخشى عليه الله ، ويسلم عليه !! ».

(٤) هذا البند من المعاهدة ، عجزنا عن ترجمته .

(٥) لعل الديوان المقصود هو « ديوان التجر السلطاني » الذي كان يتولى العمليات التجارية مع التجار الاجانب .

(٦) يفهم من صياغة هذا البند ، أن من يبحث عن السفن هم موظفون في الميناء ، يتقاضون اجرهم من السلطات المصرية .

(٧) يبدو أن هذا المشروب كان نادرا وليس موجودا في اوربا لانه من التوابل .

(٨) هل هو التمر : ربما ؟

(٩) لعل المقصود شمال افريقيه .

(١٠) كان البيازنه يسمون الفرضة .

٢ ـ على كل من يقابله ، سواء في ذهابهم او ايابهم في الأراضي التي تسري عليها هذه الوثيقة ، على الأبواب (ربما المدن والثغور) أن يكون واثقا من هذا ، وذلك خلال سريان هذه الوثيقة على السنين والاشهر والأيام .

٣ ـ وكذلك في حالة رجوعهم من عكا إلى اراضي الوثيقة أو من اراضي الوثيقة إلى عكا ، وذلك في حالة السلم بيني وبين فرنج سوريا .

٤ ـ واذا كانت هناك حالة حرب بيننا وبين الفرنج الذين في سوريا ، فممنوع عليهم (أي البيازنة) دخول عكا . وفي حالة احترام الفرنج للهدنة ، وذهابه إلى الشام لمحاربتهم ، فهذا الأمان غير ساري . وبالنسبة لفرنج سوريا ومدينة سافيدندا Savidande (لعلها صيدا أو صفد) الذين لا تنطبق عليهم هذه المعاهدة ، فلدى الاسلحة والخيول و ... لاهلاكهم .

وليس لهم هذا الضمان مني

٥ ـ والبضائع الواردة من بيزنطة Bizantios والتي يجب عليها ١٠٠ ، فبالنسبة للبيازنة ، يجبى ١٦ فقط . (ربما نسبة مئوية) .

٦ ـ وعلى الذهب والفضة ، الذين يدفع عليهما ١٠٠ ، فهم يدفعون ١٠ فقط . (اى نسبة مئوية) .

٧ ـ ولا يجبروا على بيع مشاجرهم ، وحتى الشبّه او اى شيء اخر من ممتلكاتهم، الا برغبتهم فهم احرار .

٨ ـ وعلى من يتعامل معهم ان يحترم اسعارهم ، وليس من حق تجار غير البيازنة ان يسكنوا في فندقهم او ان يخزنوا فيه بضائعهم على غير ارادة البيازنة او في حالة غيابهم (اى لا يخزن الا في وجودهم وباذنهم) وان يجنب فندقهم الـ Adifato .

٩ـ ويجب ان يكون الفندق جاهزا فى اسرع وقت ممكن .

١٠ ـ ويجب ان يعطوا كنيستهم التى كانت لهم من قبل ، لممارسة طقوسهم الدينية .

١١ ـ

١٢ ـ ..... (٢).

١٣ ـ وغير مسموح لمدير الفندق ان يقدم المشروبات (الخمر) لشعبى ، ولا يسمح ان يدخلوا ويخرجوا من الفندق .

١٤ ـ وليتخذوا كاتبا يسجل بضائعهم التى دخلت الى الجمرك ، او بيعت فى الجمرك .

١٥ ـ ويراعى عدم التأخير .

١٦ ـ والحقوق لا تجبى منهم قبل انتهائهم من بيع البضاعة ، وتسجيلهم هذا البيع بايديهم .

١٧ ـ ويعاد اليهم حمامهم الذى كان لهم من قبل بالاسكندرية .

١٧ ـ (كذا) ومن الان فصاعدا وهم معفون من دفع ثمن الحمام ، وغير مطالبين بهذا (٤) .

١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ..... (٥) .

٢١ ـ وهم معفون من دفع الكوف Gufa .

٢٢ ـ وايضا هم معفون من دفع العرصة Arso .

٢٣ ـ ولا يلزمهم دفع حقوق ، نظير الاقداح الخاصة بشرابهم (٦) .

٢٤ ـ كذلك لا يدفعون حقوقا على اكلهم غير العادى (بمعنى المفتخر)

٢٥ ـ ومن الممكن ان يتناولوا النبيذ وفقا لعرف مدينة الاسكندرية .

٢٦ ـ Alla iscita della porta sia lasciato iscir matrassa una et vescica una di sensano per mercalanto .

٢٧ ـ من الممكن ان يغادروا الاسكندرية فى اى وقت شاءوا .

٢٨ ـ من حقهم حمل سلاحهم الشخصى عند تنقلاتهم بالمدينة .

٢٨ ـ هم معفون من اى ضريبة فى حالة بيعهم لسلاحهم الشخصى (٨)

٢٩ ـ لا يجب ان يكرههم احد الشرقيين Saracinus على بيع سلاحهم .

٣٠ ـ عند خروجهم من باب الفندق ، يجب ان يكون معهم كاتب يعرف بـ Stohiatro وكاتبون معروفون بـ Alfacchini .

٣١ ـ فى حالة غرق احدى المراكب التجارية فى ملك السلطان فالاشخاص والاموال محفوظين .

٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ..... (٩) .

٣٧ ـ وفى حالة رجوع التجار الشرقيين Saranno الى ارض (كذا والمقصود الأراضى المذكورة أو أرض المعاهدة) ، ومن ارض Ict (كذا) إلى الغرب Garbo ، وفى حالة خروجهم من ارض المعاهدة الى سوريا Suria ومن الغرب الى سوريا ، ومن سوريا الى ارض المعاهدة ومن سوريا الى الغرب ، فهم بانفسهم واموالهم تحت حماية السلطان فى البحر والارض .

٣٨ ـ وفى حالة سفرهم (اى البيزيين) فى اراضى الشرقيين Saracini ، فى حالة ذهابهم وايابهم فى الاراضى المذكورة ، وهم كذلك آمنين .

٣٩ ـ فاذا كانوا يريدون السلام ، فتلك شروطه .

٤٠ ـ واذا كانوا راغبين في القدوم الى ارضينا ، فيجب ان يخبرونا بذلك قبل سنة ، بحيث يكون الموقف بيننا واضحا .

٤١ ـ على جميع الكبار (العظماء المسئولين) ان ينفذوا ما جاء بخصوص تلك الوصايا .

---

* وردت هذه الوثيقة باللغة الايطالية في كتاب المستشرق امارى : الوثائق العربية .... ص ٢٢٨ ـ ٢٨٩ ، تحت رقم ٢٥ .

(١) اورد امارى هذه الوثيقة ، كآخر وثيقة في ترتيب الوثائق الاوربية . وبمقارنة شروط هذه الوثيقة ، وخاصة الضرائب التي اعفى منها البيازنه ، وأهمها ضريبتي الكوف والمعرصه ، بما ورد في كتاب الفزومي : منهاج الخراج ، بصدد الضرائب الفرعيه ، المسحقه بضريبة الخمس التي تجبى من التجار الاجانب غير المسلمين ، وقد تفرد الفزومي بايراد تفاصيل ضريبتي الكوف والمعرصه ، يؤيد هذا أن المعاهده أيوبيه . ولعل المترجم الايطالي ، قد ترجم كلمة السلطان الصالح ، إلى السلطان لصالح البيازنه ؟ ! .

(٢) عجزنا عن ترجمة هذا البند .

(٣) هذا البند ساقط من النص الايطالي للوثيقه ، بل لم يذكر رقمه اصلا .

(٤) ورد هذا البند مكررا في النص الايطالي .

(٥) بنود ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ساقطه من النص الايطالي .

(٦) كان الاوربيون قلما يشربون الماء .

(٧) عجزنا عن ترجمة هذا البند .

(٨) ورد هذا البند مكررا في النص الايطالي .

(٩) بنود ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ . بنود كامله ساقطه من النص الايطالي .

رقم الإيداع
٩٧ / ٢٧١١
I. S. B. N 977-04-1959-1
مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة – ت : ٥٨١٧٥٥٠